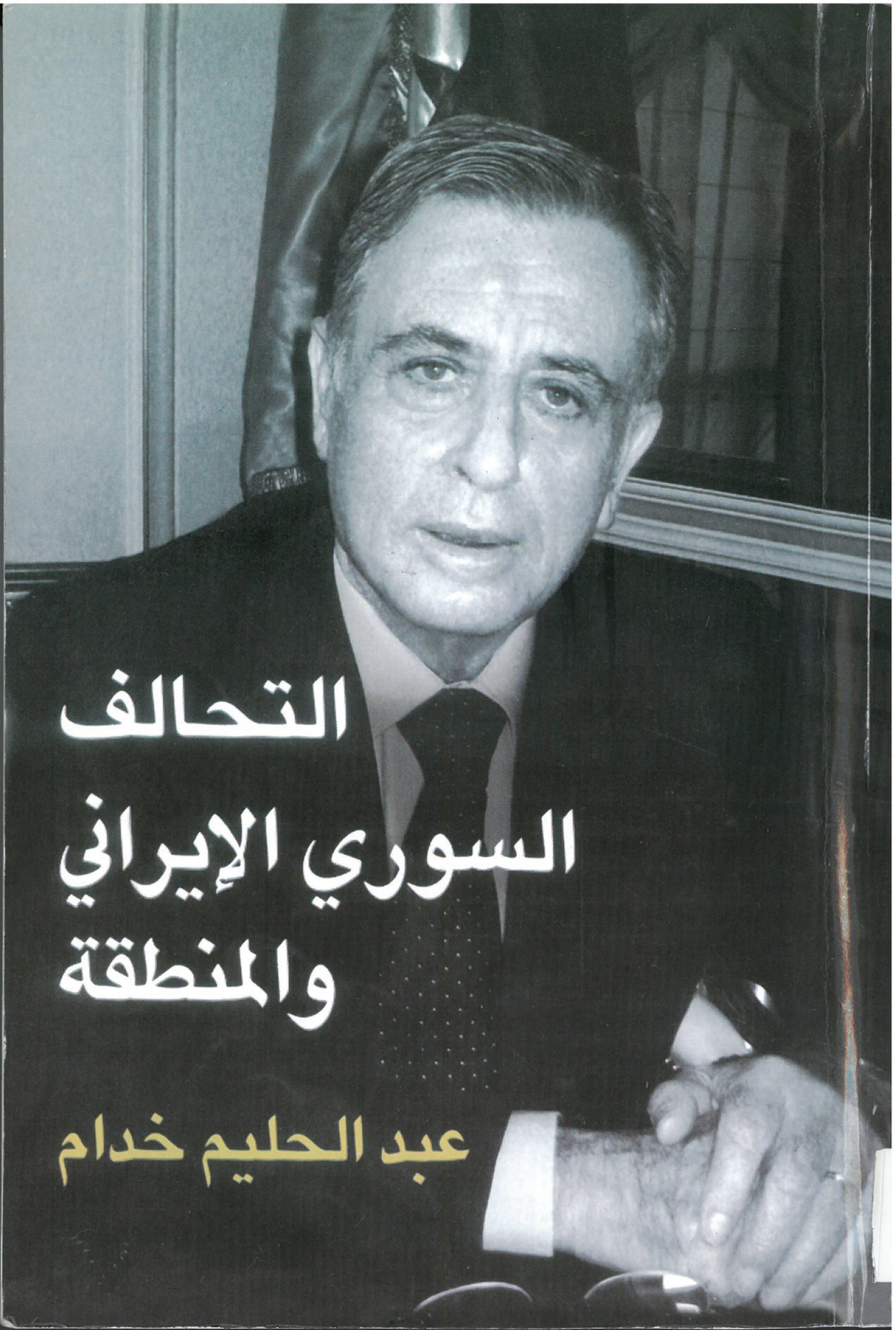

التحالف السوري الإيراني والمنطقة

عبد الحليم خدام

A
327.5691
K45It

التحالف السوري الإيراني والمنطقة

عبد الحليم خدام

LAU Beirut campus
27 JUN 2012
Riyad Nassar Library
RECEIVED

دار الشروق

Antoine 208147

الطبعة الأولى ٢٠١٠

رقم الإيداع / ٢٠١٠
ISBN

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

٨ شارع سيبويه المصري
مدينة نصر – القاهرة – مصر
تليفون : ٢٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٢٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)+
email: dar@shorouk.com
www.shorouk.com

المقدمة

تتمتع إيران بموقع حسّاس أعطاها مكانةً مهمة في مختلف مراحل التاريخ، وازدادت أهميتها بعد اكتشاف النفط في أراضيها وفي كلٍّ من العراق والمملكة العربية السعودية.

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وانطلاق الحرب الباردة بين الاتحاد السوفيتي والغرب شكّلت إيران خطَّ الدفاع الذي يَحُول دون امتداد النفوذ السوفيتي إلى مناطق النفط، كما تحوّلت إلى قاعدة رئيسية لحماية مصالح الغرب، وكانت إحدى المناطق الأكثر أهمية بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها.

بعد نجاح الثورة الإسلامية في آذار عام ١٩٧٩ وسقوط نظام الشاه انتقلت إيران من موقع التحالف مع الغرب إلى موقع العداء له، ومن موقع حماية مصالحه إلى موقع يهدد تلك المصالح.

أثارت الثورة الإسلامية بشعاراتها وأهدافها قلقًا كبيرًا في المنطقة، كما في العالم كله، في الغرب كما في الشرق السوفيتي، وتعرضت لحصار شديد خلال الحرب التي شنها النظامُ العراقيُّ في مطلع أيلول عام ١٩٨٠، واستمر هذا الحصار حتى الآن.

رغم السنوات الثماني من الحرب فإن الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقيادة آية الله الخميني، وبعده بقيادة آية الله علي خامنئي، استمرت في مسيرتها من أجل تحقيق أهدافها الكبرى؛ وفي المقدمة بناء دولة كبرى قوية وقادرة على حماية مصالح وأهداف الجمهورية الإسلامية وقائدة لشعوب المنطقة.

لم يقف الصراع لحظة واحدة بين الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولم تقف حملات العداء المتبادلة بين الجانبين.

تحتل إيران اليوم في الساحة الدولية موقعًا مُهمًّا كان يحتله الاتحاد السوفيتي قبل الاتفاق بينه وبين الغرب على سياسة التعايش السلمي في مؤتمر هلسكني في مطلع عقد السبعينات.

كما أن شبح إيران أصبح مُقلقًا لدول المنطقة.

كان الإسرائيليون الأشد قلقًا وعداءً للجمهورية الإسلامية الإيرانية بسبب المواقف الصلبة التي اتخذتها الثورة الإسلامية في أيامها الأولى من إسرائيل.

عَرَفْتُ الجمهورية الإسلامية الإيرانية منذ بداية قيامها في عقد السبعينات، وأتاح لي موقعي في الدولة السورية زيارتها مرات كثيرة والتعرف على قياداتها الذين قامت بيني وبين معظمهم علاقات من المودة والصداقة، كما تعرّفت على سياساتها وطرق تعاملها مع الوقائع والأحداث.

رأيت أن أُعد هذا الكتاب للتحالف بين نظامين متناقضين في العقيدة التي يقومان عليها وفي البنية السياسية، ولكنهما متفقان في الأهداف الكبرى.

لقد قيل الكثير عن الجمهورية الإسلامية؛ بعضه فيه الكثير من الصحة وبعضه فيه الكثير من الخطأ. وهذا الكتاب مزيج من قراءتي للوقائع واستخلاص لأهداف الثورة الإسلامية في إيران وطبيعة العلاقات السورية الإيرانية وتأثيرها في أوضاع المنطقة وفي أحداثها، وحرصت على الموضوعية في سرد الوقائع وفي قراءة أسبابها ونتائجها بعيدًا عن العواطف؛ ذلك أن الأمانة التاريخية تتطلب الدقة في سرد الوقائع، والموضوعية في تحليلها وفي تحديد تأثيراتها وانعكاساتها.

* * *

الفصل الأول

الجمهورية الإسلامية

تميّزت الثورة الإسلامية في إيران عن سائر حركات التغيير في بلدان العالم الثالث بأنها الثورة الأولى التي نجحت في إسقاط أقوى نظام في الشرق الأوسط عبر الشعب وليس عبر القوات المسلحة، كما تميّزت بأنها الثورة الأولى في العالم الإسلامي التي اعتمدت الدين هوية لها وللنظام الذي أقامته.

كانت طموحات قائد الثورة آية الله الخميني أوسع من الحدود الوطنية لإيران، حيث امتدت إلى العالم الإسلامي بهدف تحقيق التغيير، كما كان يرى، وتحرير المسلمين من موروثات الاستعمار ومن أنظمة الحكم والعودة بهم إلى الدِّين.

كانت الثورة ببنيتها القيادية وبطبيعتها ثورة إسلامية، وكان آية الله الخميني عقلَها وقائدَها، وكان رجال الدين عصبها.

كان شهر آذار عام ١٩٧٩ شهرًا فاصلاً في تاريخ إيران وفي تاريخ المنطقة، في ذلك الشهر شهد العالم ولادة دولة دينية تطرح شعارات وأهدافًا أقلقت القريب والبعيد.

كانت تلك الثورة الحدث الأبرز في النصف الثاني من القرن العشرين لا يتقدم عليه من حيث الأهمية غير انهيار الاتحاد السوفيتي.

لقد أقلق النظام الجديد قيادات الدول الإسلامية؛ خوفًا من انتشار هذه الثورة والتي شكلت ظاهرة ملفتة في العالم الإسلامي، كما في العالم كله، في شرقه وفي غربه، كان قلق الغرب بصورة عامة والولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة قلقًا عظيمًا، ليس فقط بسبب انهيار نظام الشاه الذي كان حليفًا قويًّا للولايات المتحدة الأميركية، وشكّل حاجزًا أمام انتشار السوفييت في مناطق النفط، وإنما كان القلق أقوى بسبب الشعارات التي أطلقتها الثورة الإسلامية في إيران وجدية قياداتها، وكما هو معروف فإن إيران دولة نفطية كبيرة وتقع على حدود النفط العربي في العراق والخليج وتشارك في نفط بحر قزوين.

وإلى جانب القلق الغربي فقد قلق الاتحاد السوفيتي من انتشار هذه الثورة في جمهورياته الآسيوية.

كان التغيير في إيران مؤشرًا على أن المنطقة مُقبلة على توترات خطيرة؛ فالجميع قَلِقٌ من النظام الجديد بما طرحه من أهداف وشعارات، وجميعهم قَلِقٌ من تغيير المعادلات القائمة في المنطقة سواء ما تعلق منها بالأوضاع الإقليمية أو بالمصالح الدولية.

ومن الطبيعي أن يسود القلق والتوترات؛ فإيران دولة كبرى في المنطقة تمتد حدودها من الباكستان إلى أفغانستان إلى الجمهوريات الآسيوية في آسيا الوسطى إلى تركيا والعراق، بالإضافة إلى إطلالها على نفط الخليج وقربها من الحدود السوفيتية، وبذلك فهي تُشكل موقعًا مُهمًّا وخطيرًا في منطقة تتقاطع فيها المصالح الإقليمية والدولية، ومما زاد من حدة القلق الإقليمي والدولي الشعارات الحادة التي كان يطرحها قياديون في تلك الثورة، وأبرز هذه الشعارات وصف الولايات المتحدة الأميركية بالشيطان الأكبر، كما أثارت تلك الشعارات قلقَ وخوفَ الدول العربية في الخليج.

كان لدعوة آية الله الخميني لتحرير فلسطين ودعم الشعب الفلسطيني صدى قويٌّ في الولايات المتحدة الأميركية وفي إسرائيل مما شكّل أيضًا أحد أسباب التوتر.

لم يمضِ عام ونصف على قيام الجمهورية الإسلامية في إيران - وكانت تلك المرحلة مرحلة بناء مؤسسات الجمهورية الجديدة - حتى تعرضت لحرب شنّها النظام العراقي بقيادة رئيسه صَدَّام حسين في أوائل أيلول عام ١٩٨٠ مدعومًا من الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية ومن معظم الدول العربية ما عدا سورية التي كانت قد بدأت بتشكيل حلف مع الثورة الإسلامية ضد نظام صَدَّام حسين، كما أن ليبيا والجزائر واليمن الديمقراطي لم تؤيد تلك الحرب ولكنها أدانتها دون إدانة سياسية لنظام صَدَّام حسين.

كان على الجمهورية الإسلامية أن تواجه العالم كله تقريبًا، بما فيه الاتحاد السوفيتي الذي كان يمد النظام العراقي بالأسلحة ليس فقط لأسباب تتعلق بموارد السلاح المالية القادمة إلى الخزينة السوفيتية وإنما أيضًا لأسباب سياسية وعقائدية تتعلق بطبيعة الجمهورية الإسلامية والخوف من امتداد الثورة إلى جمهوريات آسيا الوسطى.

كان على الجمهورية الإسلامية أن تواجه الجيش العراقي وهي في مرحلة إعادة بناء جيشها الذي تفكك بعد نجاح الثورة، كان الرئيس العراقي صَدَّام حسين يتوقع نصرًا سريعًا ضد

إيران ولكن الأمور سارت باتجاه آخر، فقد صمد الإيرانيون وقدّموا التضحيات البشرية الكبيرة وتحول دفاعهم إلى هجوم، كما أن القيادة الإيرانية رفضت قبول قرار مجلس الأمن القاضي بوقف القتال والعودة إلى التفاوض مما أدى إلى استمرار الحرب والتي لم تتوقف إلا بعد استخدام النظام العراقي للأسلحة الكيميائية فرضخت إيران إلى قرار مجلس الأمن وتم توقيف القتال في عام ١٩٨٨.

كان للحرب والحصار المفروض سياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا دور كبير في وقوع تغيرات جدية في استراتيجية الثورة الإسلامية باتجاه التركيز على بناء الدولة ومؤسساتها وعلى توفير وسائل القوة، وبالتالي الانتقال من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة والتركيز على سياسات تؤدي إلى نشوء واقع جديد في المنطقة تكون فيه إيران الدولة الكبرى التي يجب أن يمتد نفوذها من لبنان إلى أفغانستان. بدأ التوجه الجديد خلال الحرب وترسخت القناعة لدى قائد الثورة أن تحقيق الأهداف والشعارات يحتاج إلى وسائل غير وسائل الإعلام وإطلاق الشعارات عبر الخطابات والتصريحات، ويحتاج إلى دولة قوية وقادرة ولها أهدافها المرسومة وخطط عملها، وأن هذه الدولة يجب أن تكون المرجعية في المنطقة كلها.

في الثالث والعشرين من حزيران عام ١٩٨٥ وصل إلى دمشق رئيس مجلس الشورى في إيران علي أكبر هاشمي رفسنجاني، وفي مساء ذلك اليوم توجهنا إلى مقر الرئيس حافظ الأسد الذي استقبل الضيف الإيراني استقبالاً وديًّا وحارًّا، وتركّز الحديث حول الحرب وتطوراتها كما أخذت الأوضاع في المنطقة حيزًا من الحديث، لا سيما الوضع في لبنان والوضع الفلسطيني، وعرض الرئيس رفسنجاني تشكيل لجنة سياسية عسكرية تضم سورية وإيران وليبيا والجزائر باعتبارها الدول التقدمية، والتي تقوم صلات قوية معها، وذلك في ضوء اقتراحات تقدمت بها ليبيا في مرحلة سابقة وعُقدت عدة اجتماعات ولكن الجزائر اعتذرت فتوقفت الاجتماعات.

وخلال الحديث عن الحرب طلب الرئيس رفسنجاني من الرئيس حافظ الأسد إعطاء إيران صواريخ سكود بعيدة المدى وصواريخ مضادة للطيران وصواريخ أرضية متوسطة المدى فلم يعطه الرئيس حافظ الأسد جوابًا بالقبول أو بالرفض وإنما تجاوز الطلب إلى حديث آخر واستمر الرئيس كعادته بالحديث الطويل بهدف الابتعاد عن مناقشة الموضوع لأن الأمر يحتاج إلى دراسة. استمر الحديث حتى منتصف الليل وظهر التعب على وجه الضيف فقال للرئيس حافظ: سيادة الرئيس أَطَلْنا عليك وانتصف الليل ولم تعطني جوابًا

حول موضوع الأسلحة. فأجاب الرئيس حافظ: سندرس الموضوع وغدًا يمر عليك أبو جمال ويبلغك قرارنا.

غادر الضيف إلى مقر إقامته وبقيت عند الرئيس والذي كان محرجًا وقال: هذه مشكلة جديدة أمامنا؛ إذا أعطيناهم مشكلة، والصواريخ ستوجه إلى بغداد، وإذا لم نعطهم مشكلة وسيؤثر ذلك على علاقاتنا. وسألني رأيي فأجبته: فعلاً نحن أمام مشكلة كبيرة إذ يجب الأخذ في الاعتبار ردة فعل الشعب العراقي والرأي العام العربي، خلال حرب تشرين جاء الجيش العراقي يقاتل مع جيشنا وها نحن نرسل صواريخ لضربه، هذا الأمر سيُحدِث شرخًا في العلاقات بين الشعبين والحل في رأيي إبلاغ الرئيس رفسنجاني أن ظروفنا معقدة ونشرحها له، ولكننا سنساعدهم بالحصول على طلبهم من ليبيا لأن ظروف ليبيا ليست معقدة كظروفنا وإننا مستعدون للاتصال مع ليبيا. وافق الرئيس حافظ على اقتراحي.

في صباح اليوم الثاني توجهت إلى الرئيس رفسنجاني، وجرى نقاش مطول حول الأوضاع في المنطقة وما نواجه من صعوبات وضغوط من قبل الولايات المتحدة الأمريكية من أجل عملية السلام ،كما تحدثت عن التهديدات الإسرائيلية المستمرة والتوترات بيننا وبين الجبهة اللبنانية، وشرحت التوترات الشديدة مع النظام العراقي والضغوط العربية علينا من أجل المصالحة مع النظام العراقي ، وتابعت مفصلاً الصعوبات التي نعانيها من السوفييت من أجل موضوع السلاح وما فرضوه علينا من التزام بعدم إخراجه إلى أي جهة أخرى، وهذا يشكل صعوبة كبيرة أمام استجابتي لطلبكم بتقديم بعض أنواع الأسلحة ، ونظراً لتقديرنا لظروفكم سنتحدث مع ليبيا وظروفها مختلفة عن ظروفنا من أجل تقديم الأسلحة المطلوبة.

وقد أجابني الرئيس رفسنجاني بما يلي:

أشكركم على هذه الإيضاحات، نحن درسنا مشاكلكم الكثيرة، نعرف أن لدى سورية مشاكل كثيرة وأكثر من كل الناس وعندما نتباحث فيما بيننا نفكر دائمًا أنه يجب أن نخفف المشاكل عن سورية لا أن نضيف عليها مشاكل جديدة، وعندما نريد أن نستنتج من هذه المشاكل ونرى النتائج فقد يظهر بعض الخلاف في الرؤية حول طريقة الحل، أنا أقول هذا احتمال وليس بصورة قاطعة، نحن إذا ركزنا قدراتنا وطاقاتنا وانتهينا من صَدَّام حسين فإن قدراتنا بعد ذلك سوف تحل لكم كل هذه المشاكل.

عقبت قائلاً: أذكركم بما جرى عندما استطعتم استعادة «خرم شهر» من القوات العراقية وبدأ الميزان يميل لصالح إيران قامت أميركا بدفع إسرائيل لغزو لبنان، هم لن يتركونا أن

نحل مشكلة ثم نتفرغ لهم جميعًا، كذلك يجب أن نجد الصيغ التي نحل فيها وعدم خلق مشاكل أكبر.

تابع الرئيس رفسنجاني قائلاً: أنا قبل هذا سأتابع وجهة نظري، المرحلة التي نسعى من أجل الوصول لها تختلف كثيرًا عن الوضع الحالي؛ هم جاءوا إلى لبنان حتى لا نتقدم إلى خرم شهر، ومما لا شك فيه إذا انتصرت إيران سوف تصبح حدودكم مع العراق وتركيا وإسرائيل مرتاحة، وبعد انتصار إيران ستكون كل قدراتها لكم وستتغير المعادلة لصالحكم، فروسيا سوف تغير معاملتها لكم لأنه ستكون هناك مساحة من حدود أفغانستان حتى لبنان قطعة واحدة، وسوف يخضعون لا أن يشترطوا علينا، كنت أود أن أسمع منكم أنكم اتخذتم القرار لتقديم المساعدة بصورة جادة لإيران. إنكم تعرفون أننا نعتمد على الشعب وحربنا بمساعدة الشعب ونحن لا نخفي شيئًا على الناس، عندما نخرج من هذه الحرب ونأتي إلى هنا لنساعد، وسوف نقول للناس هؤلاء هم الذين ساعدونا في الظروف الصعبة وسوف نبرز مساعدتكم، ونحن أيضا سوف نتأثر بتضحياتكم، نحن لا نطلب منكم الكثير حتى يسبب لكم المشاكل، نحن قلنا يجب أن تعملوا بسرعة حتى لا تبقى ليبيا الوحيدة أمام الاتحاد السوفيتي في هذا الموضوع، ليبيا عندما تقول لنا إنها الوحيدة التي تقدم لنا فسوف يكون هذا عندئذٍ مشكلة؛ إذا أُعطيت لنا بطارية صواريخ من النوع الذي تشوش عليه إسرائيل، وعدد قليل من صواريخ سكود فسوف تُحل مشكلتنا، وأنا لا أعتقد أن الاتحاد السوفيتي ينظر إلى هذا الأمر بهذه السذاجة وأنه لن يسيئ إلى علاقاته معكم بسبب بطاريتي صواريخ وبعض صواريخ سكود، وإذا كان السوفييت كذلك فعلاً فالأفضل أن توقفوا تعاملكم معهم بأسرع وقت.

أجبت الرئيس رفسنجاني: إذا أوقفنا تعاملنا معهم فمن سيعطينا السلاح؟

تابع الرئيس رفسنجاني: إنكم مدينون لهم بعشرة مليارات دولار، هم أعطوكم سام خمسة وهم يعرفون قيمة صداقتكم لنا، هذه الصداقة مفيدة لهم أيضًا، فكيف بسبب بطارية صواريخ يسيئون لعلاقاتهم معكم؟

أجبته: في عام ١٩٧٦ عندما دخلنا لبنان أوقفوا كل شيء حتى قطع التبديل للمصانع المدنية. تابع الرئيس رفسنجاني: حتى إذا قاموا بهذا فسيكون إجراءً مؤقتًا وعلاقاتكم معنا أهم من أن لا يفهمها السوفييت، نحن إذا انتصرنا على العراق فستكون قضية أميركا في المنطقة قد انتهت وكذلك قضية إسرائيل، نحن وإياكم سنكون القوة الأكبر في المنطقة، في ذلك الوقت نُشكل خطًا قويًا من الجزائر حتى حدود أفغانستان، ونحل كل المشاكل حتى

مشاكل شمال إفريقيا، أنتم فيما إذا استطعتم أن تنظروا إلى عمق المصالح التي نحصل عليها معًا من كلامي الذي شرحته مقابل أمور صغيرة جدًّا فسيكون هذا أمر جيد. على كل حال هذه الخطوات تحتاج إلى اتخاذ قرار شجاع وحاسم، وبالنسبة لنا هذه اللحظة مصيرية ونريد أن نأخذ النتيجة بعد خمس سنوات من الحرب التي نخوضها.

أجبته: لا أريد مناقشة التحليل، والمطلوب هو إيجاد حل لتحقيق المصالح المشتركة. تابع الرئيس رفسنجاني: أقترح عليكم طريقة عملية وواضحة لهذا الوضع، وافقوا بصورة مبدئية على ما نطلب بإعطائنا بطاريتين للصورايخ وعدد من صواريخ سكود ومن صواريخ لونا الصغيرة، قولوا لنا مستعدون لإعطائها لإيران، وبعد ذلك اذهبوا إلى ليبيا وقولوا لهم لقد وعدناهم بإعطائهم هذه المعدات الآن، الليبيون أيضًا وعدونا، وربما هم يدفعون قيمة هذه الأسلحة، أنتم تحلون هذه المشكلة مع ليبيا وإذا لم تستطيعوا حلها نحن نرى ما هو الوضع عندئذٍ، إذا قمت بذلك فقد تحل المشاكل رغم أن الليبيين صعبون.

أجبته: سوف أناقش هذا الموضوع معهم.

تابع الرئيس رفسنجاني: لكن قبل أن تبحثوا هذا الأمر مع ليبيا يجب أن تحلوا المشكلة معنا؛ يجب أن نبلغ الليبيين أن سورية وافقت، وإذا أعلمنا ليبيا موافقتكم سوف يرسلون الأسلحة لنا غدًا بالطائرة، وبعد ذلك أرسِلوا أنتم الأسلحة لنا عندما تريدون، إذا أردتم المشاركة في هذه الحرب فهذه أقل مشاركة ونحن في كل الأحوال سنقوم بواجبنا وبخاصة تجاه فلسطين.

أجبته: نحن نعتبر أنفسنا مشاركين في هذه الحرب، وإن كان لا يوجد مقاتلون فيها، السبب الرئيسي لعزلتنا العربية هو موقفنا من هذه الحرب، وأن صَدَّام حسين أعلن أن قطع النفط العراقي الذي قمنا به هو بمثابة حرب، نحن مقتنعون أن الثورة الإسلامية في إيران هي ثورة شريكة لنا وهي معادية للأمبريالية والصهيونية، وسيكون لها دور رئيسي في تحرير فلسطين، ولدينا دلائل تاريخية على ذلك؛ الحروب الصليبية لم يخضها العرب وحدهم بل شارك فيها المسلمون من تركمان وأكراد وغيرهم جاءوا من الشرق، ولن تتحرر فلسطين فقط بالعرب بل سوف تتحرر بالعرب والمسلمين بشكل أساسي، لذلك منذ الساعة الأولى للثورة وجدنا صورة فلسطين المحررة أمامنا. وأنهيت كلامي أن الرئيس حافظ الأسد سيستقبله مساءً.

وخلال لقائه مع الرئيس حافظ الأسد فقد تم الاتفاق على إعطائهم الوعد، وعلى سفري إلى ليبيا لمتابعة الموضوع.

الملفت أن قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية رغم ظروف الحرب وتعقيداتها والحصار المفروض على إيران فإن القيادة الإيرانية كانت تعطي اهتمامًا رئيسيًا لقضايا المنطقة سواء في فلسطين أو لبنان أو في العراق عبر تحالفاتها مما دفعها إلى إرسال لواء من الحرس الثوري في حزيران ١٩٨٢ إلى سورية ليشارك في مواجهة الاجتياح الإسرائيلي على لبنان وهذا يؤشر على قدرة القيادة الإيرانية في الربط بين الحرب الدائرة مع النظام العراقي وبين متطلبات استراتيجيتها الإقليمية.

* * *

مرتكزات الدولة

جمعت القيادة الإيرانية في بنائها للدولة بين أربعة عناصر أساسية: الدين والعلم والعصبية الوطنية والقوة.

أولاً - عبرت قيادة الجمهورية الإسلامية الإيرانية عن هوية الدولة باعتماد الدين الإسلامي هوية للجمهورية والمذهب الجعفري المرجعية في الدولة.

ومن مقتضيات اعتماد المذهب الجعفري أن يكون للدولة الولي الفقيه؛ وهو المرجع الأعلى وقائد الدولة والمجتمع وطاعته واجب ديني، وتم اختيار آية الله الخميني بصورة إجماعية الولي الفقيه والمرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية الإيرانية.

النظام السياسي في إيران ضمن هذه المعطيات نظام شمولي لأن سلطة القرار مركزة بيد ولي الفقيه المرشد الأعلى ويستمد سلطته من التفويض الديني باعتباره الولي الفقيه.

ثانيًا - في جميع الأحوال فإن الولي الفقيه المرشد الأعلى للثورة الإيرانية هو مصدر السلطة في الدولة والمجتمع، وتم توظيف ممارسة السلطة عبر قاعدتين:

(أ) مجموعة من المجالس يرأسها رجال دين فقهاء ومن عصب الجمهورية الإسلامية، وتضم أعضاء من رجال الدين ومدنيين، وهذه المجالس هي: مجلس الخبراء، ومجلس السلطة الدستورية، ومجلس صيانة مصلحة النظام، ومجلس السلطة القضائية، ولكل مجلس صلاحياته المحددة في الدستور.

(ب) المؤسسات المدنية وهي: رئاسة الجمهورية، مجلس الشورى، مجلس الأمن القومي، واعتمد الدستور الانتخاب لكل من رئيس الجمهورية ومجلس الشورى.

(جـ) جميع هذه المؤسسات خاضعة لرقابة وإشراف الولي الفقيه المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية بالإضافة إلى ذلك فهو القائد العام للجيش والقوات المسلحة، كما ترتبط به السياسة الخارجية للدولة.

ثالثًا ـ التركيز على مسألتين رئيسيتين: التقدم العلمي والتكنولوجي باعتبارهما وسيلتين رئيسيتين في بناء القوة وتطوير البلاد، وقد حققت إيران إنجازات مهمة في هذا المجال وانتقلت من مرحلة شراء التكنولوجيا ومنتجاتها إلى مرحلة تطويرها وصناعتها واستخدامها.

رابعًا ـ رغم أن هوية الدولة الإسلام، وأن رجال الدين قيادتها وعصبها، فقد ركزت القيادة في إيران على تنمية العصبية الوطنية موظِّفةً الحرب العراقية والحصار الخارجي والضغوط الأجنبية، وهي بذلك جمعت بين العصبية الدينية والعصبية الوطنية.

خامسًا ـ كان بناء القوى العسكرية والأمنية أحدَ العناصر الأساسية في بناء الجمهورية الإسلامية ومؤسساتها.

الدولة الكبرى في المنطقة والتي تعيش حالة توتر مستمر ومواجهات دائمة سواء في المنطقة أو مع القوة الخارجية ذات المصالح الكبرى في الشرق الأوسط كانت تدرك أن بناء القوة هو عنصر أساسي في بناء الدولة وحمايتها وفي تحقيق استراتيجيتها، ولذلك فقد ركّزت القيادة الإسلامية في إيران على بناء القوات المسلحة وأجهزة الأمن، ويمكن القول إنها نجحت في بناء قدرات عسكرية مهمة.

لم يكن الهدف من بناء الجيش استخدامه في تحقيق استراتيجيتها الإقليمية عبر حروب تخوضها؛ لأن قيادة الجمهورية الإسلامية تدرك أن التورط في مثل هذه الحروب ستكون نتائجها خطيرة على إيران والتي قد تضطر لمواجهات تحالفات دولية وإقليمية من الصعب الصمود في وجهها، ولذلك عمدت إلى بناء القوى الدفاعية من جهة ومن جهة ثانية وضع نهج سياسي يُمكّنها من بناء تحالفات في المنطقة تعزز قدراتها في تحقيق أهدافها.

* * *

مرتكزات استراتيجية الجمهورية الإسلامية

اتسمت قيادة الجمهورية الإسلامية بالكفاءة في قيادة البلاد والقدرة على التعامل مع الواقع واتخاذ القرار وفق المصالح الرئيسية للجمهورية وليس وفق الشعارات والتصريحات، ولذلك فقد اعتمدت سياسات تصب جميعها في خدمة المصالح الوطنية لإيران ولأهدافها الوطنية والإقليمية:

أولاً ـ حدد آية الله الخميني منذ الساعات الأولى لإسقاط النظام جبهة الأعداء مركزًا على الولايات المتحدة الأميركية وعلى إسرائيل والصهيونية، وبالتالي حدد الخط العام لسياسة إيران الإقليمية والدولية، وهو يدرك أن الولايات المتحدة وإسرائيل ستكونان ضد الثورة وستعمل على إسقاطها فالثورة هي التي أسقطت حليف الولايات المتحدة الأميركية وشريكها في مواجهة الاتحاد السوفيتي وفي حماية مصالحها، كان يدرك أن إسرائيل والصهيونية عَدوَّان طبيعيان بسبب هوية الثورة وطبيعة أهدافها، وبصورة رئيسية فإن إدراكه معاناة الشعب الفلسطيني كانت تتطلب مواقف حادة ضد إسرائيل؛ ولذلك منذ الساعات الأولى من انتصار الثورة حسم الأمر وكبادرة رمزية أمر بتسليم السفارة الإسرائيلية إلى منظمة التحرير الفلسطينية لتكون مقرًا لها.

حققت الجمهورية الإسلامية إنجازات مهمة للعمل من أجل تحقيق استراتيجيتها الإقليمية في المجالات التالية:

(أ) في عهد الشاه لم يكن لإيران علاقات ملموسة مع المسلمين الشيعة في لبنان بينما كانت لخصوم الشاه مثل هذه العلاقات، وأبرز القوى التي كانت ذات صلة بآية الله الخميني الإمام موسى الصدر والذي شكل حركة أمل، وكان من أعضاء المكتب السياسي للحركة السيد مصطفى شمران الذي عُين بعد الثورة وزيرًا للدفاع في إيران بالإضافة إلى الإمام موسى الصدر. كان حزب الدعوة اللبناني ـ وهو امتداد لحزب الدعوة العراقي ـ من دعاة آية الله الخميني.

بعد انتصار الثورة بقيادة آية الله الخميني تركزت عين القيادة الإيرانية على لبنان لأسباب أساسية منها أن لبنان يقع على حدود فلسطين وعلى شاطئ البحر الأبيض المتوسط وهو مركز إعلامي وثقافي مهم في المنطقة، كما أن في لبنان تقاطع جميع أجهزة الأمن العربية والدولية، بالإضافة إلى أن لبنان يشكل حيزًا مُهمًّا لدى معظم الدول العربية ودول الغرب.

ولا شك أن المسلمين الشيعة في لبنان كانوا من الأهداف التي عملت الثورة الإسلامية على كسب تأييدهم.

استقبل معظم اللبنانيين الثورة الإسلامية بارتياح كبير، ليس بسبب عدائهم لنظام الشاه وإنما بسبب ما أعلنته الثورة الإسلامية من مواقف صلبة تجاه القضية الفلسطينية وضد إسرائيل، وفي الوقت نفسه فقد نشطت حركة أمل وحزب الدعوة في دعم الثورة الإسلامية الجديدة في مراحلها الأولى لا سيما أن عددًا من القادة الإيرانيين في حزب تحرير إيران كانوا يعتبرون الإمام موسى الصدر مرجعهم ومن بينهم كان أول رئيس وزراء في إيران؛ السيد مهدي بازركان، ونائبه السيد صادق طبطبائي ابن شقيقة السيد موسى الصدر، وبعض الوزراء ومنهم: إبراهيم يزدي وزير الخارجية، كما تولى في مرحلة لاحقة مصطفى شمران وزارة الدفاع.

بدأ الاهتمام الإيراني في لبنان عبر سورية وكانت مَعبرًا لعدد من رجال الدين والسياسيين الذين كانوا يأتون إلى لبنان ولهم صِلات بمجموعات من اللبنانيين.

بمطلع حزيران عام ١٩٨٢ اجتاحت إسرائيل لبنان وكانت ردة الفعل لدى قيادة الجمهورية الإسلامية في إيران إرسال لواء من الحرس الثوري إلى سورية ولبنان للمشاركة في صد الهجوم الإسرائيلي كما أشرت، رغم أن إيران كانت تخوض حربها ضد القوات العراقية.

توجهت مجموعة من اللواء القادم من إيران إلى لبنان إلى منطقة بعلبك والهرمل ولم تشارك في الحرب التي توقفت بعد قرار وقف إطلاق النار ولكنها فعلت ما هو أهم من ذلك.

لقد بدأت هذه المجموعة بتأسيس حزب الله، وكان حزب الدعوة من أول المجموعات التي ساهمت في تأسيس الحزب، وفي تلك المرحلة ركزت مجموعة الحرس الثوري على ما يلي:

(أ) التنظيم والإعداد العقائدي والسياسي والتدريب واختيار العناصر بعد تدقيق تجنبًا لأي اختراقات.

(ب) كانت التوجّهات الحاسمة تقضي بانصراف حزب الله إلى المقاومة وعدم الانجراف في الشؤون الداخلية اللبنانية، وبالتالي التركيز على الإعداد والتدريب والقيام بعمليات نوعية ضد القوات الإسرائيلية المحتلة.

(جـ) التركيز القوي على السلوك الشخصي من جهة وعدم الانزلاق إلى ممارسات التنظيمات المسلحة الموجودة في الساحة اللبنانية.

(د) التوسع في تنمية الحزب وفي عملية الإعداد والتدريب العسكري والعقائدي بالإضافة إلى كسب عطف المواطنين في منطقة الجنوب.

(هـ) قدمت إيران إلى حزب الله مساعدات عسكرية من حيث التدريب والتأهيل والتسليح والتمويل بالإضافة إلى مساعدات للقيام ببعض الخدمات الاجتماعية، وأسس الحزب مؤسسات كان لها دور كبير في عملية احتواء المسلمين الشيعة في لبنان، كما وظّفت إيران علاقاتها مع سورية في بناء حزب الله وفي دعمه.

ومن الملفت أن إيران بَنَت الحزب من الطائفة المسلمة الشيعية ومن عناصر منتقاة كان ولاؤهم العقائدي والسياسي لإيران كما لا بد من الإشارة إلى أن الحزب حقق نجاحًا كبيرًا في عمليات المقاومة التي كان لها دور كبير في انسحاب القوات الإسرائيلية من لبنان كما شكل في مرحلة لاحقة إحدى القوى السياسية الرئيسية في الساحة اللبنانية بالإضافة إلى قوته العسكرية التي ساهمت إلى حد كبير في توسيع نفوذه في لبنان.

بعد الانسحاب الإسرائيلي من لبنان ازداد توجه الحزب نحو العمل السياسي بعد أن قضم معظم القوى السياسية في المناطق الشيعية وأصبح طرفًا رئيسيًّا في المعادلة السياسية اللبنانية.

هكذا تمكنت إيران من بناء قاعدة سياسية وعسكرية في لبنان على حدود فلسطين وعلى ساحل البحر الأبيض المتوسط، كما أصبحت عنصرًا مُهمًّا في قضية الصراع العربي الإسرائيلي وعاملاً مؤثرًا في المعادلة الداخلية في لبنان.

نجحت القيادة الإيرانية عبر تحالفها مع سورية وعبر حزب الله في الدخول إلى الساحة الفلسطينية وإقامة علاقات واسعة مع عدد من المنظمات الفلسطينية وبخاصة التي تعارض العملية السياسية، وقدمت لتلك المنظمات مساعدات مالية وعسكرية، وركّزت بصورة أساسية على التيارات الإسلامية، وفي مقدمتها حركتا حماس والجهاد الإسلامي، وهكذا تمكنت القيادة الإيرانية من أن تكون عبر تحالفاتها الفلسطينية عنصرًا أساسيًّا في الساحة الفلسطينية وفي ساحة الصراع العربي الإسرائيلي عبر حزب الله وعبر حلفائها الفلسطينيين.

ثانيًا - رغم الخطاب الحاد للقيادة الإيرانية إلا أنها اعتمدت نهج الحوار في إطار ضمان

مصالحها الوطنية وعدم تقديم تنازلات تؤثر على تلك المصالح، وبالتالي فإن التفاوض يعطيها فرصة لمعرفة الأهداف الحقيقية للخصم من جهة ومن جهة ثانية فإن كسب الوقت قد يؤدي إلى بروز عوامل جديدة لصالحها، فالخصم القوي الآن قد تبرز عناصر تضعفه بعد فترة فيقدم تنازلات لم يكن يقدمها وهو في مرحلة القوة.

الفرق بين القيادة الإيرانية وبين الأطراف التي تحاصرها أن القيادة الإيرانية توظف الوقت لزيادة عناصر القوة السياسية والعسكرية والمعنوية لديها.

في السنوات الأولى للثورة لم تكن قدرات إيران كما أصبحت في عقد التسعينيات، وهي في مطلع القرن الحالي غيرها في أواخر القرن العشرين، لم تزد قوتها العسكرية فقط ولكن زاد انتشارها السياسي والأمني الذي يمتد من لبنان إلى أفغانستان شاملاً فلسطين وسورية والعراق، بالإضافة إلى القوى المرتبطة بها في دول الخليج.

ثالثًا - الظاهرة الملفتة بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران وقيام الجمهورية الجديدة بروز العصبية المذهبية عند معظم المسلمين الشيعة، والتوجه نحو إيران كمرجعية سياسية ومرجعية دينية في حدود معينة.

لا شك هناك عوامل ساعدت في تحقيق نمو ظاهرة العصبية المذهبية، ومن هذه العوامل سياسة العزل والتهميش التي اتبعتها بعض الدول الإسلامية تجاه المسلمين الشيعة لديها، وأبرز ظاهرة في هذا المجال ما قام به النظام العراقي في مرحلة الرئيس السابق صَدَّام حسين بسبب القسوة التي تعامل بها مع المراجع الدينية الشيعية ومع التنظيمات الإسلامية الشيعية، ولقد أدى كل ذلك إلى بروز مسألة مظلومية الشيعة في العراق، وهي تعبير عن الشعور السائد لدى الكثيرين من المسلمين الشيعة في الدول الإسلامية.

إن قيام الجمهورية الإسلامية والتي اعتمدت المذهب الجعفري واحتضان المعارضة الإسلامية الشيعية العراقية وتأسيس حزب الله في لبنان كحركة مقاومة تشكلت من المسلمين الشيعة كل ذلك شكّل حوافز لنمو العصبية المذهبية لدى الطائفة الشيعية.

ولا شك فإن نشاطات عدد من رجال الدين الإيرانيين في لبنان وفي مناطق أخرى ساهمت بنمو هذه الظاهرة والتي برزت خطورتها بعد الحرب الأمريكية في العراق، كما برزت في لبنان إثر قيام حزب الله باحتلال بيروت في السابع من أيار عام ٢٠٠٨.

رابعًا - اعتمدت القيادة الإيرانية نهجَ توظيف الأحداث والوقائع في خدمة أهدافها، بغض

النظر عن التناقض المرئي بين الأهداف وبين الوسيلة، فهي صلبة في المبادئ وفي الحفاظ على المصالح ومرنة في العمل على تحقيقها.

بعد نجاح الثورة بوقت قصير أعلن قائدها آية الله الخميني حملة شديدة ضد الولايات المتحدة الأميركية ووصفها بأنها الشيطان الأكبر، ولكن مع ذلك نرى وقائع تتعارض مع هذا الوصف، وأعطي الواقعتين التاليتين:

(أ) في مرحلة حكم طالبان في أفغانستان كان التوتر شديدًا بين طالبان وبين إيران، وتعرّض المسلمون الشيعة في أفغانستان لاضطهاد شديد، كما تم قتل عدد من الدبلوماسيين الإيرانيين في مزار شريف، ومع ذلك لم تتورط إيران بعمليات عسكرية، ولكنها قدمت مساعدات للأحزاب والقوى الأفغانية المعادية لطالبان.

بعد أحداث أيلول عام ٢٠٠١ قامت الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها بشن حرب في أفغانستان ضد طالبان وقدمت إيران مساعدات مهمة للقوات الاميركية في تلك الحرب وتساءل الكثيرون كيف تقدم الجمهورية الإسلامية الإيرانية مساعدات لعدوها الشيطان الأكبر؟

كان الجواب على تلك التساؤلات قولاً مأثورًا في إيران يقول: «إذا رأيت الأفعى لا تقتلها بيدك وإنما بيد عدوك». فقد استعانت القيادة الإيرانية بالعدو الأميركي لقتل الأفعى الأفغانية.

(ب) المثال الآخر الأكثر وضوحًا ما جرى في العراق؛ كان نظام صَدَّام حسين العدو الذي حارب الجمهورية الإسلامية ثماني سنوات وألحق بها أضرارًا كبرى، وفشلت جميع جهود القيادتين السورية والإيرانية في إسقاط نظام صَدَّام حسين وبقي العراق حالة تشكل خطرًا ضد إيران.

بعد اجتياح القوات العراقية الكويت في الثاني من آب عام ١٩٩٠ تشكل التحالف الدولي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية لإخراج القوات العراقية من دولة الكويت، ورغم التنازلات التي قدمها صَدَّام حسين للحكومة الإيرانية آنذاك عبر رسائل متبادلة، ومع ذلك لم تستجب القيادة الإيرانية لتلك التنازلات.

اشتدت التوترات بين الحكومة الأميركية وبين الحكومة العراقية في مرحلة الرئيس كلينتون، ونشط الأميركيون في العمل لإسقاط نظام صَدَّام حسين وتركز النشاط مع

المعارضة العراقية، فأجازت القيادة الإيرانية لحلفائها من الأحزاب والشخصيات الإسلامية التعامل مع الولايات المتحدة الأميركية وشاركت هذه القوى بالوفود التي كانت تتحاور مع الأميركيين في واشنطن أو خارجها.

بعد أحداث أيلول ٢٠٠١ اشتدت الحملة الأميركية على النظام العراقي وازدادت النشاطات الأميركية مع الأطراف العراقية بما فيهم الأحزاب الإسلامية الموالية لطهران.

بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠١ استقبلت سيف الله المسؤول الإيراني عن الملف العراقي بحضور السفير الإيراني في دمشق.

تحدث السيد سيف الله: نحن سُعداء لأنه أتيحت لنا فرصة لقاء سيادتكم، واسمح لي أن أعرفك على أعضاء الوفد باستثناء السيد حسين شيخ الإسلام المعروف عندكم. السيد حسيني من وزارة الخارجية، السيد فروزندا من قيادة حرس الثورة الإسلامية الإيرانية، وكلهم مهتمون بالملف العراقي، أنا أتولى إدارة ومسؤولية قيادة النصر على ضوء المرسوم الذي أصدره الإمام القائد، بهذه المهمة أنا أهتم بالملف العراقي، وفي ضوء الخلفيات التي يتمتع بها هذا الملف في مجالات عديدة، أرجو أن تسمحوا لي بعرض بعض الملاحظات التي تتعلق بهذا الموضوع، تعلمون معاليكم أن وضع المنطقة يزداد حساسية يومًا بعد يوم، خاصة بموضوع العراق، ونظرًا للعلاقات المتينة بين سورية وإيران، ونظرًا لارتباط سورية وإيران بحدود جغرافية مع العراق، وبسبب الرابط العميق بين الدولتين، وكذلك فإن الشعبين الإيراني والعراقي والسوري والعراقي تربطهما علاقات قديمة، ونظرًا لارتباط المسألة الأمنية والمصالح المشتركة فنحن لا نستطيع الوقوف موقف المشاهِد ونسمح لأميركا بفعل ما تشاء، ومن البديهي أن نرى مطامع الأميركان ونواياهم تجاه المنطقة بما فيها العراق، أميركا تريد استغلال أحداث ١١ أيلول لتفعل بالعراق ما تشاء، إن من جملة الأعمال والخطوات التي قامت بها أميركا من أجل طرح موضوع العراق بشكل أكبر من الماضي هو أن تُجبر العراق على قبول دخول المفتشين وخبراء الأسلحة التابعين للأمم المتحدة، ومن هنا ندرك معنى قيام أميركا بتوثيق علاقتها مع المعارضة العراقية، ما نستطيع استنتاجه مما قامت به أميركا من توثيق لعلاقتها مع المعارضة هو:

١ ـ إعطاء أمل أكبر للمعارضة العراقية أكثر من السابق.

٢ ـ لا نجد سيناريو جديًّا يتخذ من قبل أميركا.

وبطبيعة الحال يجب أن لا نقف موقف المتفرج، ونترك الساحة لأميركا لتفعل ما تشاء،

يجب أن نجتمع ونوجد صرخة عالمية ضد أميركا؛ لأن أي إجراء تتخذه أميركا في الظروف الراهنة وتحت غطاء مكافحة الإرهاب ضد العراق يكون تصفية حسابات سابقة بين أميركا والعراق، ويجب أن لا نواجه هذا بالصمت، ولو اخترنا الصمت لاعتبر بمثابة موافقة وتأييد. أميركا مضطرة للاستعانة بالمعارضة العراقية من أجل القيام بأي عمل في العراق، وبسبب ما تتمتع به من قواسم ومصالح مشتركة، وللأسباب التي ذكرتها سابقًا يجب أن لا نقف مكتوفي الأيدي، ويجب أن نهتم بالمصالح الإسلامية، ونأخذ زمام المبادرة، إما بشكل مفرد أو بشكل مشترك بعد تبادل وجهات النظر، وهذا سبب مجيئنا لمقابلة سيادتكم، نود الاستفادة من وجهة نظركم القيمة بهذا الخصوص اليوم كانت لنا لقاءات مع مسؤولين سوريين؛ مع السيد اللواء هشام بختيار، واللواء حسن خليل، أعتذر عن الإطالة.

عقبت قائلاً: أهلاً وسهلاً، نحن متفقون منذ فترة طويلة حول الوضع في العراق، ولنا وجهة نظر واحدة بتقييم النظام في العراق، لا يوجد غرام بين هذا النظام وسورية وإيران، لكن أمام هذه الصورة يجب أن نرى الصورة الأخرى وهي إذا نجحت أميركا بالسيطرة على العراق كيف سيتشكل الوضع في المنطقة؟

العراق مستهدف من قِبل أميركا، لكنه ليس الهدف النهائي، الهدف النهائي أو شبه النهائي هو سورية وإيران، وجميع البلدان الإسلامية التي تريد أن يكون لها نهج مستقل في السياسات الداخلية والخارجية، الأميركان يقولون سواء مباشرة أو بالواسطة إنهم يريدون تطبيق قرارات مجلس الأمن وليس لهم مطامع بالعراق، ولكن هذا القول يجب أن لا يخدعنا، الباكستان شكلت العنصر الأساسي في التحالف مع الأميركان ضد طالبان، ماذا نرى اليوم؟ الهند تحشد القوات لتهدد باكستان، وتسعى لإملاء الشروط عبر التهديد بالقوة، ما هو الموقف الأميركي؟ المفروض أن يؤيد الأميركان الجانب الباكستاني:

١ ـ لأنه جزء من التشكيل الإسلامي القريب من الغرب.

٢ ـ لأن الباكستان تحالفت معهم ضد طالبان وتنظيم القاعدة.

اليوم يطلبون من باكستان وضع حد، وقمع المنظمات الإسلامية تحت ذريعة أن هذه المنظمات إرهابية، وهذا استجابة لمطلب الهند، لذلك يجب أن لا نخدع بما نسمع من كلام الأميركان أو من حولهم.

إذا فشل الأميركان بإيجاد الغطاء الإقليمي لن يستطيعوا فعل أي شيء سوى إلحاق بعض

الأضرار عن طريق القصف الجوي للعراق، والغطاء الإقليمي يصعب توفره لأن إيران وسورية ترفضان أن تكونا غطاءً اقليميًا لأميركا. والسعودية والكويت لا تستطيعان تحمل هذا العبء، وتركيا لها حسابات مختلفة، ولا تستطيع التورط بحرب في العراق لإسقاط النظام لأسباب داخلية وإقليمية. لكن تركيا جاهزة لقطف الثمار. إذًا الولايات المتحدة ستركز على الغطاء الداخلي ليكون الغطاء من العراق، وهذا الغطاء إما أن يكون من قلب النظام أو من المعارضة يصعب إيجاد هذا الغطاء من قلب النظام، وحاولوا في السابق ولم يصلوا إلى نتيجة، بحكم الإجراءات والترتيبات الأمنية في النظام، إذًا يبقى خيار المعارضة، بتقديرك من هي الأطراف التي يمكن أن تتعامل مع الولايات المتحدة لضرب العراق؟ وأعيد سؤالي بصياغة أخرى:

ما هي الأطراف العراقية التي يمكن أن تتعامل مع الأميركان في عملية ضرب العراق؟

أجابني السيد سيف الله قائلاً: أصناف المعارضة مختلفة، ولها وجهات نظر مختلفة، في هذا الإطار نعتقد أنه لا يوجد اتفاق بين فصائل المعارضة في هذا الإطار، ففصائل الشيعة والأكراد لهم موقف محدد، والفصائل الإسلامية موقفهم مختلف عن بعضهم، والفصائل القومية موقفها مختلف عن بعضها.

تحدثت قائلاً: دعنا نتحدث عن الفصائل.. في الشمال توجد الفصائل الكردية، وحتى لو وجدت فصائل أخرى هناك فإن فاعليتها السياسية والعسكرية محدودة، القوة الأساسية في شمال العراق هي جلال الطالباني من جهة ومسعود البرزاني من جهة ثانية.

ـ ما هي معلوماتك عن موقف كلٍّ من:

الحزب الديمقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني؟

أجابني السيد سيف الله: الاتحاد الوطني يصرح بأنه يرغب بالتعامل مع الأميركان من أجل الإطاحة بنظام صَدَّام، وإذا طلب الأميركان منهم ذلك سيتعاونون معه والرأي نفسه عن مسعود، ولكن الفرق بين جلال ومسعود أن مسعود يقول: يجب أن نطمئن أولاً أن أميركا تريد ضرب العراق من أجل الإطاحة بالنظام، وما دمنا غير واثقين من هذا الأمر فلن نتعامل معهم ولن نتعاون معهم في أي مبادرة لا تهدف إلى إسقاط هذا النظام، وبرأيي فإن وجهة نظر مسعود أدق من الأخرى؛ فهم لن يتعاملوا مع الأميركان بهذه السهولة.

أجبته: لديّ نفس الانطباع، حتى لو كان هناك اتفاق بين الأميركان والأكراد فإن هذا

التعامل لن يتحرك به الأكراد إلا إذا كان هناك أطراف عراقية أخرى، حتى لا يجدوا أنفسهم في معركة بين العرب من جهة والأكراد من جهة، إضافة إلى ذلك يوجد قلق كبير من قِبل البرزاني تجاه تركيا، نحن متفقون على تقييم الوضع الكردي ويجب الاستمرار بالعلاقة مع الأطراف الكردية كي تتوازن ولا تتورط لأن الأميركان لديهم اهتمام بهذا الإطار، وقد وجّهوا دعوة لِكِلا الطرفين لزيارة واشنطن، ويوجد وفود أميركية تزورهم ويشجعونهم على زيادة اللُّحمة بين الأطراف الكردية. بالنسبة للجانب العراقي توجد عدة اتجاهات في المعارضة العراقية، ما تقييمك لهذه الأطراف ومواقفها المحتملة؟

أجابني السيد سيف الله: نحن نرى بأنه نسبة إلى الضغوط المستمرة التي قام بها العراق لقمع الحركات الإسلامية نرى أن دافعهم لإسقاط النظام العراقي أقوى من دافع الآخرين؛ لأن إحساسهم بالمسؤولية أكبر.

واسمح لي أن أقول بعيدًا عن القواعد البروتوكولية: إذا قلنا لهذه الفصائل الإسلامية ودعوناها لعدم التورط بالإطاحة بنظام صَدَّام ربما لن يقبلوا دعوتنا وتوصيتنا، لأنهم يرون أنفسهم أصحاب حق في هذه العملية، هذا مستحيل، ولكنه يجب أن نفترضه وبالنسبة لاتخاذ مثل هذا التوجه هناك فارق كبير بين المعارضة العراقية الإسلامية والقومية، المعارضة العراقية مع كل اختلافها سواء التي نشأت في إيران أو سورية أو تلك الموجودة في لندن أو أميركا أو المتناثرة في بعض دول العالم كلهم يؤمنون بهذا الموضوع ويقولون لا يمكن الإبقاء على النظام، أي أن الأمر لا يرتبط بالظروف الراهنة، ولا بأحداث ١١ أيلول، أي أن لديهم قاسمًا مشتركًا للإطاحة بالنظام.

سـألته: أستنتـج من كلامـك أنهـم جـاهزون للتعـامل مـع الأميركان؟

أجابني: من وجهة نظري هم مستعدون للتعامل مع الأميركان، بدافعين: الأول ديني يحرضهم للنهوض بوجه صَدَّام.

أجبته: تحت مظلة أميركا!! يعتقدون أن النهوض الديني بالتعامل مع أميركا؟!

ـ المعارضة الإسلامية ثلاث فصائل:

١ ـ باقر الحكيم وجماعته.

٢ ـ حزب العمل الإسلامي وجماعته.

٣ ـ حزب الدعوة وانشقاقاته.

ـ هذه الفصائل الثلاثة، هل هي مستعدة للتعامل مع الأميركان؟

عقب السيد سيف الله قائلاً: أريد طرح ملاحظة بهذا المجال، قبل أحداث ١١ أيلول اتخذت هذه الفصائل الإسلامية مواقف من أجل الإطاحة بنظام صَدَّام، وبغض النظر عن الظروف الحالية لا تستطيع هذه الفصائل غض النظر عن آرائها السابقة، لا تريد أن يقول أحدهم إنها غيرت كلامها...

قاطعته وتحدثت قائلاً: طرحت سؤالاً حول منظمات معينة، هل هذه المنظمات مستعدة للتعامل مع الأميركان؟

أجابني من خلال هذه المقدمة: بالنسبة لباقر وجماعته، فإنهم لن يتعاملوا مع الأميركان تحت أي ظرف، ووجهة نظرهم متطابقة مع وجهة نظر إيران بهذا الخصوص، ولن يتدخلوا في أي مبادرة تقودها أميركا، هذا ما أعلنوه.

سألته: ما هو رأي حزب الدعوة؟

أجابني السيد سيف الله: بالنسبة لحزب الدعوة توجد انشقاقات، ولكن الغالبية مع هذا التوجه، ولن يشاركوا بأي مبادرة أميركية، وسيرفضون التعامل مع الأميركان، على أقل تقدير ظاهريًّا، وباعتقادي فإن منظمة العمل الإسلامي ستنتهج نفس النهج لأن قاعدتهم قليلة بالمقارنة مع مجموعة باقر وحزب العمل.

عقّبت قائلاً: نعم، هي حزب صغير.

أجابني: وملاحظة أريد طرحها وهي أن هؤلاء في مثل هذه الظروف يُصرحون بما قلته لكم من وجهات النظر ويدعوننا كي لا نسمح لأميركا باستغلال الفرصة كي لا يسير كل شيء لصالحها، إذًا هم يؤمنون بالدخول إلى الساحة من أجل الإطاحة بالنظام العراقي، ويجب اتخاذ موقف دقيق كي نفوت الفرصة على الأميركان في أخذ كل شيء.

تحدثت قائلاً: أميركا ليست كمبوديا، إذا تصورنا أننا نستطيع توظيف أميركا للقيام بالضربة العسكرية ضد العراق نكون سذجًا في نظرتنا إلى الأمور، أميركا توظف الناس ولا يستطيع أحد توظيفها، إذا كانت أميركا تحارب الإسلام الذي تحالف معهم فهل يتصور هؤلاء أن أميركا سوف تسلمهم العراق وتقول لهم احكموه وتصرفوا به؟! وتقبل بهم وهم أعداء لها ولهم صلة بإيران، هم يفكرون بهذا الكلام، وأنا سمعت هذا الكلام من عدنان المفتي عضو المكتب السياسي في الاتحاد الوطني الكردستاني قال: ممكن أن تطبق صيغة شبيهة بما حدث

في أفغانستان، إذا كان تحالف الشمال قد استطاع الوصول إلى كابول والمشاركة بقسم كبير من الحكومة فهذا بموافقة ورضا أميركا، والأيام القادمة في تجربة أفغانستان سترينا ما ليس مكشوفًا لنا اليوم، إذا كانوا يلاحقون الإنسان في الولايات المتحدة لأن لونه شرق أوسطي أم مسلم فهل سيسمحون لهذه التنظيمات أن تقيم دولة إسلامية في العراق؟!

وتكون دولة إسلامية ذات اتجاه ثوري أو غير ثوري. لأن باكستان دولة إسلامية امتلكت السلاح النووي انظر ماذا يحصل لها، كل الدائرة تدور حولها وسيأتي دور سورية وإيران.

لو كان الوضع الدولي يسمح في قطف ثمار عملية ما لنناقشها، لكن طالما أن الوضع الدولي كله بحالة معقدة ومقلقة فمن سيدفع الثمن هم المسلمون سواء في العراق أو إيران أو أي بلد إسلامي آخر، إذا كانت هذه الفصائل لا تتفق مع الأميركان، من هي الفصائل التي أشرت إليها بأنها مستعدة للتعامل مع الأميركان؟

عقب السيد سيف الله قائلاً: من وجهة نظري لا يوجد مجموعة ترغب بالتعامل مع الأميركان، ولكن نسمع منهم تصريحات تقول غير ذلك، والسبب هو الظروف المعقدة الموجودة حاليًا في الساحة الدولية، ونحن قمنا مؤخرًا بتوثيق اتصالاتنا مع مجموعات من المعارضة العراقية، ودعوناهم للاستفادة من وجهة النظر السورية، وأنا أرى أنه يجب أخذ مصالح الأمة الإسلامية بعين الاعتبار، ولا نأخذ جزءًا ونهمل جزءًا، وهذا الأمر يتطلب التشاور فيما بيننا.

قاطعته وتحدثت قائلاً: لا تفهم من كلامي أنني أدافع عن النظام العراقي، كلنا نعلم بأن هذا النظام شن حربًا على إيران لمدة ثماني سنوات وكان له حرب أخرى مع سورية، قتل خلالها المئات من خلال العمليات المخابراتية العراقية، ولكن يجب علينا كسياسيين ومسؤولين في بلداننا أن لا تقتصر رؤيتنا على الحدث المباشر، بل يجب علينا أن نرى ما بعد الحدث وانعكاساته، لنشبه العراق بذئب أنيابه مقلوعة وأرجله مكسرة وأمامنا غول كبير، هل نفتش كيف نواجه الذئب العاجز أم كيف نتجنب الأخطار القادمة من الغول الكبير؟!

نحن نقدر مرارة وآلام الناس من ممارسات هذا النظام وأنا شخصيًّا تعرضت لحادثة، ولكن مع ذلك لا يمكن رؤية الأمور الجزئية في ظل وجود خطر يستهدف وجود المنطقة وإعادة ترتيب خارطتها. أين تكمن الخطورة؟

إذا كان الأميركان يخططون لضرب العراق تحت عنوان إسقاطه، وتعاون معهم أطراف

من العراق وحاولوا الاستفادة من الأميركان فهذا سيؤدي إلى حرب أهلية تؤدي إلى تمزيق العراق، وهذا ما تريده أميركا.

عندما كانت الفرصة مناسبة للعمل ضد النظام في مطلع عقد التسعينات كانت المعارضة العراقية متناقضة رغم محاولاتنا نحن والإيرانيين، وعلى ما أذكر أنه في آخر مؤتمر للمعارضة عملنا أكثر من يومين لإقناع أطراف لإشراك أطراف أخرى بالمؤتمر، مع ذلك فالأمر يحتاج إلى متابعة وتحديد دقيق للمواقف لأننا سندفع ثمن أي خطأ نرتكبه غاليًا، إذا كنا في سورية وإيران على قناعة بأننا في إطار الأهداف الأميركية فهل نتصور أنهم سيتيحون الفرصة لإقامة نظام صديق لنا بالعراق؟

وهم يطلبون رأس سورية وإيران؟

من أسباب فشل انتفاضة ١٩٩١ هو منع قيام نظام صديق في العراق يشكل جسرًا بين دمشق وطهران، لو قام هذا الجسر أعتقد أن إسرائيل ستكون بوضع مختلف والسلوك الأميركي سيكون مختلفًا، استراتيجيتنا في دمشق وطهران هي طالما أننا غير قادرين على إيجاد هذا الارتباط، على الأقل نمنع قيام حاجز قوي بين البلدين من خلال إقامة نظام موالٍ لأميركا في العراق، عندما تم الاتفاق بيننا منذ سنوات في عام ٩٢-٩٣ بين المرحوم الرئيس حافظ الأسد والرئيس رفسنجاني حول هذا الموقف أخذت هذه الأمور بالاعتبار، المهم أن نكسب الوقت، وبعض الزمن حتى تظهر تغيرات جديدة بالوضع الدولي، لا شك أن السنوات القادمة ستشهد تغييرات جديدة في الوضع الدولي، لأن الوضع الحالي لا يمكن أن يستمر طويلاً، والمطلوب هو الصبر من جهة وحسن التصرف من جهة ثانية وعدم الانجرار إلى أي فخ من جهة ثالثة.

تحدث سيف الله قائلاً: أحسنتم معالي نائب الرئيس، استفدنا الكثير من هذا الحوار، وبالحقيقة رؤيتنا واحدة، وأي خطوة ستتخذ في هذه الظروف يمكن أن تُفوت الفرصة على العدو وتقلل التهديدات ضدنا، وأي خطوة لا نخطوها بشكل صحيح ستكون خسائرنا مضاعفة، نحن نعتبر مواقفكم مبدئية، وفي إيران سياسة مبدئية تقوم على أساس واضح بعدم التعامل مع الأميركان مطلقًا، وتحت أي ظرف، منهجنا أن نعمل عكس ذلك ونُفوت عليهم الفرص ونقلب الأمور إلى أخطار تهددهم.

كما تعلمون سيادة النائب، وذكرتم هذا للسيد محمد الصدر فإن النظام العراقي القائم حاليًا هو نظام أحمق وغبي ولا يكترث حتى بمصالحه، ونحن إذا كنا ندّعي أننا نهتم بمصالحنا

يجب أن تكون خطواتنا عقلانية ومستندة إلى المبادئ الصحيحة، سوف أرفع ما سمعته من سيادتكم من ملاحظات إلى المسؤولين في إيران، وأشكر معاليكم على إتاحة الفرصة لي بهذا اللقاء المفيد:

أجبته قائلاً: الترتيب مع الإخوة في الأمن مفيد لمتابعة المواضيع، وعلى المستوى السياسي سنستمر بتبادل وجهات النظر.

عقّب سيف الله: الأمر سارٍ كما تفضلتم، وسيكون لنا لقاءات مع الإخوة في الأمن، شكرًا جزيلاً.

في شهر كانون الأول عام ٢٠٠٢ تم عقد مؤتمر لعدد كبير من المعارضين العراقيين في لندن تحت إشراف وفدين أمنيين أميركي وإيراني، واتخذ المؤتمر قرارات شكلت فيما بعد الغطاء السياسي للحرب على العراق.

بعد سقوط نظام صَدَّام حسين شكّل الحاكم الأميركي بول بريمر مجلس الحكم، وكان معظم أعضائه من الموالين لطهران، كما أصدر قانون حل الجيش العراقي وأجهزة الأمن، وقانونًا آخر باجتثاث حزب البعث العربي الاشتراكي بضغط من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق ومن حزب الدعوة وحلفائهما.

استخدمت إيران الأميركان للخلاص من نظام صَدَّام حسين، والقيادة الإيرانية تقدر - وهي على حق - أن القوات الأميركية لن تستطيع البقاء في العراق، ومن خلال تعاون حلفائها تمكن هؤلاء الحلفاء من الإمساك في مفاصل السلطة من جهة، وفي المناطق الأهم من العراق بدءًا من بغداد حتى البصرة.

لقد أدّى قانون حل القوات المسلحة واجتثاث حزب البعث إلى تسريع عملية المقاومة للاحتلال الأميركي، وبالتالي ومن خلال المعطيات التي أشرت إليها فقد تم توظيف أعدائها التاريخيين في استنزاف الأميركان وإضعافهم وإخراجهم من العراق.

ببساطة فقد قتلت الأفعى العراقية بيد العدو الأميركي كما استعانت بعدوها التاريخي في استنزاف العدو الأميركي وإضعافه، وفي دفعه للخروج من العراق.

وفي المحصلة فقد تفكك العراق ولم يعد يُشكّل خطرًا على إيران التي أمسكت بصورة لم تحدث في تاريخ العراق بالقرار العراقي عبر حلفائها من الأحزاب والشخصيات العراقية.

لقد حققت الجمهورية الإسلامية مجموعة من الأهداف الاستراتيجية في نهجها،

وبقيت محافِظة على مبادئها وأهدافها وشكل ذلك درسًا للذين لا يستطيعون الفصل بين الأهداف وبين وسائل تحقيقها، كما أن هذا النهج يبرز كفاءة القيادة الإيرانية في إدارة صراعها مع أعدائها ومع خصومها.

* * *

رغم هذه الإنجازات الكبرى إلا أن القيادة الإيرانية قد أخفقت في سياساتها الداخلية ولم تأخذ بالاعتبار متطلبات الشعب الأساسية والذي أبقته قيادته وكأنه لا يزال في حالة الحرب وما تفرضه حالة الحرب من متطلبات، كما أنها لم تأخذ بالاعتبار أنها لا تستطيع أن تفعل بعد هذه السنين من نشوء الجمهورية الإسلامية ما كانت تفعله في مراحلها الأولى.

لقد كشفت الأحداث التي جرت بعد الانتخابات الرئيسية في الثاني عشر من حزيران عام ٢٠٠٩ حجم الخلل والثغرات في البلاد، كما يبرز تجاهل التطورات المهمة في فكر وسلوك الإيرانيين خلال ما يقارب ثلاثة عقود، ولم تأخذ بالاعتبار بصورة خاصة ما يلي:

أولاً ـ الشعب الإيراني الذي أسقط نظام الشاه للخلاص من الظلم والمعاناة والحرمان والذي تحمّل أعباء الحرب التي فرضها نظام صَدَّام حسين على إيران من حقِّه بعد وقف الحرب أن يتمتع بمزايا السلم وأن يقطف ثمار الثورة التي كافح من أجل انتصارها. كان الإيرانيون يعرفون حجم ازدياد مواردهم عبر ازدياد أسعار النفط، وفي الوقت نفسه كانت تزداد معاناتهم ويزداد فقرهم، كما اتسعت دائرة انتشار البطالة.

كان الاهتمام المركزي للقيادة الإيرانية مُنصبًّا على الأوضاع الخارجية وعلى بناء القوات المسلحة دون الأخذ بالاعتبار حاجة البلاد إلى التنمية الاقتصادية حتى لا تبقى أسيرة ثروتها النفطية من جهة وحتى تزيد مواردها فتقوم بمسؤولياتها في تحقيق متطلبات الشعب.

إن التوازن بين عاملي القوة العسكرية من جهة والقوة الداخلية من جهة ثانية هو الذي يُشكل قوة البلاد، كما أنه الشرط الأساسي بنجاح الدولة في تحقيق أهدافها وحماية مصالحها.

إن الأحداث التي وقعت بعد الانتخابات الرئاسية في الثاني عشر من حزيران عام ٢٠٠٩ كشفت حجم الخلل في المجتمع الإيراني وشكّلت إشارة واضحة على أن القوة العسكرية وحدها لا تكفي لتحقيق الأهداف الوطنية مهما كانت هذه الأهداف نبيلة، وكان على القيادة الإيرانية أن تُبقي في ذاكرتها قوة الشاه العسكرية والتي أسقطها الشعب.

إن غياب التنمية الاقتصادية ورفع مستوى معيشة الناس يشكل عامل ضعف مهما

بلغ حجم القوة العسكرية، كما أن الاختلال في التوازن بين القوة العسكرية وبين الخلل في المجتمع يشكل عامل ضعف للبلاد.

ثانيًا ـ لم تأخذ القيادة الإيرانية بالاعتبار أن أجيالاً جديدة وُلدت وكبرت بعد الثورة ولم تعاصر معاناة الشعب الإيراني في مرحلة حكم الشاه، وأن هذه الأجيال لها طموحاتها في أن تعيش في مجتمع آمِن يحقق لها تطلعاتها في العمل والعيش الكريم.

إن هامش الحرية الذي منحته الثورة للشعب الإيراني أتاح لهذه الأجيال وعبر وسائل الإعلام والبريد الإلكتروني والإنترنت أن ترى صورة أخرى في العالم الخارجي وأنماط حياة مختلفة، وأمر طبيعي أن يساهم كل ذلك في تنمية ثقافة غير الثقافة التي أنتجتها الثورة، وأن يُنمي لدى هذه الأجيال الشعور بالحاجة إلى تغيير في أنماط حياتها، كما أن هذه الأجيال أدركت أن هامش الحرية المتاح لها لا يتناسب مع تطلعاتها ومفهومها للحرية في ضوء ما تعزز لديها من شعور بأن الحرية هي الطريق للحياة الأفضل.

صحيح أن ثمة تطورًا حدث في أنماط حياة الإيرانيين بين السنين الأولى للثورة وبين نهاية العقد الثالث من عمرها، ولكن هذا التطور أقل بكثير من متطلبات الأجيال الجديدة التي تطل على العالم عبر وسائل وأدوات العلم والمعرفة.

صحيح أن ليس جميع الأجيال الجديدة تبنَّت نهجًا جديدًا بل إن جزءًا مُهمًّا من تلك الأجيال بقيت محافظة متأثرة بالثقافة الإسلامية، وفي كل الأحوال هذا يعني أن المجتمع الإيراني يعاني حالة من الانقسام في الأجيال الجديدة، وهنا تكمن المشكلة الكبرى التي ستعاني منها إيران إذا لم تتمكن قيادة الجمهورية الإسلامية من إيجاد الحلول الوطنية للنظام عبر الأخذ بالاعتبار أن الجمود نتائجه خطيرة على المجتمع وعلى الدولة.

ثالثًا ـ الخطأ الآخر الذي ارتكبته القيادة الإيرانية أنها أعتبرت تطوير النظام تغييرًا في نظام الجمهورية الإسلامية والأسس التي قامت عليها دون أن تأخذ بالاعتبار أن جمود النظام يؤدي إلى هوة بينه وبين الشعب، والذي لا يمكن تجميد نموه وتطوره.

يجب التمييز بين الأسس الرئيسية التي يقوم عليها النظام وبين الوقائع المتغيرة والتي تتطلب تطوير الإطار بما يحقق أهداف الأمة وفق قاعدة شرعية. تتغير الأحكام بتغير الأزمان، إن التطوير والتغيير حاجتين طبيعيتين للفرد وللجماعة.

لم يكن الخلاف حول شخصية كلٍّ من المرشحين الأربعة لرئاسة الجمهورية، ولكن حول

ما يمثله كل منهم من أفكار وسياسات، وكان ذلك ظاهرة طبيعية في مجتمع يتطلع إلى النمو والتقدم.

بالإضافة إلى كل ذلك يجب الإشارة إلى أن معاناة الشعب الإيراني وحالة الفقر كانت عاملاً مُهمًا في إبراز حالة الانقسام بين القوى السياسية في إيران.

لا أشك لحظة في قدرة الولي الفقيه المرشد الأعلى للثورة الإسلامية آية الله علي خامنئي في تحقيق الأمن والإمساك بزمام الأمور، ولكن مع ذلك لا يحل مشكلة الجمهورية الإسلامية ولا يحمي الأهداف والمبادئ التي قامت عليها الثورة، وإنما يُشكل تغييرًا في طبيعة النظام الإسلامي وتحوله إلى سلطة تدير شؤون البلاد عبر أجهزة الأمن والقوات المسلحة وليس عبر المبادئ والأسس التي اعتمدتها الثورة منذ أيامها الأولى، كما لا أشك لحظة في قدرة مرشد الثورة آية الله علي خامنئي بما أعرفه عنه من خبرة وحسن تقدير من أن يرى أن إيران بعد الانتخابات تحتاج إلى إصلاحات جدية وبنيوية في النظام.

ولا بد من الإشارة إلى أن القلق الذي تشعر به بعض الدول ـ سواء في المنطقة أو خارجها ـ لا يزول في تفكيك الدولة في إيران، وإن عملية التفكيك هي الأخطر على الأمن والسلم الإقليمي والدولي.

الجمهورية الإسلامية مكونة من مجموعة قوميات، فأي استخدام لهذه الحالة يعني حروبًا أهلية لن تقف أخطارها داخل الحدود الإيرانية.

في ظل الأوضاع الدولية والإقليمية الراهنة فإن حاجة إيران لتطوير نظامها أصبحت حاجة وطنية.

* * *

هل الجمهورية الإسلامية الإيرانية مصدر للقلق؟

تقع إيران في المنطقة الأكثر تأثيرًا على الاقتصاد والأمن الدوليين، وأعطاها موقعها الاستراتيجي دورًا مُهمًا في مراحل التاريخ، وفي القرن العشرين برز هذا الدور بعد نجاح الثورة الشيوعية في روسيا، وازدادت أهمية هذا الدور بعد الحرب العالمية الثانية فشكلت الجدار في وجه أية محاولات سوفيتية للعبور إلى مناطق النفط في الخليج، وقدّم الغرب دعمًا

عسكريًا وسياسيًا لإيران، وبرز الشاه محمد رضا بهلوي كأحد القادة الإقليميين ذات الصلة الأقوى مع الولايات المتحدة الأميركية، كما برز دوره عبر تأسيس حلف بغداد وطموحاته في الهيمنة على منطقة الخليج كما ركّز الشاه على استحضار التاريخ الإيراني قبل الإسلام.

بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة آية الله الخميني في آذار عام ١٩٧٩ دخلت المنطقة كما دخل العالم كله في مرحلة جديدة؛ ليس بسبب سقوط الشاه فقد سقط قبله حكام كثيرون وإنما بسبب طبيعة النظام الجديد وأهدافه الثورية، فالثورة دعت إلى تغيير في العالم الإسلامي والخلاص من موروثات الاستعمار كما كانت الثورة واضحة في عدائها للغرب بصورة عامة وللولايات المتحدة الأميركية بصورة خاصة، وفي دعوتها أيضا لتحرير فلسطين وإسقاط إسرائيل، وفي الوقت نفسه أثارت الخوف والقلق في الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي ولا سيما في منطقة الخليج، كما أثارت قلق الاتحاد السوفيتي من امتداد الثورة إلى الجمهوريات الآسيوية المسلمة.

ومن أبرز عوامل القلق أن الشاه لم يسقط بانقلاب عسكري وإنما بثورة شعبية لم يستطع نظام الشاه بما يملك من قوة الصمود في وجهها.

شكّلت الثورة الإسلامية في إيران قلقًا لدى الغرب؛ ذلك أن النظام الجديد يقع في قلب دائرة مصالحه الاستراتيجية في منطقة الخليج.

بعد انتصار الثورة بأيام أعلن قائدها آية الله الخميني عداء الثورة للغرب، مُركّزًا على الولايات المتحدة الأميركية فوصفها بأنها الشيطان الأكبر، وهذا الوصف يعني الصراع الدائم مع الولايات المتحدة الأميركية، كما أن الصراع دائم بين المؤمن وبين الشيطان.

ولا بد من الإشارة أن الدول العربية – لا سيما في منطقة الخليج وكذلك الدول الإسلامية المتاخمة لإيران كالباكستان – كانت شديدة القلق من الجمهورية الجديدة التي أخذت تُطلق الشعارات الداعية إلى التغيير في كل اتجاه.

كان صدى نجاح الثورة في أوساط الجماهير مختلفًا عنه في الأوساط الرسمية، فقد رحبت الأكثرية الكبرى من المواطنين العرب بنجاح الثورة التي قطعت علاقاتها مع إسرائيل وتبنت موقفًا صلبًا في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية، كما رحبت الدول العربية التقدمية بالثورة الجديدة، وهذه الدول هي سورية وليبيا والجزائر واليمن الديمقراطي ومنظمة التحرير الفلسطينية.

تحول القلق والخوف من الثورة الإسلامية إلى حرب ضدها، وكان النظام العراقي بقيادة

صَدَّام حسين رأس الحربة في تلك الحرب مدعومًا من الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية ومن معظم الدول العربية لا سيما دول الخليج والتي قدمت مساعدات مالية للنظام العراقي.

كما من الملفت أن الدول الغربية التي منعت توريد السلاح إلى الدول العربية أعطت النظام العراقي أنواعًا عديدة من الأسلحة ومن الأجهزة، هذا بالإضافة إلى ما كان يقدمه الاتحاد السوفيتي.

بعد توقف الحرب بين العراق وإيران لم تتوقف ظاهرة القلق من إيران، سواء لدى الغرب أو لدى الدول العربية في منطقة الخليج رغم اجتياح القوات العراقية للكويت والتي سهلت للأميركان بناء قواعد عسكرية في منطقة الخليج.

بعد ثلاثة عقود من قيام الجمهورية الإسلامية في إيران لا زال الحديث عن الخطر الإيراني ولا زال القلق يتصاعد خوفًا من أهداف إيران ومن سياساتها.

في منطقة الشرق الأوسط ثلاثة مشاريع استراتيجية تتصارع حول المنطقة، وبالأخص في المشرق العربي، وهذه المشاريع هي: المشروع الإسرائيلي، والمشروع الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، والمشروع الإيراني في غياب مشروع عربي للدفاع عن مصالح العرب وسيادتهم وأرضهم، وتحولت المنطقة العربية إلى ساحة صراع بين هذه المشاريع.

إن النظام العربي الذي تأسس في آذار عام ١٩٤٥ فشل في التحول إلى مشروع عربي بسبب طبيعة الأنظمة القائمة من جهة والعوامل الخارجية المؤثرة في سياسات معظم الدول العربية وتغلب المصالح الضيقة على المصالح القومية.

المشكلة الكبرى في النظام العربي أن الخوف على السلطة أقوى من الخوف على الوطن، وأن القلق على أمن النظام كان أقوى من القلق على مصير الشعب، وفي ظل كل هذه الأنظمة من الصعب أن يقوم نظام عربي له استراتيجية شاملة في الدفاع عن حقوق ومصالح الدول العربية، وأن يحقق نمو شعوبها وتقدمها وازدهارها.

عندما قررتُ كتابة هذا الكتاب أخذت على نفسي أن أكون موضوعيًا في عرض الوقائع وفي تحليلها بعيدًا عن العواطف والمؤثرات، وطرحت على نفسي مجموعة من الأسئلة ووضعت أجوبتها بعد التفكير، ومن المواضيع التي تناولتُها موضوع الخطر الإيراني على المنطقة:

أولاً ـ هل الجمهورية الإسلامية في إيران جمهورية فارسية تستحضر تاريخ الفرس لتثأر من العرب؟

جوابي ببساطة: الجمهورية في إيران جمهورية إسلامية وليس للعِرق دور في سياساتها وفي أهدافها، الولي الفقيه المرشد الأعلى للثورة ليس فارسيًا بل هو أذري.

إيران دولة مركبة من خمس قوميات، والفرس هم أكبر القوميات، فأي توجه نحو العصبية الفارسية سيؤدي إلى تصدع الدولة في إيران.

القيادة الإيرانية تعتمد عصبيتين في سياساتها الداخلية والخارجية: الأولى العصبية الإسلامية التي ترتكز على المذهب الجعفري، والثانية العصبية الوطنية الإيرانية التي ترتكز على وحدة الوطن الإيراني.

لا شك فإن العصبية المذهبية تثير القلق لدى الدول العربية التي يشكل المسلمون الشيعة جزءًا من شعوبها والذين تتوجه عواطف معظمهم نحو إيران مما يثير قلق هذه الدول من استخدام إيران لهم في سياساتها الإقليمية.

ثانيًا ـ مسألة الخطر والقلق مسألة نسبية تتعلق بالسياسات من جهة وبطبيعة الأنظمة من جهة ثانية.

الشاه محمد رضا بهلوي كانت له طموحات إقليمية أثارت قلقًا لدى بعض الدول العربية في الوقت الذي كان يتعامل خلاله مع دول عربية أخرى، رغم أنه كان فارسي العقيدة واستحضر تاريخ الفرس.

تنتهج إيران سياسات في المنطقة وفي الساحة الدولية لا تتفق مع سياسات معظم الدول العربية بل تتعارض معها جذريًا، هذا التعارض يُشكل مصدرًا للقلق لدى تلك الدول، والخوف ناجم عن أن يدفع التوتر والخلاف إلى صِدام بين إيران وبين هذه الدول.

بالإضافة إلى ذلك فإن الاختلاف بين طبيعة الأنظمة يُشكل مصدرًا للقلق لدى هذه الدول، كما تشكل التوترات مصدرًا للخوف.

ثالثًا ـ هل إيران جادة في تحقيق مشروعها الاستراتيجي في المنطقة وبناء دولة قوية قادرة على تحقيق نفوذها من لبنان إلى أفغانستان، وأن تكون هذه الدولة المرجعية وقائدة شعوب المنطقة؟

الجواب بوضوح: نعم، إيران جادة في تحقيق مشروعها الإقليمي مع الأخذ بالاعتبار ما يلي:

(أ) لن تلجأ إيران إلى استخدام قوتها العسكرية في تحقيق مشروعها، ولن تخوض حربًا

خارج حدودها الوطنية لأنها تعرف الأضرار الكبرى للحروب ومعرفتها من خلال الحرب مع العراق، بالإضافة إلى ذلك فإن لجوءها إلى القوة العسكرية سيضعها في مواجهات متعددة مع الدول العربية ومع الغرب المتطلع دائمًا إلى حماية مصالحه، وبخاصة النفطية، ولكنها ستخوض الحرب وتستخدم قوتها العسكرية في حال تعرضها لعدوان خارجي.

تعمل إيران على تنفيذ مشروعها الإقليمي عبر توظيف الأحداث والوقائع فكل حدث يعطيها فرصة.

كان الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام ١٩٨٢ قد أعطاها فرصة مهمة فأسست حزب الله، وشكّل ذلك حدثًا مُهمًّا في بناء قاعدتها السياسية والعسكرية في لبنان، وتمكنت عبر حزب الله من الإمساك بجانب رئيسي من الوضع في لبنان ومن الوضع العسكري الفاعل ضد إسرائيل، كما تمكنت من كسب قطاع واسع من الرأي العام الشعبي إثر نجاح حزب الله في مقاومته بإخراج إسرائيل من لبنان عام ٢٠٠٠.

وفي سورية وظّفت التحالف بأن تصبح سورية الأرض المفتوحة أمام النشاط الإيراني الإقليمي، وعبر سورية نجحت إيران في بناء التحالف مع عدد من الفصائل الفلسطينية الرافضة للعملية السلمية، وبذلك أصبحت موجودة عبر هذه الفصائل في قلب المعادلة الفلسطينية وقلب ساحة الصراع العربي الإسرائيلي، وفي العراق وظّفت الحرب الأميركية على العراق فأمسكت الوضع في العراق عبر حلفائها وعبر أجهزتها الأمنية، وأصبح لها دور رئيسي في العراق مما اضطر الولايات المتحدة الأميركية لطلب الحوار معها حول الوضع الأمني في العراق، كما أنها وظّفت الحرب الأميركية على نظام طالبان لتمسك بجزء مهم من الوضع الأفغاني مما دفع أيضًا الولايات المتحدة الأميركية لبحث الحوار معها حول أفغانستان.

لقد حققت إيران إنجازات مهمة في مسارها لتحقيق مشروعها الإقليمي، ويبدو واضحًا امتداد نفوذها من لبنان إلى أفغانستان.

رابعًا ـ لا شك فإن المشروع الإقليمي لإيران يثير القلق لدى عدد كبير من الدول العربية لأنه يتجاوز سيادتها الإقليمية ويُشكل تدخلاً في شؤونها الداخلية مما يزيد من إرباك الأوضاع في المنطقة ويُعقّد العلاقات بين إيران وبين الدول العربية، كما سيؤدي إلى انقسامات في داخل الدول العربية بين مجموعات تتعامل تحت مظلة المشروع الإيراني وموالية لإيران، وبين أنظمة الحكم الأخرى.

إن ما يزيد تعقيد الأوضاع سوءًا غياب المشروع العربي وضعف الدول العربية والتي لا

تدرك أن قوتها في التعاضد والتعاون وفي إطار مشروع عربي، وأن خوفها وقلقها يصبحان حقيقة قائمة في ظل الانقسام من جهة والعزلة الداخلية عن شعوبها من جهة ثانية.

خامسًا ـ من عوامل القلق نمو العصبية المذهبية لدى المسلمين الشيعة في مختلف مناطق تواجدهم وتعاطفهم مع إيران من جهة ومن جهة ثانية نمو التوترات المذهبية بينهم وبين المسلمين السنة والتي أدت إلى تهديد وحدة لبنان واستقراره وإلى مجازر في العراق والباكستان وأفغانستان.

جميع الدول العربية التي يشكل المسلمون الشيعة جزءًا من شعوبها تعيش حالة الخوف والقلق من أن تقوم إيران باستخدام هؤلاء المواطنين في سياساتها ضد هذه الدول.

ومما يزيد عوامل القلق من المسألة المذهبية نشاط بعض المراجع الدينية في إيران في نشر الدعوة إلى التشيّع كما هو الحال في سورية وفي دول عربية أخرى، كما زاد ذلك من حدة التوترات المذهبية من جهة والقلق من إيران من جهة ثانية.

سادسًا ـ هل تعمل إيران على تغيير أنظمة الحكم في الدول العربية؟

أي تغيير يصب في خدمة سياساتها أو يلتقي معها في الخطوط الرئيسية ترحب به قيادة الجمهورية الإسلامية، ولكنها لا تعمل على تحقيق التغيير في هذه الدولة أو تلك لأن ذلك سيدخلها في نزاعات جانبية من جهة ومن جهة ثانية فهي قيادة غير مغامرة أو مقامرة، ولكنها ستقوم بتوظيف أي مناخ للتغيير في أي بلد باتجاه خدمة سياساتها ومصالحها.

ومن المفيد القول إنها لا تسعى إلى استخدام الموالين لها ومؤيديها في الشؤون الداخلية لدولهم، ولكنها تبقيهم ورقة ضاغطة تستخدمها في الأوقات الحرجة، وهذا الأمر ينطبق فقط في منطقة الخليج لأنها تدرك أن هذه المنطقة منطقة حمراء بالنسبة للمصالح الدولية وتجربة صَدَّام حسين باجتياح الكويت كافية لعدم الانزلاق؛ ولذلك فإن القيادة الإيرانية كما أتوقع لن تُقدِم على خلق إشكالات تثير القلق لدى دول الخليج وستعمل على الاستمرار في إظهار حسن نواياها تجاه هذه الدول، مع الاستمرار بالإشارة إلى وجودها في هذه الدول والذي لن تستخدمه إلا في حالة وقوع خطر كبيرعلى نظامها.

في خارج منطقة الخليج فإن تحريك أنصارها مرتبط بسياساتها الإقليمية والدولية وبخاصة في المناطق ذات الصلة بالأطراف الخارجية سواء كانت عربية أو أجنبية.

لحزب الله دور مهم في استراتيجية إيران الإقليمية، وهذا الأمر مؤثر في لبنان ومقلق

للشرائح اللبنانية الأخرى التي ترى في نفوذ حزب الله تدخلاً إيرانيًا وتهديدًا لوحدة لبنان وهويته، كما أن للنظام في سورية دورًا مُهمًا في استراتيجية إيران ليس فقط من حيث طبيعة العلاقات مع النظام السوري، ولكن من حيث استخدام سورية ساحة لنشاطاتها الإقليمية، كما أن للمنظمات الفلسطينية الحليفة دورًا مُهمًا في الساحة الفلسطينية، والأمر ذاته بالنسبة لحلفائها في العراق، ولكن هذه الأدوار لا تصب في تغيير الأنظمة وإنما في استخدام الوقائع والأحداث باتجاه حماية سياساتها الإقليمية.

إن بناء صداقة سياسية مع القوى السياسية والشعبية في العالم العربي التي تلتقي مع الخطوط السياسية لإيران أمر حقيقي وجدّي وأعطاها ذلك مساحة واسعة للتحرك، وشكّل لها مجموعة كبيرة من الأصدقاء والحلفاء بسبب تماثل المواقف تجاه إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية.

سابعًا ـ هل المشكلة بالنسبة للدول العربية في طموحات إيران في أن تكون دولة كبرى يمتدد نفوذها خارج حدودها الإقليمية؟

كما أشرت في ما تقدم فإن طموحات إيران أو غيرها التي تتجاوز حدودها الوطنية تشكل قلقًا لدى الدول الأخرى التي تقع في دائرة الطموحات وتثير المخاوف، ولكن للمسألة جانب آخر لا يرتبط بالسياسة الإيرانية وإنما يرتبط بوضع الدولة التي تقع في دائرة الطموحات.

إن القلق والشعور بالخطر لا يرتبط فقط بسياسات الآخرين وإنما يرتبط أيضًا بالسياسة الوطنية في الدولة، فالدولة المتماسكة والمبنية على قواعد شعبية والتي تُغلب المصالح الوطنية على المصالح الذاتية لقوى السلطة دولة من الصعب اختراقها مهما كانت صغيرة؛ ذلك أن إيران لن تلجأ إلى استخدام قوتها العسكرية وإنما توظف العوامل الداخلية للدولة التي تعمل على اختراقها؛ فنجاحها أو فشلها مرتبط بوضع هذه الدولة وفي كل الأحوال فإن مبدأ نشر النفوذ خارج الحدود الوطنية أمر يتعارض مع استقلال وسيادة الدول الأخرى، كما يتعارض مع الأمن والاستقرار في المنطقة.

في الخلاصة يمكن القول إن الطموحات الإيرانية تُشكل قلقًا لدى الدول العربية، ولكن الخطر الحقيقي الذي يهدد العرب هو نظامهم وعجزهم عن رؤية الواقع وأخطاره.

قدرة النظام العربي الحالي على إصدار القرارات قدرة لا حدود لها، وقدرته على تنفيذها معدومة إلى أبعد الحدود.

لا أريد أن أستذكر تاريخ النظام العربي الراهن منذ تأسيسه في آذار عام ١٩٤٥، وإنما فقط أريد أن أشير إلى حالة واحدة وهي المبادرة العربية للسلام.

في مؤتمر قمة بيروت التي عقدت في نهاية آذار عام ٢٠٠٢ اتخذ القادة العرب قرارًا بإطلاق المبادرة العربية للسلام.

لم تضع القمة للمبادرة آلية لتنفيذها، ولم يستطع القادة الذين أقروها أن يدركوا ما أدركته القيادة الإسرائيلية من أن متطلبات السلام هي متطلبات الحرب.

بعد أكثر من سبع سنوات نتساءل أين أصبحت المبادرة العربية؟

بعد إقرار المبادرة العربية بيوم واحد قامت إسرائيل بعدوان دموي في الضفة الغربية، وبعد المبادرة العربية بنى الإسرائيليون جدار العزل وتوسع الاستيطان وزادت معاناة الشعب الفلسطيني وازدادت الشروط الإسرائيلية في مسألة التفاوض حول السلام، وفي الوقت نفسه فقد ازداد الانقسام العربي، والأمر الأكثر خطورة الانقسام الفلسطيني والصراع الدامي بين حركتي فتح وحماس، والانقسام الفلسطيني بين قطاع غزة والضفة الغربية، ومرة أخرى أريد أن أشير إلى أن الأخطار الخارجية مهما عظمت يمكن للشعوب أن تواجهها أو أن تغير مسارها إذا كانت موحدة متمسكة بمصالحها الوطنية، كما أن ما يخدم الأخطار الخارجية أو يضعفها الأوضاع الداخلية في أية دولة.

ثامنًا ـ المشروع الإيراني لا يتعارض فقط مع مصالح بعض الدول العربية وإنما أيضًا مع مصالح الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأميركية، فهل سيؤدي الصراع مع الغرب إلى وفاق مع إيران أم إلى تصاعد هذا الصراع في المنطقة؟

المشروع الإيراني يتعارض مع المشروع الإسرائيلي، وتتخذ إيران مواقف شديدة ضد إسرائيل فهل يُشكّل ذلك خط تعاون وتحالف بين إيران وبين الدول العربية؟

في رأيي إن ما سيحكم الأمور ليست مصالح الشعوب، وإنما موازين القوى الإقليمية والدولية، وستبقى المنطقة منطقة صراع واستنزاف إلى زمن يستطيع فيه العرب أن يقيموا نظامهم وأن يوحدوا جهودهم وأن يتجاوزوا واقعهم وبناء واقع جديد مبني على إرادة الشعوب وعلى قواعد العلم والمعرفة وعلى القدرة في تحديد الخطوط الفاصلة بين الأصدقاء والأعداء.

* * *

الفصل الثاني
إيران وأزمات المنطقة

تواجه منطقة الشرق الأوسط أزمتين حادتين وقابلتين للانفجار تهددان الأمن والاستقرار في المنطقة، وكذلك الأمن والاستقرار الدوليين.

الأزمتان اللتان تُقلقان شعوب المنطقة ومعظم شعوب العالم هما أزمة الصراع العربي الإسرائيلي وأزمة الصراع بين الولايات المتحدة الأميركية وبين الجمهورية الإسلامية في إيران.

وتتردد الأسئلة الكثيرة حول احتمال وقوع الحرب وحول احتمال الوصول إلى نزع فتيل التفجير، وهل المنطقة على أبواب سلسلة من الحروب والاضطربات الداخلية أم على أبواب تحقيق السلام والاستقرار والأمن والتحرر من الاحتلال والهيمنة الأجنبية والخلاص من الأوضاع السيئة التي تعيشها شعوب المنطقة؟

أولاً ـ أزمة الصراع العربي الإسرائيلي

مضى أكثر من ستة عقود على نشوء أزمة الصراع العربي الإسرائيلي والتي كان من أول ضحاياها الشعب الفلسطيني الذي تشرَّد أكثر من نصفه خارج دياره ليعيش في أسوأ الظروف وأشد المعاناة في مخيمات اللاجئين في الضفة الغربية وقطاع غزة والأردن وسورية ولبنان، بالإضافة إلى لجوء عشرات الآلاف إلى دول عربية وأجنبية، ويعيش النصف الآخر تحت الاحتلال الإسرائيلي بكل ممارساته الوحشية تحت سمع ونظر وبصر المجتمع الدولي.

شهدت المنطقة عدة حروب كان أخطرها عدوان الخامس من حزيران عام ١٩٦٧ واحتلال سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان، وبذلك اتسع نطاق الأزمة ليشمل ثلاث دول عربية هي مصر وسورية والأردن.

رغم توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل في آذار عام ١٩٧٩ فإن المنطقة لم تشهد

الأمن والاستقرار ولم تتراجع حدة الصراع بل ازدادت التوترات واجتاحت إسرائيل لبنان في مطلع حزيران ١٩٨٢ بعد ثلاث سنوات من توقيع المعاهدة بينها وبين مصر.

والظاهرة البارزة ازدياد حجم القوة العسكرية الإسرائيلية رغم خروج مصر من ساحة الصراع المسلح، كما ازداد حجم الإنفاق العسكري لدى إسرائيل بصورة ملفتة، ونجحت إسرائيل في الحصول على أسلحة وتجهيزات سواء من صنعها أو من الخارج أخلت إخلالاً كبيرًا في ميزان القوى في المنطقة.

لقد أدت تلك الأوضاع والتي ترافقت باستمرار الاعتداءات الإسرائيلية في لبنان وفلسطين وأحيانًا على سورية إلى التصاعد في نمو حركات المقاومة الهادفة إلى استنزاف إسرائيل لتحقيق جلائها عن الأراضي العربية المحتلة والاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وقد تركزت حركات المقاومة في لبنان وفلسطين.

كان لإيران دور كبير في مساعدة بعض التنظيمات الفلسطينية المقاومة للاحتلال والرافضة للحلول السياسية، كما أنها هي التي أسست حزب الله في لبنان والذي شكّل عامل استنزاف وضغط على إسرائيل مما دفع الإسرائيليين للخروج من لبنان، ويمكن القول إن إيران بتأسيسها لحزب الله ودعم المنظمات الفلسطينية المقاومة كحركتي حماس والجهاد الإسلامي أصبحت طرفًا مُهمًّا في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي.

بعد اجتياح القوات العراقية لدولة الكويت بذلت الولايات المتحدة جهودًا لعقد مؤتمر للسلام في مدريد، وقد عُقد المؤتمر بمشاركة جميع الأطراف، ونجمت عنه مفاوضات منفردة بين إسرائيل وكل من سورية ولبنان والأردن مشاركًا الفلسطينيين. لم تُسفر تلك المفاوضات عن تحقيق التقدم بين الأطراف غير أن المفاوضات الجانبية خارج إطار مؤتمر مدريد أدت إلى توقيع اتفاقية أوسلو بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل في أيلول عام ١٩٩٣، كما أدت إلى توقيع اتفاقية وادي عربة بين الأردن وإسرائيل، وبقيت سورية ومعها لبنان دون الوصول لاتفاق رغم استمرار المفاوضات المباشرة في واشنطن والتي توقفت في شهر آذار عام ٢٠٠٠.

لم تمضِ أشهر على توقيع اتفاقية أوسلو حتى تبين أنها لم تغير من واقع الاحتلال، وكل ما حققته الاتفاقية تشكيل سلطة لا تستطيع التنفس دون موافقة الاحتلال مما أدى إلى تصاعد الانقسامات الفلسطينية بين أطراف تبنت استمرار المقاومة المسلحة وأطراف أخرى تبنت الاستمرار في نهج التفاوض في إطار اتفاقية أوسلو.

قد أدت تلك التطورات إلى انشقاقات عميقة في الساحة الفلسطينية مما أحدث أضرارًا فادحة بالوحدة الوطنية الفلسطينية، وفي الوقت نفسه فإن إسرائيل لم تلتزم ببنود اتفاقية أوسلو واستمرت في سياسة الاستيطان وأصبحت المدن والقرى الفلسطينية جُزرًا متقطعة تحيط بها المستوطنات الإسرائيلية.

بعد أحداث أيلول عام ٢٠٠١ والحرب الأميركية في أفغانستان أعلن الرئيس الأميركي جورج بوش مبادرة لحل أزمة الشرق الأوسط عبر الإعلان عن سعيه لإقامة دولة فلسطينية إلى جانب إسرائيل، ثم طرح خارطة طريق لتحقيق هذا الشعار وانتهت ولايته دون أن ينجح في تحقيق خطوة واحدة.

بعد تولي الرئيس الأميركي باراك أوباما رئاسة الولايات المتحدة الأميركية أعلن التزامه بحل أزمة الشرق الأوسط وجوهر المشروع إقامة دولة فلسطينية إلى جانب دولة إسرائيل، ولكن الرئيس الأميركي لم يحدد الأسس التي سيقوم عليها الحل ولا المرجعية، كما لم يحدد الحدود الجغرافية للدولة الفلسطينية، وهل ستكون الدولة في الضفة الغربية وغزة بعد إزالة المستوطنات أم مع إبقائها؟ هل سيقوم الحل على أساس الانسحاب الكامل من الأراضي الفلسطينية التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧ بما فيها القدس الشرقية؟

كما أن الرئيس الأميركي لم يتحدث بصورة واضحة عن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

كيف سيحقق الرئيس الأميركي أوباما مشروع السلام في المنطقة؟ هل عبر الوساطة الأميركية بين الإسرائيليين وبين الفلسطينيين والدول العربية الأخرى؟ هل سيكون دوره دور ناقل بريد، أم أن له رؤية واضحة يعمل على تحقيقها؟

هل سيستطيع إقناع الإسرائيليين بتفكيك المستوطنات والانسحاب من الضفة الغربية والقدس؟

كيف سيعالج مشكلة اللاجئين وهي إحدى القضايا الرئيسية في الملف الفلسطيني؟

هل سيتخذ قرارات يُلزم بها إسرائيل بحالة عنادها؟

هل ستقبل السلطة الفلسطينية حلاً لمشكلة اللاجئين عبر الإقرار بأن إسرائيل دولة يهودية، وبالتالي إجراء تبادل سكاني بين العرب المقيمين في إسرائيل وبين الإسرائيليين المقيمين في مستوطنات الضفة الغربية؟

هل ستقبل السلطة الفلسطينية حلولاً أقل مما ورد في المبادرة العربية، وهل ستقبل الحكومات العربية بمثل هذه الحلول؟

وأخيرًا هل ستقبل إسرائيل دولة فلسطينية ذات سيادة في الضفة الغربية وغزة، وحل مشكلة اللاجئين على أساس القرار ١٩٤؟

هذه الأسئلة تحدد مصير الحلول السياسية في ملف الصراع العربي الإسرائيلي وفي المنطقة، وليس في الأفق ما يشير إلى إمكانية تحقيق السلام بسبب التعنت الإسرائيلي.

* * *

الصراع الإيراني الأميركي

في رسالة الاتحاد التي وجهها الرئيس الأميركي ترومان إلى الكونغرس عام ١٩٥١ والتي عرض فيها الواقع الدولي وسياسات الولايات المتحدة الأميركية الكونية ورَدَت في الرسالة فقرة عن الشرق الأوسط، وهذا مقطع منها: «إن بلدان الشرق الأوسط في الغالب أقل تقدمًا في الصناعة من البلدان الأوربّية، على أن الشرق الأوسط له أهمية كبرى بالنسبة لسلام العالم الحر بأجمعه، وأن هذه المنطقة هي مركز حيوي للاتصالات البرية والبحرية والجوية بين أوربّا وآسيا وإفريقيا، وفي الشرق الأوسط يوجد نصف احتياطي العالم من الزيت، ومنطقة الشرق الأوسط أكثر تعرضًا للضغط السوفيتي».

حدد الرئيس الأميركي بهذه العبارات موقع الشرق الأوسط باستراتيجية الولايات المتحدة الأميركية كإحدى المناطق الأكثر أهمية لأمن وسلامة الغرب وضمان مصالحه.

وفي إطار هذه الرؤية فقد كان لإيران موقع مهم لدى العالم الغربي، فهي دولة نفطية كبيرة وتقع على حدود دول النفط العربي وتمتد حدودها من الباكستان إلى أفغانستان إلى الاتحاد السوفيتي وتركيا والعراق، وتطل على الخليج.

ركزت الولايات المتحدة الأميركية اهتمامًا خاصًا على إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وبدء الحرب الباردة مع السوفييت، وقدمت مساعدات كبيرة لشاه إيران معتبرة أن هذه الدولة تشكل الخط الأول في وجه التمدد السوفيتي في مناطق النفط في الخليج والعراق.

بعد تراجع الخطر السوفيتي في ظل سياسة الانفراج الدولي بين الشرق والغرب في عقد

السبعينيات بقيت إيران في الموقع المهم للولايات المتحدة الأميركية، ليس فقط كقاعدة عسكرية وإنما أيضًا كقاعدة سياسية للعمل على تفكيك الجمهوريات السوفيتية الآسوية من جهة ومن جهة ثانية من أجل إبقاء نفط المنطقة تحت السيطرة.

كان التطور التاريخي الأكثر خطورة بالنسبة للغرب بصورة عامة وللولايات المتحدة بصورة خاصة انهيار نظام الشاه في إيران وقيام الجمهورية الإسلامية.

إن الثورة الإسلامية في إيران لم تُسقط نظام الشاه فقط وإنما غيرت إيران تغييرًا جذريًا، ونقلت إيران من موقع الحليف للولايات المتحدة الأميركية إلى موقع العداء لها؛ فأصبحت العدوة الأولى في العالم للولايات المتحدة الأميركية، ويبرز ذلك ليس فقط في الخطابات والشعارات والممارسات وإنما بصورة جوهرية في الوصف الذي أطلقه قائد الثورة آية الله الخميني على الولايات المتحدة بأنها الشيطان الأكبر، ومن السهل الاستنتاج أن المسلم محرم عليه التعامل مع الشيطان، وبالتالي فإن آية الله الخميني وضع حدًا فاصلاً بين بلاده وبين الولايات المتحدة الأميركية وركز حملته عليها.

إن قلق الغرب لم يكن بسبب سقوط الشاه فقد سقطت أنظمة عديدة موالية للغرب، ولكنها لم تترك صدًى عميقًا لدى الولايات المتحدة الأميركية ولدى حلفائها، ولكن الوضع في إيران مختلف عن أية دولة أخرى، فهي كما أشرنا دولة نفطية كبيرة وتطل على نفط الخليج والتي تشكل منطقة حمراء بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية وحلفائها.

تَركز الحديث في السنوات الأخيرة حول الملف النووي الإيراني. السؤال: هل فعلاً هو محور الأزمة الحادة بين الولايات المتحدة الأميركية وإيران؟ وهل إذا وافقت إيران على متطلبات وكالة الطاقة النووية تنتهي الأزمة وتصبح العلاقات بين الولايات المتحدة والجمهورية الإسلامية علاقات طبيعية؟

الهند والباكستان وإسرائيل يملكون أسلحة نووية فلماذا التركيز على إيران وليس على هذه الدول الثلاث؟!

الملف النووي على أهميته هو غطاء للقضايا الكبرى التي تثير قلق وخوف الغرب وفي المقدمة الولايات المتحدة، وأهم هذه القضايا طبيعة النظام الإسلامي القائم في إيران؛ الدولة النفطية الكبرى والواقعة على حدود الاحتياطي الأكبر للنفط في العالم.

من أجل معرفة التطورات المحتملة لأزمة الصراع بين الولايات المتحدة وإيران لا بد

من محاولة تحديد الأهداف الأميركية في هذا الصراع، هل الملف النووي هو الأساس أم أن النظام الإسلامي وطموحاته الإقليمية والدولية هو محور الخلاف بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية؟

هل الجمهورية الإسلامية جاهزة للتخلي عن طموحاتها وعن استراتيجيتها الإقليمية والدولية؟ وإلى أي حد يمكن أن تتقدم أو تتراجع؟

(أ) الأهداف الأميركية

الخلاف بين الولايات المتحدة الأميركية وإيران لم يبدأ بسبب احتجاز الرهائن الأميركيين في السفارة الأميركية في إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية، وإنما بدأ من اللحظة التي انهار فيها نظام الشاه ووصل آية الله الخميني إلى طهران وأطلق حملة قاسية ضد الولايات المتحدة الأميركية ووصفها بالشيطان الأكبر.

إذًا الصراع ناجم عن رفض كلٍّ من إيران والولايات المتحدة للآخر رفضًا يتعلق بطبيعة وأهداف وسياسة كلٍّ من الدولتين، وليس خلافًا حول مشكلة جزئية؛ مشكلة الرهائن التي تم حلها بعد أشهر من الاحتجاز.

إذا عُدنا إلى قراءة السياسة الأميركية في الشرق الأوسط منذ نهاية الحرب العالمية الثانية نرى بوضوح حجم المصالح الاستراتيجية الأميركية في الشرق الأوسط إلى جانب الاهتمام الأميركي لإسرائيل.

يمكن تحديد الأهداف الأميركية على النحو التالي:

(أ) الهدف الرئيسي إسقاط الجمهورية الإسلامية وقيام نظام علماني صديق للولايات المتحدة الأميركية يُشكل ضمانًا لمصالحها الاقتصادية والأمنية والسياسية في المنطقة.

(ب) مع تعذر إسقاط النظام القائم في إيران العمل بكل وسائل الضغط لتغيير طبيعة النظام عبر تغيير سلوكه بصورة تصبح الجمهورية الإسلامية دولةً راكدة مشغولة في مشاكلها الداخلية كما هو الحال في الدول الإسلامية الأخرى التي لا تتجاوز طموحاتها حدود تأمين المتطلبات الدنيا لشعوبها، هذه المرحلة تتطلب الضغط على إيران للقبول بما يلي:

١ ـ الانكفاء إلى ما وراء حدودها الوطنية وعدم التدخل بالشؤون الداخلية للدول الأخرى، وبالتالي التراجع عن طموحاتها في أن تكون دولة كبرى قائدة في المنطقة.

٢ ـ قطع صلاتها مع حلفائها الإقليميين في العراق وسورية ولبنان وفلسطين ودول الخليج، وكذلك وقف النشاطات في الدول الأخرى.

٣ ـ وقف الحملات ضد إسرائيل والتعايش معها كما فعلت بعض الدول العربية كمقدمة لإقامة السلام معها.

٤ ـ وقف تنمية قواتها المسلحة والتخلي عن أسلحة الدمار الشامل.

٥ ـ وضع برنامجها النووي تحت إشراف الوكالة الدولية للطاقة النووية.

٦ ـ توسيع دائرة الحريات العامة والفردية بما في ذلك تطوير النظام السياسي بصورة يلغي دور الولي الفقيه والمرجعيات الدينية.

٧ ـ الاعتراف بحقوق الأقليات التي تتكون منها الأمة الإيرانية.

لقاء هذه المطالب من المتوقع أن تقدم الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها سلة من الحوافز على النحو التالي:

١ ـ مساعدات اقتصادية لمعالجة الوضع الاقتصادي في إيران.

٢ ـ تشكيل منظومة إقليمية للأمن والتعاون الاقتصادي تكون إيران أحد أعضائها إلى جانب الدول العربية وتركيا وإسرائيل.

٣ ـ إنهاء ملف الأموال الإيرانية المجمدة في الولايات المتحدة الأميركية.

(ب) الأهداف الإيرانية

تُشكل الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل عقبتين أمام تحقيق إيران أهدافها الإقليمية، لذلك فإن مرتكزات السياسة الإيرانية في المنطقة وفي أي حوار مع الغرب ومع الولايات المتحدة الأميركية هي:

١ ـ إنهاء الوجود العسكري الأميركي في المنطقة وفي أفغانستان.

٢ ـ عدم التدخل في الشؤون الداخلية لدول المنطقة.

٣ ـ الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، بما في ذلك الحق في بناء دولته وعودة اللاجئين.

٤ ـ تشكيل منظومة أمنية من إيران وتركيا والدول العربية في المنطقة لضمان أمن المنطقة واستقرارها.

٥ ـ الاعتراف بإيران دولة قائدة في المنطقة ومشاركتها في جميع القضايا المتعلقة بالأمن الدولي وبقضايا الاقتصاد العالمي.

٦ ـ الاعتراف بحق إيران أن تكون دولة نووية، مع تعهد بعدم صنع السلاح النووي في إطار حل لمشكلة أسلحة الدمار الشامل في العالم ومنها السلاح النووي.

وفي ضوء هذه الأهداف لدى كلٍّ من الطرفين هل يمكن الوصول إلى إنهاء الصراع؟

في مرحلة الرئيس جورج بوش تصاعدت الحملات المتبادلة كما ازدادت الضغوط الأميركية على إيران عبر مجلس الأمن أو عبر قرارات أميركية وبقيت إيران ثابتة في موقعها سواء ما تعلق بملفها النووي أو بالقضايا الأخرى كالوضع في العراق ولبنان وفلسطين.

كان كثيرون يتوقعون قيام الولايات المتحدة الأميركية بعمليات عسكرية ضد إيران، ولكن القيادة الإيرانية على ما يبدو لم تكن قلقة لأن الإدارة الأميركية كانت متورطة في حربين في أفغانستان والعراق، وهي غير قادرة على شن حرب ثالثة لا سيما أن حجم أضرارها المتوقعة كبير بسبب انتشار قواتها في العراق وفي الخليج وفي أفغانستان مما يسهل عمليات التعرض لها، كما تدرك القيادة الإيرانية أن الحربين أضعفتا الولايات المتحدة الأميركية واستنزفتا الكثير من مواردها مما زاد في حجم مصاعبها الاقتصادية، كما أنها فشلت بعد أكثر من ثماني سنوات من حسم الوضع في أفغانستان واضطرت تحت ضغط استنزاف قواتها باتخاذ قرار الانسحاب من العراق.

بعد تسلم الرئيس الأميركي باراك أوباما رئيسًا للولايات المتحدة الأميركية وفي ظل الصعوبات المالية والاقتصادية تركز الاعتقاد أن الولايات المتحدة الأميركية لن تخوض حربًا ضد إيران بسبب حساباتها لنتائج تلك الحرب، ولذلك فقد تبنى الرئيس أوباما سياسة الحوار مع إيران مدعومًا من الاتحاد الأوربي، ورغم مضي أشهر على ذلك فلم تبرز ظاهرة تشير إلى احتمال البدء بهذا الحوار أو احتمال نجاحه، وفي ظل التناقضات العميقة بين أهداف الجانبين ليس من المتوقع الوصول إلى نتائج تُرضي الطرفين وتزيل مخاوفهما.

تقدمت الحكومة الإيرانية بمذكرة إلى مجموعة الدول الست المكونة من الأعضاء الدائمين في مجلس الأمن بالإضافة إلى ألمانيا، تضمنت دعوة هذه الدول للحوار حول النظام العالمي

القائم، ومن أجل بناء نظام عالمي جديد بعد فشل النظام الحالي وسقوط إمبراطوريات الهيمنة والسيطرة على الشعوب، نظام مبني على شرع الله، وعرضت المذكرة المشاكل الدولية بدءًا بالقضايا الأمنية؛ أي الأمن والسلم الدوليين مرورًا بالقضايا الأمنية الإقليمية في مختلف بقاع العالم، وعرضت استعدادها للتعاون في تحقيق نظام أمني عالمي جديد كما عرضت فشل النظام الاقتصادي الدولي الراهن والمبني على استغلال الشعوب، وفي إطار الحديث على الأمن الدولي دعت لحوار حول كيفية الخلاص من الأسلحة النووية والتعاون الدولي في مجال الذرة، وقد تجاهلت المذكرة القضية الرئيسية التي تطرحها الدول الست وبذلك فقد كانت رسالة إيران إلى هذه الدول أنها شريك عالمي في حل مشاكل العالم، ومن جهة ثانية فإن حلول المشاكل الإقليمية ترتبط بإيجاد الحلول للقضايا الأساسية التي يعاني منها العالم، وهي بذلك نأت عن مناقشة الملف النووي الإيراني كما ربطت المشاكل الإقليمية بنظام عالمي جديد.

من الواضح أن إيران متمسكة بسياساتها، وهذا ما عبَّر عنه المرشد الأعلى للثورة الإسلامية في خطاب الجمعة بتاريخ ١١ أيلول ٢٠٠٩، والذي أكّد فيه استمرار إيران بالعمل في سياستها النووية وربط بين النظام وبين استمرار هذه السياسة.

من المؤكد أنه في ظل الأوضاع الراهنة لم تصل الأطراف إلى حلول ليس فقط في مسألة الملف النووي الإيراني وإنما في مجمل القضايا ذات الصلة باستراتيجية إيران الإقليمية.

ومع تراجع مسألة العمل العسكري هل تراهن الولايات المتحدة الأميركية على الأوضاع الداخلية في إيران لا سيما بعد تكشف ثغرات في تلك الأوضاع إثر الانتخابات الرئاسية الإيرانية؟

هل ستلجأ الولايات المتحدة الأميركية وحلفاؤها إلى سلسلة من القرارات والإجراءات الاقتصادية والأمنية والسياسية لحصار إيران أملاً في إسقاطها من الداخل؟

وهل في هذه الحالة ستلجأ إيران إلى كسر الحصار عبر تفجير الأوضاع في الخليج وفي العراق ولبنان وفلسطين؟ وهل سيتطور ذلك إلى حرب أو سلسلة حروب في المنطقة؟

إن الرهان على الوضع الداخلي في إيران رهان صعب التحقيق؛ ذلك أن التوترات الخارجية ستضعف قدرة المعارضة الداخلية وستؤدي إلى مزيد من تشدد وتصلب القيادة الإيرانية.

والسؤال الكبير: هل ستكون الحرب هي الحل لأزمة الصراع بين الولايات المتحدة

الأميركية وحلفائها من جهة وبين إيران من جهة ثانية؟ وهل سيؤدي ذلك إلى تغيرات كبرى إقليمية ودولية؟ وهل ستبقى الولايات المتحدة الأميركية الدولة الأعظم المهيمنة؟

من الواضح أنه في ضوء المعطيات الراهنة ستبقى المنطقة تحت ضغط الصراع العربي الإسرائيلي من جهة والصراع بين الولايات المتحدة الأميركية وحلفائها وبين إيران، هل سيكون تفكيك حلقات القوة التي تمتلكها إيران سلمًا أو عبر حروب؟

في كل الأحوال ستبقى منطقة الشرق الأوسط منطقة القلق والخوف واختلال الأمن، ولن تستعيد توازنها في غياب نظام عربي يضمن مصالح العرب وسيادتهم وحقوقهم، ويشكل هذا النظام عامل التوازن بين القوى الدولية وبين القوى الإقليمية.

الأمر الخطير في مجمل هذه الأوضاع غيابُ العرب الذين يدور الصراع على أرضهم وعلى حساب أمنهم واستقرارهم ومستقبلهم.

* * *

الفصل الثالث

مرتكزات العلاقات السورية الإيرانية

كانت البدايات الأولى للعلاقات بين سورية وبين قيادة الثورة الإسلامية عبر المعارضة الإيرانية لنظام الشاه والتي أقمنا مع بعض فصائلها علاقات جيدة، وكان للسيد موسى الصدر رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان الدور الرئيسي في تلك العلاقات عبر حزب تحرير إيران، والذي كان من أبرز قياداته السادة: مهدي بازركان، والدكتور إبراهيم يزدي، وصادق طبطبائي، وصادق قطب زاده، ومصطفى شمران، وقد أصبح فيما بعد نجاح الثورة السيد مهدي بازركان رئيسًا للوزراء في إيران، والسيد صادق طبطبائي نائبًا لرئيس الوزراء، والدكتور إبراهيم يزدي وزيرًا للخارجية، وخلفه بعد استقالته السيد صادق قطب زاده، والسيد مصطفى شمران تولى وزارة الدفاع.

استقبلنا نجاح الثورة الإسلامية بقيادة آية الله الخميني بسرور كبير وبتفاؤل عميق في وقت كانت ترزح المنطقة تحت ضغط الانقسامات العربية والاعتداءات الإسرائيلية.

بادر الرئيس حافظ الأسد بإرسال رسالة تهنئة حارة إلى آية الله الخميني أكد فيها حرص سورية على التعاون الشامل مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، كما عبر عن ارتياح الشعب السوري لنجاح الثورة.

في مطلع شهر آب عام ١٩٧٩ تلقيت دعوة من وزير خارجية إيران الدكتور إبراهيم يزدي، وقد وصلت طهران في الخامس عشر من آب ١٩٧٩، وكان في استقبالي في المطار الدكتور إبراهيم يزدي، والسيد صادق طبطبائي، وعدد من المسؤولين الإيرانيين.

استقبلت في المساء السيد صادق طبطبائي والذي كان يتميز بوعيه السياسي بالإضافة إلى ثقافته الواسعة وجمع بين الالتزام الديني والعقل المتحرر، وهو كما أشرت ابن شقيقة السيد موسى الصدر، وكان من القادة الأكثر حماسًا للعلاقات مع سورية.

مما لفت نظري عندما كنت في جناحي في الفندق وفتحت التلفزيون وفاجأتني العبارة

التالية والتي كانت تتكرر من وقت إلى آخر ونصها: «علموا أبناءكم العربية فهي لغة أهل الجنة». وقد أثر ذلك في نفسي تأثيرًا كبيرًا.

في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي - حوالي الثالثة فجرًا - دخل أحد مرافقيَّ إلى غرفة نومي وأيقظني وأبلغني أن الشيخ محمد منتظري ومعه مجموعة يريدون اللقاء معي، استغربت أن تكون الزيارة في هذا الوقت ودون طلب موعد، فطلبت من المرافق إدخالهم إلى غرفة الاستقبال بينما أرتدي ثيابي.

كان الشيخ محمد منتظري شابًا متحمسًا للثورة وبدأ حديثه بالحملة على حزب البعث وعلى البعثيين، وأخذ يكيل التهم لبعض البعثيين القياديين في العراق، ثم استرسل في شرح أهداف الثورة والتي ستغير العالم وكان عليَّ أن أسمع لأني أدركت أن الحوار معه غير مُجدٍ، وبعد حوالي ساعتين طلب أن نُصلي صلاة الفجر، وكان له ما أراد وغادر مع شروق الشمس.

في الساعة الحادية عشرة توجهت للقاء الدكتور مهدي بازركان رئيس مجلس الوزراء، وكان حاضرًا الدكتور إبراهيم يزدي وزير الخارجية، والسيد صادق طبطبائي نائب رئيس الوزراء، وتحدث الدكتور بازركان عن أهداف الثورة وعن الإجماع الشعبي لتأييدها، وكان يتحدث بثقة وحرارة، ثم تناول الحديث العلاقات السورية الإيرانية فأكد على أن الثورة الإسلامية في إيران ستعمل على بناء علاقات قوية مع سورية الشقيقة.

أخذت الحديث وهنأتهم بنجاح الثورة باسم القيادة السورية كما تحدثت عن الآمال الكبرى التي نعلقها على نجاحها في نقل إيران من مرحلة إلى مرحلة جديدة يتكامل فيها التعاون العربي الإيراني.

حدثني عن رؤيتهم للقضية الفلسطينية وتصميمهم على تبني هذه القضية باعتبارها قضية المسلمين الأولى.

تحدثت عن الأهداف المشتركة في مقاومة الحركة الصهيونية وإسرائيل وفي مواجهة الإمبريالية الأميركية والأطماع الأجنبية، وكانت وجهات نظرنا متفقة تمامًا.

ومن الجدير بالذكر أن السادة: مهدي بازركان رئيس الحكومة، وصادق طبطبائي نائب رئيس مجلس الوزراء، وإبراهيم يزدي وزير الخارجية، ومصطفى شمران، وحسن حبيبي، وصادق قطب زاده، كانوا من حزب تحرير إيران الذي كان يرأسه السيد مهدي بازركان، وكان السيد موسى الصدر الأب الروحي لذلك الحزب.

شارك الدكتور يزدي والسيد طبطبائي في الحديث، وكانت أحاديثهم بنفس الاتجاه، وركز الجميع على أهمية تنمية العلاقات بين الثورة الإسلامية في إيران وسورية، وأن يكون التعاون وثيقًا ضد إسرائيل والإمبريالية الأميركية.

هذا وكنت في الساعة الثامنة صباحًا توجهت إلى وزارة الخارجية لإجراء محادثات مع الدكتور إبراهيم يزدي، وعندما دخلنا قاعة الاجتماعات فوجئت بوجود عدد من موظفي الوزارة، وبعد جلوسنا طلب الدكتور يزدي الوقوف وبدؤوا بتلاوة آيات من القرآن الكريم، وبعد ذلك جلسنا. عبرت عن ارتياح الشعب السوري والقيادة في سورية لنجاح الثورة الإسلامية في إيران، والتي تعتبر تحولاً عميقًا في مسار الأحداث في المنطقة، وركزت على أهمية التعاون بين سورية وبين الثورة الإسلامية في إيران، كما ركزت على الأهداف المشتركة فيما بين الجانبين.

تحدَّث الدكتور يزدي عن الثورة الإسلامية في إيران وعن أهدافها الرئيسية، ووضع في المقدمة تحرير فلسطين ومواجهة الاستكبار العالمي، وأكد أن التعاون بين الثورة الإسلامية وسورية ستكون له نتائج مثمرة بالنسبة للشعبين وللمسلمين.

اتفقنا على تنمية العلاقات واستمرار التشاور بين الدولتين والتعاون في جميع المجالات وتنسيق الجهود والمواقف باتجاه مجمل القضايا التي تهمنا، وفي اليوم الثاني شاركت بصلاة الجمعة في جامعة طهران بمناسبة يوم القدس، وكانت الصلاة والاحتفال بالمناسبة ملفتين للنظر من حيث حجم المشاركين الذين تجاوزوا بضع مئات الألوف والهتافات للقدس والموت لإسرائيل.

كان مشهدًا رائعًا أن ترى مئات الألوف يؤدون صلاة الجماعة ويهتفون من أعماقهم لفلسطين، في تلك المناسبة ألقيت خطابًا عبرت فيه عن موقفنا من القضية الفلسطينية عامة ومن القدس بصورة خاصة، ووجهت التحية للثورة الإسلامية في إيران ولقائدها آية الله الخميني، وتمنيت النجاح للثورة لتحقيق أهدافها، وفي اليوم الثالث للزيارة رافقني الدكتور إبراهيم يزدي إلى قم لمقابلة آية الله الخميني، وبذلك كنت أول مسؤول سوري، بل المسؤول السوري الوحيد الذي اجتمع به، وصلنا ظهرًا وتوجهنا إلى منزل قائد الثورة الإسلامية في حي شعبي ودخلنا منزلاً بسيطًا في ذلك الحي، وفي مدخل المنزل غرفة صغيرة فيها مكتب وطاولة يجلس عليها شيخ، وبعد أن سلمنا عليه دخلنا إلى غرفة ثانية صغيرة طولها لا يتجاوز المترين والنصف وعرضها كذلك وعلى أرضها بساط عادي وكان الإمام الخميني جالسًا

فنهض لاستقبالنا، كان الرجل يجلس على الأرض وكذلك فعلنا، كان يستمع إلى محدثيه من العرب باللغة العربية ويجيبهم باللغة الفارسية.

بعد تبادل التحيات رحَّب بي وقدمت له التهاني باسم سورية والرئيس حافظ الأسد بنجاح الثورة الإسلامية بقيادته، وعبرت عن الآمال الكبرى التي نعلقها على نجاح الثورة لا سيما في مواجهة العدوان الصهيوني، كما نقلت له تحيات الرئيس حافظ الأسد وأكدت له أن الشعب السوري حريص على أوثق العلاقات مع إيران ونحن نقدر حجم التطور الهائل الذي ستطلقه الثورة في الوقت الذي نواجه فيه العدوان الصهيوني والضغوط الأميركية.

تحدث آية الله الخميني حديثًا قصيرًا، ولكنه كان حازمًا وواضحًا، وأكد أن الثورة الإسلامية حققت انتصارها على الطاغوت والظلم اعتمادًا على الشعب، وأن الثورة ستكون مع المظلومين والمحرومين، وأنها ستقف إلى جانب الشعب الفلسطيني وستواجه قوى الاستكبار العالمي، وأن المسلمين سينتصرون على الظلم والعدوان والقهر، طلب إليَّ نقل شكره للرئيس حافظ الأسد وتحياته له وحرصه على العلاقات المتينة مع سورية.

كانت المقابلة قصيرة ورمزية، لكنها كانت بالغة الأهمية من حيث معرفتي تصميم الرجل الذي لمسته لدى كل عبارة كان ينطق بها، كان واثقًا بالنفس وواثقًا بالنصر النهائي لثورته.

لقد خرجت وأنا واثق، أن هذا الرجل سيحقق الكثير من طموحاته فهو لا يأكل أكثر مما يأكله فقراء إيران، ولا يلبس أفضل مما يلبسه عامة الناس، ولا يجلس على مقاعد الحرير، ولا يعيش في قصور مليئة بالأضواء والتحف، من الصعب أن يُهزم لأن أنماط حياته وتفكيره كانت سابقةً زمنه.

عدت إلى دمشق، وفي الواقع كنت معجبًا لما رأيته من تنظيم وتصميم لدى كافة القياديين الذين اجتمعت بهم، كانت لهم قضية واحدة وهي تحقيق أهداف الثورة، ومن الملفت أن وحدة الأهداف لم تمنع الخلافات بين القياديين في الدولة حول أساليب العمل للوصول لتحقيق الأهداف.

كنت متيقنًا أن إيران دخلت مرحلة جديدة ستكون لها ما بعدها من وقائع وأدوار في السياستين الإقليمية والدولية.

لم يكن النظام الجديد نظامًا شموليًا بمعنى الكلمة، ففيه من الشمولية مركزية القرار عند قائد الثورة، ولم يكن نظامًا ديمقراطيًا، وفيه من الديمقراطية حق الاختلاف في الرأي.

كان الجميع يتكلم بحُرية ولكن في إطار أهداف الثورة، يختلفون في التفسير ولكنهم موحَّدون في الموقف.

بعد عودتي إلى دمشق عرضت مجريات الزيارة على الرئيس حافظ وعلى قيادة الحزب، وكانت وجهة نظري أن كل الظروف متوفرة للتعاون مع النظام الجديد في إيران رغم التناقض بين طبيعة نظامنا وطبيعة النظام الإسلامي في إيران؛ ذلك أن لكل مرحلة ظروفها ومتطلباتها، وما يصلح في مرحلة قد لا يصلح في مرحلة أخرى.

* * *

في تلك المرحلة كانت الخلافات عميقة بين القيادتين السورية والمصرية بسبب توقيع معاهدة الصلح مع إسرائيل، كما كانت العلاقات السورية العراقية في أسوء حالاتها، بالإضافة إلى توتر الوضع في لبنان مع الجبهة اللبنانية من جهة، ومع منظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية، ومع إسرائيل من جهة ثالثة.

في تلك المرحلة أخذنا خيارين أساسيين كان لهما دور كبير في تحديد مسار السياسة السورية: الأول توقيع معاهدة الصداقة والتعاون مع الاتحاد السوفيتي، والخيار الثاني إقامة تحالف مع الجمهورية الإسلامية.

كانت خياراتنا محدودة: الحرب مع إسرائيل غير ممكنة بسبب تغيير عناصر أساسية في المعادلة بعد خروج مصر، والخلاف مع العراق مما أدى إلى اختلال كبير في توازن القوى، كما أن تحريك المقاومة للاحتلال في سورية من الناحية الموضوعية لم يكن ممكنًا بسبب طبيعة النظام وعدم قدرته على تحمل نتائج المقاومة، فالمقاومة تتطلب وضعًا شعبيًا مهيئًا لتحمل الأعباء كما تتطلب نظامًا سياسيًا يرتكز على الشعب، وهذا الأمر غير ممكن لأن نظام الحكم قائم على استئثار رئيس الدولة بالسلطة وبالقرار.

لقد وفَّر خيار التوقيع على معاهدة الصداقة مع السوفييت دعمًا سوفيتيًا عسكريًا وسياسيًا يحدّ من إمكانية تعرض سورية لعدوان إسرائيلي بسبب الالتزامات السوفيتية بموجب المعاهدة.

ورغم أن إيران كانت في حالة حرب مع العراق كانت ثقتنا كبيرة أن الجمهورية الإسلامية تُشكل حليفًا قويًا لنا، وفي هذا التحالف مصلحة وطنية، كما يُشكل مصلحة عربية لأنه يساعد في عدم انتشار الحرب في منطقة الخليج.

كانت لنا الأهداف التالية من هذا التحالف:

(أ) دعم موقفنا من الصراع مع إسرائيل، وبصورة خاصة فإن الثورة الإسلامية اتخذت مواقف صلبة منذ الأيام الأولى لنجاح الثورة الإسلامية في دعم الشعب الفلسطيني وفي الدعوة لتحرير فلسطين.

(ب) إسقاط النظام العراقي الذي وضعنا في حالة حرب معه في الوقت الذي كان يحارب إيران.

(جـ) تجنيب الدول العربية في الخليج امتداد الحرب إليها؛ لأن ذلك سيؤدي إلى إغراق المنطقة في ويلات الحرب من جهة، ومن جهة ثانية سيدفع الدول العربية للاحتماء بالولايات المتحدة الأميركية وتنقطع الصلة بينها وبين ساحة الصراع مع إسرائيل.

ترسخت القناعة لدينا أن هذا التحالف رغم التناقض العقائدي بين نظامنا العلماني ونظام الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ لأن القضايا الرئيسية لم يكن بيننا خلاف حولها.

(د) مقاومة السياسة الأميركية في المنطقة والعمل على إفشالها.

لم يكن في ذهننا عندما اتخذنا قرارًا بالتحالف مع إيران تشكيل قوة إقليمية لتحرير فلسطين؛ لأن العوامل القائمة آنذاك لم تكن متوفرة، ولكن قضية فلسطين والصراع مع إسرائيل كانا من العوامل الجامعة بيننا وبين إيران، ومن جهة ثانية فإن التوازنات الدولية والإقليمية تعارض بشدة تشكيل هذه القوة الإقليمية.

لقد بدأ التحالف في الموقف من النظام العراقي، وفي الموقف من العدوان الإسرائيلي والضغوط الأميركية، ولم يبدأ بحوار مباشر وإنما بالسلوك العملي للدولتين، وبتنسيق المواقف نما هذا التحالف وتعمّق وأخذ أبعاده في الساحة السياسية والإعلامية، في تلك المرحلة كان هدف الجانبين المركزي إسقاط النظام في العراق، وعملنا كل ما يمكن القيام به لتحقيق ذلك سواءً عَبْر الحرب التي كانت تخوضها إيران، أو عَبْر العمل مع أطراف المعارضة العراقية ومساندتها لتحقيق ذلك.

أما في مجال المواجهة مع إسرائيل فقد عمل الجانبان معًا على دعم المقاومة في لبنان، وعلى دعم الفصائل الفلسطينية، وتبني سياسات معارضة للسلام مع إسرائيل.

آنذاك لم يكن لسورية استراتيجية بعيدة المدى، ولم تكن لها طموحات في بناء نظام عربي جديد بعد خروج مصر وازدياد تفكك النظام العربي، كانت طموحاتنا دفاعية والحفاظ على

الوضع الراهن وليس على انهياره، لم تكن لدينا طموحات في استعادة عملية الوحدة مع العراق لأن كل عواملها قد سقطت، وكل ما كنا نطمح له سقوط النظام العراقي، لم تكن لدينا آنذاك طموحات لتحرير فلسطين، وإنما كانت طموحاتنا مركزة على استنزاف إسرائيل عَبْر المقاومة في لبنان انتظارًا لمرحلة جديدة يكتمل فيها العقد العربي، ولم يكن ذلك واضحًا أمامنا في أي زمن يتحقق ذلك، وبكلمة أخرى فإن أهدافنا كانت أهدافًا تكتيكية لمواجهة الحالة الراهنة، ولم تكن أهدافًا استراتيجية لبناء حالة جديدة.

في الواقع فإن طبيعة النظام لم تكن تسمح أن تكون لسورية استراتيجية بعيدة المدى، وإنما أنتجت ساحة يستطيع فيها النظام المناورة، بالإضافة إلى كل ذلك فإن النظام نفسه لم يوفر عوامل القوة الذاتية، لأن ما كان يشغله الحفاظ على أمنه دون الأخذ بالاعتبار أن الأمن الحقيقي لا يتوفر في ظل الانفراد بالسلطة ووحدانية القرار، الأمر كان مختلفًا بالنسبة لإيران، فالقيادة الإيرانية كانت لديها استراتيجية واضحة تهدف إلى بناء دولة قوية يمتد نفوذها من البحر الأبيض المتوسط إلى حدود أفغانستان، وهي تخوض حربها ضد العراق من أجل بناء تلك الاستراتيجية، كما تخوض صراعها ضد النفوذ الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأميركية من أجل تعزيز هذه الاستراتيجية واعتبارها جزءًا من الحياة اليومية النفسية والفكرية والمادية للمواطنين في إيران، كانت الثورة التي قادها آية الله الخميني ليست هادفة فقط إلى تغيير إيران، بل تغيير العالم الإسلامي، ففي الوقت الذي كانت تحارب فيه كانت تبني عوامل القوة البشرية والسياسية خارج إيران، كما كانت تبني عوامل القوة المادية والسياسية والنفسية داخل إيران.

يجب الاعتراف أن إيران كانت تعمل في ظل استراتيجية واضحة المعالم، وحضّرت الشعب الإيراني لتحمل سياساتها، بكلمة أخرى كانت للقيادة الإيرانية طموحات كبرى، فعملت في هديها.

وبالمقابل فالأمر كان مختلفًا في سورية، لم يكن لدى قيادة النظام طموحات كبرى، كما لم يكن في الذهن خوض حرب لتحرير الجولان، وكانت الحرب آخر الأمور التي تفكر بها قيادة النظام بعد أن وقعت مصر معاهدة سلامها مع إسرائيل وبعد انهيار العلاقات بيننا وبين العراق، بالإضافة إلى عامل آخر وهو العجز في بناء الدولة وبناء مؤسساتها.

عندما تتحول الدولة إلى مزرعة تصبح بدون جدران حماية، وعندما يفقد الشعب دوره تصبح الدولة عارية من كل أسباب الحماية، لقد سقطت طموحات النظام.

إن وضع الأهداف الكبرى للدولة يتطلب شجاعة كبرى، شجاعة في الفكر والرؤية، وشجاعة في التفكير وفي التغلب على الذات وعلى المصالح، وهذه العوامل تشكل البيئة الملائمة لوضع استراتيجية بعيدة المدى ذات أهداف كبرى.

ببساطة نجحت إيران في توظيف علاقاتها مع سورية في تحقيق مجموعة من الأهداف منها: أن سورية ساهمت في عدم تحول الحرب بين إيران والعراق إلى حرب إيرانية عربية، كما حققت إيران نجاحًا في بناء قاعدة لها في لبنان عبر تأسيس حزب الله الذي خدم السياستين السورية والإيرانية في استنزاف إسرائيل وفي إخراجها من لبنان، كما شكل حزب الله تحت المظلة السورية الإيرانية قوة تخدم الأهداف الاستراتيجية الإيرانية في المنطقة، كما ساعدها على الانتشار في الساحة الفلسطينية.

إن نمو العلاقات آنذاك بين سورية وإيران لم يكن أبدًا على حساب مصالح أي منهما في مجال علاقاتنا الثنائية، وعندما تصطدم المصالح كان يتمسك كل فريق بمصالحه، وأعطي مثالاً على ذلك: كانت سورية تستورد النفط من إيران خلال الحرب العراقية الإيرانية، وكانت الظروف المالية لسورية لا تساعد في السداد، فاجأتنا الحكومة الإيرانية باتخاذ قرار بوقف توريد النفط إلى سورية مما وضعنا في حالة محرجة، وبعد ضغوط واتصالات قام بها الجانب السوري تم التوقيع على اتفاقية لتسديد الديون المستحقة على سورية بصورة مقسطة.

كان التحالف مع إيران مرتبطًا بمواضيع معينة: مسألة إسقاط النظام العراقي، الصراع مع إسرائيل، مواجهة الضغوط الغربية على النظامين، ومن المفيد الإشارة أن هذا التحالف لم يُشكّل حاجزًا أمام أي منهما في علاقاته مع طرف ثالث.

كانت اللقاءات تجري بنشاط بين القيادتين في البلدين - سواء في دمشق أو في طهران - لمناقشة كل الأوضاع والتطورات وتحديد المواقف منها.

ومع قيام هذا التحالف فلم تتوقف بعض أطراف الدول العربية عن الضغط على سورية من أجل المصالحة مع العراق وتجميد العلاقات مع إيران، غير أن تلك الضغوط لم تنجح في تحقيق أي اختراق جدّي رغم اللقاءات المتعددة التي جرت بين مسؤولين سوريين وعراقيين بما فيها لقاءات بين الرئيس حافظ الأسد ونظيره صدّام حسين.

كان الجانب السوري متمسكًا بالتحالف مع إيران، مدركًا أن سقوط هذا التحالف سيزيد من الضغوط عليه من جهة، ومن جهة ثانية ستتسع ساحة الصراع المسلح بين إيران والدول

العربية مما كان أن يدفع دولاً أجنبية للتدخل، وهذا أمر كان بالغ الخطورة بالنسبة لنا.

جميع المؤشرات قبل إعلان الاتهام العراقي لسورية بالتآمر كانت تدل على أن النظام في العراق يُحضّر أمرًا ضد الثورة الإيرانية.

بعد نجاح الثورة الإسلامية في إيران وانطلاق القادة الإيرانيون بإطلاق شعارات ثورية زاد القلق في الدول العربية في الخليج، وفي هذا المناخ تورط النظام العراقي في إشعال فتيل الحرب مع إيران.

لم يكن صَدّام حسين بحاجة للأسباب، والتي توافرت لديه بسبب طموحاته التي كانت أوسع وأكبر من قدراته فكيف إذا حظي بدعم عربي وغربي وفي المقدمة الولايات المتحدة الأميركية والتي كانت لها دور في تحريض صَدّام حسين عبر بعض الدول العربية الصديقة لها، ولم تكن زيارة نائب الرئيس الأميركي آنذاك جورج بوش الأب إلى بعض دول المنطقة بمعزل عن عملية التحريض لإطلاق الحرب ضد الثورة الإسلامية في إيران والتي كانت أطلقت حربها ضد الولايات المتحدة الشيطان الأكبر كما وصفها آية الله الخميني.

كانت إيران هدفه الأول، وكانت سورية بعد النصر على إيران هدفه الثاني، ولم تُخفي القيادة العراقية هذا الهدف، ففي لقاء في موسكو بين السيد خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني الفلسطيني والسيد نعيم حداد عضو القيادة القطرية ورئيس مجلس الشعب في العراق، وخلال النقاش حول الحرب بين العراق وإيران وردًا على انتقادات السيد خالد الفاهوم لتورط العراق في هذه الحرب قال نعيم حداد: خلال أسبوعين سنكون في طهران، وبعدها سنكون عندكم في دمشق.

عندما أبلغنا السيد خالد الفاهوم هذه الواقعة أدركنا خطورة ما تخطط له القيادة العراقية في المنطقة، وما يمكن أن ينتجه هذا التفكير الجنوني من أخطار كبرى، ليس فقط على إيران ودول المنطقة ومنها سورية وإنما على العراق نفسه بصورة أساسية.

كان قلقنا على العراق الدولة والشعب كبيرًا، ولم يكن على النظام الحاكم، وأدركنا أن صَدّام حسين وقع في مصيدة سيدفع العراق ثمنها.

عندما تم الإعلان عن الصِّدام بين القوات العراقية والقوات الإيرانية ودخول القوات العراقية الأراضي الإيرانية لم يكن في ذهننا اتخاذ موقف ضد العراق أو ضد إيران، وأجرى الرئيس حافظ الأسد اتصالات مع بعض الرؤساء العرب من أجل العمل على وقف القتال،

مؤكدًا أن عدم توقيفه الآن سيجعل من الصعب وقف الدم والدمار بين الدولتين، ومن الرؤساء الذين اتصل بهم الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد، وأمير دولة الكويت، وولي عهد السعودية الأمير فهد بن عبد العزيز.

بعد انفجار الوضع العسكري اتصل بي الرئيس حافظ وطلب إليّ الاجتماع برؤساء المؤسسات الإعلامية والطلب إليهم وقف الحملات الإعلامية ضد العراق؛ لأننا لا نريد استمرار هذه الحملات والعراق يحارب، بغض النظر عن رأينا في هذه الحرب، كما طلب نشر أخبار الحرب كما ترد من الطرفين. وفعلاً اجتمعت بمكتب وزير الإعلام مع كافة رؤساء المؤسسات الإعلامية، وعرضت عليهم الوضع السياسي وأعطيتهم التوجيهات التي وجه بها الرئيس حافظ.

وبعد أيام ظهر وزير الدفاع العراقي على شاشة التلفزيون وأعلن أسر عدد من الجنود السوريين يقاتلون إلى جانب القوات الإيرانية، وتبع ذلك حملة هيستيرية من الإعلام العراقي والقيادات العراقية ضد سورية وضد قياداتها، وكان واضحًا أن هدف هذه الحملة تعبئة الرأي العام العراقي ضد سورية، فالشعب الذي زج به في الحرب أمر طبيعي أن يتأثر بمثل هذه الحملات.

وفي السادس من تشرين الأول ١٩٨٠ استدعى السيد ناصر قدور معاون وزير الخارجية آنذاك القائم بالأعمال العراقية في دمشق وأبلغه ما يلي:

دأبت الحكومة العراقية منذ بدء القتال مع إيران على مهاجمة القطر العربي السوري عبر مختلف وسائل الإعلام العراقية وتجاهلنا الأمر بسبب ظروف القتال العراقي ـ الإيراني، لكن سكوتنا لم يمنع الحكومة العراقية من متابعة حملاتها واتهاماتها الباطلة، وكان آخر هذه الاتهامات تصريح وزير الدفاع العراقي حول وجود جنود سوريين وليبيين في صفوف القوات الإيرانية، ونحن في الوقت الذي نستنكر فيه هذه الاتهامات ونحتج عليها بشدة نُحمّل الحكومة العراقية مسؤولية النتائج التي تترتب على مثل هذه الاتهامات.

وفي التاسع من شهر تشرين الأول أصدرت الحكومة العراقية قرارًا بقطع علاقاتها مع سورية بحجة قيام سورية بتقديم مساعدات عسكرية لإيران. بعد صدور هذا القرار أعدنا طرح السؤال الكبير التالي: ما هي مصلحة العراق أن يستمر في حملته ضد سورية ويصعد الحملة وهو يخوض حربًا ضارية مع إيران؟

لقد جاء الجواب واضحًا على لسان السيد نعيم حداد الذي كان يشغل منصب رئيس

مجلس الشعب في العراق، وقد التقى في برلين بالسيد خالد الفاهوم رئيس المجلس الوطني الفلسطيني، وجرى حوار حول الحرب والحملات العراقية ضد سورية، فقال السيد نعيم حداد: خلال أيام ستنتهي الحرب وتسقط الثورة في إيران، وبعدها مباشرة يسقط النظام في سورية.

كانت القيادة العراقية تعتقد أن مجرد دخول الجيش العراقي إيران، التي كان جيشها قد انهار بعد الثورة، ستستسلم الثورة، ويعود صَدَّام المنتصر من طهران إلى دمشق، ولتبرير هذه العودة، والدخول في صراع عسكري مع سورية، مهّد لذلك باتهام سورية بمشاركة إيران في الحرب، وإرسال مقاتلين سوريين يقاتلون إلى جانب القوات الإيرانية.

كانت حسابات القيادة العراقية خاطئة، فإيران لم تسقط، وملايين الإيرانيين توجهوا بدعوة من قائدهم آية الله الخميني إلى جبهات القتال، وصمدت إيران تحت ضرب الصواريخ والطائرات العراقية، وتغير اتجاه الحرب، وشنت القوات الإيرانية الهجمات المعاكسة لتستعيد أراضيها وتدخل في الأراضي العراقية.

وكانت حساباته خاطئة بالنسبة لسورية؛ ذلك لأننا خلال الأزمة وفي مختلف مراحلها كنا نتجنب الانزلاق إلى صراع عسكري، وفي رأينا أن مثل هذا الصراع سيكون قاتلاً لكل من سورية والعراق والأمة العربية، وسيقيم سدًّا من الأحقاد بين الشعبين والجيشين الشقيقين، وبذلك تجني إسرائيل الأرباح.

هذه كانت خلفية مواقفنا، وقد ظنت تلك القيادة ضعفًا منا وعدم قدرتنا على المواجهة، فرتبت أمورها مع سورية، كما رتبتها مع إيران، وكان كل الترتيب مبنيًا على الخطأ وسوء التقدير فأصاب العراق ما أصابه.

وضع النظام العراقي سورية أمام حل واحد؛ وهو الوقوف ضد الحرب التي شنها على إيران، كما ساهم ذلك في نمو علاقات مباشرة وجدية بين سورية وإيران.

المرحلة الأولى: كان العداء لصَدَّام حسين هو القاسم المشترك بين دمشق وطهران، ومع تطور الأوضاع سواء في ساحة الحرب أو في المنطقة فقد تحولت العلاقات من نقطة التقاطع التي كانت نظام صَدَّام حسين إلى تحالف بين الدولتين شمل قضية الصراع مع العراق، والصراع مع إسرائيل، والوضع في لبنان، والعلاقات السورية الإيرانية مع دول الخليج.

رغم التناقض الفكري والعقائدي بين النظام الحاكم في سورية وبين الثورة الإسلامية

في إيران فقد نمى تحالف عززته المصالح المشتركة والقلق المشترك، وتوسعت العلاقات لتشمل مجموعة من القضايا الأساسية لكل من الدولتين كما نمت علاقات في مجال المصالح الاقتصادية بينهما.

كانت الوفود بين العاصمتين تنشط، ولم يمضِ شهر واحد دون استقبال وفد إيراني في دمشق أو وفد سوري في طهران، وفي كل لقاء كان يجري نقاش معمق للأوضاع الراهنة ولوسائل العمل المشترك وللعمل السياسي في مختلف الساحات.

تحولت قضية الحرب العراقية الإيرانية إلى قضية ذات اهتمام كبير لدى النظام في سورية، كما تحولت قضية الصراع العربي الإسرائيلي إلى قضية عقائدية في إيران، كما أن الحرص على عدم توسع الحرب وعدم استفزاز دول الخليج كان قاسمًا مشتركًا في سياستَي البلدين رغم حدوث إشكالات مقلقة بين وقت وآخر.

كان التعاون السياسي واسعًا في جميع المجالات، كانت سورية تتبنى الدفاع عن السياسة الإيرانية في جميع المؤتمرات والاجتماعات والمنتديات العربية والدولية.

قدمنا للثورة الإسلامية كل أنواع المساعدات والدعم السياسي، وتعرضنا إلى أضرار كبرى بسبب وقف الدول الخليجية مساعداتها إلى سورية، وحاولت القيادة الإيرانية التعويض عن ذلك عبر تقديم مساعدة بمليون برميل نفط سنويًا بالإضافة إلى مجموعة من الاتفاقات الاقتصادية.

في المجال العسكري ساعدت الحكومة السورية إيران بإقناع الاتحاد السوفيتي بالإيعاز إلى دول أوربّا الشرقية ببيع إيران، وبالفعل فقد تم ذلك عبر سورية؛ فكانت العقود توقَّع باسم سورية وكانت إيران تدفع قيمة الأسلحة التي تورد إلى مرفأ اللاذقية، ومنه بالطائرات إلى طهران، والدول التي تعاقدت على الأسلحة كانت بلغاريا وتشوكوسلوفاكية بصورة خاصة.

أما فيما يتعلق بأسلحة سورية فلم تقدم دمشق لطهران من أسلحة الجيش السوري أي شيء.

كان أكثر ما يُقلق الرئيس حافظ الأسد الخوف على النظام، وكان خوفه متقدمًا على القضايا الأخرى في تلك المرحلة، بما في ذلك القضايا ذات الصلة بالوحدة الوطنية.

من خلال هذا الخوف تأتي أهمية لبنان في عقل الرئيس حافظ الأسد، لبنان ممكن أن يكون

ساحة يستخدمها أعداء سورية، كما يمكن أن يكون ساحة يستخدمها النظام ضد أعدائه وفي تعزيز النظام وسياساته.

لم يكن في ذهنه ضم لبنان إلى سورية أو عدم الاعتراف بشرعية الدولة اللبنانية، وإنما كان الأمر يتعلق بالإمساك في لبنان وتوجيه سياساته الخارجية، وإغلاق النوافذ أمام إسرائيل وأمام خصوم سورية وخصوم نظامها من استخدام لبنان.

لم يكن يثق بالقيادات المسيحية، رغم أن التدخل العسكري السوري كان بناء على طلبها يوم كان الضغط العسكري شديدًا على المناطق المسيحية من قبل الحركة الوطنية والمنظمات الفلسطينية، آنذاك اتصلت قيادة الجبهة اللبنانية والرئيس سليمان فرنجية فتقرر الدخول.

كان يثق فقط بالرئيس سليمان فرنجية، أما الآخرون فكان الموقف منهم يرتبط بالظروف؛ أحيانًا يتعامل معهم كحلفاء وأحيانًا كأعداء.

لم يكن يثق بالقيادات السياسية للمسلمين السنة، فهم في رأيه مرتبطون بالمملكة العربية السعودية ولا يؤتمن لهم، كان أول ضحايا هذا الموقف عزل الرئيس صائب سلام رغم الجهود التي بذلتها حتى لا يبعد الرجل؛ فهو جزء من تاريخ لبنان،كما أن والده كان أحد القادة الأساسيين في لبنان الذين تعاطفوا في تلك المرحلة مع سورية.

كان الرئيس رشيد كرامي يحظى بثقة الرئيس حافظ الأسد، رغم أن الرئيس كرامي في مرحلة الدخول إلى لبنان كان يقف في الجهة الأخرى مع الحركة الوطنية والمنظمات الفلسطينية شأنه شأن معظم المسلمين السنة وقادتهم السياسيين، والثقة بالرئيس رشيد كرامي من أسبابها الرئيسية أنه الزعيم الإسلامي الذي لم تكن له علاقات مع المملكة العربية السعودية، بالإضافة إلى عدم مساومته في الأمور الداخلية حول العلاقات مع سورية.

كان يعتبر الطائفة الشيعية هي الأكثر قربًا من النظام في سورية، والأكثر استجابة للنظام، ولم يكن يثق بالقادة السياسيين التقليديين لهذه الطائفة، كانت ثقته عميقة بالسيد موسى الصدر، وبعد غيابه فقد انتقلت الثقة إلى الأستاذ نبيه بري، أصبح السيد نبيه بري موضوع الثقة رغم أن بعض القادة أمثال السيد حسين الحسيني كانوا يحملون راية السياسة السورية في لبنان.

أصبح السيد نبيه بري السياسي الأبرز في طائفته، وحظي بدعم كامل سياسيًّا وعسكريًّا، وأصبحت حركة أمل هي المليشيا المسلحة الأكثر التصاقًا مع النظام في سورية، وساعدناها

في نزاعاتها مع حركة المرابطين ومع الحزب التقدمي الاشتراكي ومع الفلسطينيين، ثم مع حزب الله.

لعبت حركة أمل دورين رئيسيين في إطار السياسة السورية: الأول في مواجهة قوى الجيش اللبناني والقوات اللبنانية، وإسقاط اتفاقية السابع عشر من أيار، وساعد بدوره السيد وليد جنبلاط في الضغط العسكري على القوات اللبنانية في منطقتي الشوف وعالية مما دفع الرئيس اللبناني أمين الجميل إلى القبول بتسوية أسقطت فيها اتفاقية السابع عشر من أيار عام ١٩٨٣.

أما الدور الثاني فقد كان في الجنوب وكان لحركة أمل دور رئيسي في مقاومة الاحتلال.

لم يكن لإيران نفوذ في لبنان أو وجود سياسي أو عسكري قبل عام ١٩٨٠، كان الوجود الإيراني رمزيًّا يتمثل بمجموعة من المعارضة الإيرانية تعمل في ظل السيد موسى الصدر، ومن بين هؤلاء: السيد مصطفى شمران والذي أصبح وزيرًا للدفاع بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران.

كان الدخول الإيراني الأوسع والفاعل إلى لبنان خلال الاجتياح الإسرائيلي للأراضي اللبنانية في مطلع حزيران عام ١٩٨٢؛ إذ اتخذت آنذاك القيادة الإيرانية قرارًا بإرسال لواء من الحرس الثوري إلى سورية، وذلك بالاتفاق معنا، وبالفعل فقد وصل لواء الحرس الثوري الإيراني خلال أيام قليلة من بدء القتال، وتوجه القسم الأكبر منه إلى لبنان إلى منطقة بعلبك الهرمل.

هكذا بدأت مسيرة النفوذ الإيراني في لبنان، وكانت من مهام الحرس الثوري: تشكيل حزب الله، وتنظيم عملية المقاومة الإسلامية ودعمها وتدريبها، وكان التوجه الإيراني بعدم انزلاق الحزب في الحياة السياسية اللبنانية، والانصراف إلى المقاومة وإلى توسيعها وزيادة فاعليتها.

كانت المقاومة في الجنوب مُشَكَّلة من قوى مختلفة لبنانية وفلسطينية، ولكن بعد الاجتياح أصبحت حركة أمل هي القوة الرئيسية للمقاومة، وبدخول حزب الله إلى ساحة المقاومة كان ينمو الحزب ويتسع عدد عناصره على حساب حركة أمل التي كانت قيادتها غارقة في العمل السياسي.

ومع تمكن حزب الله من الإمساك في منطقة البقاع الشرقي وانضمام عناصر قيادية من حركة أمل لحزب الله خطا الحزب خطوات أخرى باتجاه الضاحية الجنوبية في بيروت وباتجاه

الجنوب، وأصبح بفضل الدعم والمساندة الإيرانية قوةً رئيسية منافِسة لحركة أمل في الساحة الشيعية، وقد أدى ذلك إلى قتال عنيف بين الحركة والحزب، ولم يتوقف إلا بعد ممارسة ضغوط قوية سورية وإيرانية وإجراء مصالحة بين الطرفين.

كان الموقف السوري عمليًّا، في مجمله يتعاطف مع حركة أمل، وكان الرئيس حافظ الأسد وحده يُبدي التعاطف مع حزب الله، ويعطي التوجيهات لقيادة الجيش والأجهزة الأمنية في مساعدته، وقد بنى موقفه على أن الحزب أصبح قوة المقاومة الرئيسية بعد تراجع حركة أمل والأحزاب الوطنية، وبالتالي يجب الاعتماد عليه في مقاومة إسرائيل واستنزافها. كان معظم الضباط السوريين في لبنان يتعاطفون مع حركة أمل ولا يميلون إلى حزب الله؛ باعتباره حزبًا إسلاميًّا، وهم – أي الضباط السوريون – لا زالوا تحت وطأة الحوادث الدامية التي وقعت في سورية بين الدولة وبين الإخوان المسلمين.

لم يكن الرئيس حافظ الأسد قلقًا من النفوذ الإيراني، كما لم يكن في ذهنه أن إيران تبني قاعدة عسكرية وسياسية في لبنان تهدف لخدمة استراتيجيتها، ولم يكن في ذهنه أن لدى إيران طموحًا في التوسع الإقليمي وهي حليفة نتعاون معها في مواجهة النظام العراقي.

كانت حسابات الرئيس حافظ الأسد أن إيران في كل الظروف مضطرة لأن تكون حليفة لسورية، وهي معادية لإسرائيل، وعلاقاتها متوترة مع الدول التي تجاورها بسبب الحرب مع العراق من جهة أو بسبب الخوف منها من جهة ثانية، لم يكن يُقلقه التمدد الإيراني في لبنان، ودائمًا كان في ذهنه صَدَّام حسين من جهة ولبنان من جهة ثانية، وفي المسألتين إيران هي الحليف، سواء في مواجهة إسرائيل أو في الاعتماد على الطائفة الإسلامية الشيعية والتي أصبحت في معظمها موالية لإيران، وموالاتها لسورية تتعزز أو تتراجع في ضوء العلاقات بين الدولتين.

في عام ١٩٨٦ ومطلع عام ١٩٨٧ انهار الأمن في بيروت ونشطت العصابات والميليشيات المسلحة في عمليات النهب والسلب والسرقة والقتل، بالإضافة إلى الصِّدَامات بين بعضها البعض، صِدام بين حركة أمل وحركة «المرابطون»، وبين حركة أمل والحزب التقدمي الاشتراكي والحزب الشيوعي، بالإضافة إلى حرب بين حركة أمل والمخيمات، ثم بينها وبين حزب الله. في منتصف شباط ١٩٨٦ وصل إلى دمشق وفد من القيادات الإسلامية في بيروت، ويشمل الوفد قادة من مختلف الطوائف الإسلامية، ولدى استقباله عرضوا الأوضاع والحالة المزرية التي يعيشها سكان بيروت وطلبوا تدخل سورية عبر قوة أمنية لفرض الأمن.

عرضت الموضوع على الرئيس حافظ الأسد، وبعد مناقشة اتخذ قرارًا بإرسال وحدة عسكرية إلى بيروت استجابة لطلب القيادات الإسلامية، وأعطى توجيهاته لقيادة الجيش لتنفيذ المهمة.

وبالفعل.. فقد تم وضع خطة أمنية لبيروت ودخلت القوة السورية لتنفيذ الخطة، فأغلقت مقرات الميليشيات وصادرت ما عثرت عليه من أسلحة في تلك المقرات، وخلال تلك العملية فقد توجهت إلى ثكنة لحزب الله في منطقة فتح الله في بيروت وطلبت القوة من أعضاء الحزب إخلاء المقر وتسليم أسلحتهم، وجرى النقاش بعض الوقت وفوجئت القوى بإطلاق نار شديد مما أدى إلى قتل بعض الجنود وردت القوة بالمثل مما أدى إلى قتل اثنين وعشرين شخصًا واستولت القوة العسكرية السورية على الثكنة.

بتاريخ الثالث من آذار ١٩٨٧ استقبلت السفير الإيراني في دمشق، والذي قال إنه طلب المقابلة لمناقشة بعض الأمور معي، وهي: الموضوع الأول ما حصل في بيروت وفي منطقة فتح الله بالذات، والأحداث المتلاحقة التي تحصل حتى يومنا هذا تباعًا في بيروت الغربية.

بالنسبة للحادث الأول حول قتل مجموعة من الرجال والنساء والأطفال، وكان لهذا الحادث وقع شديد على المسؤولين في إيران، ولا يزال الانطباع أن هذا العمل طائش ولم يكن عملاً مسؤولاً، دهش المسؤولون في إيران لسماع هذا الخبر عن الحادثة، الأحداث المتلاحقة التي حصلت فيما بعد هي ملاحقة الأشخاص الملتحين، وحتى يوم أمس كانوا يمسكونهم ويحلقون لحاهم، وبالنسبة للمحجبات يزيلون لهم الحجاب، وهناك عمليات تفتيش للنساء من قِبل الرجال؛ يمسك الرجل جسد المرأة ويفتشها ووصلت عمليات التفتيش حتى إلى تفتيش سيارة القائم بالأعمال في بيروت، وأنزلوه هو وسائقه وفتشوهم كلهم جسديًا، هذه الأحداث حصلت بالرغم من أنه لم نكن نتوقعها لأن المسؤولين في إيران رحّبوا منذ البداية بالخطة الأمنية، ولم يكن هناك أحد يعارضها في بيروت الغربية، وحتى في حديثي مع السيد فاروق الشرع تحدثت في أن يكون التعاون من حزب الله، وبعد أن أتوا وتحدثوا مع سيادتكم وعدوا ملتزمين، وهذه الأحداث تحصل بالرغم من التزامهم.. ولم يُخِلّوا بالالتزام.

هناك نقطة ثانية بالنسبة للضاحية الجنوبية ودخول الضاحية، وشمول الخطة وعدم شمولها للضاحية، وهناك تصريحات ونفي للتصريحات.. صرح العميد غازي كنعان بأن القوات السورية ستدخل إلى الضاحية الجنوبية، وبعدها نفى ذلك.

الإخوة في طهران يريدون أن يعرفوا ما مدى وأبعاد الخطة الأمنية، هل ستشمل الضاحية الجنوبية؟

هناك نقطة أخرى: موضوع مصادرة السلاح من منازل المسلمين في بيروت الغربية، أذكر لقائي مع السيد الرئيس أثناء تقديم أوراق اعتمادي تحدثت بهذا الموضوع، وقال: هذا الموضوع غير مطروح لدينا؛ بأن نأخذ سلاحهم، بل نعطيهم السلاح ليكافحوا وليناضلوا، والآن أقول: نأخذ الأسلحة من منازل الناس، لا أدري كيف يحصل ذلك؟

أن يكون في منازلهم سلاح أو يأخذ هذا السلاح، نحن بهذه الأحداث التي حصلت ـ نحن المسؤولون في إيران وإخواننا في حزب الله ـ صبت كل جهودنا على ألا تكون هناك مبررات أو حجج تزيد الوضع تدهورًا، بل نريد أن لا يكون هناك أي شيء يشوب الأجواء، طبعًا سيادتكم أعرف بما أريد قوله، أنه من الواضح جدًا أن أعداءنا منزعجون كثيرًا من العلاقات المتينة بين البلدين، ويسعون بكل الوسائل الممكنة ليُخِلّوا بهذه العلاقات المتينة، أو لإيجاد نوع من البرود بتسخين الأحداث، وهناك في الصحف مقالات وصور وكأن هناك معركة بيننا يريدون تكبيرها، نحن وأنتم ندرك ذلك، ونحن ندرك ونقدر تمامًا عنايات وألطاف القيادة السورية؛ الأخ حافظ الأسد.

بالنسبة لحزب الله، ونحن في الحقيقة نريد للحزب أن يكون عنصرًا فعالاً وقويًا في مواجهة إسرائيل، نريد أن نكون ساعدًا قويًا بيد سورية لمواجهة إسرائيل، لذلك نرى الآن حملة دعائية شعواء تريد أن تخل في العلاقات بين سورية وحزب الله، والأعداء يعملون على ذلك عن طريق الدعاية لأن هناك تناقضات بيننا، وهذا مسعى الأعداء ونريد إفشاله، المسؤولون في إيران ـ وأخص بالذكر الرئيس خامنئي ورفسنجاني وأمير حسين موسوي ـ في كل التصريحات التي جاؤوا بها بعد حادثة بيروت الغربية وصفوها بأنها حادثة غير مسؤولة، وأن القيادة السورية هي السند لظهر حزب الله؛ لأن القيادة السورية تدرك أن حزب الله هو الساعد لمقاتلة إسرائيل. إن هذه الدعاية التي تريد أن تفصل بين سورية وحزب الله ليست إلا دعاية ومؤامرة لمصلحتهم الذاتية، وسورية هي السند القوي الداعم لحزب الله، طبعًا تعرفون أن المسؤولين في إيران يتعرضون لنوع من الضغط الشعبي لأن الجماهير الشعبية في إيران انطلاقًا من محبتها وميلها وشوقها للقيادة السورية لا يمكن أن تصدق ذلك. فوجئت بما حصل بهذه الحالة الموجودة الآن أوجدت نوعًا من القلق لدى المسؤولين الإيرانيين، والمسؤولون في إيران من أجل السيطرة على هذه المشاعر يبررون ذلك بأن الحادث عمل شخصي وهو من عمل أشخاص معينين، وبهذه الوسيلة يحاولون السيطرة على الشارع الذي تأثر بهذه الحادثة. في أول ليلة سمعت خبر الحادثة في فتح الله اتصلت مع السيد وزير الخارجية فاروق الشرع ولم أجده، وبعد فترة اتصل بي السيد وزير

الخارجية. اتصلت مع بيروت وطلبت منهم ضبط النفس، وأن نمنع حدوث أية حادثة تضر بأشياء لا نريد أن نضر بها، ونسعى لأن لا تكون هناك أية مشكلة، أية مشكلة يمكن أن نحلها بالتفاهم ودون أن يكون الحل متناقضًا مع الخطة السورية، ونحن مستعدون للمساعدة، وأشرت إلى هذه الأمور بصورة عامة، وأقول إن هذه الأحداث تثير العواطف لدى الناس لدرجة يصبح من الصعب السيطرة عليها بالنسبة لنا ولكم ولحزب الله، ونحن نتوقع ألا تكون هناك إهانة لمقدسات الناس التي يعتقدون بها، ومن المستحسن أن لا تُهان هذه المعتقدات والمقدسات بالنسبة للناس. بالنسبة للتفتيش الشخصي مثلاً يمكن معاملتهم بالحسنى والسلوك الأخوي، حتى إذا أرادوا تفتيش منزل شخص ممكن أن تكون المعاملة أخوية، ونحن في إيران نفتش؛ الرجال يفتشون الرجال، والنساء يفتشن النساء، بالنسبة للحادثة الأصلية مقتل الشباب أقول رأي كان ممكنًا أن يصدر تصريحًا، إشارة تخفف.

وبعد أن أنهى السفير الإيراني حديثه تناولت الحديث قائلاً:

لدينا معلومات أخرى مخالفة تمامًا: أولاً أشكر السفير لعرض هذه الوقائع، وبالتالي لتوضيح ما يجب توضيحه، وقبل كل شيء أؤكد نقطتين:

النقطة الأولى: حرصت سورية على العلاقات المتينة والأخوية القائمة مع إيران، ودائمًا كانت تعمل سورية على تمتين هذه العلاقات، وأؤكد هذا الحرص رغم بعض التصريحات الغير مسؤولة التي صدرت في طهران والتي لا تعكس رغبتنا تمامًا في العلاقات، صدر في إيران موجة من التصريحات منها كما أشرت انطلاقًا من العلاقات الأخوية القائمة بين سورية وإيران، ومنها من تناسى فيها المسؤولون سورية والعلاقات معها، ولم يعد يرى في الدنيا إلا حادثة جرت في لبنان، ونبدي أسفنا لهذه التصريحات.. ومنها تصريح الدكتور ولايتي والحوزة العلمية، وقسم من تصريح رئيس الوزراء السيد مير حسين موسوي الذي قال: من يمد يده على حزب الله يخدم إسرائيل وأميركا، بالإضافة إلى الطلاب وَجِهات أخرى، هذا الأمر يدعو للأسف، حجم العلاقات بين سورية وإيران ونضالهم المشترك يجب أن نرى جميعًا أنه أكبر بكثير من حادثة تقع هنا أو هناك، ومن المؤسف أن تضع بعض الشخصيات في إيران سورية بكفة وحزب الله في كفة أخرى، نحن نقدر أن هنالك تعبئة معادية لسورية، ولكن نتوقع أن تلجمها القيادة في إيران كما نلجم أي تعبئة معادية لإيران في سورية، نحن إذا تكلم مواطن واحد بكلمة واحدة ضد إيران نضعه في السجن، وإذا قامت فئة من الناس تنتقد

إيران نتعامل بها بشدة، هكذا نفهم الحرص على العلاقات بين البلدين، مؤكدًا أن المسؤولية في الشؤون اللبنانية تقع على عاتق سورية لأن لبنان له علاقات خاصة مع سورية، نحن شعب واحد، بالإضافة إلى أن ما يجري ينعكس مباشرة على أمن سورية وسياستها في المنطقة، وهذه السياسة من المفروض أن تدعم من أصدقائنا في الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأنها في خطوطها الأساسية تنسجم مع سياساتها المعادية للإمبريالية والصهيونية، ومع ذلك ورغم كل هذه التصريحات ستظل سورية مخلصة لعلاقاتها مع إيران، وإن كنا متألمين من ردود الفعل هذه والتي كان يجب أن يسبقها استيضاح من سورية عما جرى، ولو استوضحنا، ووضعنا الوقائع التي بين أيدينا، وقام المسؤولون في إيران بالاطلاع عليها لتجنبنا إعطاء الفرصة لأعدائنا للاستفادة من مثل هذه الحوادث التي أشرت إليها، ونحن لم نسأل يومًا ماذا تفعلون في أفغانستان، ولنا ملاحظات نبديها ولن نفعل ذلك لأننا نقدر حساسية الأمر بالنسبة لبلدين متجاورين، نحن نؤكد مرة ثانية أن مثل هذه التصريحات لن تؤثر في تصميمنا على العلاقات الأخوية بين البلدين، وإن كنا نتمنى أن لا تشوب العلاقات غيوم، وأن لا تُعطى فرص لأعدائنا لاستغلالها.

ثانيًا ـ عندما تأسس حزب الله اعتبرناه حزبًا صديقًا وقدمنا له المساعدة والدعم، واستوعبنا كل العمليات السيئة التي قامت بها بعض عناصره ضد أصدقاء لسورية في لبنان وضد جنود سوريين، ولم نتصرف بردود فعل، وبالعكس كنا نتصرف انطلاقًا من علاقات الصداقة مع هذا التنظيم، ومن الحرص على أن يكون دوره في مواجهة إسرائيل، وهذا الحزب ليس مصنفًا تصنيفًا سلبيًّا لدينا، بالعكس.. نتعاون معه ونحرص عليه، ولكنك تذكر أننا نبهنا مرات عديدة لاختراقات موجودة في هذا التنظيم من قِبل ثلاث جهات: من قِبل عرفات، ومن قِبل جماعة العراق، ومن قِبل المكتب الثاني اللبناني، وكنا نحذر من أخطار هذه الاختراقات لأننا كنا نخشى أن تقوم هذه الزمر التي اخترقت حزب الله بالقيام بأعمال تسيء إلى دوره في لبنان، وتسيء إلى علاقاته مع سورية، وللأسف هذه التنبيهات لم تعطِ الأهمية اللازمة من قيادة حزب الله، مع ذلك كنا نميز بين الحزب كبنية واتجاه وبين زمر مزروعة هنا وهناك تقوم بأعمال سلبية، ولا زلنا حريصين عليه ولا نريد أن يختفي هذا الحزب؛ لأننا لا نريد أن يختفي أي لبناني يرفع شعار مقاتلة إسرائيل. بعد توضيح النقطتين أعود إلى الوقائع.

كانت بيروت الغربية تحترق، والاحتراق لم يكن فقط في الأيام الأخيرة والسابقة لدخولنا بيروت، بل منذ بضع سنوات، وكادت بيروت الغربية أن تتحول لساحة صراع مذهبي بين المسلمين، وعندما يتمزق المسلمون ويتقاتلون كلنا نصبح خاسرين، لقد انتهكت كل

الحرمات في بيروت الغربية، وأصبح كل شيء فيها مستباحًا؛ الكرامة والحياة والممتلكات، وتعطلت الجامعات عن الدراسة، وفرَّ الأطباء وكبار العلماء من بيروت، وتحولت هذه المدينة التي يشكل المسلمون غالبيتها إلى غابة ترعى فيها الذئاب والوحوش وتتحرك فيها الأفاعي، ثم انفجر القتال الأخير؛ وهو نتيجة طبيعية للوضع القائم في المدينة، وبدأ الناس يستغيثون، وكنا مقررين عدم التدخل العسكري؛ لأن الدخول يشكل عبئًا كبيرًا علينا، ولكن عندما جاءت الشخصيات الإسلامية والوطنية وهي تستغيث كان لا بد من أن نضحي لوقف ما يجري من جرائم وقتال في بيروت، وتم وضع خطة أمنية أعلنت، وقبل التنفيذ تم استدعاء قادة التنظيمات الأساسية، وأنا شخصيًا اجتمعت مع ممثلين من حزب الله وناقشنا الوضع في بيروت الغربية، وكنا متفقين على هذه الخطوات وقالوا إنهم مع الخطة الأمنية، وإنهم إيجابيون ويعتبرون أن قرار حزب الله بهذه المسألة في جيب سورية، وبالواقع عندما أبلغت القيادة بنتيجة الاجتماع كانوا مسرورين. في اليوم المقرر لدخول حي البسطة رفضت قيادة حزب الله التسليم، وقالوا سنحتفظ بالمركز لأعمالنا الأمنية، قيل لهم إذا بقيتم سيبقى الآخرون، وبالتالي تتحملون مسؤولية استمرار الوضع في المدينة، فقالوا نحوله من ثكنة إلى مركز علمي، قيل لهم الآن كل الأحزاب أغلقت أبوابها في بيروت، وعندما يرتب الوضع تُدرس مسألة فتح المكاتب للأحزاب في ضوء الوضع الأمني، عادوا وقالوا نريد أن نحولها إلى حسينية، قيل لهم الآخرون سيحولون مكاتبهم أيضًا إلى مراكز اجتماعية، وجرى الحديث مع الدكتور ولايتي من قبل فاروق الشرع، وتم توجيه إنذار لهم لإخلاء المكان، وبعد ذلك قالوا سنسلم وسنستجيب لتنفيذ الخطة، حرقوا الثكنة وقالوا تفضلوا، دخل الجنود السوريون، بعد دخولهم مباشرة أطفئت الأنوار وبدأ إطلاق النار من الأبنية المجاورة ضد الجنود، وبطبيعة الحال لا يتوقع أحد أن تطلق نيران غزيرة على الجنود ولا يكون رد على إطلاق النار ويدافعون عن أنفسهم لأن مهمتهم فرض الأمن في بيروت وقمع المخالفات، خلال الصِّدَام وقع قتلة بين الجانبين لأن القتيل والقاتل من الجانبين هم جزء منا، ونحن متأثرون بسقوط الضحايا سواء كانوا من الجنود أو من حزب الله، ولكن لو استسلم الجنود السوريون لمسلحي حزب الله ولم يردوا على الاعتداءات عليهم يجب أن نتصور ماذا ستكون الحالة في بيروت، ولدينا كما هو الحال في كل جيوش العالم أن الجندي الذي يلقي سلاحه سيحاكم، ويعرف جنودنا أن مهمتهم مساعدة اللبنانيين وفرض الأمن ووقف القتال، بعد ذلك فوجئنا بالحملة الإعلامية المضادة، كان عليهم أن يدركوا أنهم يعبئون الجنود السوريين ضدهم، وهذا نحن لا نريدُه، وكنا نتمنى أن يتصرف بعض المسؤولين في بيروت من حزب الله بتعقل أكبر لأننا لا نريدهم

أن يزرعوا شعورًا لدى الجندي السوري بأنهم أعداء له ولسورية بعد أن كنا نثقف أن هذا الحزب صديق له ولسورية، وطبعًا نأمل أن تتصرف بعض القيادات بتعقل وأن تراجع نفسها، وأن تدرك مثل هذه التصرفات التي لا يستفيد منها إلا الأعداء، نحن لم نَقُل ولن نقول للجندي السوري إن حزب الله عدوك، سنبقى نقول له كل من يقاتل إسرائيل هو صديقك وحليفك، ولكن على قيادة حزب الله أن تدرك أن سكان بيروت أصبحوا بحاجة إلى الأمن والاستقرار والاطمئنان.

بالنسبة لموضوع الأسلحة.. في الواقع هناك قرار في الخطة الأمنية بتحريم وجود السلاح في بيروت الغربية، وأعطينا فرصة لكل التنظيمات لإخراج أسلحتها من بيروت الغربية، وما قاله الرئيس لك صحيح، عندما يحتاجون للسلاح لمقاتلة العدو سنعطيهم من سلاح جيشنا، لكن أن يستخدموا السلاح لمقاتلة بعضهم البعض هذا أمر محرم شرعًا، أما ما أشرت إليه حول بعض التصرفات على الحواجز لا أريد أن أنفي، بل أؤكد أنه ليست هناك توجيهات بهذا المعنى، وإذا وقعت بعض التصرفات فإنها تكون تصرفات فردية ويمكن التنبيه عليها، في الوقت نفسه يجب ألا نستبعد المبالغة وتضخيم الأمور، ومع ذلك يجري التأكيد على القوات الأمنية في أن تتعامل مع الناس وفق التوجيهات المعطاة لها برفق وإحسان، وتستطيع أن تبلغ طهران بأن سورية حريصة على حزب الله حرصها على أي تنظيم في لبنان، ودليل هذا الحرص أن يستدعي نائب رئيس الجمهورية في سورية وفدًا من حزب الله، كان ممكنًا أن يستقبلهم رجل من الأمن، وحرصت على استقبالهم.

فيما يتعلق بموضوع الخطة الأمنية في بيروت الغربية فقط وليس الآن في نيتنا بحث أي موضوع آخر غير بيروت الغربية والخط الساحلي والجبل، وفي المستقبل إذا كان الوضع في لبنان يقتضي توسيع الخطة لتشمل مواقع أخرى في لبنان يناقش هذا الموضوع في حينه، وقرارنا كان بعدم إرسال قوات إلى بيروت لأن ذلك يُحملنا أعباء مادية وسياسية، كنا نحاول أن نترك اللبنانيين يحلون مشاكلهم مع بعضهم البعض، وعندما تتمكن قوى الأمن اللبناني من فرض الأمن فإن قواتنا في بيروت. هذه هي الصورة ويجب على الإخوة في طهران أن لا يأخذوا الأمور بالعاطفة، ومن أجل حادثة حزب الله هل من المعقول أن يكون وزن حزب الله لدى إيران أكبر من وزن سورية؟ إذا كان ذلك فالحقيقة أن الوضع مؤلم ونحن نؤمن أن العلاقة مع إيران أهم من مائة تنظيم، نحن نعتبر العلاقة مع إيران مبنية على تصور مشترك لمهامنا المشتركة ضد الإمبريالية والصهيونية، هذه هي الصورة، ونتمنى أن أي شيء قبل أن يخرج للإعلام اتصلوا بنا واستوضحوا {يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن

تصيبوا قومًا بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين}، كل الأقنية مفتوحة بيننا وبينكم في أي وقت.

ولا يجب أن تكون القناة بيننا عبر حادثة في بيروت.

موضوع المداهمات، إذا بقي السلاح فإنه سيستخدم لتفجير آخر، إذا كانوا خائفين من الجيش اللبناني فإنه إذا تحرك ضد بيروت الغربية فنحن قادرون على وقفه، هم يريدون مقاتلة إسرائيل ونحن جاهزون للمساعدة.

عاد السفير للحديث عن حادثة ثكنة فتح الله فقال: بالنسبة للحادثة وكيف حصلت في فتح الله فإنه كانت هناك عناصر من حزب الله متواجدة مع الجنود السوريين، وكانوا جاهزين للتسليم، وحصل إطلاق النار.. لو أنهم تريثوا لاتضح لهم ما حدث، وهناك صور نشرت، فإن بعض الأشخاص الذين قُتلوا من حزب الله كانوا موثقين من قبل الذين قتلوهم.

أجبته: إذا كان هناك توثيق فقد حصل بعد أخذ الجثث، هذا الجندي إذا أطلقت عليه النار ومعه سلاح سيرد على النار، وإذا لم يرد يعتبر متخاذلاً ويُحاكم.

عقَّب السفير الإيراني قائلاً: أعتقد كان ممكنًا معالجة الوضع بشكل أوسع. فقلت له: هل تعتقد بعد إطلاق النار لو بقي جنود ولم يدافعوا عن أنفسهم ماذا كان وضعهم، هناك أمر يتعلق بأمن القوات، هذا جيش نظامي وليس ميليشيا، يتعرض لإطلاق النار ويقول لمطلقي النار استسلمنا، هذا أمر لا نقبله لجنودنا. فرد السفير: أنا لا أقصد استسلام، كان هناك ضباط سوريون ومسؤولون من حزب الله، كان ممكن...

قاطعته، عندما يبدأ إطلاق النار من يستطيع أن يوقفه؟! من المفيد تجاوز هذه الحادثة.

أجابني السفير: بالنسبة لأصل الموضوع؛ دخول القوات العسكرية والخطة الأمنية، كان من الواجب أن تنتهي الأزمة، نحن متفقون على أن ينتهي الوضع المأساوي الذي كان سائدًا في بيروت الغربية، وحزب الله أثبت أكثر من مرة أنه لا يريد الانخراط في المسائل الداخلية.. يريد مقاتلة إسرائيل.

أجبته: عمليًا انخرط وخطف بعض المسيحيين في لبنان، وآخرهم جان عبيد، وإيران ساهمت بموضوعه.

عقَّب السفير قائلاً: في اليوم نفسه ـ يوم أخبرنا وزير الخارجية عن موضوع جان عبيد ـ توجهت إلى بيروت، حزب الله لا علاقة له بهذا الموضوع، وبذلنا دورًا كبيرًا في الاتصالات.

سألته، هل عماد مغنية بحزب الله أم لا؟

أجابني السفير: أنا لم ألتقيه ولا أعرفه، وحسب معلوماتي فهو ليس من التشكيلات، وليس من حزب الله.

قلت له: أقبل كلامك.

تابع السفير وحاول توضيح موضوع اختراق حزب الله فقال: بالنسبة لما تفضلتم به أنه هناك اختراق في حزب الله لا أنفي ذلك، عرفات ممكن أن يخترق بعض العناصر، ولكن إذا نظرنا إلى هذا الحزب وأهدافه المعلنة لا يمكن أن يتفق مع عرفات.

فأجبته: أنا ميزت بين حزب الله كقيادة وبعض العناصر.

عاد السفير للحديث عن الضاحية وقال: بالنسبة للضاحية الجنوبية هناك فكرة للمسؤولين في إيران أن الدخول إلى الضاحية ـ دون أن يعني هذا الكلام اعتراضًا على التدخل السوري، ولكن يعتبر هذا العمل إذا حصل نكبة كبيرة للشيعة ـ عندما تبقى بيروت الشرقية للمسيحيين والجبل للدروز وتبقى الضاحية الجنوبية هي المقصودة وأن تحاصر، لذلك ينظر المسؤولون في إيران بأن موضوع الضاحية هو جزء لا يتجزأ من بقية المناطق الأخرى، المسؤولون في إيران عندما يفكرون بهذا الاتجاه يأخذون بالاعتبار المواقع وكرامة سورية في المنطقة ولبنان، لا يقال المسلمون أو الشيعة أصبحوا غير محبين لسورية، هذه الأمور تهم المسؤولين في إيران.

علقت على كلام السفير قائلاً: أولاً العملية أمنية لبيروت الغربية، ثانيًا بالنسبة للمسلمين الشيعة في لبنان هم جزء من الجسم الإسلامي العام في لبنان، وجزء من جسم الوطن اللبناني الذي نحن حريصون عليه وعلى رفع الظلم عنه، وبطبيعة الحال سورية لا يمكن أن تتخذ إجراءً من شأنه الإخلال في التوازن الداخلي، ما نتخذه من إجراءات لصالح المظلومين والمتضررين في لبنان. موضوع الضاحية غير مطروح للبحث، بالإضافة إلى ذلك فنحن نعرف جيدًا مصالح المسلمين سواء كانوا من الشيعة أو الدروز أو السنة، ولكن عندما تضع الدولة اللبنانية خطة متفق عليها بين الأطراف اللبنانية فلن تبقَ منطقة خارج هذه الخطة بالنسبة للمقارنة التي تفضلتم بها، يجب على المسؤولين في إيران أن لا يقارنوا بين حزب الله وسورية، والمسؤولين في إيران يعرفون مواقف سورية تجاه الجمهورية الإسلامية، ونأمل أن يدرك أصدقاؤنا أهمية نجاح سورية في إنهاء الأزمة اللبنانية، وأؤكد ليس في نية سورية ضرب حزب الله، ولكنها لا تستطيع أن تقبل برفضه الالتزام بالخطة الأمنية.

شكرني السفير على استقباله وودّع وانصرف..

* * *

الفصل الرابع

نحن والخليج وإيران

كان للحرب العراقية ـ الإيرانية انعكاسات كبيرة على الأوضاع الإقليمية وعلى العلاقات السورية مع دول الخليج العربية.

كما أشرنا في غير مكان كان همنا الأساسي مواجهة الصراع العربي ـ الإسرائيلي ونتائج معاهدة الصلح بين مصر وإسرائيل ومعالجة الوضع المتأزم في لبنان، بالإضافة إلى انشغالنا العميق بأوضاعنا الداخلية بسبب الأحداث الدامية بين تنظيم الإخوان المسلمين وأجهزة الأمن.

في هذه الظروف الصعبة علينا وعلى الأمة كلها شن صَدَّام حسين حربه ضد إيران مدفوعًا بجنون السلطة من جهة، ووهم التربع على عرش المنطقة من جهة ثانية في أجواء من التشجيع الأميركي عبر بعض الأطراف العربية.

ومن المؤسف أن أشقاءنا في الدول العربية في الخليج اندفعوا بتأييد ودعم صَدَّام حسين بحربه خوفًا من الثورة الإسلامية في إيران، ومن احتمال أن تُشكّل لهم مصاعب تمس الأسس التي تقوم عليها دولهم دون أن يأخذوا بالاعتبار خطورة حرب تقع في منطقة هي الأكثر حساسية لأمن واقتصاد العالم.

كانت الحكمة تقتضي العمل على وقف هذه الحرب قبل تطورها، وهذا ما حاوله الرئيس حافظ الأسد في الأيام الأولى من خلال اتصالات أجراها مع كل من السعودية والكويت والجزائر، ولكن هذه المحاولة فشلت بسبب تعنت الحكم في العراق من جهة، وتوقع الأشقاء في الخليج النصر السريع للعراق في حربه ضد إيران.

هذا الاختلاف في الرؤية وفي العمل السياسي أحدث خَلَلاً في العلاقات السورية الخليجية، ووصل الخلل مع بعض الأشقاء لمرحلة التوتر.

ومع ذلك فقد حرصت سورية على عدم اتساع شقة الخلاف؛ لإدراكنا خطورة هذا

الصراع على مصالح الأمة وعلى القضايا المركزية التي تواجهنا، وأبقينا اتصالاتنا مع الجميع نشرح خلالها مواقفنا وأسباب هذه المواقف، ونسمع كلامًا قاسيًا أحيانًا وكأن بعضهم حامل راية القومية العربية، وكأن سورية تراجعت عن مبادئها وقيمها الوطنية والقومية.

ارتفع شعار «العراق يدافع عن البوابة الشرقية للأمة العربية» دون إدراك النتائج الخطيرة لحرب بين العرب وإيران، وبين بلدان بينها تاريخ مشترك ومصالح متبادلة وثقافة مشتركة لفترة طويلة من التاريخ الإسلامي المشترك.

رغم الاختلاف في المواقف فقد ميزنا بين النظام العراقي وعلاقاتنا بالدول العربية الأخرى، وفي مقدمتها دول الخليج، وكنا نجد العذر لتلك الدول في مواقفها بسبب هواجسها من الثورة الإسلامية في إيران.

عملنا على خطين متوازيين؛ الأول احتواء الاختلاف مع دول الخليج من خلال الحوار وتقديم التطمينات والتعهدات بأننا سنكون معها في أي صراع تخوضه مع إيران أو غيرها، والخط الثاني التركيز مع القيادة الإيرانية بوجوب العمل على تطمين دول الخليج وعدم القيام بأي عمل يثير مخاوفها.

كان من واجبنا أن نكون حريصين على أمن واستقرار أشقائنا في البلدان العربية الأخرى ولا سيما في الخليج لأسباب قومية من جهة وأهمها الروابط الأخوية ووحدة الانتماء، ومن جهة ثانية لإدراكنا أن منطقة الخليج ذات حساسية، فالخلل فيها سيؤدي إلى تدخل أجنبي بكل ما لهذا التدخل من انعكاسات خطيرة على واقع الأمة وعلى مستقبلها.

في مطلع كانون الثاني عام ١٩٨٢ زار وزير الخارجية الإيرانية دمشق، وفي لقائه مع الرئيس حافظ الأسد - كما في لقائه معي - أكدنا على أهمية وضرورة تهدئة الوضع مع دول الخليج، والأخذ بالاعتبار ظروفها ومخاوفها لأن التوتر سيزيد من حجم تعاونها مع النظام العراقي، وتوسع رقعة الحرب سيؤدي إلى تدخل قوات خارجية للسيطرة على المنطقة وعلى مواردها، وقد أكدنا أن ازدياد التوتر والتهديدات سيزيد الشعور بالخوف والشعور بالحاجة إلى دعم العراق لإبعاد الخطر الإيراني.

تحدثنا عن هواجس الأشقاء في الخليج، وقد أطلعناه عليها خلال زياراتنا ومناقشاتنا مع قادتها مؤكدين حرص هذه الدول على إقامة علاقات جيدة مع إيران، وطلب الرئيس من الوزير الإيراني إبلاغ القيادة الإيرانية وجهة نظر سورية.

وبالفعل فقد التزمت إيران بعدم توسع الحرب باتجاه دول الخليج رغم بعض التوترات التي كانت تظهر بين وقت وآخر وتقترب من خط الصِّدَام.

عندما نشبت الأزمة بين إيران والبحرين في عام ١٩٨٠ تدخلت سورية وعملت على تهدئة الوضع، وقد وافقت القيادة الإيرانية على زيارة يقوم بها نائب رئيس مجلس الوزراء الدكتور صادق طبطبائي إلى المنامة برفقتي، وفعلاً سافرنا معًا إلى المنامة وقابلنا أمير البحرين الشيخ عيسى بن سلمان ورئيس وزرائه، وأكد نائب رئيس الحكومة الإيرانية أن ليس لإيران مطامع في البحرين، وأنها ترغب بإقامة علاقات طيبة مع المنامة.

في العاشر من كانون الثاني عام ١٩٨٢، وبطلب من الرئيس حافظ الأسد، توجهت إلى المملكة العربية السعودية حيث استقبلني ولي العهد آنذاك الأمير فهد بن عبد العزيز لإطلاعه على نتائج زيارة الوزير الإيراني لدمشق.

بعد تبادل عبارات المجاملة، قلت لولي العهد الأمير فهد: تذكرون أن الرئيس حافظ أبلغكم أنه سيبحث العلاقات بينكم وبين إيران مع الإيرانيين، وجرت اتصالات بهذا الشأن، وكان الاتفاق على مجيء وزير الخارجية الإيرانية إلى دمشق، وخلال جلستَيْ عمل مع الرئيس ومعي تحدث الرئيس مطولاً وأراد أن يتسم الحديث بالوضوح، وفي إطار مصلحة الطرفين، طرح الرئيس للوزير الإيراني الوضع في المنطقة والأخطار المحدقة بها، وتحدث عن الصراعات الجارية وانعكاساتها على المنطقة كلها حيث أنها تشكل تهديدًا للجميع، كما شرح له خطورة الصراعات الهامشية على دول وشعوب المنطقة وتأثير ذلك على مستقبلنا جميعًا، كما تحدث الرئيس عن قيام المملكة العربية السعودية ودول الخليج بالاعتراف بالثورة الإسلامية في إيران ومدت لها يد التعاون.

كما تحدث الرئيس عن رغبة المملكة العربية السعودية بالتعاون، وقد مدت المملكة والدول الخليجية الأخرى أيديهم وفتحوا قلوبهم للثورة الإسلامية وكيف أرادوا أن يتعاونوا مع هذه الثورة، وكيف كانت تصدر تصريحات تطلق من طهران ضدهم، والانطباع الذي تولد بأن إيران تعمل للتدخل في شؤونهم الداخلية وأن لها مطامع في المنطقة، وهذا الأمر خطير سيزيد الخلافات ويُعمقها ويجعل هذه الدول تفكر كيف تواجه هذا الوضع، وأعطى الرئيس أمثلة لما جرى في موسم الحج وأحداث البحرين، كما تحدث الرئيس عن الأجواء الإعلامية وتصريحات المدرسي وغيره.

قاطعني الأمير فهد بقوله: إن هذه التصريحات التي طلعوا بها علينا تحرض على الفتنة

والاختلاف بين المسلمين وتضر بالعقيدة الإسلامية وتدعو إلى العصيان والاضطرابات، وكذلك ما ينشر في الصحف والإذاعة ووسائل الإعلام المختلفة، وما فعلوه في الحرم الشريف في موسم الحج وإلقاؤهم خطابات لا تليق بقدسية المكان لدى المسلمين ولدى الثورة الإيرانية.

وتابعت قائلاً: تكلم الوزير الإيراني وقال: نحن لدينا رغبة في إقامة علاقات طبيعية، ولكن هذه الدول تساعد في الحرب ضدنا، وهنا رد عليه الرئيس: إن قناعتنا بأن الإخوان في المملكة ودول الخليج يريدون أن تكون علاقاتهم إيجابية معكم لا سلبية، وأن المسألة لا تتعلق بهم وحدهم، أنهم يرغبون بوجود أجواء إيجابية مع إيران.

هذه النقاط التي عرضها السيد الرئيس، من وجهة نظركم إذا كانت هناك ملاحظات أو أي أمر أو رغبة فنتابع الاتصالات معهم. وبعد هذه المناقشات وافق الوزير الإيراني على ما يلي:

١ ـ أظهر رغبة الإيرانيين في إقامة علاقات طبيعية وحسنة مع المملكة العربية السعودية ودول الخليج.

٢ ـ أكد على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة من دول المنطقة، وأكد عدم وجود علاقة بين الحكومة الإيرانية ومؤسساتها أو أي مسؤول فيها بمشكلة البحرين، وأكد أيضًا أنه لا أطماع لهم في أي من البلدان المجاورة، وأن لديهم رغبة في إقامة علاقات حسنة مع المملكة ودول الخليج.

٣ ـ بالنسبة لموسم الحج، قال إنهم لم يفعلوا شيئًا يمس السيادة السعودية أو الشؤون الداخلية للسعودية، وأنهم فقط أطلقوا شعارات عداء لأميركا وإسرائيل، ولكن الموظفين السعوديين منعوهم وإن هذه الشعارات لم تكن ضد السعودية وإنما فقط من أجل استغلال فرصة اجتماع المسلمين من مختلف البلاد لتوعيتهم بأن عدوهم الأول هو أميركا وإسرائيل، ولحثهم على توجيه جهودهم ضد هذا العدو.

وهنا رد الرئيس فقال له: إن ذلك يُحدث تشويشًا، فإذا شاءت كل دولة أو مجموعة أن تطرح شعارات في موسم الحج حسبما تريد، فتصور مليون شخص أمامك، ماذا يحدث؟

فإذا عمل كل امرئ كما يشاء ماذا يحدث في موسم الحج، كيف يكون عليه الوضع، فوضى كبيرة لا أحد يعرف مدى أثرها السيئ على المسلمين.

وأكد الوزير الإيراني استعدادهم لوقف الحملات الإعلامية من المؤسسات التي تسيطر عليها الدولة؛ أي من وسائل الإعلام الحكومية.

وإن الآراء الرسمية للثورة الإسلامية الإيرانية لا يعبر عنها إلا الخميني، أو رئيس الجمهورية، أو رئيس الوزراء، أو وزير الخارجية، وأكد استعداد إيران لإرسال بعثة حسن نوايا إلى كل من المملكة العربية السعودية ودول الخليج واستقبال بعثات مماثلة في طهران، وهم يطالبون بوقف التدخل في الحرب إلى جانب العراق، وقد ناقشه الرئيس حافظ وأبلغه أنه سيبلغ المملكة مضمون هذه المحادثات، ونأمل أن تتمكن من إخبارهم بأن لديكم الرغبة وموافقون لنطلب منهم مباشرة تنفيذ هذه الخطوة للتدليل على حُسن النوايا.

فأجابني الأمير فهد أن المملكة تتفق مع هذا الخط لتلافي الصِّدام والتوتر في المنطقة، وهذا تصور ممتاز أمام الأمر الواقع، وأنا مرتاح لرسالة الرئيس وجهوده ونشكر جهوده لإزالة التوترات، ونتمنى أن يتابع جهوده متمنيًا له النجاح والصحة.

وفي اليوم الثاني توجهت إلى الكويت بنفس المهمة التي أبلغتها للأمير فهد بن عبد العزيز، واجتمعت مع رئيس دولة الكويت الشيخ جابر الأحمد بحضور وزير خارجيته الشيخ صباح، وعرضت محادثات الوزير الإيراني التي أجراها في سورية والتي سبق وأن عرضها على الأمير فهد بن عبد العزيز.

كان القلق لدى الأشقاء في الخليج عميقًا وواضحًا، وكان حرص سورية على إزالة هذا القلق كبيرًا لأسباب تتعلق بطبيعة الوضع في الخليج واحتمالاته الخطيرة في حال تطور النزاع وامتداده وانعكاس ذلك على كل العرب والإيرانيين بصورة خطيرة.

كانت الحرب تدور على حدودهم وفي مياههم أحيانًا، وقد تصوروا أن النظام العراقي في حربه قادر على ردع الثورة الإسلامية والقضاء عليها، وبالتالي إزالة الخوف منها فقدموا إلى الحكم في العراق مساعدات مالية واقتصادية وتسهيلات بما في ذلك استخدام المرافئ لنقل البضائع والتجهيزات وغيرها، وانتشار خط لنقل النفط العراقي إلى ميناء ينبع في السعودية.

ولا شك فإن الملك فهد بن عبد العزيز كانت لديه صورة واضحة عن الوضع المركب في أزمة الخليج، فقد كان قلقًا من الثورة الإسلامية في إيران، وكان قلقه مشروعًا لأسباب تتعلق بأمن المملكة ومستقبلها، وكان غير مرتاح من امتداد الحرب وتطورها من جهة، في الوقت

نفسه رغم المساعدات للعراق لم يتخذ موقفًا سياسيًا علنيًا يتبنى الحرب أو تأييدها أو التورط بها؛ لإدراكه أن إشعال النار سهل، ولكن إطفاءها قد يكون عسيرًا وصعبًا.

وفي حديث الملك فهد لدى استقباله وزير الإعلام السوري المرحوم أحمد إسكندر بتاريخ السابع من شباط ١٩٨٣ ورد ما يلي:

إن العراقيين يطالبون بتنفيذ اتفاقية الدفاع العربي المشترك، وقلنا لهم مباشرة تطلبون أن نقاتل معكم، لكن هل استشرتمونا في بدء الحرب، هل أطلعتم أحدًا من العرب على خطتكم لمحاربة إيران، ألم تكن هناك طرق أفضل وأكثر ضمانًا من الحرب المدمرة؟ لو استشرتم لكنّا بحثنا طريقًا لحل النزاع ودون قتال وتدمير وتضحيات، لقد ذهب صَدَّام وتوسط الجزائريون لتوقيع اتفاق مع الشاه ووُقِّع الاتفاق عام ١٩٧٥، ثم ألغى هذا الاتفاق وشنَّ الحرب ويطلب الآن بعد سنتين من القتال العودة إلى اتفاق ١٩٧٥، هل هذا منطق؟ إن العراقيين يوفدون وزراءهم لدول الخليج ويطلبون منها عدم استقبال المبعوثين الإيرانيين، وهذا اضطرنا لأن نقول لهم ليس لكم حق بذلك، إن دول الخليج صغيرة ومعظم سكانها فرس أو من أصل فارسي، وبأي حق تطلبون منها ما تطلبون، إننا نفهم جيدًا علاقة سورية بالعراق، وإن الحق معكم في سورية، فقد أساؤوا إليكم كثيرًا وبغير حق، لقد كنا نعرف ما يجري بينكم، لكني والله كنت معجبًا جدًا برد الرئيس الأسد على صَدَّام، في فاس وإيفرن، لقد واجهه بالحقائق وأمام الجميع ولم يستطع صَدَّام أن يرد، أنتم يا أخي على حق، إننا نتذكر مجزرة الأزبكية وسواها مما تحدث عنه الرئيس الأسد، لو كنا نثق بصَدَّام ونضمنه لكنَّا اقترحنا عليكم شكلاً من أشكال الوِفَاق أو تهدئة الأمور، لكننا نعرف أن هذا غير ممكن، فقد أساء صَدَّام إلى سورية كثيرًا، ونحن في المملكة نعرف أنكم في بداية الحرب وحتى انقضاء عام ونصف، كما أذكر، لم تتحركوا ضد العراق بأي عمل، ونعرف أنكم لم تكونوا تريدون هذه الحرب، ولا نحن نريدها.

ثم تابع الملك حديثه قائلاً: في الخليج يهاجمونكم أيضًا يا أخ أحمد لا سيما في صحافة الكويت، وفي مجلس الأمة بسبب صدور البيان في دمشق بينكم وبين إيران وليبيا، لقد نشر البيان في طهران وطرابلس، هل نشر في دمشق؟ لقد استغربنا البيان فعلاً، ولكنني أوعزت للإعلام السعودي بعدم ذكر أي كلمة عنه، الكويت والآخرون يهاجمونكم، الآن أعتقد أن هذا الهجوم لا مبرر له، وكان عليهم أن يتصلوا بكم مستوضحين عن الأمر، أرجو توضيح ما جاء في البيان، هل صحيح أنكم تقبلون إيران عضوًا في جبهة الصمود؟ نحن نعلم أن الجبهة للعرب فقط، أما أن تدخلها دولة أجنبية فهذا أمر لا يدعو للارتياح.

نحن نثق بسورية وثقتنا بسورية لا حد لها ولا نسمح لأي شيء أن يشوب أو يعكر هذه الثقة، نحن نتشاور معكم وثقتنا مطلقة بالأخ حافظ وسورية تحت قيادته.

وإني أقترح على فخامة الرئيس الأسد أن يوعز لسفراء دول الخليج إلى الخارجية السورية لشرح موقف سورية وتوضيحه، وشرح ماذا يعنيه البيان، لقد سبق للرئيس الأسد أن أعلن أنه ضد أي أحد يقترب من حدود دول الخليج وكان موقفًا جيدًا منه، ومن المفيد أن تؤكدوا ذلك منعـًا لأي التباس، لقد تحدث البيان عن الذين يساعدون العراق، وشعرنا كأننا مقصودون بذلك ولا أعرف إذا كان فهمنا هذا صحيحًا للبيان.

وواضح أن الملك فهد أراد أن يلفت نظرنا إلى اجتماع دمشق الثلاثي بين سورية وليبيا وإيران، بصورة ناعمة فيها عتب على ما ورد في البيان، وهذه الرسالة التي حملها المرحوم أحمد إسكندر أحمد من الملك فهد كانت موضع نقاش مع الرئيس الأسد، وفي ضوئها وضوء المقابلة مع السفير السعودي استدعيت السفراء الخليجيين، كما أشرت سابقًا.

والملك فهد في حديثه مع الوزير السوري أراد أن يوضح عددًا من القضايا أولها مسؤولية صَدَّام حسين في التورط في شن الحرب دون اللجوء إلى استشارة الدول العربية وترك الفرصة لتجنبها عبر المساعي السلمية، وثانيها أراد أن يعتب على سورية للقائها مع ليبيا وإيران الذي تناول قضايا عربية في الوقت الذي كانت نظرتهم إلى سورية ودورها، غير ما تركه ذلك اللقاء من انطباعات، وثالثها حرصه على استمرار سورية بموقف متوازن، لذلك طلب توضيح الصورة لدول الخليج.

* * *

كان الوضع يزداد دقة وحراجة مع تصاعد الحرب بين العراق وإيران إثر تركيز الإيرانيين عملياتهم العسكرية الهجومية وإخراجهم القوات العراقية من معظم الأراضي الإيرانية، وتمكنهم من التوغل في بعض المناطق العراقية.

ومع اشتداد الضغط العسكري الإيراني على العراق، رغم تفوق آلته العسكرية كان القلق يزداد في العراق ودول الخليج، وكان الضغط على سورية يتعاظم لاتخاذ موقف ضد إيران.

بات وضع العراق العسكري صعبًا في عام ١٩٨٣وفي مطلع عام ١٩٨٤، ولذلك فقد لجأ إلى ضرب المنشآت الاقتصادية الإيرانية، ولا سيما النفطية، مستخدمًا الطائرات الفرنسية المزودة بصواريخ دقيقة، فقصف مصب خرج الإيراني، كما أعلن تلك المنطقة

منطقة عمليات عسكرية، وأخذ الطيران العراقي بضرب الناقلات المتوجهة إلى المصبات النفطية الإيرانية.

وأثّر هذا الحصار الجوي على إمكانات إيران وطاقاتها التصديرية والمالية، وهي التي تواجه مصاعب الحصار الاقتصادي الذي فرضه الغرب، بالإضافة إلى أعباء حربها الضروس مع العراق، فلجأت إلى التعرض للبواخر القادمة إلى المرافئ السعودية والكويتية.

وفي شهر أيار ١٩٨٤ أوفد الملك فهد بن العزيز الشيخ عبد العزيز التويجري حاملاً رسالة من الملك إلى الرئيس حافظ حول هذا الوضع ومخاطره والخشية من توسع رقعة الحرب، لأن استمرار العمليات الإيرانية سيؤدي إلى وصول قوات عسكرية من الدول الكبرى لحماية مصالحها، وهذا الأمر إذا حصل سيؤدي إلى سقوط النفط بأيدي هذه الدول وإلى سيطرتها على المنطقة، وليس في ذلك مصلحة لدول الخليج، أو سورية أو إيران، وفي نهاية الرسالة طلب الملك من الرئيس التدخل مع إيران، كما أبدى التويجري استعداد السعودية لوقف المساعدات للعراق.

وافق الرئيس حافظ على الوساطة وطلب إليّ السفر إلى طهران، توجهت إلى طهران يرافقني وزير الخارجية، وعرضت الوضع على الرئيس الإيراني، ومخاطر توسيع الحرب واحتمالات لجوء الدول الخليجية إلى دعوة قوات أميركية بكل ما في ذلك من خطر يهدد كلاً من إيران وسورية، تحدث الرئيس الإيراني عن رغبتهم في عدم توسيع الحرب، ولكنهم يرون أن السعودية ودول الخليج يقدمون مساعدات كبيرة إلى العراق، فهم يقدمون المال والتسهيلات العسكرية والدعم السياسي، والمطلوب منهم أن يقفوا على الحياد، لأنهم بمساعدتهم للعراق إنما يُطيلون أمد الحرب، وهذا ليس في مصلحتهم ولا مصلحة المنطقة كلها، وأبدى استعداده للتعاون طالبًا منا الضغط على الدول العربية الخليجية لوقف مساعداتها للعراق.

وبعد عودتنا من طهران طلب إليّ الرئيس السفر إلى جدة لإطلاع الملك فهد على مجرى المحادثات مع القيادة الإيرانية، فتوجهت في السادس والعشرين من أيار ١٩٨٤ إلى جدة وقابلت الملك فهد وأبلغته أن الرئيس حافظ بعد أن تسلم رسالتكم التي حملها الشيخ عبد العزيز التويجري طلب إليّ التوجه إلى طهران، ونحن هناك وبعد وصولنا فوجئنا بخطاب لصَدَّام حسين وبقصف لباخرتين إيرانيتين في الخليج.

قاطعني الملك قائلاً: هذا الخطاب لم يكن في وقته ولا في محله، وكان يجب ألا يقوم بعمل يعرقل مساعيكم.

تابعت الحديث قائلاً: سوف أضعكم بصورة محادثاتنا في طهران، لقد قابلنا الرئيس خامنئي وبلغناه رسالة السيد الرئيس ومضمونها أن سورية تنظر بخطورة كبيرة لتطور العمليات القتالية في الخليج، ونحن نرى في هذا ضررًا كبيرًا لدول المنطقة وإيران، وإن إسرائيل وأميركا سوف تستغل هذا الوضع، ومهمتنا هي وقف انتشار الأعمال القتالية بين إيران والعراق وعدم تجاوزها مناطق أخرى.

نعتقد أن التركيز على هذه الناحية والنجاح فيها يمهد الطريق لأمور أخرى، علينا أن نحل حلقة بعد أخرى، قلنا له إننا ندرك خطورة هذا الأمر، ويجب أن نتعاون نحن وأنتم وأشقاؤنا لوقف هذا الأمر، وكذلك نريد معرفة وجهة نظركم كيف يمكن معالجته مع إخواننا في دول الخليج. لقد قابلنا خامنئي ووزير الخارجية، ورئيس مجلس الشورى، والثلاثة تحدثوا بنفس المنطق.

قال الملك: ماذا قالوا؟

أجبته: قالوا إنهم يريدون بشكل جدي أن تكون علاقاتهم مع دول الخليج جيدة، وهم مستعدون لكل شيء لتحسين هذه العلاقات، ولكن الدول الخليجية تقدم مساعدات لصَدَّام، ولولا هذه المساعدات لما استطاع التنفس، ويحاربهم بهذه المساعدات، وهم يعتقدون أن ضرب صَدَّام لجزيرة خرج يتم بالاتفاق مع الدول العربية الخليجية، ويستشهدون على ذلك بتصريح للسيد أحمد زكي اليماني، لصحيفة تصدر في بروكسل.

قال الملك: سألنا زكي اليماني عن هذا التصريح فنفى أنه أدلى به، وقلنا له يجب أن تُكذب ذلك.

أجبته: أردت وضعكم بصورة وجهة نظرهم، كما قالوا إن زكي اليماني صرَّح أيضًا في الكويت بأن الطيارين العراقيين لا يستطيعون تمييز جنسية الطائرات عند ضربها، وذلك تبريرًا لضرب العراقيين ناقلة سعودية.

إذن هم يعتبرون هذه الظواهر مساعدة لصَدَّام:

- المساعدات.

- ضرب الناقلات.

- بذل المساعي مع الدول الأخرى لعدم شراء النفط الإيراني، مثل الوفد الذي ذهب إلى اليابان في سبيل هذا الهدف.

ـ يعتقدون أيضًا أن تسهيلات تقدم مع السعودية للطائرات العراقية لتهبط فيها ثم تضرب الناقلات، كما أن السعودية بواسطة طائرة الأواكس تساعد العراق في جمع المعلومات.

رد الملك: هذا غير صحيح.

وأوضح الأمير سعود: إن الأواكس مصممة لمراقبة الطيران المنخفض ولا تكشف الناقلات.

فتابعت: نعرض عليكم وجهة نظرهم حتى نعرف كيف يمكن معالجة الموضوع، كما لاحظنا أنهم لا يعتقدون أن هناك احتمالاً كبيرًا للتدخل الأميركي والغربي، حتى إذا حصل هذا التدخل فلا مانع أن يقاتلوا الأميركان في إيران.

قلنا لهم: هناك مشكلة بينكم وبين العراق، ولا علاقة لدول الخليج بهذه الحرب سوى المساعدات.

قال الملك: نعم، المساعدات معروفة.

تابعت العرض: قالوا إننا نوافق على وقف كل شيء فيما يتعلق ببواخر النفط، أي أن أمن بواخر النفط للجميع والدول الخليجية قادرة على الضغط على صَدَّام لوقف ضرب الناقلات في الخليج، فقلنا لهم: إنكم تقولون إن صَدَّام مجنون وجبار وعنيد، فإذا لم يستجب للضغط ما هو الحل؟

قال الملك: فعلاً لم يستجب للضغط.

قلت: هنا كان في ذهننا الحديث الذي دار بين السيد الرئيس والشيخ التويجري بأن المملكة مستعدة لوقف المساعدات، فقلنا لهم إذا لم يستجب صَدَّام للضغط لوقف ضرب الناقلات فيمكن عندئذٍ قطع المساعدات عنه، ويصدر موقف شجب لضرب السفن في الخليج.

إذن توصلنا معهم إلى نقطتين:

ـ وقف المساعدات بناءً على كلام الشيخ التويجري للسيد الرئيس.

ـ شجب ضرب الناقلات في الخليج.

هذه هي النقاط التي تحدثنا بها معهم، وكَلَّفَنا السيد الرئيس استطلاع وجهة نظركم.

قال الملك: نحن نقدم المساعدات لأن سياسة إيران وإذاعتها كانت موجهة ضد دول الخليج وليس ضد العراق فقط، إنهم يريدون تعديل سياسة دول الخليج، والذي لا يريده

الخميني يجب أن يزول، إنهم أخطأوا بأن جعلوا دول الخليج تفكر بأن العراق يقاتل إيران بآلاف الجنود، لذلك هذا هو الطريق لمنع إيران من القدوم إلى الخليج.

لقد بدأ صَدَّام الحرب ضد إيران دون استشارتنا، يبدو أن الخلاف بينهما بدأ على تنفيذ اتفاقية ١٩٧٥ حول الأراضي، وكان من الممكن تلافي الأمور عن طريق هيئات أو محكمة العدل الدولية.

ادعاء صَدَّام بأنه قاتَل إيران بسبب تحرشها بحدوده وتفجير بعض المتفجرات داخل العراق قد يكون هذا صحيحًا أو غير صحيح، في ميثاق الجامعة العربية هناك نص بأن على الدول العربية مساعدة أية دولة عربية تتعرض للاعتداء، وعلى الرئيس الذي يقع الاعتداء على دولته أن يشاور رؤساء الدول العربية بالمشكلة قبل أن يبدأ الحرب، وبعد ذلك يقول ساعدوني، وصَدَّام لم يستشرنا عندما بدأ الحرب.

لقد كان هناك انطباع يروجه العراق بأن إيران تريد احتلال العراق أولاً، ثم تحتل دول الخليج العربي بعد ذلك.

خطأ إخوتنا في إيران أنهم بدأوا يهددون دول الخليج ويخوفونهم، إخواننا في إيران يقولون إن المقصود صَدَّام، صَدَّام هو نفر في العراق، من يقول إن المسألة تتوقف على صَدَّام؟ هل تعتقد أنت كعربي أن المشكلة مع العراق هي في شخص صَدَّام؟ أعتقد أن سبب قوة صدام هو تحدي إيران له، عندما دخل صَدَّام داخل أراضي إيران، ربما كانت إيران ضعيفة بسبب ظروفها الداخلية، أما الآن فمقدمة الجيش الإيراني في الأراضي العراقية، وقد بُذلت وساطات دولية وإسلامية كثيرة دون جدوى، والحرب تدور الآن على الحدود العراقية.

العراقيون الآن لا يدافعون عن صَدَّام وإنما عن بلادهم، لأنه إذا افترضنا أن إيران احتلت المدن الرئيسية في العراق فهل تكتفي إيران أن تأخذ صَدَّام ثم تنسحب؟ أعتقد أن إيران سوف تفرض تنظيمًا معينًا مناسبًا لها في العراق، لأن إيران إذا احتلت العراق فيصبح عندئذٍ محتلاً ويترفون فيه كما يشاؤون كما حصل في ألمانيا عندما احتلها الحلفاء، الذي نخشاه وينعكس علينا وعليكم وعلى كل عربي هو إذا احتلت إيران العراق بشكل عسكري فالمشكلة لن تنتهي بإسقاط صَدَّام، إن الشعب العراقي يقول الآن المشكلة ليست مشكلة صَدَّام، وإنما احتمال احتلال إيران للعراق، ولذلك يتلاحم الجيش والشعب.

آمل أن تنتهي الأمور عند حد، والعراق يتبصر بأموره وإيران تتبصر بأمورها، من

المعروف أن البلدين خسرا كثيرًا، كانت إيران غنية ولديها أرصدة من الذهب والتجارة والنفط وغيرها.

البلدان تحطما، هل من الممكن أن تنتهي هذه الحرب وكل دولة تأخذ أراضيها، إن وضع صَدَّام وكأنه المشكلة ليس إلا عذرًا، لأنه عندئذٍ لا يمكن وضع حد لمشكلة صَدَّام إلا بحلين:

- احتلال العراق من إيران وإسقاطه عسكريًا.
- أو أن يُقتل صَدَّام من قِبل جيشه أو شعبه.

صَدَّام الآن يريد أن يدافع ولا يهمه سواءً تهدم العراق أو تحطم، وصَدَّام مستمر ولا يمكن أن ينتهي إلا باحتلاله عسكريًا أو بتعرضه لحادث من الداخل قد يظهر رجل واحد في العراق ويُنهي المشكلة، ثم يقرر الشعب مصيره بنفسه.

إن صَدَّام قد يقول إن موانئ في الخليج قد دمرتها إيران ولا منفذ عندي سوى الأنبوب، عبر تركيا، وطالما أنني فقدت بترولي في الخليج لذلك سوف أجعل إيران تفقد دخلها بضرب الناقلات التي تحمل النفط الإيراني.

أعتقد لا أحد يستطيع إقناع العراقيين إلا بالقوة، السؤال هو هل ليس لدى إيران إمكانية لحماية سفنها من الطائرات العراقية بالصواريخ أو غيرها؟ على كل حال هذا شيء عائد لهم.

أجبته: هذا صعب لأنه يعني أن الطيران يجب أن يبقى بالجو ٢٤ ساعة في اليوم.

تابع الملك فهد: أستطيع القول إنه ولا طائرة عسكرية عراقية هبطت في السعودية، لا أعلم ما هو الوضع في الكويت، أما بالنسبة لنا فلم نزود أية طائرة عراقية بالوقود بالجو، وكذلك لم نسمح لأية طائرة عسكرية عراقية بالهبوط في مطاراتنا، ونتحدى الأقمار الصناعية أن تثبت غير ذلك، يبدو أن وجهة نظر إيران أن تضرب الناقلات الخليجية لكي نضغط على صَدَّام لوقف ضرب الناقلات الإيرانية.

لقد جربنا هذا وليس بالإمكان منع العراقيين من ضرب شيء يستطيعون أن يضربوه عسكريًا في إيران، ولكن إن صرح زكي اليماني أو غيره، فهذا لا يغير شيئًا في موقفنا.

الشيء الآخر أن إيران لا تستفيد بضرب البواخر في الخليج، وإلى متى ستبقى إيران تضرب هذه السفن التي تحمل البترول لدول مختلفة في أوربّا وغيرها وبعضها صديقة لإيران؟ ربما

تستطيع إيران منع السفن من المرور في الخليج، ولكن ما هي النتيجة؟ إذا وجدت دول الخليج نفسها تموت، فعندئذٍ لا معنى للحياة، وبذلك تخلق إيران عبئًا على نفسها بالإضافة إلى عبء صَدَّام، لأن هذه الدول قد تلجأ للمساعدة الأجنبية، أو يساعدها غيرها لمساعدة صَدَّام.

إن الحرب بين العراق وإيران حرب طويلة حطمت كل شيء، ولكن لا توجد أية مشكلة بين إيران ودول الخليج سوى بعض المبررات مثل المساعدات التي تقدم للعراق، وهذا حدث في أول الأمر، من أغلاط إيران أنها ركزت على دول الخليج وهي تحارب العراق، وكأن العراق هدف أول والخليج الهدف الثاني.

اليوم صرح رفسنجاني أن الهدف الرئيسي هو إنهاء الحكم في العراق وإنهاء حزب البعث، كما نعرف حزب البعث يعني سورية والعراق.

أجبته (مازحًا): هم يقصدون العراق.

وتابع الملك: ولكن قد يأتيكم الدور، لكل دولة الحق في إقامة التنظيم الذي تريده، لأن الدولة تعتقد أن هذا التنظيم هو لمصلحة شعبها، صَدَّام قبل الحرب أراد تصدير ثورة البعث إلى الدول العربية، لا نزال نقاوم وسوف نقاوم أي تدخل أجنبي، لأن الأجنبي إذا تدخل نفقد سيادتنا، نحن خائفون من الدول الكبرى، ونقول هذا بصراحة، إننا نقاتل بأرواحنا أيَّ أجنبي شرقي أو غربي يأتي لاحتلالنا، ليس لدينا إلا النفط، ويريدون احتلاله، إذا حدث هذا الاحتلال ستكون خسارتنا كبيرة، وإذا حصل تدخل أجنبي في الخليج فهذا يكون مساعدة وحماية لإسرائيل، أنا أقول لا توجد عواطف لدى الدول الكبرى، بل لها مصالح، إذا تعارضت مصالحها مع مصالحك يضربوك، الشاه وهو يموت لم تسأل عنه أميركا، هناك فرق بين احتلال الأرض كتوسع وبين احتلال آبار البترول، إذا تعرضنا لاحتلال قد تفجر آبار البترول ولكنهم قد يصلحونها خلال شهر لأنهم هم الذين صنعوها، وعندئذٍ يمسكون كل ساحل الخليج وآبار النفط ويبدأون ببيع النفط بسعر رخيص، كل برميل بـ٥ دولارات، ويُحسنون عندئذٍ اقتصادهم وأوضاعهم، نحن نعرف أن أوربّا واليابان وأميركا كل حياتها قائمة على البترول.

وأنا أعتقد أن أكثر الدول رغبة في احتلال منابع النفط هي الدول الصديقة، وأن ثروة البترول هي لنا ولسورية خاصة ولكل العرب، وأن كل الطائرات الموجودة عندنا من طراز «إف١٦، وإف١٥، وإف ٦»، والتي اشتريناها بمليارات الدولارات هي لسورية، وستثبت الأحداث ذلك، إذن لماذا نضطر للدفاع عن أنفسنا أمام إيران، إن كل بياناتنا التي صدرت

حول مشكلة الخليج مليئة بالتعقل، وهذا ليس خوفًا من إيران، ولكن لا نريد خلق مشكلة، الباخرة الليبيرية التي ضُربت مؤخرًا في منطقة الخفجي بين السعودية والكويت، كان من الممكن مطاردة الطائرة الإيرانية وضربها، ولكننا لا نريد خلق مشكلة.

وقال الأمير عبد الله: أردنا ضرب الطائرة الإيرانية ولكن جلالة الملك أوقف ذلك.

وتابع الملك: نعم أوقفت العملية ونفينا أننا طاردنا الطائرات الإيرانية.

كل ما فعلناه أنقذنا الركاب من السفينة المضروبة، لقد لجأ طيار إيراني إلى المملكة مع طائرته فلم نحدث ضجة، وطلبنا من إيران تسلم هذه الطائرة.

نحن لا نهاجم إيران في إذاعتنا أو صحفنا، ونلوم الكويت لقيامها بذلك، نحن نستطيع مطاردة الطائرات الإيرانية، ولكن لا نريد خلق مشكلة، قبل أيام دخلت طائرة إيرانية محملة بالصواريخ أراضي المملكة فطار فوقها الطيران السعودي وأنذرنا الطائرة بالعودة خلال دقيقتين فعادت، لم نكن نريد أن نخلق مشكلة وإلا كنا نستطيع ضربها، وأبلغنا هذه الحادثة للقائم بالأعمال الإيراني، فقال إن الطيار أخطأ. كيف يخطئ وهو يُحلق مسافات واسعة فوق المملكة، لدينا صواريخ تضرب من الطائرة على بُعد ١٠٠كم ولا تخطئ شبرًا واحدًا، ولكن لا نريد استعمال هذه الأسلحة ضد إيران، إننا ندخرها لكم.

إننا نقول دائمًا لا نريد تدخلاً أجنبيًّا لحمايتنا ونرفض ذلك، ولكن قد تلجأ بعض الدول الخليجية الصغيرة إلى طلب الحماية من أميركا أو فرنسا أو غيرها، وإذا دخلت هذه الدول الغاشمة من يردها؟! المشكلة وجدت وعلى العقل المفكر إيجاد حل لها.

قرأت اليوم أن شركات التأمين رفعت أقساط التأمين على البواخر القادمة إلى الخليج، فماذا تستفيد إيران من ذلك؟ إذا أغلق الخليج بشكل نهائي فسوف تدخله البوارج وتحتل المنطقة، ومن يستطيع عندئذٍ محاربتها.

أجبت الملك: جلالة الملك، الشرح الذي تفضلت فيه جيد، وسياسة المملكة القائمة على الحكمة أثبتت نجاعتها، كلنا في مستنقع ولا نعرف كيف نخرج منه، وأكبر مثال على ذلك المستنقع الذي وقع فيه صَدَّام، إن هذه المشكلة تؤثر علينا جميعًا.

رد الملك: إذا احتلت أميركا الخليج وتقوم إسرائيل من ناحية أخرى باحتلال الأردن والجولان وغيره، عندئذٍ ماذا يستطيع العرب أن يفعلوا، سوف تجلب إسرائيل ٢٠ مليونًا يهوديًّا ليسكنوا في هذه المناطق وننتهي كعرب.

وهنا أخذت الحديث قائلاً: جلالة الملك، هناك مسألتان:

- الحرب العراقية - الإيرانية.

- الوضع المتفجر بين دول الخليج العربي، وإيران.

الحديث عن المسألة الأولى يجب أن يسبقه تهدئة الوضع بين إيران ودول الخليج، وهذه العلاقات فيها مسألتان:

- الشكاوى بتدخل إيران في الخليج، يقابله رغبة إيران بتحسين العلاقات.

- شكوى إيرانية من المساعدات التي تقدم لصَدَّام.

قال الملك: هذه المساعدات قديمة.

أجبته: وكما فهمت من السيد الرئيس أنه فهم من الشيخ عبد العزيز بأنكم على استعداد لإيقاف المساعدات، فإذا قلنا للإيرانيين لن تعطى مساعدات لصَدَّام.

قال الملك: عليهم التهدئة أولاً.

أجبته: نقول لهم المساعدات سوف توقف لأن الظروف المالية صعبة عندكم.

- الأمر الثاني أنتم ضد أي عمل ضد ناقلات النفط، من الممكن أن يصدر موقف عام بشجب تعطيل الملاحة في الخليج.

- الأمر الثالث على إيران وقف الحملات الإعلامية وعقد اجتماعات مع دول الخليج لتحسين العلاقات.

قال الملك: هذا يحتاج لدراسة وتدقيق، العراق يقول كل منشآتي النفطية على الخليج دمرتها إيران، ولم يبق عليّ إلا أن أموت، أو أموت إيران معي، نحن لا نستطيع منع إيران من ضرب العراق ولا منع العراق من ضرب إيران، ولكن هل هناك أمل في حل ما؟ أم أن إيران تصر على احتلال العراق لأخذ صَدَّام، لأنه لن يُسلم نفسه للإيرانيين، إنهم بهذا يقوون صَدَّام.

لقد بُذلت جهود وساطة كثيرة وكانت لجان الوساطة تقول إن إيران لن توقف الحرب إلا بعد الانتصار على العراق، لأنه إذا توقفت الحرب بدون الانتصار على العراق فسيسأل الشعب الإيراني حكامه إذًا لماذا دخلتم الحرب؟ العراق يعتمد على قوة عسكرية برية قوية جدًّا، وكذلك القوة الجوية العراقية.

إذن لا يمكن انتصار إيران على العراق إلا بمعجزة، هذا هو الوضع عالجوه بحكمتكم، وإلا التدخل الأجنبي في الخليج سوف يُخضعنا للنفوذ الأجنبي.

سألت الملك: جلالة الملك، هل لديكم أفكار نحملها للسيد الرئيس حول هذا الموضوع؟

رد الملك قائلاً: من الممكن أن يقول السيد الرئيس للإيرانيين إن دول الخليج تستميت الآن لمنع دخول القوى الأجنبية إلى الخليج، فلماذا تضربوا ناقلاتهم وتضغطون عليهم، اضربوا العراق كما تشاؤون ولكن لا تضغطوا على دول الخليج واتركوا هذا النفط يذهب إلى أوربّا واليابان حتى لا نخلق لهم مبرر احتلال الخليج.

سألت الملك: فيما يتعلق بالكلام الذي أحضره الشيخ عبد العزيز حول المساعدات؟

رد الملك قائلاً: منذ مدة لم نقدم لهم مساعدات، ولكن إذا رأينا العراق يدفع دمه فسوف نقدم له المساعدات، وهذا أفضل من أن يأتي الأميركان، من الممكن أن نفعل أي شيء بهدوء وبطرق خاصة، إذا توقفت الحرب نحن على استعداد لمساعدة إيران ولن نبخل عليها بشيء، يجب أن تهدأ الأمور حتى نستطيع التصرف.

نرجو أن يقول لهم السيد الرئيس اهدأوا، خاصة وأنهم أعادوا لكم طائراتكم، ولم يتهموكم بشيء، فلماذا تضغطوا عليهم؟ إذا هدأت الأمور وارتاحت نفوس دول الخليج تفكر عندئذٍ بالتصرف.

وهنا قلت للملك: إذن سوف ننقل الصورة إلى السيد الرئيس، أعود وأؤكد أن التزام سورية نحو المملكة حول هذا الأمر غير قابل للمناقشة، وإذا وصلنا لأي تطورات جديدة نخبركم.

قال الملك: هذا لا شك فيه، كلما هدأت الأمور يمكننا التحرك أفضل.

دخول القوات الأجنبية سهل وخروجها صعب، الوضع عندنا ليس مثل لبنان، حياتهم هنا في النفط ولا يخرجون بسهولة.

فقلت للملك: هل تريدون شيئًا من دمشق؟

قال الملك: تحياتي لفخامة الرئيس والإخوة في دمشق.

لقد بدا واضحًا لي أن إمكانية اللقاء بين الجانبين تكاد تكون معدومة إن لم تكن مستحيلة،

فالسعودية ودول الخليج متورطة عمليًّا مع العراق، في الموقف السياسي والدعم الاقتصادي، لأن لها مصلحة في هذه الحرب، والتي كانوا يعتقدون أن العراق يخوضها نيابة عنهم.

وفي الوقت نفسه فإن السياسة الإيرانية منذ قيام الثورة لم ترتكز على خطوات جدية لتهدئة الوضع من الناحية العملية مع دول الخليج، فعدد من كبار الساسة الإيرانيين وفي مقدمتهم قائد الثورة آية الله الخميني، كانوا يشنون الحملات على تلك الدول، رغم أن الحكومة الإيرانية كانت تبدي رغبة بالتصالح وتهدئة الوضع، ورغم مرور فترات من الهدوء في العلاقات بين السعودية ودول الخليج من جهة وإيران من جهة ثانية بفضل الجهود الكبيرة التي بذلتها سورية، رغم ذلك فإن أجواء التوتر بقيت مستمرة والحملات الإعلامية لم تتوقف، وفي لقاء مع الملك فهد بن عبد العزيز في الطائف بتاريخ ١٦/ ٧/ ١٩٨٥ أبدى قلقًا من سلوك إيران، وأبلغني أن لديهم وثائق موقّعة من قادة إيران حول مخططاتهم لإرسال عشرين ألف مقاتل في موسم الحج إلى الحرم لإثارة المشاكل في المملكة، وسوف نعطيكم صورة عنها لعرضها على الرئيس، قد تكون مزورة، ولكن يجب التدقيق فيها وأخذها مأخذ الجد، وحسب تخطيطهم يريدون إرسال مائة ألف حاج إيراني لمحاربة مليوني مسلم في موسم الحج، وتساءل: هل هذا لمصلحة الإسلام؟ وهل يقبلون أن تقوم مظاهرات ضدهم في شوارع إيران، حتى يطلبوا منا السماح للحجاج الإيرانيين القيام بمظاهرات أثناء موسم الحج، هناك خمسون دولة ترسل حُجاجًا إلى المملكة وإذا كنا سنسمح لكل دولة بتنظيم مظاهرات، فإن الأمن يصبح فوضى، وبخاصة أن بين الحجاج سياسات كثيرة، أرجو إبلاغ ذلك للرئيس لمتابعة الموضوع مع الإيرانيين.

وهكذا استمر التوتر بين إيران والمملكة العربية السعودية والكويت والبحرين، والذي كان يتصاعد مع تصاعد وقائع الحرب من جهة وردود الأفعال بين إيران والدول العربية في الخليج.

كان الوضع يزداد صعوبة مع كل حدث، فكل حدث كان سببًا لسلسلة من الأحداث والتعقيدات، وكان علينا أن نستمر في بذل الجهود.

وبالمحصلة فإن الحرب بقيت محصورة بين العراق وإيران مع استفزازات بين الأطراف الأخرى، وحافظت طهران على تعهدها بعدم توسيع الحرب وحصرها مع العراق.

* * *

وفي مطلع عام ١٩٨٦ تطور الوضع العسكري لصالح إيران، إذ اشتدت الهجمات الإيرانية ضد القوات العراقية، ونجحت القوات الإيرانية باختراق حدود العراق، وازداد عدد العسكريين العراقيين الذين استسلموا للقوات الإيرانية مما أحدث ذعرًا لدى دول الخليج، وترافق ذلك بتوتر في المياه الإقليمية والدولية، وتصاعد الغارات على بواخر النفط.

هذا وقد وجّه الشيخ صباح الأحمد وزير خارجية الكويت الرسالة التالية إلى وزير خارجية سورية بتاريخ ١٠/ ٢/ ١٩٨٦، وهذا نصها:

لا شك أن معاليكم تابعتم معنا أنباء التصعيد الخطير الذي تشهده الجبهة العراقية الإيرانية، ذلك التصعيد الذي أفرز حتى الآن التطورات المتسارعة نجم عنها أوضاعًا أثارت لدينا قلقًا شديدًا بما يمكن أن يؤدي إليه من اختراق لأراضٍ عربية بالقطر العراقي، وبالوقت الذي أشير فيه لمعاليكم بما يمكن أن يمثله ذلك من أخطار حقيقية تهدد قطرًا عربيًا شقيقًا، وما يمكن أن ينجم عن مثل ذلك التهديد من تعريض الأمن والسلامة لأمتنا العربية لأخطار محققة، وأود أن أسترعي اهتمام معاليكم مما سبق وأن أعربت عنه الشقيقة سورية من مواقف قومية تمثلت بتأكيداتكم على قدسية التراب العربي أينما كان وبمعارضتكم لأي اختراق إيراني لأراضٍ عربية.

ويهمني هنا أن أتوجه إلى معاليكم موقع مسؤوليتنا القومية بالتحرك لبذل جهودكم الحثيثة لوضع حد لهذا التصعيد الخطير.

وتفضلوا معاليكم فائق التقدير والاحترام

أخوكم

صباح الأحمد الجابر الصباح

نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية

وبتاريخ الثاني والعشرين من شباط ١٩٨٦ استقبلت الأمير سعود الفيصل، وتركز الحديث حول العلاقات السورية ـ العراقية والحرب بين العراق وإيران.

كان الوزير السعودي قد زار بغداد وأبلغنا اقتراح الرئيس العراقي حول العلاقات السورية ـ العراقية وتضمن الاقتراح تطبيعًا للعلاقات في ظل الخلاف سواء العلاقات الحكومية أو الحزبية، وإيقاف نشاط كل طرف ضد الطرف الآخر، وأن الخلافات تناقش نقطة مقابل نقطة.

وأكد الأمير سعود أن العراقيين جادون، وأن المملكة ترى التركيز على الخطر الإيراني المباشر على دول الخليج ودول المنطقة كلها، هناك احتلال إيراني، وإن الهجوم الأخير على البصرة وعزمهم على احتلال جزء من العراق وتنصيب أنصار لهم ليقولوا إن هذه الحرب عراقية ـ عراقية، فهذا أمر خطير في المنطقة، كما أننا في الحرب لا نستطيع المغامرة، ربما في لحظة اختراق وينهار الوضع، ومعالجة الوضع بعد استفحاله مشكلة بحد ذاتها، حتى لو نجح العراق بحشد قواه العسكرية وجاءته قوات عربية فإن الحرب ستؤدي إلى تفاقم الوضع وتتحول إلى حرب عربية ـ إيرانية وعندئذٍ أول ما يمكن أن تفعله إسرائيل احتلال الأردن والرجوع إلى سيناء، وتحتل ما تريد في لبنان وربما تعتدي على سورية.. وهكذا نكون قد دخلنا في جبهتيْ حرب.

في الخليج نحن واثقون مائة بالمائة إذا حصلت اختراقات عسكرية سنجد منابع النفط من الكويت إلى عُمان بأيدي قوات أجنبية بحجة حفظ الأمن، وعندئذٍ من هي الدول التي ستساعدنا في هذا الخطر أمامنا، ربما أكون متشائمًا، ولكن يجب افتراض أسوأ الاحتمالات، وإذا كنتم تكرهون صدام فنحن نكرهه أكثر منكم، وأريد أن أؤكد أن جلالة الملك يرى أن سورية أهم بالنسبة للمملكة وهي مستقرة في وضعها الداخلي وعلاقاتها الدولية، نحن متأكدون بعد انتهاء الحرب لن يبقى صَدَّام حسين، نحن نحاول معرفة الحقيقة، هل نحن واهمون في نظرتنا إلى إيران وأنه من الممكن العمل والاتفاق معهم؟

أجبت الأمير سعود: إن الوضع يجب أن يُناقش بمعزل عن دور العقل أو الأفكار المسبقة، ودعنا نطرح عددًا من الأسئلة وفي ضوئها يتحدد نهج العمل في المستقبل.

هناك مسألتان: الأولى: الموقف من إيران، والثانية: العلاقات السورية ـ العراقية، وكلاهما تؤثر، لو أننا افترضنا اليوم أن سورية اتخذت موقفًا تصادميًا مع إيران ما هي الإمكانات التي يمكن إضافتها لمعالجة الوضع والتخوفات من إيران؟ أي أن هذا الأمر هل سيؤدي إلى وقف الحرب وإنهاء التخوفات الموجودة؟ إذا اتخذنا موقفًا ضدهم ماذا سيكون تأثيره العملي على إيران؟ وماذا سيكون تأثيره في إزالة قلق إخواننا في الخليج؟ إن التصادم مع إيران سيؤدي إلى انهيار العلاقات وإلى إغلاق نافذة يمكن استخدامها في وضع الضرر والحد من الأخطار ومعالجة بعض القضايا الضاغطة.

تساءل الأمير سعود: هل المقصود العلاقات الاقتصادية؟

فأجبته: أنا أتكلم عن الناحية السياسية وليس عن الجانب الاقتصادي، هم قدموا التزامًا

بعدم توسيع رقعة العمليات العسكرية خارج الأراضي الإيرانية والعراقية كما تعهدوا الامتناع عن أية أعمال أمنية في دول الخليج، وذلك عبر الجهود السورية، فهل إلغاء هذه الجهود ألا يفتح الباب أمام ازدياد التوترات؟ الخطر في رأينا تحول الحرب إلى صراع عربي ـ فارسي، وهذا ما يجب تجنبه، وأعتقد أن وجود علاقات متوازنة بين بعض الدول العربية وإيران يحول دون تحول الصراع وتوسعه.

ثم من المسؤول عن شن هذه الحرب؟ هل ناقش صَدَّام حسين أحدًا؟ وهل استشار أحدًا من الدول العربية؟ أمَا كان يجب الضغط عليه في البداية لوقف هذه الحرب ولو حدث ذلك لتجنبنا المعاناة التي نعيشها اليوم.

وقد رد الأمير سعود بما يلي: بعد هذه السنوات الست من الحرب العراقية ـ الإيرانية لم نعد نستطيع أن نتكلم عن نقطة بدايتها، بل عن الوضع الحالي الذي يهدد العلاقات العربية ـ الإيرانية، والذي يهدد هذه العلاقات أنهم يريدون أن يحتلوا وأن يغيروا الحكومة العراقية ويأتوا بحكومة بديلة لكي تحكم في العراق فإذا أخذنا موقفًا، وإلا سيتحول الأمر إلى حرب فارسية ـ عربية، أو ربما يكون العكس إذا انحسروا هم، أن يحتل العراق أراضي في إيران ويتعقد الأمر وتكون الدوافع توسعية عربية فنصبح في وضع نرغب فيه أن نحرر عربستان أو غيرها، وهذه الصورة ممكن أن تحصل وهي صورة نرغب في أن نتجنبها، ليس لدينا نحن أبدًا أية دوافع، والوسيلة التي نرغب في أن نصل فيها إلى تجنب هذا الصراع الفارسي ـ العربي، أن نأتي ونقنع إيران بأن تغير وجهة نظرها بحل سلمي يستجيب لطامحها وكبريائها الذاتية، دون أن يمس الأمر وحدة واستقلال العراق، ولا خيار آخر، فإذا توضحت الصورة بالنسبة إليهم على أساس أنهم يعطون وزنًا بدون شك لموقف سورية أكثر مما يعطون وزنًا لموقف الخليج، أي أن موقف سورية في هذا المجال لمواجهة الأمر، نحن نريد علاقات جيدة لكم ونرغب في أن يكون كبرياؤكم مصانًا فهل هذا الأمر إذا سمعوه يكون جادًّا لديهم؟! فإن التحسس وكما يرى فخامة الرئيس بالنسبة للإعلان، لأن فخامته يعتقد أن العراقيين يريدون موقفًا إعلاميًا فقط وإن هذه مناورة فقط، هكذا يعتبرونها.

لذلك نعالج الموقف من منظورهم ومنظوركم، أي إما أن يتغير شيء على المستوى العسكري، وهذا ما نرغب في أن نتجنبه أو أن يتغير شيء في المعادلة السياسية.

أجبت الأمير سعود: إن هذا النهج سيزيد الوضع تعقيدًا، وافترض جدلاً إذا إيران رفضت الاستجابة.

فرد الأمير سعود: هم أيضًا يحسبون الخسائر التي يمكن أن تلحق بهم، وهل الاقتناع يأتي عن طريقنا أو عن طريق وحدة الموقف؟ إن أول انتصار تحققه إيران على العراق سوف يقترن بتدخل أكيد، وهذا ما لا نرغب به سواء من الأميركان أو السوفييت.

وجرى نقاش حول إمكانية تدخل القوات الأجنبية، وأصرَّ سعود على رأيه في أن الأميركان سيتدخلون، وسألني عن الموقف السوفيتي فأجبته: السوفييت لا يريدون هزيمة العراق ولا هزيمة إيران؛ فهم في تقديرهم أنه إذا هُزمت إيران سوف ترجع قاعدة أميركية، وإذا انتصرت إيران بما تطرحه من سياسة سوف يشكل لهم هذا الوضع إرباكات سياسية في الجمهوريات الإسلامية من الاتحاد السوفيتي، لذلك أنا أعتقد أنهم بما يعلنون نضعه جانبًا، ولكنهم يرتاحون إلى أن لا يتم انتصار، ولكن إذا كان الثمن استمرار الحرب فإنهم ليسوا بهذا التوجه.

وبالنسبة للعراق لا يريدون هزيمة للعراق خوفًا من كل النقاط التي نتكلم فيها، ولا يريدون انتصارًا لصَدَّام، لأن انتصاره يعني أن إيران أصبحت مع أميركا.

لذلك تلاحظ أن السوفييت يمدون صَدَّام ويطعمونه لكي لا يموت، وفي الوقت نفسه يمدون الإيرانيين ولا يعطونهم أسلحة مباشرة، بل تأتي من دول اشتراكية.

رد الأمير سعود: الأمر يتوقف عليكم والطريق مفتوح كلها.

وقد أجبت أن لدينا في سورية توجّه لحل المشكلة بيننا وبين العراق، وإذا كان العراقيون جادين عليهم العودة إلى مناخ العمل المشترك حيث كنا نعمل لحل المشاكل ولكنهم انقلبوا وعطلوا الاتفاق، وبالتأكيد أن الوصول إلى اتفاق ستكون له انعكاسات كبيرة في المنطقة لمصلحة الجميع. ولكني لا أعرف ماذا أعطاك الرئيس العراقي وما هي تصوراته للدخول في حل هذا الوضع؟

نحن وضعنا أفكارنا لكيفية حل المسائل ودفعنا الإطار والتوجه، وهم أيضًا فليقولوا لنا ما هي أفكارهم وما هو برنامجهم؛ أي أن يحددوا المسائل المطروحة.

قال الأمير سعود: إن التصورات التي طرحها تطبيع العلاقات في ظل الخلافات وامتناع أي طرف عن القيام بعمل يضر الآخر وحل المشاكل مشكلة مقابل مشكلة، وفي رأيكم العودة للميثاق، وتبدأ الحلول من حيث توقفت العلاقات.

أخذت الحديث ثانية وشرحت الموقف كما يلي:

هناك أمران في المرحلة التي مرت بيننا وبينهم؛ هناك ميثاق العمل القومي الذي هو عبارة عن تنظيم العلاقة بين البلدين وبين الحزبين، وهناك الوحدة التي هي أكثر من ميثاق العمل القومي، نحن النقطة التي اختلفنا عليها لدى مسألة الوحدة، أي لو أننا بقينا نتكلم في ميثاق العمل القومي، لكُنّا أقمنا الوحدة، وهو عبارة عن تنظيم العلاقة بين الحكومتين وبين الحزبين.

بعد أول لقاء تم في بغداد، ثم لقاء ثانٍ، اتفقنا على مسألة الوحدة، ومن هنا بدأنا نشتغل على موضوع الوحدة الحزبية والحكومية، هم أرسلوا إليهم مشاريعنا، ثم اتفقنا على أنه يعتمد المشروع السوري حول الوحدة الدستورية في المناقشة بين القيادتين، وهذا بناءً على اقتراحهم، ويعتمد المشروع العراقي في المناقشة بالوحدة بين الحزبين، وذهب الرئيس إلى بغداد في ١٤/٦/١٩٧٩ وتمت مناقشة المشروع الدستوري، وكانوا قد أرسلوا ملاحظات عليه، جاء طارق عزيز واستكملت الملاحظات كلها ونوقشت وتم الاتفاق على المشروع الدستوري؛ مشروع دستور الوحدة، وكان جاهزًا، ووضعت الورقة العراقية حول موضوع الحزب، تقريبًا تم الاتفاق على معظم الأمور، بقي الخلاف حول مسألة السوريين الموجودين لديهم في القيادة، أو العراقيين الموجودين لدينا في القيادة، ونحن كانت وجهة نظرنا أن هؤلاء الذين خرجوا من عندنا قد طردناهم من البلد، وهناك مشكلة بيننا وبينهم وغير معقول أن يرجعوا، خرجوا من الباب لكي لا يدخلوا من النافذة، طبعًا نحن لم نكن نطرح أن يرموا بهم، وإنما على الأقل يجب ألا يكونوا في مواقع قيادية على الأقل في المرحلة الانتقالية.

وشُكّلت لجنة، أذكر محمد حيدر من عندنا وطه رمضان - على ما أذكر - أو طارق عزيز أو عزت إبراهيم لمعالجة هذه المسألة، وجرى الاتفاق على أن الحل قبل ٩/١، وأن يجري اجتماع في ٩/١، وتعلن فيه وحدة الحزب ووحدة البلدين فالرئيس حينما يقول نرجع إلى النقطة التي كنا فيها، يقصد بذلك هذا الأمر.

وموضوع ميثاق العمل هو عبارة عن تنظيم العلاقة بين الدولتين وبين الحزبين، أي ليس هو وحدة بين الدولتين والحزب، فالرئيس يقول نرجع إلى النقطة التي اختلفنا فيها وهي مسألة الحزبية والدستورية.

أخذ الأمير سعود الحديث ثانية قائلاً: هناك سؤالان مطروحان من الطرفين، أنتم تقولون هناك يجب أن تكون نَقْلة نوعية في مُجمل العلاقات وبخاصة العلاقات الحزبية، وهم يقولون بنَقْلة موضوعية أيضًا في موقف سورية من الحرب مع إيران.

أجبته: طبعًا إذا توصلنا لاتفاق يجب أن تكون هناك نقلة نوعية من الجانبين.

رد الأمير سعود قائلاً: هذا هو الوضع، الحالة في المنطقة تتطلب تحركًا وأنا لا أعرف كيف يكون ربط الأمور بحيث نصل، البلدان موافقان من حيث المبدأ ولنا سنتان نعمل، ولكن كيف ننطلق والخطر الذي نراه لا نراه ينعكس في المواقف.

استمر النقاش بيني وبين الأمير سعود دون طائل لأن المطلوب سوريًا من العراق كان مرفوضًا من بغداد، والمطلوب عراقيًا من سورية كان مرفوضًا من دمشق لأن عمق النزاع بين حكومتي البلدين كان عظيمًا وتراكمت السلبيات خلال أكثر من ثمانية عشر عامًا، وخلال هذه الفترة كادت الحرب تقع مرتين بالإضافة إلى دعم ومساندة الحكم في العراق لأعمال القتل في سورية، بالإضافة إلى دعم خصوم سورية في لبنان.

كانت المصالحة العراقية ـ الإيرانية أسهل منها بيننا وبين الحكومة العراقية مما جعل الوساطات العربية غير مُجدية بسبب اختلافنا في فهم طبيعة النظام العراقي وأخطاره.

* * *

في السابع والعشرين من آذار ١٩٨٦ استقبلت السيد رفيق الحريري موفدًا من الملك فهد بن عبد العزيز وأبلغني ما يلي:

هناك معلومات بأن اتفاقًا جرى بين القذافي وأبي نضال والإيرانيين لضرب منشآت أميركية في الكويت والسعودية، وطبعًا أنتم لا علاقة لكم بأبي نضال، وممكن أن يقوم بعمليات، ففي السعودية لا توجد منشآت أميركية، هناك منشآت سعودية يعمل بها الأميركان، وأي ضرب لها يعتبر ضربًا للسعودية، والأمر الثاني قبل ثلاثة أيام اتصل الرئيس الإيراني بالملك فهد، وكان الاتصال لأول مرة، وكان الكلام جيدًا جدًا وممتازًا ورائعًا، ومدح السعودية ومواقف السعودية ومدح الملك، والملك فهد يعتبر هذه المبادرة الإيرانية نتيجة جهود السيد الرئيس حافظ الأسد وهو يشكره على ذلك ويعتبر هذا الموضوع تطورًا إيجابيًا، ويؤكد أن السعودية ليست طرفًا في المشكلة الإيرانية ـ العراقية، ومن جهة أخرى أنت تعرف أن السيد الرئيس قال كذا مرة أننا لا يمكن أن نرضى أن تضرب إيران أي بلد عربي، وبخاصة دول الخليج، كما أكد الرئيس أن أي اعتداء من إيران على الدول العربية هو اعتداء على سورية، والملك لا شك لديه بهذا الكلام وهو متأكد أن سورية ستدافع عن السعودية إذا تعرضت لأي اعتداء من إيران أو غير إيران، والوضع في المنطقة إذا مست إيران أي بلد يعتبرون أنها تمسهم جميعًا، أي لن يجعلوها تأكلهم واحدًا بعد الآخر.

أجبته: موقفنا واضح وقد أكدناه لكم مرارًا، لقد كان الرئيس حافظ واضحًا في تحديد الموقف للملك فهد والأمير عبد الله ولجميع الإخوة في الخليج.

فأجابني: هذا الأمر يحتاج إلى تأكيد.

عقبت قائلاً: سأعرض الأمر على الرئيس.

وبعد عرض اللقاء مع السيد الحريري على الرئيس حافظ في نفس اليوم ناقشنا خلفيات طلب التأكيد على الموقف السوري واتفقنا على إبلاغ السيد رفيق الحريري ما يلي:

١ ـ إن سياستنا ثابتة تجاه أي عدوان تتعرض له دول الخليج والمملكة العربية السعودية وإيران بالصورة ولن تفاجأ بموقفنا.

مستعدون لإرسال قوات وبالحجم الذي يريدون، وتوضع هذه القوات بإمرة الملك فهد، وإذا نشبت معركة سنرسل الحجم المناسب للمعركة، ونستبعد تورط إيران لأنهم يعرفون موقفنا، ودائمًا في الأحاديث مع الإيرانيين كنا نؤكد على العلاقات مع السعودية؛ وهي علاقات مميزة، في زيارة وزير الخارجية الأخيرة إلى طهران، من جملة النقاط التي حمّله إياها السيد الرئيس، هي موضوع علاقاتنا المميزة مع السعودية.

أعود فأؤكد أن سورية ثابتة بهذه السياسة، وأرجو إبلاغ ذلك إلى الملك فهد.

٢ ـ أما بالنسبة لجماعة أبي نضال، ستتحدث معهم وبصورة قوية وواضحة وسنقول لهم إن أي شيء ضد السعودية هو ضدنا، وإذا سمعتم أية أخبار أرسلوها لنا.

٣ ـ فيما يتعلق بسياستكم النفطية قال السيد الرئيس إن أكبر دولة نفطية إنتاجها أقل من الدول الأخرى، برأينا حصة السعودية يجب ألا نترك ولا برميل، وإذا نزلت الحصة مرة سيشكل ذلك سابقة وحق مكتسب للآخرين، ونحن نؤيد سياسة السعودية تجاه موضوع الأسعار، ونرى الحفاظ على حصتها في الإنتاج فيه مصلحة للجميع.

وبعد أيام، وفي السابع من نيسان ١٩٨٦ استقبلت السيد رفيق الحريري ودار الحديث التالي، تحدث السيد رفيق الحريري حول عدد من المواضيع على الشكل التالي:

قائلاً: لقد طلب إليّ الملك فهد التوجه إلى دمشق واللقاء بك وعرض موضوع ضرب الباخرة السعودية منذ أيام من قِبل الطيران الإيراني، وإن الملك يتساءل ماذا يريد الإيرانيون؟ هل يريدون حربًا ضد السعودية؟ هل يريدون استجلاب الأميركان ووجود أميركي وتدخل

أميركي؟ السعودية لا تريد حربًا مع إيران ولا تريد تدخلاً أميركيًا ولا غير أميركي، لماذا يفعلون ذلك؟ وذلك يتعارض مع قولهم لسورية إنهم ضد توسيع حرب الخليج، ومع تحسين العلاقات مع دوله، لا سيما مع السعودية، علمًا أن الباخرة مملوكة لسعوديين وترفع العلم السعودي.

هذه رسالة الملك فهد،

سأعرض الموضوع على السيد الرئيس.

وفعلاً عرضت رسالة الملك فهد على الرئيس، وبعد المناقشة بمضمون الرسالة تم الاتفاق على إبلاغ السيد الحريري بما يلي:

بالنسبة لموضوع ضرب السفينة السعودية فقد أزعجنا الحادث وأقلقنا ونشارك قلق السعودية، وهذا الأمر لا يتفق مع ما قاله لنا الإيرانيون، سنوجه رسالة إلى طهران نبدي فيها وجهة نظرنا ونسألها عن أسباب مثل هذه العملية التي تتعارض مع الالتزام بعدم توسيع رقعة الحرب وبالرغبة بتطوير وتحسين العلاقات مع دول الخليج وبخاصة السعودية.

وبتاريخ ٤/ ٥/ ١٩٨٦ استقبلت السيد رفيق الحريري موفدًا من الملك فهد بن عبد العزيز لإبلاغي بالتالي لنقله إلى الرئيس حافظ:

يشعر الملك فهد بقلق كبير إزاء استمرار إيران بقصف البواخر السعودية رغم إعلان إيران عن عدم رغبتها بتوسيع حرب الخليج ورغم تعهدها بذلك لسورية.

قائلاً: إن الملك لا يرغب بالاصطدام مع إيران أو توسيع رقعة الحرب إلا أنه أيضًا لا يستطيع الصبر على استمرار الاعتداءات على البواخر السعودية، لذلك فإنه مضطر لإعطاء أوامر للطيران السعودي بقصف طهران فيما إذا وقع اعتداء جديد.

إن الملك يتمنى على السيد الرئيس أن يساعد في إيجاد حل لهذا الموضوع وفي حال استمرار إيران باعتداءاتها على البواخر السعودية يتمنى أن تتخذ سورية موقفًا واضحًا من ذلك، سيما وأن السيد الرئيس سبق وأن أبلغ الملك مرارًا أن سورية ضد توسيع الحرب وضد أي اعتداء على السعودية وعلى بلدان الخليج.

أبلغت السيد الحريري أني سأنقل للسيد الرئيس هذه الرسالة، وكررت له مواقفنا السابقة من أن سورية ضد توسيع الحرب وضد أي اعتداء يقع على أي بلد خليجي، كما أبلغته أننا

سبق أن وجّهنا رسالة إلى القيادة الإيرانية، وكان هذا الموضوع من المواضيع التي بحثها وزير الخارجية السوري في طهران خلال مروره فيها إلى دلهي لحضور مؤتمر عدم الانحياز.

عرضت الموضوع على الرئيس حافظ الذي أبدى انزعاجًا كبيرًا من الموقف الإيراني وقد طلب إلى وزير الخارجية توجيه الرسالة التالية إلى وزير خارجية إيران:

أرسل الملك فهد رسالة للسيد الرئيس حول قصف الباخرة السعودية مؤخرًا، تقول الرسالة بأن الملك فهد يشعر بقلق كبير إزاء استمرار الجمهورية الإسلامية الإيرانية بقصف البواخر السعودية رغم إعلان إيران عن عدم رغبتها بتوسيع حرب الخليج وتعهدها بذلك لسورية.

إن الملك لا يرغب بالاصطدام مع إيران ولا يرغب بتوسيع رقعة الحرب إلا أنه لا يستطيع الصبر على استمرار الاعتداءات على البواخر السعودية لذلك فإنه مضطر لإعطاء أوامر للطيران السعودي بالرد إذا وقع اعتداء جديد، إن الملك يتمنى على السيد الرئيس أن يساعد في إيجاد حل لهذا الموضوع، وفي حال استمرار الاعتداءات على البواخر السعودية يتمنى أن تتخذ سورية موقفًا واضحًا من ذلك، لا سيما وأن سورية سبق أن أبلغت السعودية مرارًا أنها ضد توسيع الحرب وضد الاعتداء على السعودية ودول الخليج.

أيضًا في الشهر الماضي حصل ضرب لإحدى البواخر السعودية، وكان الملك فهد أرسل رسالة للسيد الرئيس ونقلت مضمون الرسالة في ١٥ من الشهر الماضي، عندما كنت في طهران للدكتور ولايتي، الآن تكرر هذا العمل ونأمل من حكومة الجمهورية الإسلامية الإيرانية أن تجد حلاً لهذا الموضوع، وبخاصة فإن عدم حل هذا الموضوع سيضيف مشاكل جديدة أنتم ونحن في غنى عنها، كما أن صدّام سوف يستفيد من ذلك بتوتير الأجواء في منطقة الخليج لتوسيع رقعة الحرب وتوريط الدول العربية في هذه الحرب، نحن في سورية نعتقد أنه ليس من مصلحتنا كبلدين صديقين أن نهيئ المناخ المناسب للنظام العراقي، لذلك نرجو أن تتم معالجة هذا الموضوع وإعلامنا رأي القيادة الإيرانية وموقفها الدقيق حتى نتمكن من إبلاغ الملك فهد بالموقف الصحيح، وأرجو نقل تحياتي للدكتور ولايتي ونأمل بوصول جواب واضح؛ لأننا أيضًا حريصون على معرفة موقف القيادة الإيرانية إذا كان هناك مصلحة لضرب السفن السعودية فيجب أن تخبرونا بذلك، وإذا لم تكن هناك مصلحة فيجب وقف ضرب السفن السعودية.

* * *

إثر ازدياد التوترات بين المملكة العربية السعودية وإيران واحتمال توسع رقعة الحرب والتدخل الأجنبي فقد أجرينا المناقشة لدى الرئيس حافظ الأسد وتقرر إيفاد وزير الخارجية إلى طهران لنقل رسالة من الرئيس حافظ الأسد إلى الرئيس السيد علي خامنئي.

وبتاريخ ١٢/ ٥/ ١٩٨٦ استقبل الرئيس الإيراني حجة الإسلام علي خامنئي الوزير السوري رسالة من الرئيس حافظ الأسد حول التوترات مع السعودية، وقلق سورية من استمرار هذه التوترات واحتمال تطورها وتدخل عناصر أجنبية في هذه الأزمة مما يزيد بالضغوط على إيران، كما أن تصاعد التوترات قد يؤدي إلى توسيع دائرة الحرب؛ وهذا ما يسعى إليه صدّام حسين، وبعد نقاش طويل عرض فيه وزير الخارجية السوري وجهة نظر سورية وأسباب قلقها فقد أعطى الرئيس الإيراني موقفًا فهم منه الوزير السوري موافقة إيران على وقف التعرض لناقلات النفط السعودية والكويتية.

وفي الرابع عشر من أيار ١٩٨٦ استقبل الملك فهد بن عبد العزيز وزير الخارجية السوري لإبلاغ الملك بنتائج زيارته إلى طهران.

وبعد أن عرض الوزير السوري نتائج محادثاته في إيران تحدث الملك فهد قائلاً: «نحن لا نريد أن نثير مشكلة ولا الاحتجاج لمجلس الأمن ولا للجامعة العربية، ولا نريد إزعاج أحد بمشاكلنا غير سورية؛ لأن مصيرنا ومصيركم واحد، نحن سكتنا لأن بالإمكان حماية بواخرنا، ولكن قلنا نحاول بالعقل حتى آخر نقطة، ولهذا توجّهنا للإخوان في سورية حتى نضعهم في الصورة لعل وعسى أن يفهموا الإخوان في إيران أن هذا العمل لا يفيد بشيء بل يدخلنا بمشكلة كبيرة، ولا أحد يضمن ألا تتدخل فيها الدول الكبرى، لهذا صبرنا وسكتنا واعتمدنا على جهود سورية.

في الحقيقة أنا ممتن للرئيس الأسد لاهتمامه الكبير، وهو يدرك أن السعودية تميل إلى عدم إثارة المشاكل لأن التاريخ علمنا أن المشكلة تبدأ صغيرة ثم تكبر وتكبر حتى يستعصي حلها، ولدينا أمثلة عديدة في إفريقيا وأميركا اللاتينية، لذلك اخترنا طريق المحبين لنا وفي مقدمتهم سورية وعلى رأسها الرئيس حافظ الأسد، وأنا أعترف أنه مهتم بأمر السعودية كما هو مهتم بأمر سورية، قلنا الذي حصل حصل والضرر الذي وقع قد وقع ونحن لا نريد مشكلة جديدة نضيفها إلى مشاكل العرب الكثيرة».

تابع الوزير قائلاً: تضمنت الرسالة تذكيرًا للقيادة الإيرانية بما كانت تؤكده لنا دومًا بأن إيران ترغب بإقامة علاقات حُسن جوار وصداقة مع دول الخليج وبخاصة مع المملكة، وأنها

ملتزمة بعدم توسيع الحرب، وطلب السيد الرئيس في رسالة من القيادة الإيرانية التوقف عن ضرب السفن السعودية، لما سيلحقه ذلك من أضرار بالغة تهدد أمن واستقرار المنطقة، كما أكد السيد الرئيس ضرورة تجاوز إيران كل الخلافات - إن وجدت - بين إيران والمملكة بالوسائل السياسية والحوار الأخوي البنّاء وليس بالأعمال العسكرية.

لقد أجريت في طهران محادثات طويلة وشاقة حول هذا الموضوع مع الرئيس الإيراني ورئيس الوزراء ووزير الخارجية بهدف إقناعهم بأخطار ضرب السفن السعودية، وقد ساد هذه المباحثات في بعض مراحلها جوًّا من التوتر بسبب إصرارنا على ضرورة وقف قصف السفن السعودية فورًا وتأكيدنا بأي أعتداء على دول الخليج العربي هو اعتداء على سورية، وبأن الخلافات بين إيران والمملكة مهما كانت يجب ألا تُحل بالطرق العسكرية، بل بالتفاهم والحوار.

أكد الرئيس الإيراني مجددًا حرص إيران على عدم توسيع رقعة الحرب، وبأن إيران مهتمة بإقامة علاقات حُسن جوار وتفاهم مع المملكة العربية السعودية بشكل خاص ودول الخليج بشكل عام، لكنه قال إن المملكة لم تُقابل هذا الحرص بمثله، وقال بأن المملكة بدأت تُظهر مؤخرًا مواقف معادية لإيران، واعتبر جولة نائب الرئيس الأميركي في المنطقة وتصريحاته استهدفت تخويف إيران، وأضاف بأن إيران لا تعبأ بمثل هذه التهديدات وأنها لا تخاف.

تحدث المسؤولون الإيرانيون جميعًا وبشكل خاص الرئيس خامنئي حول العلاقات السعودية ـ الإيرانية والتحول الذي طرأ عليها مؤخرًا وخيبة أمل وزير خارجية المملكة وإيران من أي تحسين عملي وأن الأقوال لم تترجم إلى أفعال، وقال إن القيادة الإيرانية عندما أخذت بنصائح الرئيس الأسد لتحسين العلاقات مع السعودية تعرضت لانتقادات شعبية كبيرة داخل إيران، وقال الرئيس الإيراني: بالرغم من ذلك فإن إيران ما زالت على استعداد لتحسين العلاقات مع السعودية شريطة إزالة الأسباب التي تسيء للعلاقات.

وشرح الرئيس الإيراني الأسباب التي تقف في طريق تحسين العلاقات بين إيران والمملكة، وركّز بشكل خاص على قيام المملكة بتقديم مساعدات حيوية لدعم المجهود الحربي للعراق بشكل مباشر وغير مباشر، وأنا أحاول أن أضعكم بالصورة الحقيقية، وذكر الرئيس الإيراني قيام السعودية مع الكويت ببيع ٣٠٠ ألف برميل نفط يوميًّا لصالح العراق، وعندما سألناه عن صحة هذه المعلومات قال إن أحد المسؤولين العراقيين صرّح بذلك قبل أيام، وتساءل الرئيس الإيراني كيف يمكن لإيران أن تسكت عن مرور البواخر السعودية بأمان في الخليج وهي تعلم أن بعض هذه البواخر تنقل النفط وتبيعه لصالح العراق؟!

كما ذكر الرئيس الإيراني مساعدة السعودية للعراق في خط الأنبوب الواصل إلى ينبع على البحر الأحمر؛ والذي سيُمكّن العراق من تصدير حوالي ٦٠٠ ألف برميل يوميًّا، وتساءل: هل اشتغل الخط؟

قاطع الملك فهد الوزير السوري قائلاً: لا تستطيع أن تقول اشتغل أو لم يشتغل بعد داخل العراق، تم بناؤه أنا داخل السعودية فلم ينجز بالشكل المرسوم، يمكن القول إن هذا الخط ينقل من ٢٠ ـ ٣٠ ألف طن بالشهر، على كل حال لدى العراق خطوط تصدير كثيرة وبخاصة مع تركيا، أما أن يقول إن السعودية لم تستجب لتحسين العلاقات مع إيران فهذا غير صحيح، إيران تريد من تحسين العلاقات أن يكون ذلك مشروطًا بالخضوع والرضوخ لإرادتها وهذا شيء غير مقبول لأي شعب حر، أما عندما تستعمر وتحتل أراضيه فيمكن فرض ذلك، أما عن موضوع مساعداتنا للعراق هذا الأمر يمكن أن يكون صحيحًا ولكن قبل سنوات وليس الآن، هذا ما قاله لهم سعود وأبلغهم أن هذه المساعدات كانت بسبب ما صرحوا به سابقًا حول التدخل بشؤون الخليج، لقد عينوا شكل الحكام وهذه تصريحات صدرت عن كبار المسؤولين الإيرانيين.

لا يعقل أن تهدد إيران الخليج ونقف مكتوفي الأيدي دون مساعدة العراق، لقد ذهب سعود إلى طهران وجاء وزير خارجية إيران إلى الرياض وكان الجو إيجابيًّا، ولكن المشكلة هي عندما تصل إلى إيران أخبار مشوهة هي ليست في صالح إيران، إذا كان لا بد لإيران أن تشتبك مع دول الخليج فهذا يعني لا بد من إحراج سورية.

طبعًا الكل يعرف موقفكم الآن بسبب الخلافات بينكم وبين العراق، ولكن الوضع بالنسبة لدول الخليج الست مختلف، لهذا لم يبقَ إلا إفساد العلاقات بين سورية ودول الخليج، نحن نعرف تمامًا أننا لن نُترك على كيفنا، توجد دول أقوى منا ومن إيران وهي تتربص أي مشكلة تقع وتتطور إلى درجة الاشتباك العسكري حتى تتدخل هذه الدول، لماذا؟ لأن حياتها تتوقف على بترول الخليج، وما هي إمكانية دول الخليج لمنع تدخل هذه الدول الكبرى، وإلا لماذا أساطيلها تقف بالقرب من مدخل الخليج؟ نحن نعرف أننا دول صغيرة ولن نُترك لأنه يوجد استعمار جديد، ولن تستطيع لا سورية ولا السعودية ولا إيران منعه؛ فهو يريد العودة إلى منطقتنا.

صحيح أن سورية احتلها الفرنسيون وقد أُخرجوا منها، ولكن عودة الاستعمار هذه المرة تختلف، فهو يعود إلى منطقة فيها ثروات، لقد تحملنا عدم إثارة مشكلة خشية وقوع مشكلة

أكبر، الدول الكبرى متفقة مع بعضها، والاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة لا ينظرون إلا إلى مصالحهم وهم يوزعون ويقتسمون العالم ويعرفون أن الدول الصغيرة مهما عملت وخربت وفجرت لن تحول دون استيلاء الدول الكبرى على المواقع التي تريدها ونبقى نحن حريصين، لماذا إسرائيل تتهيأ عسكريًا؟! ولماذا تُظهر نفسها للعالم وكأنها لم تفعل شيئًا باطلاً وكأنها بنت حنون تدافع عن حقوقها، هي شوكة في ظهر سورية والأردن والسعودية، فلماذا لا نفكر بالعقل والمنطق، جيش مثل جيش إسرائيل في بلد غرقان بالديون لماذا يقوى، صحيح أن أميركا تعطف على إسرائيل، لكن الشعب الأميركي غير الشعب الإسرائيلي، لماذا تريد إسرائيل تفجير الوضع بشكل أو بآخر، مثلاً لو اصطدمت إسرائيل مع سورية نحن نعرف أنه لا يوجد سوري ولا عربي محب لسورية إلا ويدفع دمه قبل أن تحتل إسرائيل شبرًا من الأراضي السورية، السعودية هيأت نفسها عسكريًا وطيراننا جيد ولكننا لم نجهز أنفسنا ضد إيران ولا لمساعدة العراق، بل نجهز أنفسنا ليوم من الأيام ستتحرك فيه إسرائيل ضد سورية، في الماضي كان العراق عمقًا لسورية ولكن العراق الآن مشغول بالحرب مع إيران، والأردن إمكانياته محدودة، ولهذا وجدنا ضرورة أن نُعد أنفسنا ونُقوي جيشنا وطيراننا لمشاركتكم المعركة ضد إسرائيل، حتى إيران لن تستطيع مساعدتكم بسبب الحرب، ولهذا لم يبق إلى جانب سورية إلا السعودية لأننا مقتنعون إذا تأثرت سورية فستتأثر السعودية والأردن والعراق، إسرائيل تحاول أن تفجر الوضع بشكل أو بآخر ولكنها تنتظر حتى تتهيأ لها الظروف وهذه الظروف هي: أن لا تنتهي الحرب العراقية - الإيرانية، وأن تخلق مشكلة في الخليج تؤدي إلى تدخل الدول الكبرى؛ الأمر الذي سيجعل سورية لن تقف مكتوفة الأيدي فستعمل كل ما تستطيع لمساعدة الخليج، ولكن إذا فعلت سيصبح ظهرها مكشوفًا أمام إسرائيل، هكذا يتم خلق الظروف المواتية لإسرائيل، ولن يمنع ذلك لا الاتحاد السوفيتي ولا الولايات المتحدة، ليبيا بداية لهذا التحضير، لقد خلقت المشاكل أمام سورية ولبنان وأنا أدري بالجهد الذي يبذله الرئيس حافظ ليل نهار من أجل جمع المسلمين والمسيحيين، لكن الأمور تتطور ولا بد من التساؤل: من يدفعها لهذا التطور؟ لماذا أصبح لبنان مركز انطلاق للشر؟ أنا أعرف أن الرئيس حافظ مدرك أن المسألة في لبنان ليست فقط مسألة حرب أهلية بل هناك مسألة الفلسطينيين وحزب الله والكتائب التي تعتمد على إسرائيل وأميركا، يوجد شيء سيحدث، ولكن عندما يتحكم العقل وتكون العلاقات بين إيران ودول الخليج مريحة فإنها تكون مريحة لسورية لأنها ستتفرغ لتجهيز نفسها لمواجهة إسرائيل.

المشكلة مع إيران أعمق، كل ما قاله الإيرانيون لكم ليس هو الشيء الرئيسي، ومع الأسف

لم يفهموا موقفنا من هذا الشيء الرئيسي، وحاولنا إفهام الإخوان في ليبيا والجزائر فلم يفهموا أيضًا.

المشكلة هي مشكلة البترول، تريد إيران بيع النفط بدون حدود وأن تحصل على أسواق السعودية، عندما حصل اجتماع الأوبك اتصلت بالقذافي والشاذلي وقلت لهما كان عملنا خطأ منذ اجتماع الأوبك في قطر، مادة البترول لا تخص شعوبنا فحسب بل تخص الصديق والعدو، أنا أحاول أن أحلل ما ينشر في الصحف الأميركية وما يصرح به رجال الكونغرس، هم يركزون بأن هذه هي فرصة إسرائيل الضيقة والمحاصرة حتى تتوسع، ويقولون الظروف مواتية؛ إيران من جهة، والعرب مشغولون ببعضهم البعض من جهة أخرى، فماذا يهم إذا ابتلعت إسرائيل الجولان والأردن وسيناء وجنوب لبنان، وماذا يهم إذا استقر في المنطقة ٢٥ مليون يهودي، إسرائيل تخطط حتى تصبح دولة كبرى ولا يهم عدد السكان وإلا كانت الصين ستهز العالم، إذن هم يتربصون بنا بشكل أو بآخر وطالما هناك مشاكل في المنطقة فلا بد من دفعها وتوريط الدول الأخرى بها.

الاتحاد السوفيتي دولة كبرى وهو لا يفكر إلا بمصالحه، لا يفكر بمصالح سورية ولا السعودية، وعلى كل حال يمكن أن تقوم بيننا وبينه علاقات إذا سمحت الظروف، السوفييت يريدون التمركز في آسيا، وقد سيطروا على الفيتنام وكمبوديا وأفغانستان ويريدون المزيد من التوسع، لا يريد السوفييت أن يُغضبوا أميركا وإلا ماذا كان دور روسيا بعد الغارة الأميركية على ليبيا، قالوا ما فعلته أميركا شيء همجي ثم سحبوا أسطولهم، يجب أن نعتمد على أنفسنا أولاً وأخيرًا، نعود الآن إلى موضوع إيران، كانت تنتج السعودية ١١ مليون برميل يوميًا، طبعًا المملكة بلد واسع وشاسع ومعظم أراضيه بادية وفيه سكان بدو وحضر وهم يحرصون على رؤية العالم وحضارته، ونحن لم نبخل على شعبنا بدولار واحد، عندما كنت وزيرًا للمعارف كان مجموع كل طلابنا لا يتجاوز ٣٠ ألف طالب، وكان في الرياض عدد المدارس لا يزيد عن خمسه اليوم، سألت المسؤولين عن التعليم كم عدد الخريجين لدينا من الثانوية فقط هذا العام فأجابوا ٢٠ ألف بنت و٧٠ ألف شاب، ولدينا ٧ جامعات متكاملة، عدا المستشفيات والطرق والمرافق العامة.

لدينا نهضة شاملة في كل المجالات، حتى الزراعة اكتفينا الآن بل وإنتاجنا يفيض عن حاجتنا، لقد أجرى وزير الزراعة مفاوضات مع السوق الأوربّية وبدأنا بتصدير الحبوب إلى اليونان، صحيح أننا صرفنا أموالاً كثيرة لتحويل البادية إلى أرض زراعية ولكن هذه

الأموال أنتجت وأثمرت لصالح شعبنا، كان من حظ الشعب السعودي أننا لم نبخل ولم نُودع أرصدتنا في المصارف، لدينا أقل رصيد فيها فهو لا يتجاوز من ٥ – ٧ مليارات دولار، هذه النهضة جعلت المملكة مضطرة لمواصلة إنتاج النفط؛ لأن علينا التزامات كثيرة، جاءت حكاية البترول وطلبوا منا أن نُخفض الإنتاج من ١١ مليون إلى ٩ مليون برميل، وبعد عدة أشهر طلبوا أن نخفض الإنتاج إلى ٧ مليون برميل.. واستجبنا، ثم بعد ثمانية أشهر طلبوا أن نخفض إلى ٦ مليون.. واستجبنا، وأخيرًا طلبوا تخفيض الإنتاج إلى ٤,٥ مليون برميل.. وبالكاد تكفي عائداتنا لتسديد التزاماتنا، وبعد توزيع حصص الإنتاج في الأوبك جعلوا سقف الإنتاج للدول الأعضاء ١٦ مليون برميل يوميًّا، وكانت حصتنا ٤,٣٥٠ مليون برميل.. واستجبنا، ولكن لا إيران ولا العراق أنتجوا الحصة المخصصة لهم، بل أنتجوا أكثر منها حتى أصبح سقف إنتاج الأوبك ١٨ مليون برميل، وزاد على ذلك استغلال دول بحر الشمال غير الأعضاء بالأوبك، هذا الاضطراب داخل الأوبك، حاولنا بحث الموضوع مع إيران، واتصل بي هاتفيًّا الرئيس الإيراني وطلب مني أن نجعل سقف الإنتاج ١٤ مليون برميل، قلت له سأوجه عليك بعض الأسئلة أرجو إجابتي عليها. فقال: لا أنا خبير ولا أنت، قلت له: إذن نرسل الخبراء حتى يبحثوا في الأمر.

خلال مؤتمر الأوبك الأخير، لقد وجدنا أنه إذا استقر الإنتاج على ١٦ مليون برميل دون زيادة يكون شيئًا جيدًا، وتحدثت مع القذافي والشاذلي وقلت لهما لماذا لا نبقى ملتزمين بسقف ١٦ مليون شريطة أن يلتزم الجميع بإنتاج حصصهم ونمنع الزيادات التي يقوم بها البعض، وقلت لهم تعالوا نختبر هذا خلال الأشهر الخمسة القادمة، وإذا لم يرتفع سعر النفط فنحن دول الأوبك سنتفق على زيادته، إيران أصرت على سقف الـ١٤ مليون برميل رغم أنهم لم يلتزموا بإنتاج حصتهم، الآن مثلاً سعر البرميل ١٦ دولارًا، لقد انتهى تخزين النفط لدى أميركا وأوربا ودول بحر الشمال عند هبوط الأسعار، دول الأوبك تستطيع زيادة سعر البرميل تدريجيًّا حتى يصل إلى المستوى الذي كان عليه ٢٦ دولارًا، مع الأسف الإيرانيون يريدون شيئًا سريعًا ونحن نريد شيئًا للمستقبل.

وهكذا حصل الخلاف في اجتماع الأوبك الأخير، عشر دول وقفت في جانب بينما وقفت ليبيا والجزائر وإيران في جانب آخر، قلنا للإخوان في ليبيا والجزائر يوجد مؤتمر سيُعقد بعد شهر في يوغوسلافيا ونأمل أن تنتظم الأمور أكثر، الدول الصناعية بدأت بإعادة التخزين من جديد وهذا يتطلب منها شراء كميات إضافية خلال السنتين القادمتين.. وبالتالي سيؤدي إلى ارتفاع سعر البرميل.

هذا هو سبب سوء التفاهم بيننا وبين الإيرانيين، وليس الموضوع موضوع العراق ومساعدة العراق في المجهود الحربي، عندما تضرب إيران السفن السعودية فماذا سيكون المخرَج أمامنا، حياتنا هي النفط، ستتوقف الزراعة والصناعة والكهرباء والماء وكل شيء، فهل نسكت؟! لا شك أن السيد الرئيس يُقدر موقفنا أننا قادرون على حماية سفننا في البحر والجو ولكن لو حصل اشتباك له وزنه بين السعودية وإيران فهذا أولاً سيكون في صالح العراق، ثم سيكون في صالح تدخل الدول الكبرى التي تنتظر أساطيلها على مدخل الخليج تحت ستار حماية صناعتها، إذا تدخلت هذه الدول مَن سيخرجها، السوفييت لن يفعلوا لأن هذا يعني حالة حرب، وهذه الحرب ستكون مدمرة للسوفييت وللغرب، سحابة انفجرت في مصنع أربَكَت العالم فما بالك بالحرب النووية، السوفييت لن يتدخلوا طالما هم مسيطرون على بلدان آسيا وإفريقيا دون حرب، أنا أعرف أن السوفييت غير مسيطرين على سورية فأنتم تشترون السلاح وتدفعون ثمنه، ولا تقبلون من أحد السيطرة عليكم، ونحن أيضًا في السعودية لا تستطيع أمريكا أن تدّعي أن لها يدًا في أي صغيرة في المملكة؛ لأننا لا نسمح لأحد بالسيطرة علينا.

أخلص من كل ذلك، إذا وقعت المشكلة بيننا وبين إيران فمن سيتدخل؟ إنها سورية، لكنها ستكون في موقف صعب إذا لم تتدخل، وعذرها واضح هو مواجهة إسرائيل.. فهذا صعب، وإذا تدخلت فإنها ستفتح المجال أمام إسرائيل ويعرف الجميع أن سورية هي الدرع، ولولا سورية لما توقفت إسرائيل عند حد، وإذا كانت سورية ساكتة الآن عن الجولان فهذا لأنها تنتظر تعزيز قوتها ولأنها تفكر بأكثر من الجولان، ما حدث عام ٧٣ كانت أخطاء أوصلت إسرائيل إلى القناة، لا نريد أن نتكلم عن السادات.. لقد ذهب بخيره وشره، المهم لقد استعدنا قوتنا وإن شاء الله لن نرتكب أخطاء من تلك.

إيران لا تستفيد من «خنق» السعودية، وأقول «خنق» لأن البترول حياتنا، لدينا إمكانيات بحرية جيدة وقوة جوية متفوقة بالظروف الحالية على إيران، وعندما يحاول أحد خنق الآخر فماذا سيفعل؟ ولكن لمصلحة مَن وقوع الاشتباك بين السعودية وإيران، إنه ليس في صالح شعب السعودية الذي يرفض أن ترضخ بلاده لأحد وهي قادرة على الدفاع عن نفسها.

وأخذ الحديث ثانية الوزير السوري قائلاً (متابعًا الرسالة): قال الرئيس الإيراني بأن إيران على استعداد لإيقاف كل الأعمال الحربية في منطقة الخليج إذا توقف العراق عن ضرب السفن التي تحمل النفط الإيراني، وأضاف: إذا تحقق ذلك فإن الخليج سيعرف الأمن والاستقرار،

وقال بأن الأمن في الخليج لا يمكن تجزئته إلى منطقتين: منطقة آمنة ومنطقة غير آمنة، حيث يقوم العراقيون بضرب السفن الإيرانية بينما تتوقف إيران عن ضرب السفن التي تساعد العراق، وأضاف: هذا الأمر لا يُمكننا السكوت عليه، ولهذا هم مضطرون للاستمرار بضرب البواخر التي تحمل النفط لحساب صَدَّام، وقال: إذا توقف ضرب البواخر التي تحمل النفط الإيراني فإن منطقة الخليج ستنعم بالاستقرار والأمن للجميع.

تساءلت: وما هي علاقة المملكة بضرب السفن الإيرانية؟ أجاب الرئيس الإيراني بأن المملكة وجلالة الملك بالذات بمقدوره إذا أراد أن يضغط على العراق من أجل الكف عن قصف السفن التي تحمل النفط الإيراني.

وقاطع الملك فهد قائلاً: قلنا لهم من السابق يوجد خط أحمر في الخليج بيننا وبين العراق، وواضح للجميع.. السفن التي تأتي إلينا وتحمل نفطنا والسفن التي تذهب للعراق لتحمل نفطه، من سيمنع إيران من قصف السفن المتوجهة إلى العراق؟ لماذا لا يقصفون هم تلك السفن ويأتون إلينا لقصف سفننا؟ هل تعتقدون أن العراق في الوضع الموجود فيه يصغي للسعودية أو الكويت؟

وعاد الوزير السوري للحديث قائلاً: في الحقيقة دخلت في جدل حاد معهم وتوتر الجو ولم نصل إلى نتيجة مُرضية مع هذا الإصرار الإيراني، فبادرت باقتراح من عندي وقلت للرئيس الإيراني: هل هناك إمكانية لوقف ضرب السفن السعودية لمدة ستة أشهر يحاول خلالها السيد الرئيس حافظ الأسد بذل مساعيه لحل الخلافات بينكم وبين المملكة في أجواء مريحة طالما أنتم تبدون حرصًا على العلاقات مع المملكة؟

وقاطعه الملك فهد: بارك الله، ما طرحتموه فيه منطق وعقل، نهدأ الآن ونشوف عدم إثارة الأمور ربما ستحل المشاكل، أما متابعة حالة الحرب وأن تأتي لخنق دولة ما فماذا تنتظر من تلك الدولة أن تفعل؟ نأمل بدل أن تُضرب السفن السعودية أن نترك المجال لما تفضلتم به، العاقل هو الذي يبدأ بحل المشاكل على ضوء ما قلتم، يجب أن نبحث عن الطرق والأساليب الهادئة، في حالة القتال بين العراق وإيران لا أحد يعرف متى تنتهي، إنها متروكة في يد القدر، أقسم لك - وأنا صادق - إن إسرائيل تهيئ لأمر ما وأنا مقتنع أن الرئيس حافظ يعرف هذا تمامًا وهو أقدر وأخبر رجل عربي بإسرائيل ونواياها، وإسرائيل تعرف أن سورية ليست لُقمة سائغة، من الحكمة على الأقل هذا العام أن نعرف كيف نتصرف وكيف نقوّي أنفسنا ونُجهز قواتنا، ومن الحكمة أن لا نعطي لإسرائيل أية فرصة على الأقل هذا العام، إسرائيل

حتى الآن لم تحقق من حروبها المفاجئة شيئًا وأميركا لن تستمر بمساعدة إسرائيل إلى الأبد لأن أميركا ليست ملك إسرائيل، حتى لو أعطوها المساعدات الآن لا بد من يوم أن يقف الشعب الأميركي ويقول إلى متى؟ أعتقد أن علينا ومن واجبنا تبصير الشعب الأميركي لأنه لا يوجد فرق بين مواجهة إسرائيل هنا ومواجهة تبصير الشعب الأميركي هناك، أنا أول من اعترض على السادات عندما قال للسوفييت: مع السلامة.

ارتكب أكبر خطأ، الاتحاد السوفيتي دولة كبرى وهي مصدر تسليحي، وهي تعطيني أفضل وأرخص السلاح وأفضل التدريب، نحن كعرب ما زلنا جديدين في الحياة التكنولوجية، وليس عيبًا أن نطلب الخبراء لاكتساب الخبرة منهم، اليوم قادة سورية العسكريون لديهم خبرات كبيرة لأن الظروف أجبرت كل إنسان عاقل أن يتعلم وسيقول للخبير بعد سنة أو سنتين مع السلامة، لا أحد يطلب أو يتوقع من الاتحاد السوفيتي أن يتدخل في الحرب إلى جانبه لأنه لن يفعل، لا بد لي أن أشكركم شخصيًّا على جهدكم وقبل كل شيء أقدم شكري الجزيل لفخامة الرئيس حافظ لأنه كان عند وعده لحل هذه المسألة، لقد قال لي الأخ حافظ كلمة لن أنساها، قال: باللحظة التي تريد فيها السعودية مساعدة سورية فلن تتأخر سورية عن هذه المساعدة.

وتابع الوزير السوري قائلاً: جلالة الملك، أنتم تعرفون مواقف السيد الرئيس القومية وبخاصة تجاه المملكة وإخواننا في الخليج، وهذا موقف معلن ويعرفه الجميع.

وعلق الملك قائلاً: كون حصل تفكير عقلاني بفترة هدوء هذا شيء إيجابي ويحقق الاستقرار المطلوب ويساعد على سير الأمور بشكلها الصحيح، وإن شاء الله في مؤتمر الأوبك القادم تُحل الأمور بشكل أفضل، نأمل أن يتحكم العقل ولا يتحكم السلاح إلا في مواجهة إسرائيل، أما تجاه دول صديقة يمكن أن تكون صديقة فهذا خطأ، تأكد يا أخي لولا أن إخوانك في السعودية لديهم قليل من بُعد النظر لحصلت مشكلة بالفعل لا يمكن حصرها، لو قمنا بضرب مَن ضَرَب سفننا ماذا سيحدث؟ لقد سلكنا طريق الحكمة وقلنا لنا إخوان أحباء في سورية سيدفعون الأذى عنّا وعن إيران؛ لأنه إذا وقع الشر فلا يمكن التراجع عنه، ولا يمكن لأحد أن يمنع دول الخليج من طلب النجدة من هذه الدولة أو تلك.

أرجو أن تؤكدوا لفخامة الرئيس حافظ بأننا سنبذل كل جهد ممكن حتى يصبح الخليج مطمئنًا للجميع، وأن السعودية ليست هي عدو إيران، وأن المشكلة العراقية الإيرانية لا أحد يعرف كيف ستحل، كون سورية والعراق تلتف حول بعضها، أعتقد أن الرئيس حافظ أبرز

كل الأمور بشكل واضح، ومتى يتحقق الوئام بين سورية والعراق لا ندري، ولكن نأمل أن يتم، كثير من العرب يقولون لماذا لا تُعقد القمة؟ منذ فترة كان عرفات في صنعاء ووقف مع رئيس اليمن وصاحوا علينا اعقدوا القمة، اعقدوا القمة. قلنا لهم طيب اطلبوا عقد القمة في صنعاء، قالوا لا نقدر، فقلنا لهم إذن لماذا هذا الكلام الفارغ، القمة ليست لعبة بأيدينا أو بأيديكم، الأخ معمر اتصل بي عدة مرات من أجل عقد القمة، قلت له: عندما تعقد القمة بالجزائر وافقنا، وعندما قالوا: لا.. تُعقد في المغرب. وافقنا وأرسلنا وفدنا، وعندما قلتم: في ليبيا. قلنا أيضًا موافقون. أما أن يكون في الفخ أكثر من عصفور فهذا شيء آخر، قلت لمعمر في الوضع الذي أنت فيه أنا لا أستطيع أن أقول كيف تتصرف، السعودية كانت في مقدمة من دان العمل الأميركي، قال نجتمع في طرابلس ويصدر الملوك والرؤساء بيانًا للتضامن مع ليبيا ولو نجتمع ليوم واحد، قلت له: الملوك والرؤساء ليسوا بيدي ولهم تقديراتهم للأمور، منذ بضعة أيام رفض الكونغرس تزويدنا ببضعة صواريخ أميركية رغم أننا ندفع أموالنا مقابلها، حدث قبل ذلك أن رفض الكونغرس تزويدنا بطائرات إضافية طراز إف ١٥ وقمنا بشراء طائرات أفضل منها من بريطانيا، هناك مصادر كثيرة للسلاح ونحن غير مقيدين، يمكن أن نشتري السلاح من الاتحاد السوفيتي ومن فرنسا وبريطانيا، عندما نقول إذا ضربتم نضرب نكون أشعلنا النار، ولكن انتهجنا طريق الحكمة، حتى أعضاء الحكومة السعودية لا يعرفون ماذا جرى فيها عدا سعود وسلطان وعبد الله، لم نطلب تدخل مجلس الأمن ولا مجلس الجامعة، ولا طلبنا عقد القمة وإنما تركنا الأمر بين يدي الأخ حافظ لأننا واثقون من حكمته، ربما يوافقنا حتى نحاول إبعاد الخليج عن المشاكل فالخليج ليس مِلك العراق وليس مِلك إيران، بل هو مِلك جميع الدول في العالم ولها جميعًا مصلحة في أمنه واستقراره.

مشكورين على مساعيكم الجيدة جدًّا ونأمل أن يوفقنا الله حتى نعمل ما نستطيع عمله من أجل السعودية وسورية، وأن تكون علاقاتنا مع إيران جيدة جدًّا، عليهم أن يدركوا أن السعودية ليست مُسرعة في استعجال الشر، هم يعرفون عندما حطت في مطاراتنا ست أو سبع طائرات إيرانية بعضها مع ركابه كان أول تصرف قامت به وزارة الخارجية لدينا أن استدعت القائم بالأعمال الإيراني وقالت له المملكة تسمح لطيارين إيرانيين بأخذ الطائرات مع ركابها دون أي ضجة، نحن لا نريد خلق مشكلة ونعمل المستحيل حتى لا نصطدم مع أحد، على كل حال إذا ابتلينا يعني أن سورية ابتليت.

وتابع الوزير السوري الحديث قائلاً: لقد وضعت السيد الرئيس بما اقترحته على الإيرانيين وبما أجابني به الرئيس الإيراني.

تساءل الملك فهد: ماذا قالوا؟

أجاب الوزير (متابعًا الرسالة): أجاب الرئيس الإيراني: هل المطلوب من إيران إعطاء السعودية عربونًا مسبقًا؟ لا نعرف إذا كانت اتصالاتكم مع المملكة ستؤدي إلى النتيجة المرجوة. قلت له: المهم أن نحاول وأن نتجنب في الوقت الحاضر أي تصعيد عسكري بين المملكة وإيران وإتاحة الفرصة للاتصالات السياسية.

لم ألمس من الرئيس الإيراني رفضًا لهذا الاقتراح.

قال الملك فهد (مقاطعًا): كأنهم يضعون شروطًا محددة.

وتابع الوزير قائلاً: قال الرئيس الإيراني: أرجو إبلاغ السيد الرئيس حافظ الأسد بأن كل شيء قابل للحل، سواء عن طريق هذا الاقتراح أو غيره من الأفكار، وإن إيران لن تُغلق الباب أمام حل هذه الأمور طالما هي رغبة السيد الرئيس، أخوكم السيد الرئيس يؤكد لجلالتكم أن هَمَّ السعودية هو هَمُّنا.

ويتمنى السيد الرئيس إذا كان لدى جلالة الملك أي اقتراحات فإن السيد الرئيس سيكون مهتمًا بمعرفتها، وطلب إليّ أيضًا أن أُعلِمَكم بأنه ليس مرتاحًا تمامًا هذه النتيجة، وسيادته بصدد دراسة الموضوع.

رد الملك فهد قائلاً: أشكر فخامة الرئيس من كل قلبي وأشكرك على جهودك يا أخ فاروق، أرجو أن تؤكدوا لفخامة الرئيس أن السعودية لن تألو جهدًا لمحاولة إيجاد ما يُسهل الأمور ولا يجعل فيها صعوبات، وهذا سيتم بالتشاور والتنسيق التام مع فخامة الرئيس؛ بغية التوصل للحل الأفضل، وطالما بدأ التفكير بالعقل والمنطق فلا أعتقد أن الأمور صعبة، تصعب الأمور عندما تتشابك بصورة لا يستطيع العقل ولا المنطق حلها، على كل حال لو سلكنا طريقًا غير طريق العقل والمنطق لما توجهت يا أخ فاروق إلى طهران وجئت إلينا.

المشاكل أمام فخامة الرئيس كثيرة ولا نريد إضافة مشاكل جديدة، أمامه إسرائيل ألعن دولة وألعن شعب، وأمامه لبنان بكل ما يحمله من مشاكل ولا ندري ماذا نفعل.

لو تدخلت سورية بالقوة لحل المشكلة لا أحد يعرف ماذا سيحصل، ستتدخل إسرائيل وغير إسرائيل، ونحن حريصون على سورية كل الحرص، إنني أقدر كل التقدير جهد الرئيس وتفكيره باستبعاد هذا الأمر حتى لا يتيح لأحد الفرصة ويفرض علينا وقت وظروف الحرب.

يجب أن يُتاح للسعودية وللأردن حتى يقوى، ونضع جهودكم وجهودنا لتنظيم أوضاعنا، نحن لا ننسى أن لنا حقوقًا وعلينا استردادها، ولكن يجب أن نقرر نحن متى، لا أن تجرنا إسرائيل إلى زمن يناسبها، عندما نرى الوقت المناسب نضرب ضربتنا القوية التي لا تتيح لأحد أن يساعد إسرائيل.. وهذا أمر بأيدينا، لقد خلق الله في سورية رجلاً حكيمًا يسد الباب على كل ما هو ليس في صالح سورية ولا العرب، أخوكم هنا كان بإمكانه ضرب الطائرات الإيرانية بسهولة، ولكن ماذا ستكون النتيجة؟ وجدنا الطريق أن نلجأ إلى أكبر صديق لنا وللسعودية هو الأخ حافظ، ووجدنا أن نوصل لصديقنا وحبيبنا حافظ المشكلة، وبالفعل بذل جهدًا مشكورًا لمنع المشكلة ومنع إسرائيل من الفرصة التي تسعى إليها.

الإخوان في إيران يهمهم البترول وتصدير البترول وتسويقه، ولا ندري لماذا هم متضايقون، لديهم إمكانيات كبيرة للتصدير وعندهم خط في الجنوب لا يصل إليه الطيران العراقي لأن مداه قصير، فلماذا لا يستفيدون منه، على كل حال ربنا يسهل ومساعي فخامة الرئيس مشكورة وكذلك مساعيكم، وسيظل التشاور رائدنا، ليس عجزًا من السعودية أنها لم ترد الرد نفسه على إيران، لكن تفكيرنا يبقى أعمق وأبعد مما حدث، ونأمل ألا يتكرر وأن تستمر الاتصالات بيننا وبينكم، أرجو نقل تحياتي وتمنياتي للأخ الرئيس مع خالص شكري على مساعيه.

توقّع الإيرانيون أن المملكة العربية السعودية ودول الخليج قادرة على ممارسة الضغط على العراق، وكان هذا التوقع في غير محله؛ وذلك أن العراق كان يواجه مصاعب في ساحات القتال واختناقات اقتصادية لم يحسبها قبل تورطه في الحرب؛ لذلك فقد لجأ إلى ضرب مراكز النفط في إيران والبواخر الحاملة للنفط الإيراني ظنًّا منه أن إيران ستتوقف مما يدفعها إلى الرضوخ ووقف الحرب.

وفي حرب كهذه الحرب كان من المتوقع أن يلجأ الجانبان إلى تدمير القوى الخاصة بالطرف الآخر العسكرية والاقتصادية والبنى التحتية، وهذا ما حدث فعلاً.

واضح مما تحدث به الملك فهد عمق الهوة بين المملكة العربية السعودية وبين إيران، كما يبرز حجم الدعم السعودي للعراق، ولكن هذا الدعم لا يعني أن المملكة العربية السعودية قادرة على الضغط على صدَّام حسين من أجل وقف ضرب السفن الإيرانية.

لم يمضِ أسبوعان على زيارة الوزير السوري إلى طهران حتى بعثت القيادة الإيرانية رسالة إلى دمشق عبر السفير الإيراني في سورية وهذا نصها.

وبتاريخ ٣١/ ٥/ ١٩٨٦ أبلغ السفير الإيراني في دمشق وزير الخارجية الرسالة التالية:

بالنسبة لناقلات النفط، وكما تحدث سيادتكم في طهران بناءً على رسالة السيد الرئيس حول قصف الناقلات في الخليج، تبين أن العراق مستمر بقصف الناقلات الإيرانية، وصلتنا برقية من طهران وهي عبارة عن رسالة موجهة من الدكتور ولايتي إلى معاليكم وهذا نصها:

في رحلة معاليكم الأخيرة إلى طهران من أجل دراسة سبل الحيلولة دون مهاجمة ناقلات النفط والبواخر التجارية في منطقة الخليج، ومن خلال موافقة مسؤولي الجمهورية الإسلامية الإيرانية المبدئية على التعامل المتوازن مع الموضوع، وكذلك من خلال استعداد الجمهورية الإسلامية الإيرانية للبحث عن طريقة للقضاء على التوتر في المنطقة، وأيضًا من خلال الإعلان عن أن العراق هو السبب والمثير لكل التوترات في المنطقة، الذي يسعى إلى أهداف عدوانية من خلال ضربه لناقلات النفط الإيرانية، كان رد الملك فهد الذي أبلغ للرئيس خامنئي ضمن الرسالة الموجهة لفخامته من فخامة الرئيس حافظ الأسد قد أوجد أرضية إيجابية، وقد دُعمت هذه الأرضية الإيجابية من جراء بضعة أيام من الهدوء الذي ساد المنطقة، ولكن وقبل أيام قليلة علم أن الباخرة التي تحمل النفط إلى الجمهورية العربية السورية قد تعرضت للهجوم مرتين، ويبدو أن الأمر قد حصل بعلم مسبق وقد أصابت صواريخ العدو هذه الناقلة.

وبما أننا كنا نرغب في إعطاء فرصة أكثر للمملكة العربية السعودية لكي تمارس الضغوط اللازمة من أجل الحيلولة دون مهاجمة البواخر، وكذلك من أجل أن يتضح مدى إمكانية السعودية على التعاون، وبما أنه قد ثبت أن نظام صدَّام لا يريد للهدوء أن يسود المنطقة، ومع اعتقادنا بأن التوتر في المنطقة هو لصالح صدَّام، فإن إجراءاتنا هي من أجل الدفاع عن النفس ومصالح بلدنا، وإن صمتنا يستمر إلى الحد الذي لا نصبح فيه ضحية لمؤامرات العدو.

وقد أكد الوزير السوري الحاجة إلى الصبر وضبط النفس؛ لأن توسيع التوتر والحرب في الخليج من أهداف صدَّام حسين ويجب تفويت هذه الفرصة.

رغم الجهود التي كنا نبذلها فقد استمر التوتر السياسي والإعلامي والعسكري والأمني بين المملكة العربية السعودية وإيران.

كان قلقنا عظيمًا لأن استمرار التوتر يعني استنزافًا سياسيًّا وأمنيًّا واقتصاديًّا للمنطقة كلها،

كما أن ازدياد عمق الخلافات سيؤدي إلى نتائج سياسية خطيرة فيزيد من النفوذ الأميركي ويساعد إسرائيل ويُضعف العرب وإيران.

* * *

لم تهدأ التوترات بين المملكة العربية السعودية وإيران، وكان علينا العمل على احتوائها وتهدئتها، وكثرت في تلك المرحلة الرسائل السعودية إلى سورية.

وبتاريخ ١٢/٨/١٩٨٦ استقبلت السيد رفيق الحريري، أبلغني النقاط التالية ردًا على ما سبق أن كنت أبلغته نتيجة لزيارة فاروق الشرع وزير الخارجية إلى طهران، وهذه هي النقاط:

(أ) فيما يتعلق بجزيرة سرى، إن المملكة لا علاقة لها - لا من قريب ولا من بعيد - بهذا الموضوع ولا يمكن للمملكة أن تقوم بعمل كهذا على الإطلاق، وبالتالي فإن كلام الإيرانيين عن أن المملكة ساعدت العراق لضرب جزيرة سرى كلام غير صحيح ولا يستند إلى أية حقيقة والمنطق يرفضه، ولو كانت المملكة تساعد العراق بالشكل الذي يقوله الإيرانيون لتغيرت أمور كثيرة في الحرب.

(ب) أما فيما يتعلق بالأنبوب العراقي المارّ بالأراضي السعودية، فهذا أمر مفروغ منه وغير قابل للنقاش، وقد مضت عليه عدة سنوات وإثارته الآن هو من قبيل التشويش لا أكثر، إن المساعدات المالية للعراق قد توقفت منذ زمن بعيد ونحن ندعو دائمًا لوقف هذه الحرب التي تدمر البلدين الإسلاميين.

(جـ) أما فيما يتعلق بموضوع الحقائب والمتفجرات، فهذا أمر واضح، وقد كشفها رجال الجمارك السعوديون، والتحقيق ما زال مستمرًا مع هؤلاء الأشخاص الذين أتوا بها ونحن لا ندري من الذي دسها، ولكن إذا كانت إيران فعلاً لا علاقة لها بالحقائب التي جاءت مع الحجاج الإيرانيين القادمين من أصفهان إلى جدة، فكيف نفسر ضرب البواخر قبل عملية جزيرة سرى وبعدها، فهذا أمر غير معقول والمنطق يرفضه، أما قول الإيرانيين إن عملية الحقائب مركبة، فهذا أمر لا يقبله عاقل، وليس من عادة المملكة أن ترتب هكذا أخبار، علمًا بأن الذي كشف الحقائب هي الجمارك السعودية، وقد ظنوها لأول وهلة نوعًا من الجبنة ولكن تبين للخبراء أنها متفجرات.

هل الإيرانيون يأتون للحج أم لتدمير أماكن العبادة وقتل المسلمين؟! على العموم

التحقيق مستمر مع هؤلاء الأشخاص وسنخبر الإيرانيين والسوريين بنتائجه بالصوت والصورة، وهؤلاء الحجاج أمر الملك شخصيًا أن يؤدوا فريضة الحج، وأدوها محترمين غير مقيدين لا بالحبال ولا بالسلاسل، وقد قام بذلك من أجل إرضاء الله ولا يظلم أحدًا، حتى إن التحقيق لم ينتهِ معهم، فكيف يربطهم بالسلاسل والحبال، إنه أمر لا يقبله عاقل، إنهم حتى الآن يسكنون بمساكن وليسوا بالسجن.

(د) آية الله أردبيلي وصل المملكة وجرى له استقبال رسمي في المطار، من قبل وكيل وزارة الحج ومندوب عن المراسم الملكية ومندوب عن هيئة تنظيم الحج، وعرضت عليه ضيافة المملكة، فشكر، وقال إنه مدبر نفسه، وقد قام بمناسك الحج جميعها وهو معزز مكرم بمكة المكرمة وهو يقيم في مكان انتقاه بنفسه ولم يتعرض له أي شخص، وإنما أكرم لمعرفة المملكة بمكانته، وبالتالي ما قيل حول اعتقاله عارٍ عن الصحة، وقد اتصلت به وزارة الحج اليوم وأعلمته بهذا الأمر فكان استغرابه شديدًا.

(هـ) يوجد بين السعودية وإيران خطوط حمر متفق عليها من أيام الشاه والخميني وموقعة خرائطها من الجانبين السعودي والإيراني، ومع ذلك تخطت الخطوط الحمر السعودية وضربت بواخر آتية أو خارجة من عندنا مستعملة جزيرة أبي موسى وهي جزيرة عربية، وعدم ردنا الآن لا يعني أننا ضعفاء، إننا قادرون على الدفاع عن بلادنا وعن أنفسنا وسنبذل الغالي والرخيص في سبيل ذلك، ولكن إذا دخلنا الحرب هل لنا فائدة فيها؟ لإيران فائدة؟ هل لسورية فائدة؟ من المستفيد؟ إسرائيل وأعداء العرب والمسلمين، إن أسطول المملكة الجوي والبحري جاهز، وقادر، وقادر على تدمير كل ما يتحرك باتجاه سواحلنا وأراضينا، وعدم قيامنا حتى بأي دور على استفزازات إيران سببه أننا لا نريد أن نقوم بأي عمل قبل أن نستنفد الوسائل السلمية، وقد أصبح الملك خجلاً من أخيه الرئيس الأسد حيث إنه يُحرجه كل مرة بهذا الموضوع، وإيران مستمرة بتصرفاتها تجاه المملكة، أما من ناحية ضرب البواخر أو إرسال المتفجرات أو الحملات الإعلامية في الصحف الإيرانية، حيث تُشتم المملكة كل يوم من كل صحافة أو إذاعة وتلفزيون إيران، وكذلك من خطباء المساجد، ومن المسؤولين الإيرانيين، وعدم الرد على هذه المهاترات لا يعني الضعف بقدر ما يعني الترفع عن هذه الأمور التي لا يستفيد منها أحد سوى أعداء المسلمين.

إننا نعلم بواسطة طائرات الأواكس التي عندنا بأي تحرك تقوم به الطائرات الإيرانية، إن كان ذلك من جزيرة أبي موسى أو المطارات القريبة منها؛ حيث نرى بوضوح طائرات

إف ٤ الإيرانية تتقدم لقصف البواخر ونستطيع تدميرها، ولكننا تريثنا، والملك أصبح مُحرجًا أمام الأمراء والوزراء والمستشارين من موقفه هذا، والكل يعرف أنه يأخذ هذا الأمر على مسؤوليته الشخصية، ولكن إلى متى؟! يجب أن يدرك الإيرانيون أن السعودية وسورية بلد واحد وعندها سيكفون عن عدوانهم علينا، وهذا أفضل لإيران وسورية والسعودية، إذ إن الملك متأكد أن سورية، كما أكد مرارًا الرئيس الأسد، إذا دخلت السعودية الحرب ضد إيران فإن سورية ستقف معنا.

(و) إن الملك يرجو من أخيه الرئيس أن يبذل جهده للمرة الأخيرة مع إيران لوقف هذا الأمر، والملك مُحرج بعد الآن التحدث بهذا الموضوع معكم على الإطلاق.

هذا وكنت استقبلت السيد رفيق الحريري بتاريخ ١٩٨٦/٨/٢٠ وطلبت إليه إبلاغ الملك فهد ما ورد في رسالة الرئيس الإيراني السيد علي خامنئي للرئيس حافظ، والتي تضمنت النقاط التالية:

١ ـ لدى الرئيس الإيراني معلومات دقيقة أن السعودية قدمت مساعدات جدية مكنت الطائرات العراقية من الوصول إلى جزيرة سري.

٢ ـ هم وافقوا على وقف قصف البواخر على أساس ممارسة الضغط على صَدَّام حسين من أجل وقف قصف البواخر الإيرانية أو التي هي متوجهة إلى إيران، وذلك بوقف المساعدات عن العراق المالية والنفطية، وإلى أن من المساعدات الأنبوب العراقي النفطي عبر الأراضي السعودية.

٣ ـ موضوع الحقائب نَفَوْه بشكل قاطع، وأبلغوا ذلك للقائم بالأعمال السعودي في طهران، وطلبوا المشاركة بالتحقيق لمعرفة هؤلاء الناس ومن وراءهم، وهم يعتقدون أن هناك أحد احتمالين:

(أ) إما أن يكونوا إيرانيين مُعادِين للجمهورية الإسلامية ومدسوسين للقيام بهذه العملية للإساءة للعلاقات الإيرانية ـ السعودية وللحجاج الإيرانيين.

(ب) أو أن تكون القصة مركبة، وذلك للإساءة إلى إيران ولتغطية عملية قصف جزيرة سري.

قال الرئيس خامنئي أيضًا إنهم حريصون على العلاقات مع السعودية بشكل خاص، ومع دول الخليج بشكل عام، وقال إنه ليست هناك خلافات استراتيجية بين إيران والسعودية،

ولكن الخلاف يتعلق بمشاكل تبرز بين وقت وآخر، وهم حريصون على حلها بالحوار وبالوسائل السياسية، وتمنى الرئيس الإيراني على السيد الرئيس حافظ الأسد أن يتابع اتصالاته وجهوده لحل هذه الإشكالات، وأشار إلى اعتقال آية الله العظمى أردبيلي بألم كبير نظرًا لموقعه ومكانته في إيران.

وأبلغت السيد رفيق الحريري أن الإيرانيين لن يتوقفوا، وأن الرئيس طلب إليّ إبلاغه هذه النقاط لحملها للملك فهد مع تحياته، وأنه حينما يتعلق الأمر بالسعودية فسورية ليست على الحياد.

وطلبت من السيد الحريري العودة إلى دمشق بعد إطلاع الملك فيما إذا كانت هناك نقاط محددة للمتابعة.

من الاطلاع على الرد الذي حمله السيد الحريري من الملك فهد، التوتر في موقف المملكة والضغوط الداخلية التي تمارس على الملك للرد على ضربات الإيرانيين للبواخر السعودية، كما هو واضح أنهم يريدون وقف الاتصال السياسي فيما إذا كانت الجهود الراهنة للرئيس حافظ لم تسفر عن شيء.

وعندما ناقشت رسالة الملك فهد التي حملها السيد رفيق الحريري مع السيد الرئيس، وكان التقدير أن الجو بالغ التوتر والتعقيد، وقد يتطور الوضع إلى انخراط السعودية في حرب ضد إيران، وعندئذٍ يشكل ذلك تطورًا خطيرًا في الوضع، وسيؤدي إلى وضع سورية بموقف شديد الحراجة والحساسية، فالوقوف مع إيران يعني قطع علاقاتنا بالعالم العربي، والوقوف ضد إيران يعني خسارة استراتيجية كبيرة، وفي كل الأحوال فإن صَدَّام حسين وإسرائيل سيكونان الكاسبين من هذه التطورات.

طلب إليّ الرئيس التوجه إلى طهران لمناقشة الوضع مع قيادتها، فتوجهت إلى طهران، وقد استقبلني الرئيس الإيراني علي خامنئي، الساعة الحادية عشرة بتاريخ ١٩٨٦/٨/٢٣ ودار الحديث التالي، وبعد تبادل عبارات الترحيب تحدثت قائلاً: الرئيس بخير ويسلم عليكم، وقد طلبت الموعد بشكل عاجل لأنني غدًا سأرافق السيد الرئيس إلى ليبيا، لقد جرت اتصالات وتم الاتفاق على هذه الزيارة لتبادل وجهات النظر معهم حول مختلف التطورات في المنطقة والعلاقات الثنائية، وسنبحث معهم إمكانية تنشيط القوى التقدمية في المنطقة لمواجهة الهجمة الإمبريالية ـ الصهيونية ـ الرجعية، وسوف نضع إخواننا في إيران بصورة المناقشات التي ستجري.

وتابعت قائلاً: الرئيس حافظ الأسد انطلاقًا من العلاقات الأخوية القائمة بيننا وفي ضوء ما نقله وزير الخارجية عن رغبتكم في أن يتابع السيد الرئيس الجهود بين السعودية وإيران.

لقد أبلغ الرئيس الملك فهد وجهات نظركم حول المواضيع التي بحثها وزير الخارجية خلال زيارته الأخيرة لطهران، وقد جاءت أجوبة واضحة على النقاط المثارة على النحو التالي:

١ ـ نفى الملك فهد برسالته الجوابية الرئيس أن تكون المملكة متورطة بأي شكل من الأشكال بموضوع قصف الطائرات العراقية لجزيرة سرى أو لغيرها، وإن هذا الأمر من المستحيل أن تُقدِم عليه السعودية سيما وهي تسعى لتطوير وتحسين علاقاتها مع إيران، وليست لها مصلحة في ذلك، وهي ضد نشوء حالة من التوتر مع جارتها المسلمة في الوقت الذي بذلت وتبذل فيه جهودًا لتحسين العلاقات. ٢ ـ فيما يتعلق بالمساعدات لنظام صَدَّام حسين فقد أكد الملك فهد أن السعودية متوقفة منذ فترة عن تقديم أية مساعدة للنظام العراقي.

أما فيما يتعلق بأنبوب النفط فقد مضى عليه وقت ولم يحتج عليه أحد فيما كان ينشأ، وتساءل الملك فهد برسالته: لماذا يلجؤون للضغط على السعودية من أجل هذا الأنبوب بينما يمر في تركيا أنبوب أكبر طاقة ويعمل العراقيون على تمديد أنبوب آخر، وإيران لا تحرك ساكنًا تجاه تركيا، بل تعمل على تطوير علاقاتها الاقتصادية معها بصورة واسعة، فكيف تطلب إيران من السعودية إغلاق الأنبوب بينما تزيد حجم تعاونها مع تركيا؟

٣ ـ فيما يتعلق بالموقوفين، أكد الملك فهد برسالته أن الموضوع جدي وأنهم سيرسلون لنا ولكم نتائج التحقيق صوتًا وصورة، ومع ذلك فقد أمر بالسماح لهم بأداء فريضة الحج بصورة محترمة، ولا صحة لما وصل إليكم من معلومات أنهم كانوا مقيدين بالحبال والسلاسل، وهم الآن يقيمون في منازل وليس في السجن.

٤ ـ أما فيما يتعلق بسماحة آية الله أردبيلي فقد استُقبل استقبالاً رسميًا وعرضت عليه ضيافة الحكومة السعودية فاعتذر وقال إنه رتب إقامته، وقد عومل معاملة لائقة وباحترام لأنهم يعرفون مكانته في إيران.

لقد تساءل الملك فهد برسالته للسيد الرئيس، ما هي مصلحة إيران في توتير العلاقات بينها وبين السعودية؟! وما هي مصلحة السعودية والمسلمين في ذلك؟! وأكد أن السعودية بذلت وتبذل كل جهد ممكن لتحسين وتطوير العلاقات بين البلدين لمصلحتهما ولمصلحة

دول المنطقة ومصلحة المسلمين، ومع ذلك تواجه إيران هذا التوجه السعودي بحملة إعلامية بكل وسائل الإعلام ضد السعودية وبأعمال مادية منها قصف البواخر المتوجهة إلى السعودية ومنها... وتمنى الملك فهد على السيد الرئيس أن يبذل كل ما يستطيع من أجل وقف تدهور العلاقات بين البلدين وتصحيحها وتحسينها، وتجنيب البلدين والمنطقة الآثار السلبية لاستمرار تدهور العلاقات ولسوئها.

إن الرئيس حافظ انطلاقًا من كون سورية وإيران تقفان في خندق واحد لمواجهة كل أشكال التآمر الإمبريالي والصهيوني والرجعي مما يجعل هناك وحدة في مصالحهما السياسية وفي مواقفهما، وقد أثبتت كل الظروف الماضية طبيعة العلاقات وخصوصيتها بين البلدين وحرص كل منهما على الآخر.

وانطلاقًا من كل ذلك يود السيد الرئيس من أخيه الرئيس علي خامنئي ومن قيادة الثورة الإسلامية في إيران أن يستذكروا معه تحليلاتنا المشتركة السابقة واستنتاجاتنا حول الوضع في المنطقة.

لقد تبين لنا في تحليلاتنا السابقة المشتركة ما يلي:

١ ـ أن مصلحة صَدَّام حسين توسيع رقعة الحرب في المنطقة لتشمل دولاً أخرى، وبالتالي لتقوية جبهته بإشراك أكبر عدد من الدول العربية؛ لأن من شأن ذلك أن يوفر له دعمًا واسعًا وأن يشغل الثورة الإيرانية في سلسلة من الحروب والمعارك الهامشية.

٢ ـ إن من مصلحة الإمبريالية العالمية لا سيما الإمبريالية الأميركية توسيع الصراع ليشمل دولاً عربية أخرى مما يزيد حاجة هذه الدول إلى الحماية والمساعدة الأميركية بشكل كامل في دائرة القرار الأميركي ليستخدمها لتطويق الثورة الإسلامية في إيران ومحاصرتها واستنزافها وضربها ومحاصرة القوى التقدمية العربية.

٣ ـ إن استمرار ضرب البواخر السعودية أو القادمة إلى السعودية أو الخارجة منها قد يؤدي إلى ردود فعل سعودية بالتصدي للطائرات الإيرانية وضربها، وبالتالي فإن ذلك يعني توسيع الحرب، وهنا سيتحقق ما يلي:

(أ) ستكون المعركة الرئيسية للسعودية وللدول الخليجية والدول العربية التي تساندها مع إيران، ويصبح الصراع مع إسرائيل كأنه غير موجود.

(ب) إن الجماهير العربية الواسعة تتعاطف مع الثورة الإسلامية في إيران وتعتبرها ثورة رائدة تتصدى بشجاعة للإمبريالية والصهيونية وعملائها.

ومن هنا وقفت هذه الجماهير مع إيران ضد نظام صَدَّام حسين باعتبار أن النظام العراقي قام بعدوان ضد هذه الثورة التي رأى فيها أملاً جديدًا، ولكن عندما تقوم إيران بأعمال عسكرية ضد بلدان عربية أخرى وتكون مبادرة هذه الأعمال من قِبل إيران، فإن الرجعية بما تمتلك من وسائل تستطيع امتصاص التأييد الشعبي العربي لإيران وتحويله تحت عنوان: إن إيران هي التي تقوم بأعمال عسكرية وليست ضحية هذه الأعمال، وإنما البلدان الأخرى هي ضحيتها.

(جـ) ستؤدي هذه الأعمال إلى إزالة كل حاجز بين مجموعة الدول العربية في الخليج والدول التي تساندها وبين نظام كامب ديفيد في مصر، بل سيؤدي ذلك إلى تلاحم وإلى مزيد من التلاحم بين هذه المجموعة والعراق ومصر، وهذا بدوره سيؤدي إلى خلق مناخ يساعد في هيمنة إمبريالية أميركية أقوى، وإمكانات تدخل أميركي أوسع، هذا الأمر من شأنه أن يضع الثورة الإسلامية في إيران والقوى التقدمية العربية – وسورية من ضمنها – في موقف صعب للغاية، وعلى هذا الأساس صدر أكثر من تصريح عن قادة الثورة الإسلامية في إيران يعبر عن الحرص على عدم توسيع الحرب وعلى علاقات طيبة مع الدول العربية الخليجية، وكنا نحن نؤيد هذه المعاني للدول العربية الخليجية خاصة وللدول العربية بشكل عام.

من هنا انطلاقًا من رؤيتنا المشتركة وتوجهنا التقدمي ومصلحة الثورة الإسلامية والقوى التقدمية العربية، نرجو أشقاءنا في إيران تلافي هذا التصعيد في الموقف مع السعودية ودول الخليج، واستعادة الحوار الذي يؤدي إلى تحسين الموقف، وإننا إذ نقترح عليكم هذا الاقتراح فإنما ننطلق من الثقة القائمة فيما بيننا.

تحدث الرئيس الإيراني قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا استمعت إلى القضايا المطروحة بهذه الرسالة وأود أن أعبر عن النقاط التالية:

١ ـ أنا أرغب أن أشكر أخي الرئيس حافظ الأسد شكرًا جزيلاً وأنا أشكره لاهتمامه بهذا الموضوع الذي يضمن مصالحنا ومصالح المنطقة، وكذلك لبياناته وكلامه الأخوي الناصح، أنا أؤيد تحليل سيادته بصورة تامة وكما أشار سيادته فإن هذا الموضوع كان قد تم طرحه بمحادثاتنا المباشرة وبمراسلاتنا الكتابية، ولكنني أريد أن أبين بعض النقاط تكملة لوجهة نظر سيادته أو تعليقًا عليها:

(أ) أريد أن أتناول في البدء كلام الملك فهد، فهو لا يراعي الدقة فيما يقوله، إن العلاقات الثنائية يجب أن تبنى على الثقة والائتمان، وإذا كانت الثقة والائتمان قد خُدشت فأي كلام

لهذا الشخص يصبح مشكوكًا فيه، فهو في بياناته أو رسائله أو مندوبيه أو اتصالاته الهاتفية، وقد اتصلت معه مرتين، كان يلح دائمًا على ضرورة تحسين العلاقات، ولكن عندما تطرح المواضيع الدقيقة نرى أن الوضع مختلف.

إننا نعلمكم لكي تعرفوا، أنا أريد أن أقول لكم إن الملك فهد لم يُجب بأي شيء على المواضيع التي طرحتها على السيد فاروق الشرع، والتي نقلها إلى السيد الرئيس، وأرسل السيد الرئيس بشأنها إلى الملك فهد، لا يوجد أي جواب عليها، نحن بالنسبة لقضية الهجوم ضد جزيرة سري، وكل الاحتمالات حول هذا الموضوع قلناها للسيد فاروق الشرع، وهي أمور بسيطة يدركها كل عسكري، هذه الطائرة إذا كانت تريد التزويد بالوقود في الأجواء الحرة فمن غير المعقول أن لا تكشفها راداراتنا وطائراتنا، نحن نستطيع مراقبة الطائرات التي تنطلق من قاعدة الشعيبية وتختفي هذه الطائرات عندما تحلق على مستوى منخفض، كما تعرفون أن النقطة العمياء للرادار هي النقطة التي تقع على ارتفاع منخفض، وعلى هذا الارتفاع من غير الممكن أن تتزود الطائرة بالوقود في الجو، ولنا تجارب غنية في مجال تزويد الطائرات بالوقود في الجو، فإذا كانت هذه الطائرات زودت بالوقود في الجود فهي تزودت في أماكن غير الأجواء الحرة.

هناك ثلاثة احتمالات لهذا الموضوع:

١ ـ أن تكون الطائرات زودت بالوقود في الأجواء السعودية.

٢ ـ أو أن تكون زودت في المطارات السعودية أو الكويتية؛ أي زودت بالوقود وهي على الأرض.

٣ ـ أو أن الطائرات لم تحلق من مطار الشعيبية وإنما من مطار آخر، ويجب أن نفهم من أين طارت؟ كان على الملك فهد أن يجيبنا على هذه التساؤلات، نحن لم نتهم السعوديين وإنما قدمنا أدلة وقرائن، وفي نفس الوقت الذي تمت فيه هذه العمليات ولمدة ساعة أو ساعة ونصف، كانت هناك طائرة سعودية تحوم وتقوم بأعمال المراقبة، ولا أقصد طائرة الأواكس، وإنما طائرة حربية تقوم بالتجسس وتحوم فوق منطقة معينة ثابتة، استمرت عملية التحليق في المناطق القريبة من جزيرة سرى عشر دقائق بعد ضرب الجزيرة، للإجابة على هذه التساؤلات أجاب الملك فهد بشكل ملخص، وقال لم نتدخل، بينما أسهب في التفاصيل، في مواضيع نحن لم نطرحها مثل موضوع السجناء، ولكن لعلمكم أن هؤلاء ما زالوا في السجن، وقاموا بالحج بصورة ناقصة، حتى بالنسبة لصلاة الطواف التي كان يجب أن تتم أمام مقام إبراهيم

أخذوهم إلى مقام إسماعيل وأجبروهم على الصلاة هناك، وقد قُدِّم اعتراض على ذلك للأمير نايف ولكن لم يتحرك، قابل القائم بأعمال سفارتنا هناك الأمير نايف والمسؤولين في وزارة الخارجية السعودية وقال لهم: إننا نريد مقابلة هؤلاء المعتقلين لنعرف من هم، إذ ربما توجد مجموعات تريد إفساد الحج، وقد طلبنا إرسال أشخاص من وزارة إطلاعات للاشتراك في التحقيق، والإطلاع على الموضوع، نحن نعتقد أن هذا الموضوع مهم لأنه بنفس الفترة تقريبًا حدثت عندنا انفجارات في طهران في ميدان الفردوسي وفي مدينة قم بالقرب من الأماكن المقدسة، وربما تكون نفس الجهات التي نفذت التخريب هنا تريد التخريب هناك، نحن قلنا نريد أن نعرف من هؤلاء الأشخاص ومن الذين دبروا الأمر، ومن الذي دفعهم إلى ذلك، ولكن لم يسمحوا لنا بمقابلة هؤلاء الأشخاص ولا نعرف أي شيء عنهم، كان يجب عليهم أن يُسلموا لنا هؤلاء الأشخاص لأن شكوكنا تجاههم أكثر من شكوك السعوديين، ونحن مهتمون جدًّا بهذا الأمر.

إذا كانت هذه الحقائق موجودة وهذا العمل قد تم، وربما يكون هؤلاء أرادوا إحداث تفجيرات في المظاهرات التي يقوم بها حُجاجنا في المدينة ومكة، واغتيال آية الله أردبيلي، أما أن هؤلاء قاموا بالحج بدون أن يكونوا مكبلين فنحن لم نطرح هذا الموضوع حتى يجاوبوا عليه.

بالنسبة للإعلام، إننا على استعداد للمقارنة حول حجم الحملة الإعلامية السعودية تجاهنا بحملتنا عليهم، هناك أعداد كبيرة من الكتب طُبعت بمعرفة السعودية عن طريق رابطة العالم الإسلامي وغيرها تهاجم سماحة الإمام والثورة الإسلامية، ولديّ مجموعة منها.

بالنسبة لموضوع الأنبوب يقولون لماذا لا تسألون الأتراك عن الأنابيب التي تمر في تركيا؟ هناك فرق كبير، الأنابيب العراقية عبر تركيا موجودة منذ وقت طويل، وبنيت في ظروف عادية وطبيعية، بينما للأنبوب عبر السعودية مدلول سياسي وهو التعويض على الأنابيب التي أغلقتها سورية، إذا أردنا أن نعرف معنى هذا العمل السعودي فيجب أن نسأل أنفسنا عن معنى العمل الذي قمتم به أنتم، كما أن السعودية تقوم ببيع النفط نيابة عن العراق، لنرى أن كلام الملك فهد لا يوحي بالصدق الذي يؤدي إلى حوار جدي، المقصود أنا لا أريد أن أقول إن الملك فهد يكذب، وإنما هناك التواء في الكلام؛ أي غير صريح وغير مستقيم، إن كلامهم غير مستقيم ولا يُظهرون كل ما يدور في خَلَدهم.. هذا بالنسبة لما قاله الملك فهد.

أما بالنسبة لكلمات الرئيس حافظ الأسد، أنا أؤيدها، وإننا لا نرغب بأن يتوسع نطاق الحرب، بل نتجنب هذا واجتنبناه، وهذا واضح في أعمالنا، ولكن عدم رغبتنا في توسيع نطاق

الحرب، يجب أن لا يفهم أن الثورة الإسلامية مستعدة لتقبل أي كلام أو تعنت يفرض عليها، إذا كان علينا أن نقبل منطق القوة من السعودية فإنه كان هناك مَن هو أقوى من السعودية، ولم نقبل هذا منه.

أما بالنسبة لما قاله السيد الرئيس ومخاوفه من أن هؤلاء سوف يقتربون من العراق ومصر أو أنهم سوف ينسون قضية الصراع مع إسرائيل ويُظهرون أن قضية الصراع مع إيران هي الأهم، إن هذه الأشياء موجودة الآن.

إنهم يحاولون تحويل الرأي العام في بلادهم ضد الثورة الإسلامية في إيران، إن هذا قد نُفذ ولكن نحن على استعداد من أجل أن نبدد التوتر الموجود مع الإخوة في السعودية، ولكن هذا له علاقة بمساعيهم التي يجب أن يبذلوها.

لديّ اقتراح واضح وهو أن يعلن السعوديون بصورة واضحة ورسمية أنه إذا هاجم العراقيون البواخر الإيرانية فإنهم سوف يقطعون المساعدات التي تُقدم للعراق خلال إعطائه التسهيلات في الطرق والموانئ والأجواء، وكذلك المساعدات المالية، يجب أن يعلنوا هذا ويعملوا به، إذا أعلن السعوديون هذا، وإذا عملوا بهذا الموضوع فإننا لن نضرب سفينة سعودية واحدة حتى وإن ضرب العراق مائة سفينة، ليخطو السعوديون هذه الخطوة، ونحن جاهزون، حتى للكويت يمكن أن تقوم بهذا، ما رأيكم؟

عقبت قائلاً: قبل أن نناقش الاقتراح لديّ تعليق على نقطتين:

١ ـ إن ما نقله الأخ الشرع هو الذي نقل إلى السعودية والذي يسمعه أن الحجاج كانوا مقيدين، وطرحنا الموضوع عليهم فأجابوا الجواب الذي ذكرته.

أجاب الرئيس الإيراني: أنا لم أقل هذا الكلام، ولكن السيد بشارتي هو الذي أخبر السيد الشرع أن هناك حبال حولهم أثناء الحج ولم يكونوا مكبلين بالحبال، هذه الحبال وضعوها حولهم حتى لا يختلطوا هؤلاء بالحجاج الآخرين، إذًا الموضوع مختلف عما نقله السيد الشرع، وعما أجاب عنه الملك فهد.

تابعت قائلاً:

٢ ـ فيما يتعلق بالغارة على جزيرة سرى، أنا لست فنيًا ولكن حسب معلوماتي العامة أن هناك عدة احتمالات، والاحتمال الأساسي أن الطيران العراقي وصل إلى جزيرة سرى بشكل مباشر، الميغ ٢٥ تستطيع الوصول ولكنها ليست قاذفة.

عقّب الرئيس الإيراني: الروس أعطوهم التجهيزات الكافية لتقوم الميغ ٢٥ بقذف القنابل، إن هذه الطائرة في الأساس طائرة مقاتلة.

أجبته قائلاً: طائرة اعتراضية.

أجابني الرئيس خامنئي: ولكن الروس أعطوهم أجهزة لحمل القنابل، ولكن حتى تستطيع هذه الطائرة حمل القنابل يجب أن تُزوّد بالوقود في الجو.

تابعت حديثي قائلاً: لا أريد مناقشة هذا الموضوع من الناحية الفنية، وإنما يحتمل أن يكون لدى العراق أجهزة لتعطيل الرادار.

خامنئي: ولكن نعرف عندئذٍ أن الرادار عطل.

الأستاذ خدام: أحيانًا الرادار يعطل دون أن يشعر أحد، وحدث هذا عندنا في عام ١٩٨٢؛ إذ إن الجالس أمام شاشة الرادار لم ير شيئًا على الشاشة.

في كل الأحوال ومهما كانت الاستنتاجات الفنية، السؤال المطروح: كما يعرف الأخ الرئيس وكل الإخوة في إيران، والله يعرف أيضًا، مدى حرص سورية على الثورة الإسلامية في إيران وعلى تجنيبها المصاعب، لأن في ذلك مصلحة للثورة الإسلامية وللقوى التقدمية في المنطقة، والآن نرى مَن يقف سدًّا في وجه الهيمنة الأميركية سوى الثورة في إيران وسورية، لذلك أرجو عندما نناقش الأمر أن نناقشه انطلاقًا من مصلحتنا الواحدة ورؤيتنا الواحدة؛ لأن أي شيء يصيب إيران ينعكس علينا، في حالة العلاقات بين سورية وإيران هناك الصدق والصداقة.

أجابني الرئيس خامنئي: الصداقة بمعناها العربي والفارسي.

عقبت قائلاً: عندما زُرت باريس مؤخرًا، أجريت محادثات مع جاك شيراك لمدة أربع ساعات، ساعة منها كان الحديث فيها عن إيران وقال شيراك إن هذا كلام جديد نسمعه عن إيران، عندما يكون أخوك بخير أنت بخير، ولذلك جهودنا الآن تنصبُّ على التخفيض من المشاكل الهامشية للتفرغ للمشاكل الأساسية، هناك ضغط أميركي على دول الخليج لتوريط هذه الدول ضد إيران، لأن أميركا تريد الوصول إلى الشاطئ الغربي للخليج، وبذلك يتصل خط التواجد الأميركي بين إسرائيل والخليج، وكلنا نعلم أن إسرائيل أكثر من ولاية أميركية ونعلم مدى الضغوط الأميركية لتصفية القضية الفلسطينية وخلق حالة من الصلح، وفي هذا الإطار ماذا تعني زيارة شمعون بيريز للمغرب؟ نحن لا نستطيع أن نطلب من السعودية ما نطلبه من

سورية وإيران، السعودية نظام سياسي واجتماعي معروف، وسورية نظام سياسي واجتماعي معروف، ما نطلبه من إيران وسورية مرتبط بالأهداف الثورية لكل من إيران وسورية، ولكن هذا الأمر لا يُطلب من الدول الإسلامية الرجعية لأن لها ولاءات سياسية أخرى ومواقع سياسية أخرى، ونحن كل ما نعمله هو تحقيق، هو تخفيف المعارك الهامشية وتعطيل الألغام في طريقنا، ولو كانت المنطقة الآن كما كانت منذ خمس سنوات لناقشنا الكثير من القضايا بالشكل الآخر، أنور السادات زار القدس، ولنقارن بين ردة الفعل حول زيارة السادات وحول زيارة بيريز للمغرب، عندما زار السادات القدس ووقّع كامب ديفيد طلبنا عقد قمة عربية وتم قطع العلاقات مع مصر، بعد زيارة بيريز للمغرب، سورية هي الدولة الوحيدة التي قطعت علاقاتها مع المغرب، الظروف تغيرت، قبل خمس سنوات كان انطلاق الثورة الإسلامية وسقوط الشاه، وهذه الثورة كانت عنصرًا جديدًا في المنطقة، ماذا عملوا لضرب هذا العنصر وتعطيله؟ ورّطوا المجرم صدّام لشن الحرب والعدوان على الثورة الإسلامية، وشئنا أم أبَيْنا خلقوا قضية أساسية لإيران وهي الحرب، ونحن نعتقد أنهم لو لم يجدوا عميلاً كصَدَّام لكانت تغيرت خريطة المنطقة ولا يمكن لأحد أن يقوم بهذا العمل سوى العميل صَدَّام؛ لأنه لا يوجد بلد عربي مجاور لإيران ويمكن أن يقوم بالعدوان عليها سوى صَدَّام، إذًا لا بد من إعادة دور هذا العنصر الجديد لضرب نظام صَدَّام حسين، وإذا سقط نظام صَدَّام حسين فستتغير الأمور في المنطقة بشكل ممتاز، وتتحرر الثورة الإسلامية في إيران من العقبة التي وضعت أمامها، نحن نعتقد لولا عدوان صَدَّام حسين على الثورة الإسلامية لكان هناك مئات الألوف من المجاهدين الإيرانيين موجودين معنا في مواجهة إسرائيل.

وهكذا نرى الصورة، أميركا تضغط، إدارة ريغان تريد إحكام قبضتها على المنطقة، نظرية الإجماع الاستراتيجي التي طرحتها الإدارة الأميركية هدفها تحقيق المصالحة بين العرب والإسرائيليين، وتصفية القوى التقدمية في المنطقة، وجعل المنطقة منطقة نفوذ للولايات المتحدة وإسرائيل.

إذا أردنا تشبيه الحالة فإنها مثل إنسان ركب سيارة ووقع له حادث فانكسرت رجله ورأسه، تقديرنا أن الجراح يعالج الرأس أولاً ثم الرجل، من هنا نرى أن معالجة الوضع مع دول الخليج، بحيث يعطينا فرصة لأن لا تستخدم هذه الدول كحلقة في حلقات السياسة الأميركية، إن هذه الدول في عواطفها هي مع كامب ديفيد ولكن لا تستطيع الإعلان عن ذلك بسبب مواقفنا ومواقف إيران ومواقف شعوب هذه الدول، هذه الستارة الشفافة ليس من مصلحتنا أن تمزق الآن، من هنا وبهذا الشكل نتمنى أن يناقش الموضوع.

بالنسبة للسعودية يمكن أخذ التزام واضح منهم في كل المسائل التي أشرتم إليها حول الطيران والقصف، بمعنى أن لا يقدموا - إذا فرضنا أنهم تورطوا في السابق - أية مساعدة جديدة للطيران العراقي، أيضًا يمكن مناقشة الحملات الإعلامية المتبادلة، وأن نستمر بالضغوط لكي لا يقدموا أية مساعدات جديدة لصَدّام.

إذا كان بالإمكان إيجاد ظروف ذات طابع مؤقت حتى نتمكن من مواجهة الأمور الأخرى، أنا لا أريد أن أقول إن اقتراح سيادة الرئيس مقبول أو غير مقبول، نحن الآن أمام سؤال: هل السعودية موجه عليها ضغط من أجل الانتقال الكامل إلى الموقع الأميركي والقرار الأميركي؟ وطلب التدخل الأميركي أم لا؟ ثم إن السعودية ليست دولة عظمى، هي اسم كَبُرَ مع زيادة مواردها النفطية، ولكنها ليست دولة عظمى، وليست قادرة على تحمل ضغوط أميركية كبيرة، إذا كانت هناك إمكانية لوقف تصعيد الجو ونأخذ الوقت لمناقشة أقل الحلول سلبية.

عقّب الرئيس خامنئي: حول الحل الذي طرحته أنكم تستطيعون سؤال السعوديين هل هم سعداء عندما تُضرب السفن الإيرانية؟ إذا كانوا غير مرتاحين لهذا العمل فإعلان هذا الأمر مهم، يجب عليهم أن يقولوا إن منطقة الخليج الفارسي منطقة تهم الجميع، ويجب الضغط على المسبب الأساسي والأصلي للتوتر، أنا أبيّن بصورة مشخصة الطريقة التي يستطيع هؤلاء الضغط بها على العراق، يقولون إننا سوف نغلق الموانئ والطرق الجوية والبرية أمام العراق، إذا استمر بعدوانه على البواخر الإيرانية، إن السعوديين بعمل هذه الأعمال سوف ينهون التوتر في الخليج وتُحل مشكلة السعودية والخليج الفارسي، إننا واثقون أنهم يستطيعون القيام بهذا العمل فلماذا لا يقومون به؟ إننا قدمنا مثل هذا الاقتراح للكويت (مازحًا) وقد أصبح جارنا أكثر، ويجب أن نراعي حقهم أكثر.

عقبت قائلاً: كلام السيد الرئيس صحيح، إن افترضنا أن صَدّام لا علاقة له بضرب السفن وإن الولايات المتحدة لا تساعده، كلنا يعلم أن هذه الحرب قام بها صَدّام لحساب الأميركان، وكلنا نعرف أن للولايات المتحدة نفوذًا في السعودية، لو كانت للسعودية ظروف مثل سورية أو إيران لكانت تستطيع اتخاذ هذا القرار.

تحدث الرئيس خامنئي: هذه مقدمة صحيحة، ولكن آمل أن لا تستنبط منها النتيجة التي ذكرتموها وألا نكون بين أميركتي صَدّام والسعودية.

تحدثت قائلاً: لنفترض أن الطيران السعودي تصدى للطائرات الإيرانية فما هو الوضع؟

عقّب خامنئي: لقد قامت السعودية بهذا العمل أكثر من عشر مرات، وفي مرة واحدة توقفت وأسقطت لنا طائرة.

أعود وأتساءل: لماذا حلَّقت الطائرة الحربية السعودية بالقرب من جزيرة سرى أثناء ضربها، كما أنه في مرات كثيرة حلق طيران سعودي من طراز إف ١٥ فوق الخليج، أنا لا أقول إنهم لا يستطيعون القيام بشيء، ولكن الشيء الذي تخشون وقوعه وهو الصِّدَام بين الطائرات الإيرانية والسعودية، فإن هذا قد حصل.

إن هناك نقطة تدارسناها وهي إذا كان السعوديون يريدون إزالة التوتر في الخليج فيستطيعون القيام بذلك نظرًا للإمكانيات التي يوفرونها للعراق والمساعدات المكشوفة التي يقدمونها لهم، إذن ليستخدموا هذه المساعدات من أجل ضبط العراق، وبذلك سوف يسود الهدوء الخليج الفارسي، وسنبقى نحن والعراق جارين متصادمين على الحدود، إن إخواننا السوريين المهتمين كثيرًا بهذا الأمر يستطيعون طرح هذا الاقتراح من منطق قوي.

بالنسبة للحملات الإعلامية لا مانع لدينا من تدارس هذا الموضوع، خاصة وأن أجواء اجتماع الأوبك الأخير تجعل الحديث في هذا الموضوع أمرًا مناسبًا، وإذا كانوا يريدون جعل المناخ بيننا أكثر صفاء ونقاوة فليطلقوا سراح هؤلاء، الحُجاج قد خدعوا، الله يعلم كيف تم هذا الأمر؟

تحدثت قائلاً: ما فائدتهم من هذا الموضوع؟

أجابني خامنئي: يعرفون أن لدى إيران نقطة أساسية حول موقفهم من ضرب جزيرة سرى فلذلك خلقوا هذه القضية كقضية مقابلة، أنا لا أجزم أن الموضوع بهذا الشكل ولكنه احتمال.

تابعت حديثي: أعود وأقترح وقف التصعيد وإعطاءنا فرصة للحديث، خاصة وأن الأخ فاروق الشرع قدم اقتراحًا، ووافق عليه الطرفان، إلا أن هذه الموافقة لم يتم التقيد بها، في ظل التصعيد ليس من السهل المناقشة، كلنا عالم ثالث، وفي ظل التصعيد لا يمكن المناقشة بشكل ملائم، إذا توقف التصعيد فهذا يتيح فرصة لمناقشة الموضوع بشكل هادئ مع السعودية ودول الخليج علمًا بأن الانتقال من وضع الدعم الكامل لصَدّام حسين إلى وضع أقرب للحياد هو تقدم كبير، إن الأمور نسبية، إن استمرار التصعيد سوف تكون نتائجه خطيرة، وسوف يخلق تعقيدات كبيرة لنا جميعًا.

أجابني خامنئي: نحن أبدًا لا نرحب بالتصعيد، والقضية أننا نريد حل كل المواضيع، وأنتم باعتقادي تستطيعون أن تجربوا، كنت قد أبلغت السيد الشرع قبل مدة أننا مستعدون لوقف التصعيد ولكن على شرط أن تضغط السعودية على العراق، وتوقفنا لمدة ثلاثة أسابيع، وعندما لم نلاحظ أي جديد استأنفنا عملنا.

عقّبت حديثي: أريد تركيز الكلام لنقل الصورة، من الممكن أن تجد السعودية مناسبة لإصدار بيان ضد تعطيل الملاحة في الخليج.

أجابني خامنئي: هذا ليس بكافٍ.

تباعت حديثي: سوف أكمل كلامي، ويتعهدون بعدم استخدام الأجواء السعودية ضد إيران، ويعملون مع الدول الخليجية الأخرى لمنع استخدام أجوائها ضد إيران، في رأينا إذا التزموا بهذا الشكل فهذا يخلق تناقضًا بينهم وبين صَدَّام، هل الأمور بهذا الشكل تساعد بوقف التصعيد بين البلدين؟

أجابني خامنئي: هذا لن يساعد كثيرًا، والسبب هو أنه عندما يقول السعوديون إنهم بدأوا حديثًا مع دول المنطقة ليغلقوا أجواءهم بوجه العراقيين فيجب أن نكون على اطلاع على هذه المحادثات وإلى أين وصلت؟ كما أنهم لا يستطيعون القول إننا لا نستطيع منع الطائرات العراقية من خرق أجوائنا.

أجبته: عندئذٍ عليهم اتخاذ موقف من هذا الخرق.

عقّب خامنئي: كما ترون ليس لهذا الموضوع أي ضمانة، أي في كل مرة يكون هناك اجتياز للأجواء سوف نقوم بسلسلة من المكاتبات وهذا موضوع من الصعب إثباته وسوف ينفون دائمًا حدوث ذلك، يجب أن يكون هناك شيء يمكن أن نعتمد عليه وإلا ستبقى الأمور في الهواء، عندما تضرب الطائرات العراقية السفن في الخليج فهذه حقيقة واقعة، والإجراء الذي يجب اتخاذه مقابل ذلك، يجب أيضًا أن يكون حقيقة واقعة.

في رأيي مفيد أن تدرسوا هذه الأمور، ولدينا أمل أن تحدث أشياء إيجابية، وأعتقد أنه من الممكن أن تكون هناك طرق تشعر من خلالها سورية أنها استطاعت أن تقوم بدورها الإيجابي، وممكن أيضًا أن يتطلب الأمر من سورية أن تقول للسعودية يجب أن تلتزموا بهذا الأمر، كما قلتم السعودية ليست قوة عظمى ونحن نقول إنها ليست قوة.

تحدثت قائلاً: الخوف أن يتحول الزجاج السعودي إلى زجاج ضد الرصاص إذا بدأت الاشتباكات سوف يحضر الأميركان.

أجابني خامنئي: هل تعتقدون أن ملك السعودية لم يحاول الدفاع عن سفنه حتى الآن؟

أجبته قائلاً: نعم هو لم يحاول، مع العلم أن لديه إمكانيات عسكرية كبيرة هم عبر الأواكس يرون الطائرة الإيرانية عندما تنطلق من قواعدها ويستطيعون التصدي لهذه الطائرات وإسقاطها، ولكن حتى الآن ليست لديهم رغبة للوصول إلى هذا الوضع، ولكن هناك ضغوط داخلية وخارجية عليهم، والذي فهمته من رسالة الملك فهد للسيد الرئيس أنه يقول إنه آسف جدًّا لإحراج السيد الرئيس بهذا الموضوع، وإنه إذ يتمنى مع السيد الرئيس متابعة جهوده فإنها المرة الأخيرة التي سيثير فيها هذا الموضوع مع سورية.

أنا حرصت أن لا أنقل كل الرسالة السعودية ولكن بنتيجة المناقشات يجب أن تكونوا بالصورة، قال إنها المرة الأخيرة التي يزعج فيها سورية بهذا الأمر وعليه ضغط كبير، وهناك أناس في السعودية يريدون قدوم الأميركان إلى السعودية لأسباب كثيرة.

عقّب خامنئي: حتى الملك فهد في قوله هذا، لم يمارس الاستقامة في الكلام، نحن نفرح إذا لم يزعج الملك الرئيس حافظ الأسد أكثر من هذا، ونحن أيضًا متأسفون لأننا نزعجكم بهذا الموضوع، وإذا كانوا يقولون إنهم لم يهاجموا طائراتنا فهذا كلام غير صحيح، لقد هاجموها عدة مرات، مرة أسقطوا طائرة، وفي مرات أخرى فشلوا.

عقّبت قائلاً (مازحًا): ناقل الكفر ليس بكافر.

تحدث خامنئي: أنتم موضع ثقتنا، إن شاء الله كل هذه الأمور سوف تُحل بسقوط صَدَّام، سمعت أن هذا أصبح ضروريًّا، إذا انتهى صَدَّام فسوف تُحل المشكلة مع السعودية أيضًا.

إن علاقاتنا مع السعودية تنتابها ثلاث مشاكل:

١ ـ عدم اتخاذهم موقفًا جديًّا تجاه إسرائيل.

٢ ـ المشكلة الثانية هي مساعدتهم للعراق.

٣ ـ مشكلة الأوبك، وكنا نسألهم دائمًا لماذا تتلاعبون بالأسواق، وقد خفت هذه المشكلة الآن، إذا حُلّت مشكلة صَدَّام فستحل أمور كثيرة، ونأمل أن يسقط صدام قريبًا.

أرجو نقل تحياتي للسيد الرئيس وتمنياتي له بالصحة والسعادة.

وبعد عودتي من طهران وصل السيد رفيق الحريري وأبلغته نتائج زيارتي لطهران.

* * *

لقد كانت الاتصالات بيننا وبين جميع دول الخليج مستمرة، وكان دائمًا موضوعها الأساسي إيران، فأي عمل تقوم به إيران كان يثير القلق لديهم ويعتبرون هذا العمل الإيراني يجب ألا يقع رغم وقوفهم الكامل إلى جانب العراق، وكانت سورية هي الجهة التي يجري الحديث معها بحكم العلاقات القائمة بيننا وبين طهران.

في تلك المرحلة كثُرت التوترات بين المملكة العربية السعودية والكويت من جهة وبين إيران من جهة ثانية بسبب مسألة ناقلات النفط ومفرزات الحرب مع العراق، بالإضافة إلى أحداث الحج في سنتين متتاليتين وفي الأخيرة وقع صِدَام بين الحُجاج وأجهزة الأمن السعودي أدى إلى مقتل مئات الأشخاص.

في جميع هذه الظروف كان دور سورية إطفاء الحريق وتهدئة الأوضاع خوفًا من تطورها، وهذا الأمر كان بالغ الخطورة.

* * *

الفصل الخامس

الموقف من اجتياح الكويت

بعد اجتياح العراق للكويت كان من الطبيعي تنسيق المواقف مع إيران ليس بسبب طبيعة العلاقات بين البلدين وما بينهما من رؤية مشتركة حول معظم القضايا الرئيسية في المنطقة وحسب، بل بسبب الهواجس المشتركة التي أثارتها عملية الاجتياح أيضًا.

كانت العاصمتان تخشيان من نجاح صَدَّام حسين في السيطرة على الكويت ثم على نفط الخليج، ومما يمكن أن تحققه تلك السيطرة من إمكانيات اقتصادية وسياسية وعسكرية تجعله المتحكم في شؤون المنطقة، وفي تهديد حقيقي لأمنها واستقرارها، ولا سيما أمن واستقرار كل من سورية وإيران.

وكنا نخشى أيضًا من أن يؤدي الاجتياح إلى هيمنة أجنبية على الخليج بسبب ما يمكن أن يدفع الولايات المتحدة ودول العالم للتحالف لإخراج القوات العراقية من الكويت فتكون محررة للكويت من جهة ومهيمنة على المنطقة من جهة أخرى، مما ستكون آثاره عميقة على الأوضاع الإقليمية والدولية.

وفي الواقع فقد وضع صَدَّام حسين المنطقة والعالم في مأزق، وكانت خشيتنا كبيرة من نتائج هذا المأزق.

أعلمنا سفيرنا في طهران مباشرة بعد قيام العراق باجتياح الكويت ما يلي:

طلبني حسين شيخ الإسلام الساعة الواحدة والنصف هذا اليوم وأخبرني أنه بعد الاتصالات مع سفارتهم في الكويت ومع وزارة الخارجية الكويتية تبين أن القوات العراقية قد احتلت معظم مباني الوزارات الكويتية وقصر الأمير الكويتي، ويعتقدون أن الأمر قد انتهى لصالح العراق، ولذلك يعتبرون أن الوضع دقيق وخطير جدًا وذو أهمية لمستقبل منطقة الخليج والشرق الأوسط على السواء، وقد طلب مني أن أنقل إلى القيادة السورية وإلى الرئيس حافظ الأسد قلق القيادة الإيرانية والمسؤولين الإيرانيين مما يجري على أرض الكويت، وإن إيران مستعدة للتشاور والتنسيق في الموقف السياسي وغيره حول هذا الموضوع مع سورية،

وإنهم يهمهم وجهة نظر الرئيس حافظ الأسد بالذات حيال هذا الأمر وهم بانتظار رأي القيادة السورية، وسيكونون شاكرين جدًا إذا وافيناهم بالرد قبل الخامسة من مساء هذا اليوم؛ حيث سيعقد مجلس الأمن القومي اجتماعًا هذا المساء لدراسة الموضوع من الناحية العسكرية والسياسية، وقد ختم حديثه قائلاً على كل حال إن للعراق حدودًا معكم ومعنا ونحن لم نكن مطمئنين إلى العراق دومًا على الرغم من محاولاتنا حل مشكلتنا معه لكن الثقة لم تتولد في هذا النظام بعد. يرجى الاطلاع.

وفي اليوم نفسه استقبل وزير الدولة للشؤون الخارجية السفير الإيراني في دمشق الذي سلم الوزير البيان الصادر عن وزارة الخارجية الإيرانية حول الاجتياح العراقي وهذا نصه:

نظرًا إلى الهجوم العراقي على الأراضي الكويتية فإن وزارة الخارجية في إيران مع رفضها للجوء إلى القوة، بأي شكل كان لحل قضايا المنطقة فإنها تعتبر العمليات العسكرية العراقية ضد الأراضي الكويتية عملاً مخالفًا للاستقرار والأمن في منطقة الخليج الفارسي الحساسة وتشجب هذا الاعتداء، ورغم أنه يمكن أن تكون التطورات الأخيرة قد أتت من جراء التعاون مع المعتدي في السابق والذي نبهت إليه الجمهورية الإسلامية دول المنطقة من مغبتها لكنها تعتبر الاحترام للسيادة الوطنية وعدم التدخل في الشؤون الداخلية من المبادئ الأساسية في العلاقات بين الدول، ونظرًا لخرق هذه الأسس من قِبل العراق بعد هجومه العسكري فإن هذا الإجراء يحمل في طياته أثرًا فعالاً على الأمن القومي والإقليمي والسلام العالمي، وأنه يتيح المجال أمام ازدياد تواجد القوى التوسعية الأجنبية في المنطقة.

إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية تطالب بانسحاب القوات العراقية الفوري إلى الحدود الدولية المعترف بها دوليًا، وتدعو إلى تسوية الخلافات بين البلدين بالشكل السلمي وتعلن باعتبارها أكبر دولة في المنطقة وتتمتع بمصالح كثيرة في منطقة الخليج الفارسي أنها لا تستطيع أن تكون لا مبالية بخصوص التطورات التي تجري في المنطقة، والتي من شأنها أن تهدد أمنها الوطني ونشر الخطر في المنطقة.

وفي الخامس من آب ١٩٩٠ استقبل الرئيس حافظ الأسد وزير الخارجية الإيرانية الذي حمل رسالة من الرئيس هاشمي رفسنجاني شرحت خطورة الوضع في المنطقة وما يمكن أن تجلبه العملية العسكرية العراقية من أخطار وفي مقدمتها استقدام القوى الأجنبية وسيطرتها على منطقة الخليج وعلى موارده، وما يمكن أن تحققه إسرائيل من مكاسب، وخلص إلى طلب معرفة رأي الرئيس حافظ وكيفية العمل سوية لمواجهة هذا الوضع.

لقد شرح الرئيس حافظ موقفنا وأكد على خطورة الوضع، وأهمية تحقيق تعاون بين البلدين لأنهما سيكونان بالنتيجة متضررتين ومستهدفتين، ورحب باقتراح الرئيس رفسنجاني بالتنسيق بين البلدين، وطلب إلى وزير الخارجية الإيراني اللقاء معي لمناقشة الموضوع واقتراح ما يجب عمله على رئيسي البلدين.

وفي نفس اليوم ٥/ ٨/ ١٩٩٠ استقبلت الوزير الإيراني، وبعد الحديث عن آخر التطورات جرى الحوار التالي:

سألت الوزير ولايتي: ما هو تقديركم وإلى أين ستصل الأمور؟

فقال السيد ولايتي: نحن نتصور أنه من المستبعد أن تريد الدول العربية وحتى الغربية استبعاد آل الصباح من الحكم في الكويت. الموضوع ليس موضوع آل الصباح ولكن موضوع يفتحون بابًا في المنطقة بعدها يأتي دور قطر والبحرين والشيوخ السبعة في الإمارات العربية المتحدة أبو ظبي وما حولها والسعودية نفسها، وهذا الأمر الذي لا يرضى به الغربيون فهم الذين تعبوا من أجلها للوصول إلى الحكم ليخسروهم الآن.

سألته: كيف يتصور الدكتور ولايتي معالجة الموضوع وكيف سينتهي الأمر؟

قال السيد ولايتي: نحن نتصور أن الفارق بين بوش وريغان هو أن الأول لا يستعجل الأمور، أما الثاني فكان يمثل الولايات المتحدة الأميركية في الأمم المتحدة ما بين عامي ١٩٧٠ ـ ١٩٧١، إذًا هو دبلوماسي واستخباراتي ضليع في أميركا، ولهذا فإن تعامله فيه شطارة وحنكة وفيه طول نفس، لقد اتصل مباشرة بكل من كانت له علاقات معه، واتصل أيضًا مع الذين ليست له علاقات معهم، مثلاً هم ليست لهم علاقات معنا ومع ذلك أرسل رسالة لنا عن طريق تورغوت أوزال، الذي اتصل بالسيد هاشمي رفسنجاني وقال إنه كان يتكلم مع بوش وهو قال لي كذا وكذا.

سألته: ماذا تستطيع أن تفعل الولايات المتحدة؟

فقال السيد ولايتي: الحصار الاقتصادي بدأ يتسع على النطاق العالمي، والعراقيون يجب أن يبيعوا نفطهم ليشتروا ما يحتاجونه، أو أن يكون لديهم مال يستخدمونه في الوقت الحاضر، فالجيش تعداده مليون ونصف المليون وهو بذلك يحتاج إلى مصاريف كبيرة، وهم كانوا يستوردون القمح والحبوب أيضًا من أميركا.

لا شك أنهم سيصابون بالمجاعة، في الكويت يوجد حوالي مليون وثمانمائة ألف نسمة،

وهم الذين أسقطوا الحكومة فيها، وأصبحت أعباء هذه النفوس ملقاة على عاتقهم، وفي هذا الظرف حيث إن الكويتيين تعودوا على الترف والبذخ، والأثرياء في الكويت يختلفون عن غيرهم. هذا في المجال الاقتصادي.

أما في المجال الدولي والتعامل الدولي مع الموضوع فالأميركان سيتصرفون بالموضوع في إطار الأمم المتحدة، وسينفذون نفس الأسلوب كما حدث في الكونغو ـ الأراغوي، أي تحت غطاء علم الأمم المتحدة، إنهم يحاولون إعطاء غطاء شرعي لهم، في حين إذا هاجمت أميركا العراق فإنه سيكون هناك تعاطف عربي مع العراق لأنهم سيستمرون بالعمل في أطر قانونية.

فمن خلال عشرات السنين الأخيرة لم يتم عمل على المستوى العالمي، أي أنه لم يتم تنسيق حول هذا الموضوع، العالم العربي أغلبه اتخذ موقفًا والعالم الإسلامي أغلبه أيضًا اتخذ موقفًا، منظمة الأمم الإفريقية، يوجد ٥١ بلدًا إفريقيًا بالإضافة إلى السوق الأوربّية اجتمعت أمس ساعة ونصف واتخذت موقفًا مشتركًا، حوالي ٢١ ـ ٢٢ بلدًا في أميركا اللاتينية، من كوبا إلى الأرجنتين، وموقف الاتحاد السوفيتي نفس موقف أميركا، ولا ننسى موقف فرنسا وإنكلترا وإيطاليا، واليوم رئيس وزراء اليابان صرَّح - وبناءً على تصريح أميركا - بأنه سيعمل على تنفيذ قرارات التجميد.

سألته: أخذوا قرارات؟

فقال السيد ولايتي: آخر بلد عضو في مجلس الأمن الدولي وهو الصين قال إنه سينفذ منع تصدير الأسلحة إلى العراق، هذا معروف لدينا ولديكم، نحن لدينا أسلحة متطورة وإذا توقفت قطع الغيار فلن يكون لها أي أهمية على الإطلاق، نحن قمنا بحسابات في طائرة لا أتذكر ما هي، F١٤ موجودة عندنا تحتاج إلى ٩٠,٠٠٠ قطعة غيار، ولا يمكن للإنسان أن يحصل على هذه القطع، إلا من خلال أرقام يتم استخراجها عن طريق الكومبيوتر، مثلاً القطع تكون مرقمة بشكل خاص فكيف يمكن للترسانة العراقية الضخمة أن تقاوم ذلك بدون قطع غيار، وأغلبها من فرنسا والاتحاد السوفيتي، وهناك احتمال من اثنين، والاحتمال الأقوى أن هذا الشخص أصيب بنفس الجنون الذي أصاب هتلر، أو هناك تحت الستار أمور تدور ونحن عقولنا لا تعي ذلك. والله فإن أي إنسان عاقل لا يرى في هذا الظرف الذي يجب العمل فيه لإزالة التوتر، ونجد هناك من يعود إلى القرن التاسع عشر.

سألته: كيف سيتصرف مجلس الأمن والأميركان؟

فقال السيد ولايتي: أعتقد أن هناك شرعية وقانونية تتمسك بها الحكومة الكويتية، وغير هذا لأميركا (وإسرائيل وتركيا) والاثنان هناك دوافع خاصة تدفعهم للتعامل مع الموضوع العراقي.

قلت له: إسرائيل موقفها واضح، هل تعتقد أن تركيا تُقدِم على التورط؟

قال السيد ولايتي: إذا كانت تركيا تعرف أنها تستطيع البقاء في الموصل وكركوك فإنها ستقوم بذلك.

قلت له: في ضوء هذه الأوضاع المعقدة والخطيرة واحتمالاتها المفتوحة على كل الاتجاهات، أين موقع إيران وسورية في هذا الوضع كله؟ أطرح هذا السؤال لأن الرسالة التي حملتها للسيد الرئيس فيها دعوة للتنسيق وإقامة أعلى درجات التنسيق بين البلدين، وهذا التوجه موجود لدينا أيضًا، يعني هل نفكر معًا؟ أين موقعنا بهذه التطورات؟ وكيف يمكن لطهران ودمشق أن توفرا الظروف الملائمة لخدمة أهدافهما ومصالحهما؟ هناك ثلاثة احتمالات:

١ ـ **الاحتمال الأول**: أن تكون هناك أشياء فوق مداركنا كما أشرنا، وأن تكون عملية مرتبة بين الأميركان وصَدَّام حسين لخلق الأزمة والنزاعات لرفض الأنظمة العربية الحالية، وبالتالي تسليم الجزيرة العربية كلها لصَدَّام حسين باعتبار أنه أثبت كفاءة في تنفيذ أهدافها في المنطقة عبر الحرب التي شنها ضد إيران، كما أثبت كفاءة بقمع الشعب العراقي، طبعًا هذا افتراض فيه كثير من الخيال لكنه احتمال ولو نظري، وبالتالي أن يخرج صَدَّام من هذه العملية منتصرًا، ماذا سيكون لديه بعد ذلك؟ هذا سؤال يجب أن يكون مطروحًا، يعني بتقديرنا أنه إذا خرج صَدَّام منتصرًا في هذه العملية فإن هناك اتفاقًا مسبقًا بينه وبين أميركا لتسليمه المنطقة النفطية كلها وبالتالي يكون لها ذراعان؛ إسرائيل وصَدَّام حسين، ونتيجة طبيعية لذلك أن تزداد الأمور تعقيدًا، يفترض الوصول بين سورية وإيران لتصور كيفية معالجة هذا الوضع.

٢ ـ **الاحتمال الثاني: أن يجري ضرب العراق، طبعًا الضرب** قد يكون له عدة أدوات:

(أ) أن يكون تحت علم الأمم المتحدة وقوة دولية، لكن هذه القوة الدولية لن تستطيع إلحاق هزيمة مباشرة بصَدَّام، طبعًا مليون ونصف عسكري كما أشار الدكتور ولايتي، وبالتالي غير متاح حشد مثل هذا العدد، ومع ذلك إذا افترضنا أن هذا الأمر ممكن ستكون أميركا هي سيدة المنطقة وبالتالي ستكون مشكلة لسورية ولإيران أيضًا، باعتبار أن أهدافنا

ومصالحنا متضاربة مع أهداف الأميركان، الذين يلتقون مع أهداف إسرائيل، إذًا السؤال المطروح: ماذا على إيران وسورية؟ ماذا ستفعلان في مثل هذه الحالة؟

(ب) أن يكون ضرب العراق بالاستعانة بإسرائيل، إذا استعانت أميركا بإسرائيل ستكون أيضًا إسرائيل سيدة المنطقة، وهذه مشكلة لإيران ولسورية، والوضع يتطلب منا أن نفكر كيف يمكن معالجة الوضع.

(جـ) الاتجاه العسكري هو استخدام تركيا، وإذا استخدمت ودخلت العراق ستكون صاحبة دور أكبر بالنسبة لنفط الجزيرة، وأيضًا سيكون لذلك انعكاسات سلبية لإيران وسورية.

(د) أن تعمل كل هذه القوى معًا ويجري التقاسم بين هذه القوى التي ليست على وفاق مع سورية وإيران.

إذًا في ضوء تصورنا لمختلف الاحتمالات، كيف نتصور الصورة التي يمكن أن تجري بتحقيق أعلى درجة من التنسيق بين البلدين وكيفية استخدام إمكانيات البلدين في مواجهة هذه الأخطار كلها.

طبعًا يجب أن نعترف أن الوضع خطير كيفما اتجهت الأمور، الوضع خطير لكن بإمكانياتنا نستطيع أن نحد من حجم المخاطر التي تهدد شعوبنا واتجاهاتنا وأهدافنا ومصالحنا، طبعًا ليست لدينا تصورات محددة الآن، ولا أعتقد أنه لدى الدكتور ولايتي مثل هذه التصورات لما يجب أن نعمله معًا لمواجهة هذه الأوضاع، لذلك أقترح أن يفكر الإخوة في طهران بهذا الموضوع وأن يستخلصوا البرنامج العملي، ونحن أيضًا نفكر بنفس الشكل ونحاول أن نستخلص أفكارًا وبرامج، ثم يجري لقاء بين البلدين لوضع هذه الأفكار في إطارها الملائم، طبعًا ما يدفعنا لطرح هذا الموضوع شيئان:

أولهما: رسالة الرئيس هاشمي رفسنجاني وما تضمنته.

وثانيهما: إن عملنا وتعاوننا في الماضي وحتى الآن، أثبتا جدوى، وإمكانيات البلدين لأن يكون لهما دور قيادي كبير في المنطقة، وهذا ما أردت أن أقوله حول هذا الموضوع فما هو رأي الدكتور ولايتي؟

قال السيد ولايتي: ما تفضلتم به هو صحيح، يعني أن كل الاحتمالات التي طرحتموها محتملة، أرى أنه لم يكن هناك أبدًا تمزق في الوضع العربي كما هو الآن، من مصر وإلى الشرق.

ذلك أن المغرب العربي في هذا الوقت رغم أنه خطير ولكنه مناسب وملائم لتقوم هذه البلدان بعملها السياسي، السعودية خافت من الوضع أكثر من البلدان الأخرى، وطبعًا هي أغنى البلدان العربية ولها تغلغلها في العالم العربي والإسلامي وترى نفسها معرضة للخطر، في الآونة الأخيرة كان لوزير نفطنا ووزير النفط السعودي لقاء خاص، وقال وزير النفط السعودي إنه على استعداد للقاء في أي وقت، وفي أي مكان للنظر في المشاكل بين البلدين، هذا جاء قبل الهجمة العراقية على الكويت.

أرى أنه نفس الوضع في مصر، لكن أقل بنحو درجة أو درجتين إذ إنهما بلدان من البلدان المهمة، وهناك بلدان أخرى مثل قطر والبحرين والإمارات العربية بدأت تخسر معنوياتها، والأردن تائه.

قلت له: الأردن ليس تائهًا، هو أحد العناصر الصديقة لأميركا في المنطقة، وقد يكون أكثرها فاعلية بين الدول العربية ذات الصلة بأميركا.

قال السيد ولايتي: نعم، لكن الخيانة لا تتنافى مع التيه، لا، لأنه إذا حدث حادث فإنه سيتردد في أعماله الخبيثة، ولكن الأوضاع معقدة وهم أيضًا يخافون إسرائيل، إنها في جنبهم، والفلسطينيون، وكذلك القوى الإسلامية الموجودة داخل الأردن التي حصلت على ثلث كراسي البرلمان في الآونة الأخيرة، هذا التناقض الموجود في الوقت الحاضر بين العراق والسعودية ومصر - ثلاث من داعمي الأردن - هذه الأشياء لا ترسم أوضاعًا مريحة، على أي حال عمل الملك حسين ليس سهلاً مع أنه يريد استخدام أداة القوة، إذًا العالم العربي - على الأخص المشرق العربي - مستعد للتعامل مع سورية وإيران - وهما بلدان راسخان - لعمل أساسي، وأنا سوف أنقل وجهة نظركم وسوف نفكر، ويجب أن نقوم بعمل منسق.

قلت للسيد ولايتي: لا بد من التفكير بهذا الموضوع وإيجاد أطر للتعاون السياسي وغير السياسي بشكل نتمكن معه من الدفاع عن أهدافنا ونمنع أو نحول دون التجاء الدول الصغيرة في المنطقة للارتماء في أحضان القوى الأجنبية التي نحن معادون لها بطبيعة الحال، كيف يمكن أن نصل إلى وضع نستطيع معه - إذا كان هناك تهديد لإيران - أن نقف معًا - سورية وإيران - لمواجهة مثل هذا التهديد؟ أو إذا كان هناك تهديد لسورية تستطيع إيران مساعدة سورية؟ ثم كيف يمكن للبلدين توفير الظروف لمنع القوى الأجنبية ابتلاع المنطقة؟ من نتائج الغزو العراقي للكويت أن الدول الصغيرة ستُدفع للبحث عن حماية لها، فإذا استطعنا نحن أن نوفر هذا الاطمئنان نبعد الدول الأجنبية، ولكن إذا فشلنا في ذلك

ستكون الحامية هي إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية، ونعرف ما هي النتائج على إيران وسورية، وهذا الموضوع يحتاج للتفكير لدينا ولديكم، ونقترح أن يتم عندما تتوفر الأفكار لقاء في دمشق أو في طهران للوصول إلى برنامج شامل. نوقش موضوع التعاون وناقشنا ما يتعلق بالمعاملات اليومية منها «الطابع التجاري والزراعي»، طبعًا هذا مهم ولكن ما نطرحه هو تعاون ذو آفاق استراتيجية.

قال السيد ولايتي: نحن نقر بما تفضلتم به بالكامل وفي أول خطوة لتحركنا الأخير جئنا لسورية، مع أن سورية بعيدة بعض الشيء عن مجرى الأحداث، ونحن نرى التوجه من هنا، ولكن فضلنا أن نأتي في البدء نتيجة للأواصر القائمة بين سورية وإيران. ليست لدينا مشكلة في الجانب النظري، اليوم عندما قرأت الرسالة الموجهة للرئيس قلت إنني أستطيع التوقيع عن الرئيس هاشمي رفسنجاني، لأنني موافق ١٠٠٪ على ما قلته. إذًا إن شاء الله سنفكر، ولأن الوقت يمر بسرعة يجب أن يكون بيننا تنسيق، وقد تكون الفرصة مواتية للقاء قمة بين البلدين.

قلت: إذا أعددنا لذلك تنعقد قمة ويخرج هذا البرنامج عن القمة.

* * *

بعد مغادرة الوزير الإيراني نشرت وسائل الإعلام أنباء عن اتصالات عراقية - إيرانية قدم خلالها صَدَّام حسين تنازلات كبيرة لإيران لتحييد موقفها أو زجها معه إن تمكن.

كان علينا التحرك بسرعة، رغم قناعتنا باستحالة لقاء جدي بين البلدين (العراق وإيران) بسبب ما تركته الحرب بينهما من آلام وسلبيات عميقة، غير أنه يجب ألا ننطلق دائمًا من أن الخلافات الدامية لا تقود إلى اتفاقات كبيرة.

أجرينا اتصالات مع طهران لترتيب زيارة لبحث الوضع ومتابعة التنسيق وتحددت تلك الزيارة بتاريخ ١٥/ ٨/ ١٩٩٠.

وصلت إلى طهران يرافقني السيد فاروق الشرع وزير الخارجية.

وفي صباح السادس عشر من آب ١٩٩٠ عقد الجانبان - السوري والإيراني - اجتماعهما، وقد ترأست الجانب السوري، بينما ترأس الدكتور حسن حبيبي نائب رئيس الجمهورية الإيرانية الجانب الإيراني. وبعد تبادل عبارات المجاملة سألت الدكتور حبيبي: ما هي أخبار هذا الصباح؟

فقال السيد حبيبي: ليس هناك جديد، ولكن هناك رسالة من العراق سلمت لمندوبنا في الأمم المتحدة.

سألته: سُلمت موقعة؟

قال السيد حبيبي: على ما يبدو.

فسألته: كيف ترون تطور الأحداث في المنطقة؟

أجابني السيد حبيبي: كما تحدثنا بالأمس، إن وجود القوات الأجنبية في المنطقة والأحداث في العراق والكويت وفي المنطقة تدعو للقلق.

سألته أيضًا: كيف ترون احتمالات الموقف؟

فقال السيد حبيبي: لو أصر العراق على موقفه فإن ذلك سيؤدي إلى توتر أكثر في المنطقة، وهناك وجهة نظر أخرى تفسر الأمر بأن العراق يمكن أن يقوم ببعض الانسحاب في الأيام القليلة القادمة، ما رأيكم بذلك؟

قلت للدكتور حبيبي: بتقديرنا أن القوة العسكرية والاقتصادية لدى العراق ستدفع النظام في العراق دائمًا للبحث عن أهداف جديدة، ففي مخيلة رئيس العراق قناعة بأن عليه أن يقيم إمبراطورية كبرى، وهذا الأمر ليس جديدًا، ولتحقيق هذا الهدف عليه إزالة القوى التي يمكن أن تقف في وجهه في المنطقة، لذلك بدأ بضرب الثورة الإسلامية في إيران، ولكن صمود إيران سد عليه هذا الطريق، كان يريد ضرب الثورة للاستيلاء على مصادر النفط، ولو اتجه غربًا فسورية ستتصمد في وجهه، لذلك خلق مشكلة الكويت، وإذا نجح بابتلاع الكويت فسيتضاعف حجم إمكانياته وموارده الاقتصادية، وبالتالي سيتضاعف حجم قدراته العسكرية، وهذا سيدفعه إلى مزيد من الأعمال في المنطقة، لذلك نرى أنه لن ينسحب من الكويت، بالإضافة إلى ذلك فقد خلق قاعدة للتعامل في المنطقة لم تكن معروفة سابقًا فيها، استخدم الأساليب التي كان يستخدمها هتلر في العهد النازي، يطرح طرحًا لا ينفذ ثم يستخدم القوة، أما فيما يتعلق بموضوع القوات الأجنبية الذي أشار إليه السيد نائب الرئيس فهو أول من فتح هذا الباب وشجع حماية الأسطول الكويتي من قِبل القوات الأجنبية، لنعد بذاكرتنا إلى بضع سنوات إلى الوراء، فنستطيع أن نُقيّم موقفهم فيما إذا كان موقفًا مبدئيًّا وعقائديًّا، أم أنه موقف انتهازي، الغرب كله بإمكانياته كان يقف إلى جانبه ضد إيران، وفي مقدمتهم أميركا، حيث كانت تقدم له كل الدعم والعون والمساعدة، وكانت علاقته

بالأميركان علاقة قوية جدًا، أنا أعطي مثالاً صغيرًا.. كان الأميركان منذ فترة يرسلون كل أسبوع مذكرة للخارجية تقول إن سورية تحتضن المنظمات الإرهابية، ووضعوا سورية على لائحة الإرهاب، وسورية مثل إيران وليبيا لا تستطيع شراء شيء من الغرب، بينما أبو العباس وهو أحد زعماء الفصائل الفلسطينية الذي قام بعملية تل أبيب، موجود في بغداد وقام بالعملية بمعرفة بغداد، ومع ذلك لم تصدر كلمة واحدة عن الولايات المتحدة ضد العراق، بل بالعكس قدموا لنا مذكرة جاء فيها أن سورية مسؤولة عن عملية أبو العباس، إذن هو الذي فتح الباب العريض للتعامل مع الأميركان، الأسلحة الكيميائية التي استخدمها ضد إيران من أين جاءت؟ الأسلحة المتطورة من أين أتت في الوقت الذي كانت إيران تبحث عن طلقة في السوق السوداء؟ إذن لا يستطيع أن يزعم أنه ضد الأميركان والغرب، موضوع القوات الأجنبية هو الذي فتح بابه، وبالإضافة إلى ذلك نوقش هذا الموضوع في مؤتمر القمة العربي، هناك تهديد جدي للسعودية، ومخطط العملية متفق عليه مع بعض الأطراف العربية وهو أن يدخل العراق إلى الكويت وبعد ذلك يتحرك الآخرون في ضوء ردود الفعل.

أما المرحلة الثانية فهي الإمارات وكان هناك إعداد لإنزال بحري وجوي في الإمارات عندما تكون السعودية غير قادرة بإمكانياتها على مواجهته، وترى أمامها أن دولة كانت موجودة وتبخرت، وليس هناك قوة عسكرية في المنطقة العربية تستطيع أن تقف في وجه القوة العراقية، ففي العالم العربي ثلاثة جيوش قوية وهي جيوش العراق وسورية ومصر، لكن سورية مشغولة مع إسرائيل، ومصر لا تستطيع أن تنقل جيشها، بالإضافة إلى أن جيشها ليس بإمكانيات جيش العراق، بهذه الحالة ماذا نتوقع من دول المنطقة؟ أن تلجأ إلى الخارج. وصَدَّام حسين بقراره هو الذي أتى بالأميركان والغرب إلى الخليج، هذا الموضوع نوقش في مؤتمر القمة والملك فهد أعطى تعهدًا واضحًا في المؤتمر بأن تنسحب القوات الأجنبية بمجرد انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية، ووضعنا نصًا في قرار القمة على أن هذه القوات تنسحب فور انسحاب العراق من الكويت وعودة الشرعية، إذًا هو الذي أتى بالقوات الأجنبية لأنه لو لم يغزُ الكويت، لما طلبت السعودية وغيرها قوى غير محلية، بالإضافة إلى أن الأجواء القائمة في المنطقة، نتيجة حرب صَدَّام ضد الكويت، ما كانت لتسمح أن تقوم القوى الموجودة في المنطقة بتلافي الأمر، لذلك هو يتحمل مسؤولية القوى الأجنبية، وإذا انسحب من الكويت ووضع الضمانات لعدم عودته إلى سياسة العدوان فسنعمل لإخراج هذه القوات، وستخرج. هناك أمر أساسي موضع تساؤل، هل يُعقل أن نقبل استخدام القوة من أجل حل المشاكل الثنائية؟ ثم هل يعقل أن نقبل دخول دولة إلى دولة أخرى لتقوضها؟

إذا قبلنا بهذا المبدأ كلنا سنكون ضحية. هذا هو الواقع، هو طرح موضوع النفط وموضوع الأغنياء والفقراء، ولم يقل إني سآخذ نفط الكويت لأعطيه للفقراء، قال: النفط أصبح للعراق وليس للفقراء والعراق بلد نفطي كبير جدًا، هكذا نرى، وهذا هو تقييمنا للوضع، موضوع شعار الإسلام، نمنا واستيقظنا وإذ بنا نراه أصبح مسلمًا كاملاً، من الذين حاربهم؟ لماذا حارب الثورة الإسلامية في إيران؟ هل كان يهدف إلى محاربة دولة إيران؟ كلا لو كان يريد محاربة إيران لما وقّع اتفاقًا مع الشاه، لماذا لم يحارب إيران في عهد الشاه؟ كان ينفذ مخطط أميركا والرجعية لضرب الثورة الإسلامية في إيران، إذًا هو أول من بدأ بحربه ضد إيران باعتبارها دولة إسلامية، لمن كان يذهب المال والسلاح العراقي في لبنان؟ مئات الملايين من الدولارات كانت تذهب لجماعة إسرائيل في لبنان، ضد من؟ ضد المسلمين وسورية.

وأما عرفات فكلنا يعرف أنه ارتمى أمام الأميركان وإسرائيل، من ساعده؟ من كان يغطيه؟ إذًا الأمر لا يتعلق بمبادئ، من يُصدق أن الملك حسين الآن يدافع عن العراق؟ ولماذا هذا الحماس إلى جانب صَدَّام حسين؟ إذًا هل نستطيع أن نعتمد على سياسات الملك حسين وصدام؟ من مبررات الحرب اتفاقية الجزائر في عام ١٩٧٥ فقد اعتبر أن هذه الاتفاقية مجحفة بحق العراق. وقيل له: لماذا وقّعت الاتفاقية؟ قال: العراق كان ضعيفًا؟ وعندما ألغاها قال: العراق يريد أن يستفيد من الظرف لإلغائها، ظروف الواقع الحالي هي التي دفعته لتوجيه أول رسالة للأخ الرئيس هاشمي رفسنجاني، هو بدأ بمغازلة سورية وإيران، يريد أن يهدئ سورية وإيران ليتجه جنوبًا باتجاه نفط الخليج، هل نستطيع أن نعتمد على أخلاقه؟ هل أخلاقه والتجربة معه تُشكل ضمانًا؟ طبعًا أراد أن يكسر الحصار لكن ماذا بعد ذلك؟ بالنسبة له كل مرحلة لها ظروفها، وطبعًا هذا لا يعني أن الإخوة في إيران لا يأخذون منه الاعتراف الرسمي باتفاقية ١٩٧٥، وأعتقد أن الحكومة الإيرانية تصرفت بحكمة كبيرة عندما طلبت أن تكون الرسالة بشكل رسمي، وهذه الرسالة بحد ذاتها إدانة لصَدَّام، إذًا لماذا أقمت الحرب؟ وهي انتصار ولا شك لإيران، وإذا أردنا الآن أن نقوّم نتائج الحرب، فإن إيران انتصرت، ولكن هل نعطي صَدَّام فرصة للمستقبل حتى يعود مرة ثانية إلى سياسته العدوانية؟ هذا السؤال سيبقى مطروحًا دائمًا، الكويت قدمت للعراق ١٩ مليار دولار، والكويت أوقفت كل المساعدات عن سورية، وشنوا حملة على سورية بسبب موقفها من الحرب العراقية ـ الإيرانية. الشيخ صباح كان وزير خارجية للعراق وليس للكويت، أنا كنت أتحدث معه حول إسرائيل قال لي أنتم لكم حربكم ونحن لنا حربنا، كانوا سائرين مع العراق ماذا كانت مكافأة الكويت لقاء هذه السياسة وهذه المساعدات؟ اجتياح الكويت والقيام بأعمال النهب

فيه، إذا تصرف مع الكويت التي قدمت له مثل هذه المساعدات، فكيف سيتصرف في المستقبل مع إيران أو مع سورية وهو يعتبرهما قوتين تُعيقان حركته في إقامة إمبراطورية في المنطقة؟ هذا تقييمنا للوضع، ونتمنى أن نسمع تقييم الإخوة، وأريد أن أشير إلى أن الأخ الرئيس هاشمي رفسنجاني كان قد أرسل رسالة إلى الرئيس حافظ الأسد تحدث فيها عن العلاقات بين البلدين وأهمية تحقيق أعلى درجات التعاون بينهما، وجرى نقاش مع الأخ ولايتي حول أهمية تحقيق وتأطير علاقات التعاون بين البلدين في إطار علاقاتهما الاستراتيجية ودورهما في المنطقة، واتفقنا أن يقوم إخوتنا في إيران بمناقشة الأمر، ونقوم نحن بمناقشته، ونحضر الأفكار، وبعد ذلك تلقينا رسالة من الأخ ولايتي يقترحون فيها أن أقوم أنا والسيد فاروق الشرع وزير الخارجية بزيارة إيران للمناقشة والوصول إلى تقويم مشترك، وفيما إذا كانت هناك إمكانية الوصول إلى أفكار مشتركة حول مسألة التوثيق والتنظيم والتنسيق والتشاور بين البلدين، وها نحن وصلنا إلى إيران وجاهزون للاستماع والمناقشة.

قال السيد حبيبي: بسم الله الرحمن الرحيم، بالنسبة للمواضيع التي أدليتم بها سيادتكم، أريد أن أطرح بعض المواضيع، لقد أعلنا أنه لا يجوز لدولة أن تجتاح دولة أخرى وأن تتوصل إلى ذلك بالقوة، استراتيجية صَدَّام هي إقامة دولة قوية وكبيرة ولها قدرات مالية كبيرة، عندما هاجم إيران كما قلتم كان هدفه القضاء على الثورة الإسلامية، وهي نقطة الأمل التي انطلقت من شرق العالم الإسلامي التي وقفت بصمود وقوة أمام القوى الأجنبية، وأراد القضاء عليها والحصول على ثرواتها.

النقطة الثانية التي استهدفها صَدَّام حسين هي الحصول على الثروات، ومن الطبيعي أن هدفه الاستيلاء على النفط والثروات الكبيرة في خوزستان والعوائد الكبيرة لهذه المنطقة، وقد استخدم نفس التكتيك الذي استخدمه ضد الكويت في اجتياحها حيث قصف طهران ثم بدأ باحتلال خرمشهر، ولو كان قد سيطر علينا القلق من هجوم العراق، ولو لم نستمر بالمقاومة لكان مصيرنا مثل مصير الكويت، كما تذكرون كان يتحدث عن هجوم خاطف، واحتلال إيران خلال ستة أيام، ولهذا عندما اجتاح العراق الكويت لم نفاجأ بالأمر، ولم يكن جديدًا علينا لأن التجارب علمتنا ماذا ينوي وماذا يريد، ولكن الفارق أن الكويت لم تكن بلدًا قادرًا على مقاومة صَدَّام وكذلك البلدان المجاورة لا تملك القدرة على وقفه، ما نحلله في هذا المجال أن وجهات نظرنا مشتركة.

والنقطة الأخرى، تمسك صَدَّام بأنه مسلم وهذه الوسيلة يريد التشبث بها، دائمًا كان يشكك بالإسلام ودين الإسلام ولا نقبله مسلمًا بين عشية وضحاها، لعل هذا الإسلام هو

إسلام ريغان، وكما كان يعبر عنه الإمام الخميني الإسلام الأميركي، أما بالنسبة للمنطقة فإن صَدَّام يدّعي أن أصدقاءه واجهوه بالخديعة، نحن نرى من الناحية الأخلاقية ـ للأسف الشديد ـ ومن الناحية السياسية، أنهم ينالون جزاءهم، الكويت ظَلَمنا كثيرًا والسعودية كذلك وبعض بلدان منطقة الخليج عملت هكذا في هذه الفترة من الحرب، من ناحية العاطفة والإحساس لا يمكن أن يغفر لهؤلاء، ولكن نأسف أن تطير دولة ذات سيادة سياسية من الخارطة من قبل كيان خارجي، لقد أدنَّا هذه العملية بصراحة وأعلنَّا أنه يجب احترام الحدود الدولية، وإعادة سيادة الكويت، كما أننا قلقون من تواجد القوات الأميركية والأجنبية في المنطقة، هناك سؤال بالنسبة لما قلتموه حول خطة أو مشروع حول احتلال الإمارات وأعمال أخرى، هل هذا المشروع حقيقي؟

قلت له: نعم.

قال السيد حبيبي: السؤال ما هو الضمان لإخراج القوات الأجنبية من المنطقة بعد انسحاب صَدَّام من الكويت؟

فقلت له: سأجيبك على النقطتين، طبعًا نحن لا نتعامل بهذه القضية انطلاقًا من العلاقة الحسنة أو السيئة مع دول الخليج، ولكن هذا نهج إذا قبلنا به لا نستطيع أن نقبل به في الكويت ونرفضه في منطقة أخرى. إذًا بغض النظر عن علاقاتنا مع الكويت نريد أن نقاوم النهج لأنه نهج خطير جدًا في المنطقة، ونعلم أن هناك اتفاقًا رباعيًا على هذا المخطط، وهذا الأمر كان واضحًا جدًا في مؤتمر القمة، لا أحد كان يتصور أن يقف الملك حسين بهذا الشكل مع صَدَّام ما لم يكن متورطًا معه.

بالنسبة لتواجد القوات الأجنبية كما قلت:

أولاً: هناك التزام من السعودية في مؤتمر القمة، وفيه أخذنا قرارًا في هذا الموضوع.

ثانيًا: عندما ترفض هذه القوات الخروج بعد الانسحاب العراقي بالتأكيد جميعنا سيتصدى لها، ولا أعتقد أن لهذه القوات مصلحة باستمرارها الدائم:

ـ لأسباب داخلية أميركية.

ـ ولأن هذه القوى كانت تأتي لمواجهة السوفييت وحماية مناطق النفط، لكن السوفييت الآن كما نعلم في شهر عسل مع الأميركان.

إذًا ليس هناك سبب استراتيجي يدفعهم للاستمرار بالبقاء في المنطقة، طبعًا هناك سؤال

يبقى قائمًا ويتعلق بما نراه، نحن نرى أن معظم أصدقاء أميركا في المنطقة الآن يقفون مع صَدَّام، وهم الملك حسين، وعلي عبد الله صالح، وعرفات، ورئيس تونس زين العابدين، هؤلاء هم الذين كانوا يستفيدون من جماعة الخليج، وهم أصدقاء أميركا، والأيام القادمة ستكشف أسباب ذلك ولا نريد أن نستبق الأحداث في الوصول إلى استنتاجات، والأيام ستكشف كل شيء.

أعود للقول: ليس هناك أهداف أو أسباب استراتيجية تدفع هذه القوات للبقاء بالإضافة إلى أن هناك التزامًا – عربيًا، وسعوديًا من جهة ثانية – لإخراجها، ولا شك أنه علينا أن نعمل نحن وإيران في المرحلة المقبلة لخلق الظروف التي تؤدي إلى الاطمئنان والاستقرار في منطقة الخليج، وهذا بحد ذاته يقطع الطريق أمام التدخلات الخارجية، وكلهم الآن يقولون إنهم ظلموا إيران لوقوفهم إلى جانب صدام، سمعنا هذا الكلام من السعودية والإمارات وقطر والبحرين، وهم فعلاً يريدون علاقات طيبة وطبيعية وجيدة مع إيران، سنتعاون في هذا الأمر كلنا، ليس لنا مصلحة أن يشعر الضعفاء بيننا بالخوف، لأن الخوف سيدفعهم إلى البحث عن الأمن خارج المنطقة، وفي هذا المجال سورية وإيران تستطيعان عمل الكثير.

قال السيد حبيبي: السؤال المطروح هناك كيف أصبح المؤيدون لأميركا منقسمين إلى قسمين؟ هناك مَن مع العراق، ومَن مع أميركا، لنأخذ بالنظر الإمارات، السعودية، الأردن، عرفات، السؤال كيف انشق الأميركيون على أنفسهم؟

والسؤال الثاني، هؤلاء ظلمونا فما هي برامجهم. كيف سيعوضون عن الظلم؟ ما هي برامجهم المستقبلية؟

قلت للدكتور حبيبي: بالنسبة إلى السؤال الأول، أعتقد أن الأطراف التي أيدت العراق، كانت تنطلق من مقولة العراق أنه قوة كبيرة خدمت بكفاءة مصالح أميركا والغرب، وبالتالي فإن الغرب يراهن على العراق، ولن يعيق حركته في التوسع، لذلك مشوا في هذا المخطط، ولا يستطيعون التراجع لأن لديهم مصالحهم ومشاكلهم الداخلية، ومشاكلهم مع جيرانهم.

قال السيد الشرع: بالإضافة إلى ما تحدث به السيد نائب الرئيس هناك من يعتقد في الغرب، بعد التطورات الكبيرة في الساحة الدولية، أن هذه المشيخات غير قادرة على حماية المصالح الأميركية، بطبيعة أنظمتها، وبالتالي يمكن إيجاد بدائل لهذه الأنظمة، تكون مقبولة أكثر وتابعة لأميركا، ولكنها مقبولة شعبيًا أكثر، كما هو حاصل في الأردن واليمن، وفي كل

ذلك فإن صَدَّام يضمن مصالح الغرب من خلال هذه الهيمنة والتغيير الذي سيحدثه في دول الخليج.

قلت: بالنسبة للسؤال الثاني، مسألة العلاقات بين إيران ودول الخليج لا بد من مناقشتها بعد انتهاء الأزمة الحامية الآن.

قال السيد الشرع: ممكن الآن.

قلت: وخلق الظروف لإقامة علاقات وطيدة، تخدم مصالح الجميع. وبكل الأحوال إذا كان لدى إخواننا تصورات معينة حول الموضوع فيمكن مناقشتها معهم، لكن برأيي، بغض النظر عن الماضي، هناك الآن موقف يتعلق بنهج في المنطقة، هل نسمح لهذا النهج أن يستمر أم نوقفه ونطوي صفحته؟

وإذا سقط هذا النهج وسقطت هذه العقلية، ألا يؤدي ذلك إلى علاقات أفضل وأكثر استقرارًا بين دول المنطقة؟ ألا نستطيع جميعًا أن نكون أقوى في مواجهة التحديات الخارجية، والمتغيرات الدولية، والعدوان الصهيوني؟ في إطار هذه الرؤيا الاستراتيجية يمكن رسم الخطوات التكتيكية للمرحلة التالية.

قال السيد حبيبي: بالنسبة للمواضيع الاستراتيجية التي بيننا ستتابع وجهات نظرنا حولها وسنظل نتابعها لكي لا نلوم الآخرين، في هذا المجال السؤال كان سؤالاً فرعيًا بالنسبة للذين ظلمونا، بماذا سيعوضوننا، نحن لا نبحث التعويض كقضية أساسية، لقد أعلنًّا ضرورة انسحاب العراق من الكويت، ولكن التجارب السابقة وضحت لنا أن الذين وقفوا ضدنا ليسوا على استعداد لإقامة علاقات ودية وصداقة، ونأمل ألا يكون ذلك في المستقبل، أضرب لكم مثلاً بسيطًا.. إن السعودية لم تكن على استعداد – ولن تكون على استعداد – لتبني علاقات جيدة على أساس الحق والحقيقة، ولم نلمس منها هذا الاستعداد، أما بالنسبة لرسالة العراق، فقد وصلنا نصها الرسمي اليوم وفيها أن العراق مستعد لإطلاق سراح أسرانا، إلى الآن لم نطّلع بصورة رسمية على النص المكتوب والموجه إلينا، لكن قيل لنا إنه في إطار إطلاق سراح أسرانا وقبول اتفاقية ١٩٧٥، نستطيع من خلال هذا الموضوع أن نجعله وثيقة دولية، وإن اتفاقية الجزائر اتفاقية دولية ومعترف بها والعراق طرف فيها، وهو الذي نقضها واليوم رجع وقَبِل بما فيها، كما تعرفون ـ كنتم تؤيدون ـ أننا قَبِلنا أن يكون الانسحاب إلى الحدود الدولية متزامنًا مع تبادل الأسرى، والعراق الآن يريد تنفيذ ذلك في آن واحد، فهو مستعد الآن لإطلاق سراح أسرانا وهو بعمله هذا قام بتأييد موقفنا وموقفكم

في وقت واحد، ونحن نوافق على هذا، ولكن لم نُعرب عن سرور بالغ وننتظر المستقبل. وما تفضلتم به، وفق مبادئ علم النفس، فإنكم تعرفون صَدَّام ونعرفه من خلال تجربتنا في ثماني سنوات من الحرب، نحن نريد ضمانات قوية وقطعية وفعلية لما طرحه صَدَّام لنخطو خطوة خطوة إلى الأمام.

قلت له: ما هي الضمانات التي تفكرون بها؟

قال السيد حبيبي: لقد أعلنا أن الأساس لإنهاء النزاع مع العراق هو القرار الدولي ٥٩٨ وسنبلغ المحافل الدولية بما يجري في هذا الخصوص، وما قلناه لا نتراجع عنه مطلقًا، وسنأخذ بالمراجع الدولية لكي تكون هي المشرفة على التنفيذ خطوة خطوة ولا نتراجع عن ذلك، ونرغب أن نبلغكم في هذا الخصوص، وكما تفضل الرئيس رفسنجاني في رسالته إلى السيد الرئيس الأسد، فإنه يجب أن يكون هناك مزيد من التفاوض والتقارب والتنسيق في هذه الأمور، ونحن على استعداد لذلك، طبعًا سوف لا تخلو مفاوضاتنا من القضايا التي تهم البلدين، سنبحثها من خلال بحث الأوضاع الأخرى.

قلت له: فيما يتعلق بالضمانات، القرار ٥٩٨ لا يضع ضمانات، يضع ترتيبات لتنفيذ القرار، يعني ليس فيه ما يمنع صدام من الانقضاض على اتفاقية ١٩٧٥ أو على العلاقة مع إيران في أي وقت باعتبار العقلية، ونحن متفقون على أن هذه العقلية تقوم على التوسع والهيمنة، بعد القرار ٥٩٨ جاء حدث كبير في المنطقة يزيد من الشكوك في نوايا صَدَّام، أليس من الممكن أن يقال له: من أجل أن نطمئن وتطمئن المنطقة عليك الانسحاب من الكويت دون قيد أو شرط ويعود الوضع الشرعي إلى الكويت؟! بهذا الأمر تكون إيران قد حققت هدفين:

الأول: أنها اطمأنت إلى أن عقلية التوسع قد تراجعت.

والثاني: تكون قد أسهمت بصورة فعلية بإخراج صَدَّام من الكويت، وهذا يؤدي إلى دور أكبر لإيران في الاستقرار في المنطقة، ويؤكد أن إيران جزء رئيسي ومهم في أمن واستقرار المنطقة.

أعود إلى موضوع السعودية، على اعتبار هذا الأمر ستتحدث به في نهاية المناقشات لأنه جرى حديث بين السيد الرئيس حافظ الأسد والملك فهد في مؤتمر القمة، ولذلك سأترك هذا الموضوع إلى نهاية المناقشات على اعتبار أن هذا الموضوع فرعي، فقط أشير هذه الإشارة.

قال السيد حبيبي: ستطّلعون في الساعات القادمة على مضمون رسالة ورد الرئيس

رفسنجاني، إن أي نوع من المفاوضات مع العراق يجب أن يؤكد بصورة رسمية على القرار ٥٩٨ أهم ما في الاتفاقية هو التأكيد على ضمان أمن البلدين، إذا جرت مفاوضات بهذا الخصوص يعني أن أمن البلدين سيدرس بشكل دقيق وموسع، وتعرفون استراتيجية المنطقة وجغرافية دول الخليج وواضح ما هو الوضع الذي يجب أن نكون عليه لنضمن أمننا في المنطقة، لا نستطيع أن نقبل الوضع الجديد الذي أوجده صَدَّام وحدث بعد احتلال الكويت من قِبل العراق، بغض النظر عن احتلال الكويت من قِبل العراق، فإن هذا سيعزز من قدراته وإمكاناته الاقتصادية والعسكرية ولكن في المستقبل سيكون له خطر كبير على المنطقة، نحن لا ننظر إلى هذا الموضوع بجدية فحسب، بل إذا كان هناك تصور في مخيلة بعض الزعماء العرب لإعطائه قسمًا من الكويت، فإننا نرفض هذا، ولعل البعض الآخر يخاف ويريد إنهاء القضية للحفاظ على كرسيه وثرواته ولكن ننظر للأمر نظرة أمنية، لأن أمن إيران يرتبط بأمن الخليج والعكس صحيح.

علقت على ما قاله حبيبي بقولي: اتفاقية ١٩٧٥ بكامل بنودها فيها كل الضمانات التي أشرت إليها، ولكن بعد خمس سنوات من هذه الاتفاقية وقعت الحرب وما كان مكتوبًا بها لم يمنع الحرب، لذلك المطلوب أشياء مادية ملموسة، أنا لو كنت مفاوضًا إيرانيًا لطلبت أشياء ملموسة، سأقول للجانب الآخر هناك اتفاقية وقمتم بالحرب، ماذا يضمن لنا أنكم غيرتم هذه العقلية؟ الكويت بلد عربي وقدم لكم هذا الحجم الكبير من المساعدات، ومع ذلك أردتم ابتلاعه، ماذا يضمن لنا في مرحلة قادمة ألا تقوموا بمثل هذا العمل؟ طبعًا أعود للقول إن الأمر لا يتعلق بالكويتيين وبتصرفاتهم معنا، لكن الأمر يتعلق بأمننا جميعًا وبمستقبل المنطقة كلها، ثم هل لنا مصلحة في أن يستمر هذا النظام وهذه العقلية؟ والآن هناك فرصة تاريخية في الواقع لإنقاذ العراق والمنطقة للتخلص من هذه العقلية ومن مؤسساتها كلها، لذلك عندما طرحت هذا السؤال: هل يمكن أن يطلب ـ كإحدى الضمانات ـ الانسحاب دون قيد أو شرط من الكويت؟ ولا شك أن أي مكسب يحققه صَدَّام من هذا الغزو ولو كان صغيرًا ستكون نتائجه كبيرة جدًّا، طبعًا هناك أسباب عديدة وراء مبادرته:

أولاً: كان قد اتخذ قرارًا بغزو الكويت.

ثانيًا: يريد أن يتصالح مع التيار الإسلامي في العالم العربي ويستخدم هذا التيار في سياساته. طبعًا هذه التيارات عندما يكون لها علاقات مع العراق ومع إيران مع الزمن سيصبح ارتباطها بالعراق أكثر بكثير من إيران لعوامل كثيرة، وسيؤدي ذلك إلى تفكيك التيارات الإسلامية في

العالم العربي وإلى إضعافها، ونحن نعرف الوسائل التي يمكن أن يستخدمها في هذا السبيل. إعلانه الإسلام ليس لأنه فعلاً مؤمن ولكن يستخدم جملة شعارات لأجل جملة مكاسب.

قال السيد حبيبي: بالنسبة لإحدى الضمانات التي يمكن الإشارة إليها وترتبط بنا، أن نكون أقوياء، وعندما مزق صَدّام اتفاقية ١٩٧٥ كنا ضعفاء، ويجب أن نعمل لنكون أقوياء لكي لا يستطيع صَدّام إذا كان قويًا أن يتجرأ على هذا الشيء، وهذا يستلزم إنشاء قوة قوية في المنطقة، واعتبر هذا خيرًا وأحسن طمأنينة.

قلت: ولذلك جئنا إلى طهران لهذا السبب، كيف نرتب الأمور فيما بيننا لنُشكل قوة مؤثرة ورادعة في المنطقة وتحسب أي جهة مائة حساب قبل التورط معها في ضوء نتائج غزو العراق للكويت؟ وهذه النتائج ستستمر آثارها عشرات السنين، جماعة الخليج سيكونون أكثر التصاقًا بنا، بإيران وسورية، ولذلك نستطيع الآن أن نرتب الوضع الراهن والوضع المستقبلي للمنطقة، وهذا سينعكس لمصلحة العالم الإسلامي كله.

هل هناك تصورات معينة حول كيفية ترتيب وتنظيم علاقات بين البلدين في إطار هذا الفهم الاستراتيجي المشترك؟

السيد حبيبي: طبعًا، هذا الموضوع يمكن دراسته ومناقشته في اللقاء مع الرئيس رفسنجاني، وكذلك في لقاء مسؤول الدبلوماسية لدينا الدكتور ولايتي مع السيد فاروق الشرع، يمكن مناقشة هذه المواضيع، أهذا جيد؟

قال السيد ولايتي: كما تفضل الدكتور السيد حبيبي يمكن أن نرسم نقاطًا لهذه الاستراتيجية الجديدة وليس كالسابق، استراتيجية جديدة على أساس أوسع مما كانت عليه وسنتابع الأمر بيننا على أساس هذه الفكرة، وهذه ضرورة، وضرورة هذا الموضوع ستكون ملموسة أكثر، بعد عملية صَدّام، وفي اللقاء مع سيادتكم في دمشق ومع سيادة الرئيس حافظ الأسد وما أكده خاصة الرئيس الأسد وتفضل به الدكتور السيد حبيبي نحن نوافق على هذه المسألة بالتأكيد، ويجب أن تكون إيران أكثر تأثيرًا في هذه المنطقة، إلى جانب سورية التي لدينا معها سنوات من الود والصداقة العميقة وكنا معًا في الأيام الصعبة، وعشنا الامتحان ونعرف بعضنا جيدًا، لقد زرت بلدان منطقة الخليج الفارسي، بعد زيارتي لسورية، وتكلمت معهم جميعًا ولمست نفس الاستعداد الذي تفضلتم به، لمست عندهم جميعًا ندمًا عميقًا، رئيس وزراء البحرين رجل غريب الأطوار، قبل هجوم صَدّام على الكويت كان قريبًا جدًا إلى العراق، ووقّع مع صَدّام اتفاقية عدم اعتداء على الجانبين، وبعد اجتياح العراق للكويت تبين

أن كل هذه الاتفاقيات لعبة. لم أَزُر البحرين من قبل، وهي أول مرة أزورها وذلك بسبب مواقفهم السيئة، عندما زرت البحرين وجدت أن الأمير ورئيس الوزراء ووزير الخارجية كلهم جاؤوا لاستقبالي، وكذلك وزير الداخلية، جاؤوا خارج القصر ووقفوا جميعًا حتى نزلت من السيارة، وفي الاجتماع تحدث الأمير وشاهدت الأمير قبل ذلك، الأمير ليس له كلام، وقطع رئيس الوزراء كلام الأمير، قال: الإنسان يخطئ، والله وحده الذي لا يخطئ، ولكن العاقل يعوض عن خطئه عندما يحس بالخطأ، قلت: شيخ محمد وزير الخارجية يمكن أن يأتي لإيران، قال: الشيخ محمد يأتي، وأنا كذلك، كلنا نأتي.

علقت على ذلك فقلت: في إحدى المرات كنا في جولة، اجتمعت مع رئيس وزراء البحرين، وهاجمنا لأننا وقفنا إلى جانب إيران، وقال إننا تخلينا عن مبادئنا كبعثيين، صار هو بعثي وصرنا نحن خارج البعث، رددنا عليه بشدة، لكن لا شك أن هناك درسًا ليس للحكام، وللشعوب أيضًا، المواطن العادي الآن يتحدث عن الأضرار التي أصابته نتيجة الحرب من جهة، ونتيجة عدم التعاون مع إيران وسورية من جهة ثانية، وأعتقد أن هذه فرصة تاريخية يجب ألا نُضيعها بالقدر الذي نملأ به الفراغ نبعد الأميركان، وإذا تخلينا سيبقى الأميركان في المنطقة، وستبقى المصاعب والمتاعب كبيرة جدًا.

أخذنا من وقتكم كثيرًا، وكما ترى نتناقش ولنا نفس وجهات النظر، كما أشار الدكتور ولايتي العلاقات بين البلدين مرت بتجارب عميقة جدًا وبظروف صعبة جدًا، وأثبتت هذه العلاقة أنها عميقة جدًا، عميقة الجذور، وراسخة وفي الظروف الصعبة لا يستطيع أحد أن يغير بالقوة هذه العلاقات، وفي الظروف المريحة الآن يفترض أن تأخذ هذه العلاقات مدى أوسع، هناك مصلحة لإيران وسورية ولشعوب المنطقة وأعتقد لجميع الشعوب الإسلامية، في عالم تنمو فيه الآن الروح الصليبية بشكل غير معقول.

قال السيد حبيبي: أنا مسرور أيضًا لهذا اللقاء والصراحة التي تبودلت فيه ووجود وجهات نظر مشتركة، ولديّ سبب آخر للسرور، لعل الأصدقاء يخطون في اتخاذ موقف حيال العالم ولكننا نحن مسرورون من السنوات التي مضت بعد انتصار الثورة وللتحاليل المشتركة التي كانت لدينا بالنسبة للعالم والمنطقة والتعاون المشترك بين البلدين، كانت كلها على حق، أهم ذلك الحدث الأخير إذ اعترف العالم أجمع بخطئه، أعلنت الولايات المتحدة بصراحة أن صَدّام اعتدى على إيران، ومثل ذلك أعلنت فرنسا وبريطانيا وبلدان المنطقة، وكل ذلك يعني أننا إيران وسورية كنا على حق، هذا من دواعي سرورنا ورأسمال كبير لنا،

ومن جهتنا نحن لسنا مستعدين لأن نُفرط بهذا الرأسمال، وأتصور ما أقوله هو كلامكم أيضًا.

قلت له: صحيح، تمامًا.

قال السيد حبيبي: سوف نحتفظ بهذا الرأسمال؛ لأنه أكبر من رأسمال السعودية والكويت. رأسمالهم يمكن أن يجمد في البنوك الأميركية، أما رأسمالنا فلا يمكن أن يجمد.

* * *

وفي الساعة الثالثة بعد الظهر استقبلنا الرئيس الإيراني ودار النقاش التالي:

قال الرئيس: نتمنى أن لا تسافر.

فقلت له مازحًا: على كل حال قرار سفرنا بيدك إلا إذا كان الدكتور ولايتي مستعجلاً على انفجار الوضع العسكري في المنطقة.

قال الرئيس: نحن على استعداد لنستفيد من وجهات نظركم، أرى أن هناك الكثير من القول في هذه الأيام.

قلت له: أولاً، أود أن أنقل لكم تحيات السيد الرئيس حافظ الأسد وتمنياته الطيبة لسيادتكم، إن الظروف التي تمر بها المنطقة معقدة ويجب أن يجري التشاور في وجهات النظر بين البلدين، السيد الرئيس يقدر غاليًا رسالة الرئيس هاشمي رفسنجاني التي حملها الدكتور ولايتي، ولا سيما ما ورد فيها حول الوصول بالبلدين إلى أعلى درجات التنسيق والتشاور، وهذا أمر طبيعي، نحن معًا مررنا بظروف صعبة في المنطقة والظروف المقبلة أيضًا معقدة، وهذا الأمر يتطلب بالفعل البحث عن أفضل السبل لتحقيق أعلى درجات التنسيق بين البلدين، وبما يجعل قواهما متكاملة تمكنهما من مواجهة كل التطورات المقبلة، وأن يكون لهما دور رئيسي في تطورات المنطقة أيضًا، أجرينا هذا الصباح محادثات مع الدكتور السيد حبيبي والدكتور ولايتي، وأعتقد أنهم وضعوا الرئيس رفسنجاني بصورة المحادثات، وطبعًا يسرنا كثيرًا أن نسمع للأخ الرئيس توجهاته، وأن نشير إلى رأينا في التطورات الجارية، وأود أن أشير إلى حديث الصباح حتى لا أزعجك بالتكرار، هناك موضوعان أساسيان، كيف نرغب بآلية للتنسيق والتعاون بين البلدين، وسبق أن تحدثت مع الدكتور ولايتي حول هذا الموضوع، وقلنا إخوتنا في إيران يُحضّرون أفكارهم ونحن نُحضّر أفكارنا، وهناك التطورات الجارية في منطقة الخليج، فكما يريد الأخ الرئيس.

قال الرئيس: بسم الله الرحمن الرحيم، نحن هذه الأيام نسمع بصورة متواصلة عن إخوتنا، وهذا طيب أن يكون لنا تعامل استراتيجي مع الإخوة السوريين، هذا الكلام كنا نقوله في الماضي ودائمًا كنا نقوله لضرورة التنسيق إلى أوسع وأبعد مدى بيننا على قاعدة أنه يجب أن يتم هذا العمل، ويجب أن يتم بتدارس هذه النقاط بصورة محددة لأن الكلام في الإطار العام لا يمكن أن ينبثق عنه شيء، من الماضي كانت لدينا نقطة واضحة في التعاون الاستراتيجي ألا وهي العمل ضد إسرائيل، هذه لازالت قائمة، أي النقطة لا زالت قائمة، في لبنان أيضًا عندما كان الاحتلال كان بيننا عمل مشترك ووجهة نظر مشتركة؛ وهي أن نطرد الاحتلال من هناك، الآن لا نرى ما هو الموضوع في العمل الاستراتيجي الذي يجب أن نهتم به مباشرة، يجب أن تنسقوا بينكم، على أي مستوى يجب أن يتم العمل في هذا الموضوع، أقول ذلك بالنسبة للُبنان، نريد أن نقوم بعمل مشترك لوقف الصدامات في لبنان، موضوع الطائف عندما طُرح لم يكن واضحًا لنا ما هو الموضوع الذي تتابعونه والذي تريدونه في لبنان في هذا الإطار، وعلى أي حال هذا موضوعكم ونرى أن نفهم الموضوع بصورة سريعة لنعمل وننسق هذه المواضيع القائمة، والمواضيع القائمة في جنوب لبنان أوجدت أجواء سيئة في لبنان على الأخص أنه يجب أن يكون لنا ولكم في تلك الساحة نفوذ أكبر، لأن الناس هناك مؤيدون لنا ولكم. ما نتوقعه من خلال تواجدكم في لبنان ألا تسمحوا لهم بهذا القتال وتنبهوهم على هذه المواضيع، تدرسونها فيما بعد.

أما بالنسبة للعراق، الآن تواجدت أوضاع جديدة، فيما سبق كانت هناك الحرب التي قام بها صدام، وكنا نعمل معكم وننسق للتصدي لهذه الحرب، كان لكم خلاف عميق مع العراقيين، كما كان لنا خلاف معهم، وكنا اشتركنا في نقطة حول هذا المحور، الآن لا شك أنه يحتاج لتعاون أوسع، ذلك أن الأوضاع في المنطقة أخذت تطورات متلاحقة وسريعة.

يجب أن نتدارس أولاً ما هو التوجه الذي نريد أن يأخذه العراق؟ وأين يسير إذا بقي صدام أو سقط نظام البعث في العراق؟ وعلى كل حال نرى ضرورة التنسيق معكم في هذا المجال، إذا كان الافتراض أن يبقى صدام وأن يبقى تواجده في الكويت، فيجب أن نتعامل مع هذا الوضع بصورة خاصة، وإذا كان مقررًا أن يذهب صدام، فالموضوع المهم لنا ولكم هو ما الذي سيحدث هناك وكيف ستسير الأمور؟ وإذا كان الافتراض أن الأميركان سيأتون بخليفة لصدام فإن هذا سيكون سيئًا جدًا، وإذا حكم الشعب هناك فالأوضاع ستكون معقدة، هناك الأكراد والشيعة والسنة، وهذا يتطلب – من أجل السير الحسن للأمور في ذلك البلد، يتطلب منا – أن ننشط لتسييرهم في التوجه الصحيح، هناك احتمال أن يتم التعامل

مع صدام في صفقة حول جزء من الكويت يُعطى له، ولا أعرف شيئًا، أريد معلوماتكم، ذلك أن هذه الحالة حالة سيئة جدًا إذا انتهينا من هذا الموضوع فهناك موضوع شبه الجزيرة العربية، السعودية وبقية البلدان المجاورة للخليج الفارسي، ما هو مقدار الرغبة في بقاء القوات الأميركية والغربية المتواجدة في المنطقة.

أحد الاحتمالات المطروحة أن الأميركان من خلال التعاون مع السعودية وبلدان أخرى خلقوا ظروفًا خاصة في المنطقة ليحكموها، إذا كان بمقدور إيران والعراق وسورية، العراق النظام المستقبلي، أن يقوموا بالتنسيق للتصدي للوضع في شبه الجزيرة العربية في تلك المناطق حول تواجد القوات الأميركية والغربية، هذا عمل أساسي ومهم يجب أن ننظر به، إذا ضعف موقف العراق وعلاقاته مع هذه البلاد الجنوبية من حدوده، إذا حدث هذا الخلل فنحن مستعدون للتعاون مع هذه البلاد، وسورية تستطيع أن تكون مؤثرة في هذه الساحة؛ ذلك أنكم على الخط الأول من الجبهة ضد إسرائيل، إذا استطعنا القيام بهذا ونستعمل الطاقات التي يملكونها من أجل الجهاد ضد إسرائيل، إذا استطعنا ذلك سيكون هذا العمل مُهمًا جدًا، نحن لا نعرف الآن الوضع في الأردن بالضبط، نرى التحرك الأردني مشكوكًا فيه، ونريد أن نعرف وجهة نظركم حول سير الأمور هناك، كما نرغب أن نعرف مدى جدية تجميع القوات العربية في السعودية، وإلى أي مدى يستطيع تواجدها أن يغني عن تواجد القوات الأميركية؟ هناك نقاط كثيرة من هذا النوع إذا اتضحت الرؤيا حول كل منها يمكن أن نستخرج نقاطًا ونتفق على النقاط من أجل تقسيم العمل، وكذلك بالعكس، بصورة أن لا يفلت لجام المنطقة من أيدينا، يجب أن نسعى إلى ذلك ونحن على استعداد لأن نسمع منكم.

قلت للسيد الرئيس: أشكر الأخ الرئيس على حديثه القيم وما طرح من جملة القضايا الاستراتيجية والمصيرية؛ وهي بالضبط القضايا التي تشغل بالنا لأنها بالنتيجة تتعلق بمصيرنا ومصير المنطقة.

أولاً، أريد أن أشير إلى أن سورية وإيران إذا اتفقتا تستطيعان أن يكون لهما دور رئيسي في تطور وتوجيه الأحداث في المنطقة، ولكن أن نترك الأحداث ثم نحاول اللحاق بها كلانا سيخسر، وشعوب المنطقة ستخسر ويكون ذلك لحساب أعدائنا، إذًا يجب أن تكون المبادرة بأيدينا، وأعتقد الآن أن الفرصة تاريخية للإمساك بالوضع في المنطقة.

ثانيًا، كما أشار الأخ الرئيس.... إن هدفنا الرئيسي هو مسألة الصراع العربي مع العدو الإسرائيلي، ولا شك أننا إذا نجحنا في أن يكون العراق في الموقع الإسلامي والعربي الذي

نريده فإن هذا سيشكل خطًا يمتد من البحر المتوسط إلى حدود الاتحاد السوفيتي، وكل من هو على شمال الخط أو يمينه سيأخذ هذا الخط بالاعتبار.

وثالثًا، نحن نتصور أنه لا بد من وضع آلية عمل بين البلدين في إطار تنفيذ جملة خطوط استراتيجية في المنطقة والسنوات الماضية التي مرت جعلت العلاقات بين البلدين علاقات وطيدة وعميقة الجذور، في الظروف الصعبة التي مررنا بها معًا قامت علاقات روحية ونفسية بين البلدين وقيادتي البلدين، ولكن الأمر يجب أن لا يبقى في حدود العواطف، لا بد من تأطيره كأن نضع اتفاقًا بين البلدين حول كيفية العمل وتنظيم العمل، وفي هذا الاتفاق نحدد الأدوار وتنظيم القوى وتكاملها، أي أن العلاقات التي قامت في الظروف الصعبة بين البلدين، يجب أن تأخذ إطارها التنظيمي، ويجب أن يعرف الجميع أنه ليس هناك إمكانية لإحداث ثغرة بين سورية وإيران، وأن لا أحد يستطيع أن يتجاهل هذين البلدين ودورهما في المنطقة. إذًا الهدف من وجهة نظرنا هو الوصول بالمنطقة إلى وضع يخدم أهدافنا الاستراتيجية القريبة والبعيدة، والآن كلانا في الظروف المريحة، وبالتالي عندما نضع هذه الأطر نضعها ونحن مرتاحون وليس تحت ضغط الأحداث.

موضوع لبنان.. نتفق تمامًا مع وجهة نظر الأخ الرئيس، وسنناقش التفاصيل مع الإخوان لأني في الواقع أريد أن أركز على الموضوع الأكثر إلحاحًا، ولكن موضوع لبنان نستطيع أن نرتب الأمور مع الإخوة، وبالتأكيد نستطيع أن نُنهي هذا الوضع المخجل بين حركة أمل وحزب الله، الموضوع سينتهي وكلانا سيكون حاسمًا بهذا الأمر، أريد أن أشير إلى نقطة وهي حول موضوع اتفاق الطائف.. إسرائيل لها مطامع في لبنان، تقسيم لبنان سيؤدي إلى أن إسرائيل ستأخذ قسمًا منه والمنطقة المسيحية ستهجر وسيهرب المسلمون من لبنان ليأتوا بالفلسطينيين الذين أيضًا سيهجرون من فلسطين ليحل محلهم اليهود السوفييت، لذلك ما يهمنا أن يبقى في لبنان دولة.

أما موضوع النظام السياسي فيطور ويعدل بالشكل الملائم عندما نكون في وضع أكثر ارتياحًا في المنطقة علمًا أن اتفاق الطائف أعطى مكاسب كبيرة للمسلمين.

أعود للوضع في العراق، طبعًا نحن هنا نتحدث كإخوة ومسؤولين، وحديثنا ستكون له نتائجه التاريخية. العراق بلد شقيق لكلينا، نحن ثلاثتنا بلدان إسلامية، هناك تاريخ مشترك طويل بيننا ويعتبر شعب العراق، سواء في إيران أو سورية، شعبًا شقيقًا، ولكن تبين بالممارسة أن النظام الذي يقوم في العراق إذا لم يكن مرتبطًا بمبادئ سليمة، وبأناس لهم عقل، يكون

دائمًا نقطة إرباك وإضعاف لسورية وإيران، ولو عدنا إلى التاريخ في محطات كثيرة نجد هذه الصورة؛ إذًا علينا أن نعمل ليكون العراق فعلاً معنا. ولكن هل يمكن الركون إلى القيادة الحالية في العراق؟ هل يمكن الاعتماد عليها؟

هناك أمر شخصي يتعلق برئيس النظام، وهناك أمر يتعلق بتركيب النظام نفسه.. الرجل يطمح لإمبراطورية كبرى، وليحقق ذلك يجب أن يُضعف أو ينهي سورية وإيران، وحرب عام ١٩٨٠ كانت في هذا الإطار، وقطع علاقاته مع سورية كانت أيضًا في هذا الإطار، عندما فشل في الاتجاهين أراد أن يعتمد على النفط لتأمين هذه الأهداف، وعندما اجتاح الكويت كان يعتقد أنه إذا أخذ النفط الكويتي تتكون لديه موارد ضخمة، وهدفه الثاني كان دولة الإمارات، هذا مخطط متفق عليه مع بعض حلفائه من الدول العربية، وهو لم يلاق معارضة من الولايات المتحدة في بادئ الأمر؛ لأنه عندما طرح الخلاف مع الكويت قال له الأميركان نحن على الحياد، لأنهم يعتبرونه صديقًا لهم، قبل الاجتياح بأسبوعين أدلى جون كيلي مساعد وزير الخارجية في لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس بشهادة كان يدافع فيها عن العراق، والعلاقة مع العراق، ويرفض فرض عقوبات على العراق، وبرر كيلي بأن ليس بين الولايات المتحدة والكويت اتفاق أمني، أو اتفاق دفاعي. ولكن صدام تجاوز خطًا معينًا وبالتالي ضغط الكونغرس على بوش واتخذ موقفًا متشددًا ضد صدام.

سأل الرئيس: ما هو القصد من الخط الأحمر؟

قلت له: أولاً: هم موافقون على اجتياح الكويت اجتياحًا معنويًا وليس عسكريًا؛ أي أن يأخذ الأموال من الكويت بالضغط وليس بالاحتلال، فإذا نجح صدام في العملية ماذا ستكون النتائج؟ ستكون لديه هذه الأموال الضخمة، سيخرج منتصرًا وسيعود لخلق متاعب لكل من إيران وسورية.

طبعًا لا يمكن الاعتماد على ما يقوله، الآن مَن وقّع اتفاقية الجزائر؟ هو الذي وقّعها، وقال آنذاك وقّعتها لأن العراق ضعيف، وعندما مزقها قال العراق أصبح قويًا، والآن لولا ضغط الظروف والتطورات ما كان من الممكن أن يوجه الرسالة الأولى والثانية للأخ الرئيس هاشمي رفسنجاني، إذن عندما يستعيد قوته سيعود إلى سياسته القديمة، كما قلنا صباحًا الكويت قدمت للعراق مساعدات بقيمة ١٩ مليار دولار، وكان وزير خارجية الكويت وزيرًا لخارجية للعراق، والكويتيون شنوا حملة شديدة ضد سورية بسبب موقفنا من الحرب، وموقفنا من صدام، فهو لم يراعِ كل ذلك، وخلال ساعات قضى على الدولة

الكويتية. لا شك أن الأمر خطير أن يسمح له أن يغير الجغرافيا السياسية للمنطقة بهذا الشكل وبقراره، طبعًا نحن نقول علاقاتنا مع جماعة الخليج لم تكن حسنة خلال مرحلة الحرب كلها، بالعكس حاربونا بشدة، ولكن الأمر الآن لا يتعلق بالعواطف المتبادلة بيننا وبينهم، بل يتعلق بالمبدأ، إذا سمح له بالاستمرار بهذا النهج فالمنطقة كلها ستضرب، الآن نرى فجأة أنه شديد التمسك بالإسلام، ضد من شنَّ الحرب؟ هل شنّها ضد إسرائيل؟ هل شنّها ضد إيطاليا؟ هو لم يشنّها ضد إيران فقط، بل شنَّ الحرب ضد الثورة الإسلامية في إيران، بالعكس إيران الشاه كان متعاونًا معها لكن إيران الإسلام هي التي كانت هدفه، بالتالي هدف القوى الدولية التي كانت وراءه، وفجأة أصبح معاديًا للإمبريالية والأميركان، لنحسب من خدم الأميركان أكثر في المنطقة، قدّم خدمات للأميركان لم تقدمها جهة أخرى بما فيها إسرائيل. محاولة ضرب الثورة الإيرانية واستنزافها، محاولة استنزاف سورية، تغطية سياسة عرفات وتشجيعه للاعتراف بإسرائيل. من أتى بالأساطيل إلى الخليج، في المرة الأولى هو الذي شجع الكويتيين لاستدعاء الأسطول الأميركي، وفي المرة الثانية باجتياح الكويت هو الذي فتح الباب أمام الأميركان، نحن نعتقد أن شخصًا لديه هذه التراكمات من الصعب الركون للتعاون معه، وبهذه المناسبة نحن نريد أن نشير إلى الانتصار الكبير الذي حققته إيران بالرسائل التي أرسلها صدام، وكما قلت. صباحًا الحرب لم تحسم عندما أعلنت إيران قبولها القرار، ولكن حسمت الآن بالرسالة الأخيرة، وهذا أمر مهم وستكون له تفاعلاته داخل العراق، وبطبيعة الحال تعاملت إيران مع هذه الرسالة بحكمة حين طلبت أن تأتيها بشكل رسمي وعبر قناة دبلوماسية، ولكن يبقى السؤال، هل من الممكن الركون إلى هذا الرجل الذي قتل مئات الآلاف من العراقيين بسبب معارضتهم لنظامه؟ وهو يقول الكويت جزء من العراق، أي أن شعب الكويت جزء من شعب العراق، ماذا فعل بالكويت؟ استباحها! هذا يعكس طبيعة التفكير والعقلية الموجودة في بغداد، طبعًا نحن لا نقصد من ذلك العودة إلى الحرب، إطلاقًا، ولكن ألا يستفيد صدام من التعامل الجديد مع إيران فيفك عنه الحصار وترفع عنه العزلة؟ هذا هو الواقع، نحن نعتقد أن النظام سيسقط، ومن الصعب أن يستمر صدام في العراق، ومن الصعب أن يخرج من هذه المعركة معافى، ولكن بتقديرنا أن أي نظام سيكون أقل سوءًا من هذا النظام القائم.

ثانيًا: تعاون سورية وإيران سيؤدي إلى إقامة نظام جديد في العراق صديق للبلدين، ويجب أن يكون حلقة في سلسلة للتعاون معهم، ونحن واثقون إذا عملنا معًا لن يستطيع أحد أن يفرض نظامًا في العراق غير صديق لنا.

الأميركان لديهم طائرات وأساطيل.. ولكن البشر معنا وهذا الأهم، وممكن أن يجري لقاء آخر مع الإخوة نبحث كيفية التحضير لقيام حكومة عراقية جديدة في حال سقوط نظام صدام.

أعود إلى موضوع الكويت.. بغض النظر عن علاقاتنا، في إيران أو سورية، مع الكويت أو جماعة الخليج، لكن الأمر يتعلق بالنهج الذي اتبع من قبل العراق، لا بد من مقاومة هذا النهج بحزم، وطبعًا بهذه المناسبة أريد أن أشير أن سورية وإيران الآن تستطيعان القيام بدور مؤثر وفعال في منطقة الخليج، الجميع الآن يشعر بالندم بسبب مواقفه السابقة، وهم قلقون.. ومن حقهم أن يقلقوا عندما رأوا كيف تبخرت دولة خلال ساعات وشُرد سكان هذه الدولة. أمر طبيعي أن يقع قلق وخوف، الآن هناك فراغ، إذا تعاونا معًا نستطيع أن نملأ هذا الفراغ، وبقدر حجم تواجدنا في المنطقة سيتضاءل حجم تواجد ونفوذ الأجنبي، ولكن إذا انكفأنا نحن وتعاملنا معهم على أساس أنهم كانوا خصومنا في الماضي سيرتمون نهائيًا بأحضان الأميركان، وهذا سيكون مشكلة لنا لأن أي مكسب يأخذه الأميركان سيكون على حسابنا وقد يوظف لمصلحة إسرائيل، علينا أن نكون موجودين، وجودنا هو الذي يؤدي إلى تراجع حجم التواجد الاقتصادي والسياسي والعسكري الأجنبي، لمسنا هذه الرغبة لدى جماعة الخليج، وجرى حديث بين السيد الرئيس والملك فهد حول العلاقات بين السعودية وإيران، وسمعنا كلامًا آخر غير الذي كنا نسمعه في الماضي، موضوع تواجد القوات الأجنبية الآن.

سأل الرئيس: ما الذي سمعتموه من فهد؟

قلت له: سمعنا رغبة في تجاوز الماضي، واستعدادًا كاملاً لفتح صفحة جديدة، وبروح صادقة وبتعاون كامل بين البلدين، أو بين منطقة الخليج وإيران، طبعًا سأتحدث في الموضوع قليلاً لأني لا أريد أن آخذ الكثير من وقتكم، ولكن برأينا تمر مناسبات يجب ألا نتركها لأنه إذا مرت قد لا تعود إلا بعد زمن، هناك توجّه جدي بإقامة علاقات جديدة وجدية بين البلدين - بين السعودية وإيران - وبالنسبة لموضوع القوى الأجنبية.. الواقع هذا الموضوع نُوقش في مؤتمر القمة، يقول السعوديون نحن خائفون ولدينا معلومات أن العراق سيجتاح السعودية ودول الخليج، أي سيأخذ العراق مناطق النفط؛ وكلها في شرق السعودية، يقولون نحن غير قادرين على الدفاع عن أنفسنا، وعمليًّا ليس لدى الدول العربية إمكانات عسكرية للوقوف في وجه الجيش العراقي، لأن سورية مشغولة بإسرائيل، ومصر ليست لديها إمكانيات كبيرة، وبقية الدول ليس لها جيوش. ورأوا ما حصل في الكويت ولذلك طلبوا من كل الدول

تقديم العون لهم للدفاع عن أنفسهم، وقال الملك فهد في المؤتمر، بمجرد أن ينسحب العراق من الكويت وأن تتوفر ضمانات بأن لا يعود إليها ستخرج القوات الأجنبية فورًا، وفي قرار القمة سجلنا على أن هذه القوات يجب أن تنسحب - هي مؤقتة - ويجب أن تنسحب فور انسحاب العراق من الكويت، بالإضافة إلى ذلك، الوضع الداخلي في أميركا لا يسمح ببقاء هذه القوات فترة طويلة، نحن تفهمنا هذا الأمر لأننا أمام خيارين: إما أن يأخذ صدام شبه الجزيرة العربية ونفطها، أو يوقف هذا الزحف بأي صورة من الصور، ونعتقد أخطر على المنطقة لو أن صدام ابتلع نفط الجزيرة، عندئذٍ سيطرح عددًا من الشعارات، ويقدم بعض المساعدات المالية لهذه الدولة وتلك، ويسيطر على سياسة النفط، يسيطر على الوضع العربي في المنطقة كلها ومن خلال المليارين أو ثلاثة المليارات من الدولارات يدفعها للدول الإسلامية الفقيرة سيشكل إطار دولة كبيرة حوله؛ وهذا أمر نعتقد أن فيه خطورة على الجميع. بطبيعة الحال لو كانت الظروف الإيرانية ملائمة؛ باعتبار الحرب استنزفت قسمًا كبيرًا من إمكانيات إيران، ولو كانت ظروف سورية ملائمة، لكنا نحن وإيران نستطيع أن نعطي هذه الضمانة.. ويجب أن نعمل ونخطط لأن نعطي نحن هذه الضمانة، ولكن الأمر يتوقف على كيفية تصرفنا وحُسن تكتيكنا وحركتنا؛ أي أن نميز بين أهدافنا البعيدة، التي تتعارض بطبيعتها مع مصالح هذه القوات الأجنبية في المنطقة، وأهدافنا القريبة التي تبدو وكأنها لا تتعارض، وهذا يأتي نتيجة تحديد سلم الأولويات في مواجهاتنا وسياساتنا. بالنسبة للقوات السورية هي قوات رمزية، كان هناك إلحاح من السعودية ووافقنا على ذلك.

أولاً - نحن لا نريد أن يشعر المواطن في السعودية والخليج أن الأميركان جاؤوا لحمايته وليس بين العرب من يأتي للدفاع عنه، هناك ذعر بين الناس، هناك الأجواء النفسية للذعر، تتشكل حالات نفسية لا نريد أن تتشكل لصالح الأميركان.

ثانيًا - نحن نظرنا إلى بعيد، أردنا أن نقول لهم إننا بإمكاننا في مرحلة ما أن نشكل عامل استقرار لكم إذا تعاونا نحن وأنتم وإخوتنا في إيران.

ثالثًا - نحن معنيون في الأوضاع التي تجري هناك، هذه القوات ليس لها أي علاقة بالقوات الأجنبية ولا احتكاك معها.

بالنسبة للأردن، الملك حسين يدافع عن صَدَّام حسين ويحاول مساعدته في لقاءاته السياسية، ومن خلال الإعلام الأردني.

وليبيا خارج العملية، معمر القذافي أجرى مقابلة تلفزيونية منذ يومين هاجم بشدة

العراق، وأيضًا هاجم الولايات المتحدة، العراقيون لا يدخلون معمر بهذه العملية، وهو لا يدخل بها، الحقيقة بالنسبة للأخ معمر - رغم ملاحظاتنا على بعض مواقفه ولكن بالخطوط العامة - سياسته جيدة، هو مر بظروف صعبة جدًا، وضُرب من قِبل الأميركان، وليبيا شعبها قليل ومساحتها كبيرة، ولذلك لديه قلق.

أعتقد أننا بتقييمنا لنظام العراق متفقون، ويبقى أن نتفق على كيفية العمل، وهذا يحتاج إلى عدد من الاجتماعات في طهران أو دمشق، هناك نقطة أشرت إليها في الصباح مع الإخوة، إذا كان بالإمكان خلال المفاوضات مع العراقيين حول الرسالة أن يقال لهم نريد ضمانات، وبالتأكيد نتوقع أن تطلب إيران ضمانات، هل هناك إمكانية من بين هذه الضمانات أن يقال للعراقيين: حتى نطمئن أنكم لن تمارسوا في المستقبل سياسة اجتياح الدول، عليكم أن تنسحبوا من الكويت، على أن يكون الانسحاب من الضمانات المطلوبة، خاصة أن وثيقة الاعتراف - رسميًا - أصبحت بيد طهران، إن وضع مثل هذا الشرط من شأنه أن يؤكد دور إيران الإقليمي في الخليج. لا أحد يستطيع القول إن إيران غير معنية لأن طول حدودها على الخليج أكبر من حدود الدول العربية على الطرف المقابل، بالإضافة إلى ذلك موضوع النفط.. مصلحة إيران كدولة نفطية ألا تنعزل عن الوضع النفطي في منطقة الخليج والحرب التي مضت أثبتت بشكل قاطع أن هذه الدول - أي دول الخليج - إذا كانت صديقة تكون النتائج باتجاه معين وإذا كانت غير صديقة تكون النتائج باتجاه سلبي، دخول إيران على خط المسألة الكويتية بهذا الشكل يعزز موقف إيران من جهة ويطمئن دول الخليج من جهة ثانية ويقوي موقفنا جميعًا.

قال الرئيس: بالنسبة لموضوع الكويت موقفنا حاسم، نحن بأي صورة لن نقبل أن يبقى صدام في الكويت، ذلك ضد مصالحنا أيضًا، ولكن الشيء الذي يقلقنا أن التحرك هو بيد الأميركان، الآن إذا اتفق العراق والأميركان على الأمر في المنطقة في ذلك يستطيع صدام أن يقف ضد اتفاق ١٩٧٥ فيما إذا تفاهموا بأن يمنح العراق امتيازات مادية وأرضية في المنطقة من الكويت.

فقلت له: حسب معلوماتنا هذا الاتفاق مستحيل، المعلومات القاطعة لدينا بعد الاجتماع ونتيجة محادثاتنا مع السعودية، ومع دول الخليج، لا يمكن أن يبقى صدام في الحكم، وأريد أن أعطي مؤشرًا صغيرًا، الملك فهد معروف بأنه لا يتكلم، وليس من طبيعته أن يكون مبادرًا ومصادمًا، منذ يومين ألقى خطابًا. ماذا قال فيه؟ قال سنعاقب صَدَّام حسين عقابًا لم يكن يتصوره في يوم من الأيام. هذه المسألة غير واردة إطلاقًا.

سأل الرئيس: هل تتوقعون أن يصطدم العراق مع السعودية؟

فقلت: الذي نتوقعه أن يجري انفجار عسكري من أجل إخراج القوات العراقية من الكويت، وسيؤدي هذا الانفجار إلى ضرب الآلية العسكرية والاقتصادية للعراق.

قال الرئيس: هل قادة السعودية قلقون من أن يضرب صدام المناطق النفطية؟ نحن نتصور، على القاعدة العراقية، يجب أن يكون قد خطط لهذا الوضع، إذا ضُرب يقوم بضرب المصادر النفطية التي تؤثر على العالم.

قلت له: الحرب مع إيران تختلف عن الحرب مع القوى الغربية الموجودة في السعودية، العراق كان يحارب إيران على عدة جبهات، وإيران كانت تحارب بإيمان وأجساد الناس ولذلك ظهر العراق وكأن لديه تفوقًا عسكريًا، ولكن الأمر مختلف بالنسبة للطرف الآخر والإمكانات التكنولوجية العالية الموجودة لدى الأميركان، طبعًا نحن نتمنى من قلوبنا أن ينهار نظام صدام بدون عمل عسكري، لأن صدام بالنهاية موجود في قبو تحت الأرض، ولا تصل إليه القنابل، بل ستصل إلى المواطنين العراقيين الذين هم أهلنا، وبطبيعة الحال هو سيتحمل المسؤولية. أنا لست عسكريًا، عمليًا حتى لو أرسل صاروخًا إلى منشآت النفط هذه المنشآت يجري إصلاحها بسرعة.

قال الرئيس: أتصور - وعمليًا هذا ما نقوم به - يجب علينا أن نعمل حتى لا يرغم المعادي للعراق، أن يمنح العراقيين امتيازات، ما قلتموه عن صدام نقبله ونعرف أن صدام لن يستكين، هذه المنطقة لن تشهد الاستقرار إذا ما بقي صدام، وأحسن الفروض أن تُزال حكومة صدام، ولكن القلق هو أن الغربيين يصعب عليهم أن يدخلوا في صراع عسكري مباشر، يجب أن نحل هذا الموضوع بحيث لا يقلقون من ذلك ولا يمنحونه بالمقابل امتيازات.

هناك نقطة قد تكون مهمة، من الممكن أن يفكروا أن إيران قد حلت مشاكلها مع العراق، سوف يفكرون - أي الطرف الآخر - بأنه من الممكن أن يُدعم العراق من جانب إيران بصورة ما، ولكن تستطيعون طمأنتهم أنه ليست استراتيجية إيران بقاء صدام، ولن نتعامل مع الأوضاع بالصورة التي يستغلها صدام، ونحن لا نريد أن نتكلم كثيرًا مع الأميركان، ولكننا نتكلم مع جيراننا في المناطق الجنوبية بأنه يجب أن نحاول أن نمنع صدام من أن يحصل على الامتيازات أو أن يمنحها، يجب أن نُطمئن تركيا - ومن جانبنا طمأناها - أوزال كان لديه قلق وأنا تكلمت معه مرتين أو ثلاث مرات وبددت قلقه، ووزير خارجية تركيا سيأتي إلى هنا ليلقى ما يطمئنه.

قلت للرئيس: هذا أمر جيد ومهم، ونحن متفقون مع الأخ الرئيس.

أولاً ـ إذا كنا نستطيع إسقاط صدام يجب أن يسقط، ونعمل ما نستطيع عمله لأنه خطر على المنطقة، وهو سد في وجه استراتيجيتنا.

ثانيًا ـ يجب ألا يحقق أي مكسب، بالعكس يجب أن يعاقب عقوبات شديدة، نحن مطمئنون كليًا أنه حتى لو أعلن الانسحاب دون شرط لن يعطى قرشًا واحدًا ولا امتيازًا، بالعكس هناك تعبئة كبيرة ضد أي احتمال لأي حديث مع صدام.

قال الرئيس: رسالتي الأخيرة لصدام ستنشر اليوم، هذه الليلة، أرجو مطالعتها بدقة وستلاحظون أن لدى صدام استعدادًا كبيرًا للدوران إلى الوراء، هذه الرسالة التي كتبتها لو كان صدام غير ضعيف أمام الوضع القائم لما كان تراجع، لهذا أتصور من الممكن أن يتعامل مع الولايات المتحدة بصورة يُرغبها على أن تقبله، كل هذه الامتيازات التي منحنا إياها حدثت في يوم واحد، أي تسلسل الرسائل، كتب سبع أو ثماني رسائل كلها كان يتكلم بها من موقف قوي، ولكن فجأة انعكست الأمور، نفس هذه الحالة ممكن أن تحدث أمام الأميركان.

قلت: بالنسبة للولايات المتحدة الأمر محسوم بعد الغزو، لو كان الأمر قبل الغزو لاختلف الموضوع، ولكن الأمر يتعلق بمصير بوش في أميركا، ومصير دول المنطقة، قبل أن يصل الملك حسين إلى واشنطن ماذا قال بوش؟ قال له يجب أن تلتزم بقرار مجلس الأمن بالحصار على صدام وأن تغلق خليج العقبة وإذا لم يغلق.. هو سيغلقه، وأنه لا مجال لحل دبلوماسي وأن صدام يجب أن يسقط، هذا كلام بوش أمس، وقال ردًا على صدام، قال: أنت تُطلق الشعارات الإسلامية.. أنت قتلت ٥٠٠ ألف مسلم. وهذا الأمر أعتقد أنه محسوم.

قال الرئيس: ولكن كل هذا الكلام، إذا استسلم، من الممكن أن تغير أميركا موقفها، لا أقول هذا سيحدث بل أقول يجب أن ننتبه كثيرًا، الوضع سيئ جدًّا، وقد يستسلم صدام للأميركان وأميركا ستستقبله وترحب به وتحفظه وتترك الآخرين، كما استسلم أمامنا.

قال السيد الشرع: إذا سمح لي السيد الرئيس، إذا حصل ذلك فيمكن أن يحصل إذا انسحب صدام من الكويت، وعادت الحكومة الشرعية، وسيحصل هذا بعد أن حصلت هذه الرسالة المهمة منه القيادة في إيران التي أعلن بها موافقته على اتفاقية الجزائر، هذا الأمر كافٍ ليسقطه في العراق، أو أن يضعفه. هذه الصورة ستجعله في وضع ضعيف داخل العراق.. وهذا مهم.

قال الرئيس: هناك احتمال بجزيرة وربة.

قلت له: لن يمنح ذرة تراب، وصدام لن يبقى، سابقًا كان ممكنًا، أعني لو دخل الرميلة منطقة النفط ودخل بوبيان وجلس ولم يدخل الكويت، لكان ثبت الأمر في الواقع، وهذه الضجة لما كانت قد وقعت، ولكن المخطط أبعد من ذلك، كان يريد الوثوب باتجاه نفط الجنوب، وبذلك خرق الخط الأحمر.

قال الرئيس: على أي حال أنا قلت هذا هو الخطر الوحيد والممكن، وأنتم قلتم لن يحدث.

قلت له: ومع ذلك سنقاوم الأمر وسنعمل اتصالات مع دول الخليج لتنتبه لهذا الأمر وتكون حازمة في رفضه، والصورة ستتضح هذا المساء بلقاء الملك حسين مع بوش، ونتيجة الزيارة سيعلنها الأميركان، سيتضح إذا كانت هناك إمكانية للتراجع الأميركي أم لا.

قال الرئيس: على أي حال كان الاجتماع مفيدًا، استمروا مع الوفد الإيراني في هذه المباحثات لاستخلاص النقاط.

فقلت له: أشكر السيد الرئيس ونتمنى من قلوبنا أن نستقبلك في دمشق، وأود أن أبلغك أن زيارة السيد الرئيس إلى طهران ستكون قريبة وبمجرد أن يهدأ الوضع في المنطقة، وسيادته ينوي أن يلبي دعوة الأخ الرئيس هاشمي رفسنجاني، وأريد أن أعبر عن سروري أنا والسيد الشرع لهذا اللقاء ونشعر أننا متفقون في كل شيء.

قال الرئيس: أرجو أن تبلغوا تحياتي للأخ الرئيس حافظ الأسد وأشعره أننا نحن في انتظاره.

قلت: لا شك أننا سنفعل.

وفي الثاني والعشرين من شهر آب ١٩٩٠ توجّه الرئيس حافظ الأسد إلى طهران ورافقته بهذه الجولة، وكان الهدف تبادل وجهات النظر مع القيادة الإيرانية وتنسيق المواقف بعد الاجتياح العراقي للكويت وما أفرزه من تعقيدات إقليمية ودولية.

خلال هذه الزيارة نوقشت جميع القضايا ذات الاهتمام المشترك وفي مقدمتها العلاقات الثنائية والحاجة إلى مزيد من التعاون والتنسيق لا سيما في هذه الظروف الخطيرة التي تتعرض لها المنطقة، واتفق الرئيسان على إنشاء الهيئة العليا المشتركة بين الدولتين من نائبي رئيس الجمهورية ووزيري الخارجية، وأعطى الرئيسان حافظ الأسد وعلي أكبر هاشمي رفسنجاني

هذه الهيئة صلاحيات واسعة في تحقيق التنسيق والتعاون بين الدولتين في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وما يهم أمنها الوطني.

كما نوقش في هذا الاجتماع ما يمكن أن يترتب عن وجود قوات أجنبية من تهديد لأمن وسيادة دول المنطقة، وكان الجانب الإيراني شديد القلق من ذلك فأكد له الرئيس حافظ الأسد أن السعودية طمأنت سورية على أن هذه القوات ستنسحب فور انتهاء مهمتها، وعبّر الجانبان – السوري والإيراني – عن قلقهما البالغ من اجتياح القوات العراقية للكويت وخطورة اللعب بخريطة المنطقة، واتفقا على دعم الجهود لإخراج القوات العراقية من الكويت، كما ناقشا مطولاً سياسات صَدّام حسين الإقليمية والداخلية والتي وضعت المنطقة في قلب دائرة الأخطار، كما اتفق الرئيسان على متابعة العمل لدعم المعارضة العراقية من أجل تحقيق التغيير في العراق.

ولدى مناقشة الوضع الأمني في المنطقة فقد تم الاتفاق على العمل لتشكيل نظام أمني إقليمي بمشاركة دول المنطقة لضمان أمنها حتى لا تتكرر مشكلة الكويت، أو حتى لا تجد بعض القوى الكبرى مجالاً للتدخل تحت ذريعة أمن النفط.

وبعد انتهاء اللقاء صدر بيان مشترك لخص المناقشات التي دارت، وهذا ما ورد فيه حول مسألة اجتياح الكويت.

(أ) اجتياح الكويت

ناقش الرئيسان بقلق كبير الأوضاع الإقليمية وبخاصة المستجدات الأخيرة في منطقة الخليج، كما تدارسا هذه المستجدات والأحداث في ضوء العدوان العراقي على الكويت، وشجبا مبدأ العدوان، ونددا باحتلال النظام العراقي للكويت واعتباره عملاً أدى إلى زعزعة الأمن والاستقرار في المنطقة؛ حيث وفّر الذريعة للتواجد الأجنبي فيها مع ما قد يُشكّله من خطر شديد على شعوب ودول المنطقـة، ويعتقد الرئيسان أن دفع هذا الخطر عن المنطقة يكون بالعمل على إزالة العدوان العراقي والتواجد الأجنبي. وفي هذا السياق أكّد الرئيسان على ضرورة انسحاب القوات العراقية غير المشروط من الكويت واستعادة هذا البلد استقلاله وسيادته الوطنية وحكومته ووحدة أراضيه بشكل لا يُمكّن النظام المعتدي من الحصول على أي مكاسب من جرّاء هذا العدوان.

وأعرب الرئيسان عن عدم قبولهما لأي تبديل في الخارطة السياسية للمنطقة، كما أعربا عن

قناعتهما بأن أي مبادرة سياسية لحل أزمة الخليج يجب أن تبنى على أسس الانسحاب الكامل وغير المشروط من الكويت لتجنيب المنطقة شبح الصراعات والحروب.

أمن المنطقة

أكد الجانبان على أهمية التعاون الوثيق بين الدول العربية والجمهورية الإسلامية الإيرانية التي تربط بينها روابط التاريخ المشترك والقيم الإسلامية؛ الأمر الذي يعزز المواقف المشتركة لهذه الدول لمصالحها وحفاظًا على استقلالها وسيادتها بعيدًا عن أي تدخلات أجنبية.

وانطلاقًا من ذلك يرى الجانبان أن إقامة نظام أمن إقليمي بمشاركة بلدان المنطقة هو أنجع وأفضل الحلول لتوفير الأمن والاستقرار لدولها وشعوبها، آخذين بعين الاعتبار أن ذلك يُشكّل خطوة مهمة على مسار توسيع وتعميق أوجه التعاون بين بلدان المنطقة وتعزيز روح الأخوة والتضامن العربي والإسلامي في مواجهة المخططات المشبوهة.

وبين الثالث والخامس من تشرين الثاني ١٩٩٠ عقدت الهيئة العليا السورية ـ الإيرانية ثلاثة اجتماعات في دمشق حضرها عن الجانب السوري إلى جانبي: السيد فاروق الشرع وزير الخارجية والسيد ناصر قدور وزير الدولة للشؤون الخارجية والسفير السوري في طهران السيد أحمد الحسن، وعن الجانب الإيراني السادة: حسن حبيبي نائب رئيس الجمهورية والدكتور علي أكبر ولايتي وزير الخارجية والسفير الإيراني في دمشق.

وبعد مناقشة صيغة عمل الهيئة العليا وتشكيل لجنة لوضع الصيغة، تحدث الدكتور حبيبي فقال:

نريد أن ندخل البحث حول المستجدات التي حصلت بعد زيارتكم أنتم والسيد الشرع لطهران، نريد أن نتطرق لهذه المتغيرات والمستجدات، وفي هذا المجال ما زلنا عند هذا المعتقد، وهذا ما أعلنّاه مرارًا.. إن احتلال الكويت مُدَانٌ، ونحن نرى أن العراق يجب أن يخرج من الكويت وأن يكون الخروج كاملاً وتامًّا، ونحن في بعض الأحيان نسمع من هنا وهناك بعض الأخبار التي تشير إلى أنه من المحتمل أن بعض البلدان الكبرى، ومنها بعض بلدان المنطقة، لها توجهات أو مواقف أخرى، أما نحن بالنسبة لنا، نرى أن أي تغيير يطرأ على الحدود الدولية الموجودة في المنطقة أمر خطير وسيجعل السِّلْم العالمي والسِّلْم في المنطقة معرضًا للأخطار، حتى إن هناك حديثًا يُسمع من هنا وهناك حول تجزئة العراق، وكذلك حول وجود القوات الأجنبية في الخليج، فإن ما يُسمع من هنا وهناك، بأن هذه القوات تريد

الاستمرار في التواجد، وتريد ترسيخ تواجدها في المنطقة، ونحن نفكر أنه في كلتا النقطتين السابقتين، يجب أن نفكر في مخارج حتى لا تكون الأوضاع على هذا الشكل، ونرغب أن نسمع وجهات نظركم على المستجدات التي حصلت بعد اللقاءات التي تمت بيننا، نريد أن تُسمعونا وجهات نظركم حول الأشياء التي سُمعت وقيلت ومدى صحتها.

أجبت نائب الرئيس الإيراني الدكتور حبيبي فقلت:

كما كانت وجهات نظرنا متفقة خلال زيارة السيد الرئيس لطهران فهي الآن أيضًا متفقة، نحن متفقون على وجوب الانسحاب العراقي بشكل كامل من الكويت، وعدم إعطائه أي مكسب من أي نوع، وعدم إجراء أي تعديل في الحدود؛ لأن ذلك بالفعل وكما أشار الدكتور حبيبي سيشكل خطرًا كبيرًا على السِّلْم العالمي وعلى السِّلْم في المنطقة، وسُيغري النظام العراقي وغيره للقيام بسلسلة من الاضطرابات والاعتداءات التي لا يعرف أحد إلى أين ستنتهي، بالإضافة إلى أنه سيعطي الشرعية لكل الأعمال العدوانية التي قامت والتي يمكن أن تقوم بها إسرائيل، ولذلك نحن متفقون في وجهات نظرنا بشكل حاسم وجازم.

أما بالنسبة لما يُقال حول تغير في مواقف دول المنطقة، فإن معلوماتنا الأكيدة تقول إنه ليس هناك أي تغير بالنسبة للسعودية، ودول الخليج، وكذلك الأمر بالنسبة للدول الأخرى التي تقف ضد الاجتياح العراقي وهم أكدوا بصورة حاسمة تمسكهم بتنفيذ قرارات مجلس الأمن، وهذا الكلام أكده الملك فهد لوزيري خارجية سورية ومصر في جدة منذ أيام، كما سبق أن أكده وزير الخارجية السعودي منذ أسبوع عندما كان في دمشق، إذن هناك تصميم على إنهاء العدوان بأي شكل ومهما كانت الظروف، ويدركون كما ندرك نحن النتائج الخطرة المترتبة على المكاسب التي يمكن أن يجنيها النظام العراقي.

وبالنسبة للدول الأخرى، حسب معلوماتنا.. ليس هناك تغيير في الموقف الأميركي، على العكس فإن لهجة التصعيد تزداد هذه الأيام، هناك موقف من فرنسا وبعض الدول الأوربّية في محاولة لإخراج الرهائن، أو للحفاظ على مصالحها بعد انتهاء الغزو العراقي للكويت، ولكن تقديرنا أن هذه المواقف لن تؤثر بشكل جدي على تطور الأحداث

ليس للاتحاد السوفيتي موقف ثابت بشكل قاطع، وهناك تصريحات متعددة، ولكنه يؤكد رفضه إعطاء أي مكاسب للنظام العراقي وهو مع التنفيذ الكامل لقرارات مجلس الأمن، لا شك أن بعض الدول تريد من خلال بعض مظاهر النشاط السياسي إخراج رعاياها من

العراق، هناك خمسة آلاف مواطن سوفيتي في العراق، ولذلك فإن العراق يساوم عليهم، وتصدر تصريحات بين وقت وآخر أملاً في إخراج هؤلاء.

وأما بالنسبة للحديث عن تجزئة العراق، أعتقد أن هذا الأمر تمت مناقشته في طهران وستتعاون سورية وإيران للحفاظ على وحدة العراق، وهذا الموقف أبلغناه لجميع الأطراف والجميع يؤكد أنه ليست هناك نية للعب بالحدود الدولية القائمة، ولكن مع ذلك يجب أن نكون حذرين.

بالنسبة للقوات الأجنبية، أصحاب هذه القوات يؤكدون على أنهم سيسحبونها فور انتهاء مشكلة الكويت، وإذا أخذنا الأمر بشكل موضوعي، إذا طُرد صَدَّام حسين من الكويت تنتفي عندئذٍ الحاجة لاستمرارهم ولا سيما أن هناك اعتبارين يُشكلان عامل ضغط لسحب هذه القوات:

الاعتبار الأول: الضغوط الداخلية التي تمارس في البلدان التي لها قوات في الخليج.

الاعتبار الثاني: المصاعب التي ستتعرض لها هذه القوات فيما إذا استمرت في المنطقة.

بالإضافة إلى ذلك، إذا طُرد العراق من الكويت فلن يكونوا بحاجة لقوات لحماية مصالحهم، لأن هذه المصالح ستكون مؤمنة، وعمليًا أصحاب النفط سيبيعون النفط وعائدات النفط ستعود إليهم بشكل أو بآخر، إذًا لماذا يبقون على هذه القوات؟ وإذا افترضنا أن مشكلة الكويت انتهت وأرادوا البقاء، فعلينا أن نجد السبل من أجل إخراجهم، وستتعاون سورية وإيران في كل المجالات من أجل تحقيق هذا الهدف.

اقترح الدكتور حبيبي أن نبحث عن مخارج حتى لا يبقى الوضع بهذا الشكل. فقلت له إن أهم عامل برأينا من أجل التأثير على تطور الأحداث لصالحنا وصالح شعوب المنطقة تعزيز التعاون بين سورية وإيران وتنشيط عملها المشترك.

وفي مجال تنشيط المعارضة العراقية وتأثير جهود هذه المعارضة في جميع الأحوال سواء نشبت الحرب سريعًا أو تأخرت، فإن النظام العراقي سيتآكل بالعمل العسكري، أو بزيادة الضغط والحصار عليه، وبالتالي يجب أن يكون أصدقاؤنا في المعارضة العراقية في وضع يُمكنهم من خلق ظروف جديدة في العراق تُكمل الحلقات القائمة بين سورية وإيران، ومن جهة ثانية يمكن أن ننشط جهودنا في الضغط من أجل خلق الظروف الملائمة لإخراج العراق من الكويت، وهذا يتطلب توسيع اتصالاتنا مع دول الخليج:

أولاً: حتى تدرك مخاطر عملية الغزو بشكل أكثر عمقًا.

ثانيًا: حتى تطمئن أنها ليست وحدها وأننا لن نتخلى عنها وهي تواجه هذه الأزمة.

وقلت هذه وجهة نظرنا، فإذا كانت هناك أسئلة محددة يمكن توضيحها.

رد الدكتور حبيبي بقوله:

للأسف أمامنا تجربة احتلال الأراضي الفلسطينية، والاحتلال الإسرائيلي الصهيوني للأراضي الفلسطينية، نحن نلاحظ خلال المدة التي جاءت بعد احتلال الكويت أن هناك كلمات وأمورًا تطرح، وكما أشرتم فإن السوفييت لم يتخذوا موقفًا واضحًا وثابتًا إلا في إطار تأييدهم والتزاماتهم بقرارات مجلس الأمن، كما أننا نرى أن فرنسا وبعض البلدان الغربية الأخرى قد اتخذت مواقف مصلحية، كما أن صَدَّام حسين من جهة أخرى يخطو خطوة إلى الأمام ويتراجع عشر خطوات، ويخطو عشر خطوات ويتراجع خطوة واحدة، وبهذه الصورة فإنه يراوح ويراوغ في نفس الوقت، ولهذا نحن نرى في هذا الأسلوب وهذا التناوب الحادث في هذه الأوضاع قد جعل القضية من الناحية السياسية والعسكرية تبدو كأن الناس قد مَلّت سماع أخبارها وباتوا لا يهتمون بها، وقد يكون ذلك فرصة مناسبة ليثبت صَدَّام حسين نفسه في الكويت، وإذا لم تُحل قضية الكويت بالسرعة المطلوبة، فإن القوات المتواجدة في المنطقة ستشعر رويدًا رويدًا بالملل، وعلى هذا قد يصبح إخراج العراق من الكويت بصورة كاملة وتامة أمرًا صعبًا، وطبعًا معلوماتكم حول هذا الأمر أدق ولكننا سمعنا أن العراق زج بمجموعة من قواته على حدودكم، وهذا يمكن أن يرتب مشاكل لكم، وبهذه الصورة إذا انشغلتم بأوضاعكم الحدودية ألن يمنعكم هذا من الاهتمام بالشكل المناسب في التطورات الدولية، والتعاطي في موضوع احتلال الكويت؟ ومن خلال غيابكم هذا عن العمل في الساحة الدولية، ألن تتكون الظروف المناسبة لتعطي صدام الامتيازات أو المنح المناسبة التي تأتي في إطار عدم خروجه من كل الكويت؟ نحن نقول وبكل صراحة إننا لا نرى أن موقف بقية البلدان بصلابتكم، وبصلابة موقف بلدكم إزاء ضرورة خروج العراق الكامل من الكويت، وإذا جعلوكم تلتهون في الموضوع في مكان آخر من الممكن أن يقع هذا غير المرغوب فيه.

قلت للدكتور حبيبي:

ليست هناك قوات على الحدود، وليست لديه إمكانيات لوضع مثل هذه القوات، وهناك مبالغات كثيرة بقوة العراق وحجمها، وعلى العكس يأخذون الآن خط تجنب الاحتكاك

مع سورية، لو أخذنا الإعلام نحن نشن حملة على الاجتياح العراقي للكويت، وهي حملة قوية، ولقد أرسلنا قوات إلى السعودية ومع ذلك الإعلام العراقي لا يتناول سورية بالنقد ولا بأي كلمة، وهو حريص على عدم استفزازنا؛ وبالتالي هو يخشى من التورط العسكري معنا، وطبعًا نحن لا نريد مثل هذا التورط العسكري لأن الوضع سيكون مأساويًا للعراق وسورية كما كان مأساويًا للعراق وإيران في العدوان الذي شنَّه صدام على إيران، وبذلك فعلاً سيشغلنا عن قضيتين: قضية الصراع مع إسرائيل - وبرأينا هي قضية مهمة ومصيرية بالنسبة لنا - وقضية الكويت.

ولذلك ليس لدينا قلق من هذا الجانب، وليست هناك إمكانية لإشغالنا عن العمل في الساحة الدولية والعربية، ونحن في الواقع نمارس نشاطات متعددة في هذا المجال، عربية ودولية، وبالنتيجة نحن لن نقبل بأي شكل من الأشكال أن يأخذ مكسبًا مهما كان صغيرًا، ولذلك أعلنّا مرارًا أننا جاهزون لإرسال قوات إلى الخليج تصل إلى مائة ألف جندي؛ لأننا بالفعل نريد أن يطمئن أهل الخليج إلى أننا لن ندع العراق يبتلعهم، وهذا يساعد في تصليب مواقفهم، وما لدينا من معلومات وفق ما نقله الأخ وزير الخارجية بأن موقف السعودية صلب في هذا الموضوع وغدًا سيأتينا وزير خارجية الكويت، وهم أيضًا متصلبون.

اقترح غورباتشوف عقد قمة عربية، وبرأينا أن سبب الاقتراح فشله في إقناع العراق بالتراجع، وهو لا يريد القول إنه فشل حتى لا يبدأ العمل العسكري ويتحمل مسؤوليته، ولذلك قذف بالكرة إلى الملعب العربي، طبعًا كان الرد العربي بأنه لا مجال لعقد قمة عربية، ثم إن القمة العربية قد عُقدت واتخذت قراراتها ولذلك الاقتراح السوفيتي نام في مكانه.

علّق الدكتور حبيبي بقوله:

من خلال التحليل الذي ذكرتموه أشرتم إلى أن العراق على أي حال سوف لن تهدأ المنطقة في هذا الصدد، ولن تُتخذ حلول استسلامية، وبهذه الصورة ستحدث الحرب، وبهذه الصورة ستضرب القوة العسكرية العراقية وستُهزم، إذًا نريد أن نعرف وجهة نظركم حول إضعاف أو انهزام القوة العسكرية العراقية، وهذا الضعف ألن يؤدي إلى تلك التجزئة التي أشرنا إليها؟

أجبته قائلاً:

طبعًا لا أحد منا يريد أن تقع الحرب، ولكن الحكومة العراقية هي التي بدأت بالحرب،

وهي تتحمل مسؤولية النتائج المترتبة على كل التطورات العسكرية التي يمكن أن تنشأ، هو الذي غزا الكويت، وهو الذي اجتاح إيران، وهو الذي قد يجتاح السعودية، إذن هو الذي باشر، وبطبيعة الحال عليه تحمل مسؤولية النتائج، بالتأكيد في طهران كما في دمشق، لا أحد منا يرغب بإيذاء مواطن عراقي، ولكن الحكومة العراقية نفسها هي التي تقوم بإيذاء الشعب العراقي. عندما قتل مئات الآلاف من العراقيين في الحرب ضد إيـران من قتلهم؟ النظام الذي ألقى بهم في هذه الحرب ولذلك أي نتائج تتحمل مسؤوليتها الحكومة العراقية.

وبطبيعة الحال نحن لا نريد أن يكون العراق ضعيفًا، ولكن ليس عراق صَدَّام حسين لأن العراق في ظل صَدَّام حسين مرفوض.

الشعب العراقي لا دور له، هناك حاكم طاغية يدمر شعبه كما يدمر أشقاءه، وأعتقد أن أهم نتيجة يجب أن يحصل عليها الشعب العراقي هي الخلاص من هذا النظام، نحن كلانا يتمنى أن يحدث ذلك بدون حرب، عندئذٍ يكون العراق للعراقيين وهو الشقيق والصديق لسورية وإيران ولدول المنطقة، وبهذه الحالة العراق القوي هو لنا جميعًا وسيكون معنا ضد إسرائيل، ولكن صدام مع مَن؟ هل هو ضد إسرائيل؟ إذا كان ضد إسرائيل فلماذا حارب إيران؟ لماذا غزا الكويت؟ لماذا حالة الحرب بينه وبين سورية؟ إذًا نحن نبحث عن النتائج، نحن نتمنى أن يخرج الشعب العراقي من هذه المحنة، أي ضرر جدّي يصيب الشعب العراقي يصيبنا، ولكن هل هذا الأمر بيدنا؟ أعتقد أن إبعاد الضرر عن العراق قرار بيد صدام ولا أحد في العالم سيسلِّم له ابتلاع الكويت.

عقّب السيد حبيبي بقوله:

بالنسبة للمعارضة والتي أشرتم إليها، سمعنا نحن أيضًا كلامًا من هنا وهناك بأن السعوديين بدأوا التحرك في هذا المجال، هل أنتم على اطلاع؟ هل هناك تنسيق بينكم؟

أجبته موضحًا:

حسب معلوماتنا ليس للسعودية عناصر في العراق، لديهم شخص اسمه إبراهيم داوود، هذا الرجل كان وزيرًا للدفاع وجاء اثنان من الجنود وأخرجوه من وزارة الدفاع وليس لديه شيء، والواقع أن المعارضة الأساسية حليفة لسورية وإيران، طبعًا قد يكون هناك أشخاص عراقيون موجودون في المنفى لهم صلات بهذه الدولة أو تلك، ولكن ليست لهم تنظيمات أو إمكانيات للعمل داخل العراق، وحسب معلوماتنا ليس للسعودية علاقة بالتنظيمات القائمة. ومن حُسن الحظ ليس للأميركان أناس داخل العراق إلا صَدَّام حسين، المعارضة

العراقية متحالفة مع سورية وإيران وهي الأساس، ولكن للأسف حتى الآن لم يتوصلوا إلى صيغة نهائية لتنسيق جهودهم. أنا اجتمعت بهم عدة مرات:

أولاً: اختلفوا حول عنوان البيان، الإسلاميون يريدون أن يبدأ البيان بعبارة «بسم الله الرحمن الرحيم» والشيوعيون يرفضون أن يبدأ البيان بهذه العبارة، ضغطنا فقَبِل الشيوعيون، ثم عادت بعض التنظيمات الإسلامية وطرحت فقرة في البيان تقول إن نظام صَدَّام حسين يضطهد الطائفة الشيعية في العراق، فريق من المعارضة رفض ذلك لأن صدام يضطهد كل العراقيين بغض النظر عن انتماءاتهم، وهو يقتل كل من يعارضه بغض النظر عن طائفته.

ثانيًا: هذا الأمر سيؤدي إلى انقسام الموقف الإسلامي، وبطبيعة الحال نحن جميعًا لا نريد أن يعود المسلمون إلى الصراعات المذهبية التي لا يستفيد منها إلا الاستعمار وأعداء الإسلام. بعض إخواننا اتصلوا بهم وقالوا إنهم سيناقشون الأمر مع قيادتهم، وأعتقد أنهم سيصلون، وما عدا ذلك يمكن أن ينطلقوا فورًا.

قال الدكتور حبيبي:

كل هذه القوات جرّتها الولايات المتحدة إلى المنطقة، السعودية في حالة صِدَام مع العراق، وكذلك بقية دول المنطقة إذا استثنينا إيران وسورية. السؤال الذي يطرح نفسه: أنه عندما تُسقط الولايات المتحدة والسعودية صَدَّام حسين فما الذي تبحث عنه بعد ذلك؟ لأننا في هذا الاجتماع نتحدث عن مستقبل العراق، وعن البدائل. عندما نقول ليس للسعودية إلا شخص واحد في العراق، وعندما نقول ليس للولايات المتحدة بدائل إلا صدام، إذن عن ماذا يبحثون؟ وماذا يريدون؟

أجبت الدكتور حبيبي بقولي:

هنا يجب أن نميز بين الولايات المتحدة والسعودية، هما يلتقيان في المصالح ولكن ليس بالضرورة أن تكون أهدافهم واحدة، إن ما يهم الولايات المتحدة مصلحتها بشكل أساسي، وهذا بالضرورة يقتضي ألا تكون المنطقة كلها في حالة تسمح لها أن تتحد للدفاع عن مصالحها الوطنية، وبالتالي هم يريدون في العراق نظامًا مواليًا لهم تمامًا؛ أي كما كان صدام.. ولكن تحت سيطرتهم.

ما يهم السعودية سقوط صدام، بغض النظر عمن سيأتي، هم يعيشون الآن لحظة الخطر الآني، وهم يدركون أن العراق إذا ضُرب فإن صدام – عسكريًا – سيحتاج إلى سنوات

طويلة حتى يتمكن من استعادة أنفاسه. الولايات المتحدة والسعودية في الماضي لم يعملا داخل العراق لإيجاد أناس مرتبطين بهم، لأن النظام كله كان بين أيديهم، ولذلك لا نستغرب إذا قلنا إنهم لم يستطيعوا إيجاد تشكيلات تقف إلى جانبهم.

قال السيد الشرع: هذا يفسر أنهم يبحثون عن بديل لصدام ضمن المنطقة، أي أن المعارضة لا قيمة لها.

واصلت حديثي فقلت: الآن يتمنون أن يحدث انقلاب عسكري ضمن النظام يُخرج العراق من الكويت ويُنهي صدام، وهم جاهزون لدعم هذا النظام، طبعًا وجهة نظرنا نحن كلانا نريد نظامًا منسجمًا مع سياساتنا الإقليمية والدولية.

سأل الدكتور حبيبي: هل ذلك الانقلاب ممكن؟ هل هو أملهم أم أنه شيء مستحيل؟

فقلت له: هو أمل، ولكن حسب معلوماتنا، إلى الآن لم يعثروا على إمكانية للقيام بعمل عسكري، أي بانقلاب عسكري، لم يعثروا إلى الآن على ضباط للتعاون معهم من أجل الانقلاب.

صَدَّام حسين قام بتصفية قسم كبير من ضباط الجيش، وبصورة خاصة الضباط الكبار من الذين يمكن أن يكون لهم علاقة هنا وهناك، بالإضافة إلى أن تركيب النظام في العراق يجعل مثل هذا التوقع صعبًا، صَدَّام حسين حاليًا ممسك ببغداد وبالمرافق الأساسية بواسطة الحرس الجمهوري. في الماضي كان يضع الجيش على الحدود مع إيران والآن يضع الجيش كله في الكويت، ولذلك فإن العمل العسكري أو الانقلاب العسكري ليس سهلاً.

سأل الدكتور حبيبي: إذًا كيف تريد الولايات المتحدة أن تتحرك إذا كانت تبحث وتفتش عن صدام آخر؟

قلت له: إلى الآن لم تعثر على صدام آخر.

سأل الدكتور حبيبي أيضًا: ألا يمكن أن تكون الأسماء التي تذكر داخل إطار النظام العراقي فاعلة؟ مثل سعدون شاكر وسعدون حمادي؟

فأجبته: سعدون شاكر مريض بالسرطان، وهو مكروه باعتباره كان أحد السيوف التي استخدمها صَدَّام حسين في قطع رقاب الناس، وهو ليس عسكريًا، كان سائق سيارة وصديق لصدام، وارتقى بالمناصب حتى وصل إلى ما وصل إليه.

سعدون حمادي رجل مسكين وبسيط لا يجرؤ أن يفكر أو يتحدث مع زوجته بشيء وهو صديقي وأعرفه منذ أكثر من ثلاثين عامًا، ولكنه ليس شخصية قيادية.

علّق الدكتور حبيبي بقوله: يظهر أنه يجب علينا أن نفكر في مستقبل العراق.

فأجبته: طبعًا صَدَّام حسين أتى بشخصين ووضعهما في المراكز الأساسية، وأي منهما لا يستطيع أن يكون عامل استقطاب، طه ياسين رمضان وطارق عزيز.

قال الدكتور حبيبي: هناك نقطة أخرى حول القضايا التي لها صلة بالسعودية، إذا افترضنا أن السعودية تفكر وحدها وللخطر الذي تواجهه، إذن تستطيع أن تقبل بالبديل الذي يناسب إيران وسورية، لأن ذلك يؤجل الخطر.

أجبته قائلاً:

تمامًا، هم يريدون البديل، ولكن إذا كان الخيار بين شر صدام وشرنا نحن، شرنا نحن أقل، وطبعًا أنا أستخدم العبارة التي يمكن أن يفكروا بها، وأتصور - ليس لدي معلومات لكن بالتحليل - هم يعتقدون أنه إذا ضُرب صَدَّام حسين عسكريًا فسيحتاج إلى سنوات طويلة حتى يزيل آثار الضربة، هذه نقطة. والنقطة الثانية أن إيران خارجة من الحرب وتحتاج إلى سنوات لإزالة آثارها، كما أنها خلال السنوات الماضية كانت تظهر دائمًا حسن النية لدول المنطقة، بينما كان صدام يخوفهم من إيران، سورية مشغولة بإسرائيل، إذًا سورية وإيران والعراق الجديد لا يشكلون عامل اضطراب في السنوات العشر القادمة، وبطبيعة الحال نحن تصورنا أنهم ليسوا في أولوياتنا، أولوياتنا إسرائيل، على العكس نحن نريدهم أن يكونوا مرتاحين ومطمئنين وأن يشاركوا معنا ضد إسرائيل، بينما صَدَّام حسين لم يكن كذلك، والملك فهد لم يكن يتصور أن يستيقظ فيجد دولة كانت في جواره قد اختفت، إيران لم تفعل ذلك وسورية لم تفعل ذلك، نحن على العكس ساعدناهم كثيرًا.

تساءل الدكتور حبيبي: لو فهمت السعودية وبقية البلدان في المنطقة بأننا بدأنا نفكر بالبديل عن صَدَّام حسين فلن يغتاظوا لذلك؟

قلت: هم يتمنون ذلك.

سأل الدكتور حبيبي: وماذا عن رد فعل الولايات المتحدة؟

قلت له: بالتأكيد لن تكون سعيدة، بين سورية وإيران من جهة والولايات المتحدة من جهة ثانية هوة كبيرة قائمة على أمرين:

١ ـ القضية الفلسطينية.

٢ ـ حق شعوب المنطقة في السيادة على ثرواتها الوطنية.

قد نلتقي مع هذه الدولة أو تلك في موقف معين، في قضية معينة، مثلاً في موضوع الكويت، التقينا نحن والأميركان والفرنسيون والعالم كله في نفس الموقف، وهذا لا يعني أننا نوافق على سياسة الولايات المتحدة في كل شيء، وكما تحدثنا في السيارة، إذا كان هناك موقف جيد في قضية ما نقول هذا جيد، إذا كان هناك موقف سيئ سنقاومه، هم أرسلوا لإسرائيل كميات كبيرة من أسلحة ذات نوعية جديدة، ولذلك أخذنا موقفًا وهاجمنا الولايات المتحدة لأن هذا السلاح موجه ضدنا، وبالتالي إذا اتفقنا معهم ضد الاجتياح العراقي للكويت، هذا لا يعني أن ننسى العدوان الإسرائيلي ولا يعني أن ننسى القضية الفلسطينية، ولا نقبل أن يستغفلونا، ولذلك أخذنا موقفًا واضحًا وأردنا القول للناس إن هناك خطًأ واضحًا سنستمر به.

علّق الدكتور حبيبي بقوله: إذًا، إذا ووجهنا نحن بمعارضة الولايات المتحدة لنا في موضوع البديل، فإنها ستزج بلدان المنطقة في نفس التوجه لمعارضة انتخابنا البديل، ولذلك أنا أفكر وأتصور من هذا المنطلق أن التواجد الأميركي في المنطقة سيستمر لأن مصالحها تقتضي ذلك، ويستطيعون تحقيق ما يتمنون من خلال هذا التواجد، ذلك لأنه وكما أشرتم في تحليلكم، هم قلقون من التعاون بيننا ولا يرغبون أن يحقق هذا التعاون الثمار والتوجه الذي نريده، وبالتالي سيتصدون لكل ما نريد تحقيقه.

أجبته: هذا احتمال لا أنفيه، ولذلك أنا قلت «إذا استمروا» سنبحث نحن وإيران في السبل والوسائل لإخراجهم من المنطقة، بالإضافة إلى ذلك الجيش الأميركي لن يستطيع دخول العراق، لن يجرؤ على دخول العراق.

سأل حبيبي: كل العراق؟

قلت: نعم، هم سيستخدمون الطائرات والأسلحة المختلفة لتدمير القدرة العسكرية العراقية، وسيستخدمون القوات البرية لطرده من الكويت ولا يستطيعون الدخول إلى بغداد لتنصيب حكومة، بالإضافة إلى ذلك أن الضربة العسكرية إذا وقعت ستخلق لهم فيها بعد تعقيدات وستجعل وضعهم ليس سهلاً؛ وهذه نقطة إيجابية بالنسبة لنا وأعتقد أننا إذا تعاونا ووظفنا بشكل جيد الإمكانات التي بين أيدينا ستكون لدينا إمكانات كبيرة في تحديد مصير المنطقة.

قال حبيبي: على أي حال أتصور من الأفضل أن نبدأ مباحثاتنا في هذا الإطار بأسرع وقت؛ أي بالنسبة للتواجد الأميركي في المنطقة.

أرغب الآن أن نعود للبحث في موضوع لبنان، وأريد أن أسأل، ولدي هذا التساؤل: ألا تجدون أن الولايات المتحدة قد سحبت نفسها من الصِّدَام المباشر بسبب الاهتمام في الوضع القائم في الخليج؟

أجبته: هذا احتمال ولكنه ليس مؤكدًا، الولايات المتحدة ليست دولة صغيرة، فهي دولة عظمى، ولا نعتقد أن إمكانياتها صغيرة لدرجة أنها إذا تورطت في منطقة تنسحب من مناطق أخرى، ولكن بالتأكيد الوضع في الخليج عَطّل أو أضعف حركتها والدور الأميركي في لبنان هو بشكل أساسي في صراع مع الدور الفرنسي، وكلاهما كان يريد أن يطرد الآخر، وبالتالي كان عون متورطًا مع فرنسا وسمير جعجع مرتبطًا مع الولايات المتحدة، زوال عون يريح جماعة الولايات المتحدة، بالإضافة إلى أن عون متحالف مع صدام من جهة، ومع عرفات من جهة ثانية، وبالتالي لم يعد صديقًا لها وليست مهتمة بمصيره.

* * *

بعد أن بدأ الطيران قَصْف الأهداف العراقية في الكويت والعراق في الثالث عشر من شهر كانون الثاني عام ١٩٩١ مقدمة لشن الحرب البرية لإخراج القوات العراقية من الكويت، جرت اتصالات مع طهران لعقد اجتماع طارئ للهيئة العليا.

وبتاريخ ٢٣/١/١٩٩١ توجهت إلى طهران يرافقني وزير الخارجية، وبعد وصولنا مباشرة عقدنا الجلسة الأولى في الثامنة مساء، وبعد تبادل عبارات المجاملة سأل الدكتور حبيبي: ما هو تقويمكم للموقف الأردني بصورة عامة؟ إذا قررت إسرائيل أن تهاجم العراق عبر الأردن فكيف سيكون موقف الأردن؟

قلت له: لا أعتقد أن إسرائيل ستهاجم العراق برًّا لكن إذا أرادت أن ترد فيكون عبر الصواريخ أو الطيران، ولكن حتى الآن تقول تصريحات إسرائيل إنهم لن يردوا، الآن في الظروف الراهنة في كل رشقة صواريخ يحصلون على مكاسب من أميركا فلماذا يقومون بالرد؟

قال السيد حبيبي: النتيجة أن ما يقوم به صدام يخدم إسرائيل.

قلت: نعم وبشكل مباشر، هل يعقل أن يصدق أحد أن صدام يريد أن يحارب إسرائيل،

ويحرر القدس وفلسطين وجيش العراق كله في الكويت، هو الآن موجود في الفخ كالثعلب الذي وضع أقدامه في الفخ لا يستطيع أن يحارب إسرائيل، جيشه وإمكاناته وطاقاته في الكويت لكن يسجل موقفًا ديماغوجيًا إذا أخذنا الموضوع بحسن نية، ولكن المرجح أن الإسرائيليين لعبوا دورًا كبيرًا في توريط القيادة العراقية مباشرة أو عبر بعض الجهات، لتوريطها في الحرب مع إيران أو اجتياح الكويت.

سأل السيد حبيبي: هل أجريتم محادثات مع الأتراك في الآونة الأخيرة؟

قلت له: لم تكن هناك محادثات مباشرة، كان معاون وزير الخارجية التركي في سورية للتحضير لزيارة وزير الخارجية.

سأل السيد حبيبي: ألم يأتوا بأفكار جديدة؟

قلت: لم يطرحوا شيئًا جديدًا.

قال السيد حبيبي: هذه التصريحات المنسوبة إلى أوزال حول سورية وإيران والتدخل في العراق، والتي نُشرت على نطاق واسع في الصحف التركية نقلاً عن مراسل وكالة الأنباء التركية في الأمم المتحدة وهو معروف، ما رأيكم؟

قلت: الجميع مقتنع أن صدام سينتهي، الأتراك وأميركا والغرب يخشون أن يأتي نظام للعراق صديق لسورية وإيران، لأنه إذا قامت حكومة صديقة لسورية وإيران تستطيع أن تزيل بسرعة آثار الحرب، وستشكل جبهة معادية للصهيونية والإمبريالية تمتد من المتوسط حتى إيران. هم يتصورون أنه في حالة سقوط صدام أو وجود خلل داخل العراق ستقوم قوى من سورية وإيران تحت عنوان المعارضة العراقية للدخول إلى العراق ومسك الأمور، هذا التصرف الهدف منه خلق الظروف التي لا تسمح بتدخل سوري وإيراني مباشر لترتيب الوضع الداخلي في العراق. هناك احتمالات أخرى، قد يكون لتركيا مطامع في وضع اليد على بترول كركوك والموصل، وهي تطرح هذا الشعار فإذا قامت مجموعات عراقية ودخلت من سورية أو إيران يكون ذريعة لها لتأخذ نفط الموصل وكركوك.

حشدوا قوات برية كبيرة على الحدود التركية - العراقية، نحن ناقشنا فكرة - أعتقد أن وزير الخارجية ناقش الموضوع مع ولايتي - أن نبحث ترتيب اجتماع وزراء خارجية الدول الثلاث سورية وتركيا وإيران ونصدر بيانًا، نُعلن فيه أننا حريصون على وحدة العراق، وعدم المس بوحدة الأرض العراقية، ومن جهة ثانية نناقش كيف يمكن

حشد المعارضة العراقية لتنتقل إلى الأراضي العراقية ومنها - في مرحلة ثانية - إلى بغداد من أرض العراق، وليس من سورية أو إيران مباشرة، هذا ما سنبحثه كأن تجتمع المعارضة في شمال العراق ومنه تتوجه إلى بغداد.

قال السيد حبيبي: نفس الموضوع الذي تحدثنا فيه في الطريق، تقصدون هناك حيث توجد قوات من الهاربين بالتنسيق مع الطالباني ورفاقه.

قلت: مع المعارضة التي تضم التنظيمات الإسلامية كلها، والوطنية والكردية والشيوعيين، فهي اجتمعت وشكّلت جبهة وانتخبت أمانة عامة مؤلفة من خمسة أشخاص لإدارة العمل وأذاعت بيانًا ببرنامجها إسقاط الحكم في العراق وإجراء انتخابات لانتخاب مجلس تأسيسي جديد لوضع دستور جديد للبلاد، وحكومة مؤقتة تضم كل الناس وتشرف على الانتخابات ومن تكون له الأكثرية يحكم البلد، طبعًا هذه المعارضة تعتبر سورية وإيران سندها الأساسي، والأمر المهم الذي طرحه الأكراد هو أنهم لا يرغبون بإقامة دولة مستقلة في العراق، وهم حريصون على وحدته، هذا إيجابي ومهم جدًا فهو يُطمئن كل دول المنطقة.

سأل السيد حبيبي: ماذا قالوا بالنسبة لعلاقاتهم مع سورية وإيران؟

فقلت: يعتبرون أنفسهم حلفاء لهما، بصراحة إذا لم نساعدهم لا يستطيعون أن يقفوا على أقدامهم، كل التنظيمات نعرفها، التنظيمات الإسلامية حزب الدعوة، العمل الإسلامي، حزب البعث، الشيوعيين، الناصريين، الأكراد، علاقتهم مع إيران وسورية.

قال الدكتور حبيبي: بالنسبة للاجتماع الثلاثي وبالنظر للفوارق الموجودة بين موقفينا نحن وإياكم - والموقف التركي - ألا تتصورون أن مثل هذا الاجتماع يمكن أن يثير قلق أصدقائنا؟

قلت: هو لمصلحة الطرفين، لأن هدف الاجتماع الإعلان بأن هذه الدول الثلاث تضمن وحدة أراضي العراق وأنه لا أطماع لها فيه.

قال السيد حبيبي: طبعًا، هذا ما سيُعلَن، ومن يريد أن يشك فيقول هذا الجانب المعلن وقد تكون هناك اتفاقات سرية، فالباكستان كعضو مع تركيا وإيران في منظمة التعاون، هؤلاء إذا وضعناهم جانبًا ولم نشركهم سيكونون قلقين ويشكّون.

قلت له: الهدف هو حدود العراق، الدول الثلاث، تركيا لها شكوك بسورية، وسورية وإيران لهما شكوك بتركيا التي لها حدودية مع العراق، والباكستان ليس لها حدود، الأمر لا يتعلق بأوضاع بالمنطقة وإنما بالأراضي العراقية.

قال السيد حبيبي: إذا كان الأمر يتعلق بالحدود فيجب إدخال الأردن لأن لها حدودًا مع العراق، على أي حال هناك موضوع ـ وإن كان تصورًا ـ وتركيا طرحته فيجب أن نهتم به دون أن نغض النظر عنه.

نحن لا نجد حاجة أن ندفع التهمة عن أنفسنا، وأنتم مثلنا قد أعلنا بهذا الخصوص ولكن تركيا هي التي يجب أن تدافع عن نفسها، في الحقيقة الاجتماع الثلاثي سيكون لصالح تركيا، فما هي مصلحتنا لكي نعمل من أجل مصلحة تركيا التي يجب عليها أن تدفع التهمة عنها؟

قلت: بالنسبة للأردن لا أحد يقول إن للأردن مطامع في العراق، وبالفعل الشكوك كلها تدور حول تركيا، رغم أن الأتراك نفوا اقتراحنا، هل هناك مصلحة أن يصدر بيان مشترك يلزم تركيا بعدم المس بوحدة الأراضي العراقية؟

أليس من المصلحة أخذ التزام واضح من تركيا حول هذا الموضوع؟ مع ذلك بالنسبة لنا الموضوع نطرحه للمناقشة، المهم أن نتفق على العمل المفيد.

قال السيد حبيبي: إذا تذكرتم عند زيارة الرئيس الأسد لطهران تكلمنا حول هذا الموضوع؛ تفكيك العراق، وكانت الفكرة مطروحة من قِبل الملك حسين، وكنا نشعر من ذلك الوقت أنه يمكن أن يدور حديث حول هذا الموضوع، وطمأنتمونا في ذلك الوقت، وبعد أيام سمعنا أن هذه الأفكار يمكن أن تكون مطروحة في تركيا، ومنذ ذلك الحين يأتي ذكر هذا الموضوع في أحاديثنا (الرئيس رفسنجاني وولايتي وأنا)، وكنا دائمًا نشير إلى هذا الموضوع، وعندما طرحنا الموضوع معكم أبديتم نفس الرأي وإني أتذكر أن السيد رفسنجاني مع الرئيس الأسد على طاولة العشاء، ناقشوا الموضوع وتوصلوا إلى فكرة مشتركة، نحن إذًا أعلنا موقفًا مشتركًا من هذا، أعتقد أن هذا الالتزام الذي نريد أن نربط تركيا به، نريد أن نحصل عليه بصورة غير رسمية، يجب أن نتحدث مع تركيا بهذا الخصوص، لأن الفارق بيننا وبين تركيا، أننا أعلنا وتركيا تعمل على خلاف ذلك، فيجب ألا نضع أنفسنا على نفس المستوى مع تركيا.

قلت: أوزال أكد عند زيارته لسورية أنه ليس لديهم مطامع، الأخ فاروق في نيويورك طرح هذا الموضوع مع وزراء الدول الكبرى وكان هناك رفض لهذا التقسيم، الموضوع بحثناه مع كل الجهات المعنية، ووزير الدفاع التركي في البرلمان قال: «ليس لتركيا مطامع في العراق». ولكن لندقق الصيغة التي طرحت مؤخرًا عن هذا الموضوع في تركيا.

«تركيا تقول إن لسورية وإيران مطامع في العراق، وإذا تدخلتا فسوف نتدخل». إذًا

أعلنت أنها ستتدخل في حال تدخل سورية وإيران، نحن نقول إننا لن نتدخل ولكن لنناقش ما هي الصورة التي يمكن أن تتذرع بها تركيا للتدخل، نحن نريد أن نوفر الضمانات لصالح وحدة العراق التي هي لمصلحتنا، لأن تركيا إذا تدخلت سينشأ وضع خطير في المنطقة ضد إيران وسورية، لذلك نناقش الأمر في ضوء التصريح التركي، وفي الوقت نفسه يجب أن يناقش الوضع مع جهات دولية متعددة. بعد التصريح التركي أصدرنا تصريحًا قويًا حول هذا الموضوع، ويبقى السؤال هل مفيد أن نناقش هذا الموضوع لأن تركيا اتهمت سورية وإيران بأن لديهما شكوكًا بذلك؟ هل مفيد جر تركيا إلى طاولة ووضع التزام ثلاثي لنغلق الطريق أمام أي عمل تركي محتمل أم لا؟

وبعد الانتقال إلى طاولة المباحثات في الغرفة الثانية افتتح السيد حبيبي جلسة المباحثات بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم، نرحب بالسيد عبد الحليم خدام والوفد المرافق، ونحن سعداء أن تتاح لنا فرصة الالتقاء مرة ثانية هنا في طهران، نشعر بالسعادة حين نتبادل وجهات النظر، وبما أن مسائلنا الثنائية موضوعة على الأسس التي يجب أن تكون عليها، فحديثنا سيتناول المسائل التي تهم المنطقة ونحن على استعداد لسماع وجهات نظر صديقنا وأخينا.

عرضت الوضع في المنطقة واحتمالاته فقلت: أشكر السيد حبيبي على هذا الترحيب الحار والمنطقة تواجه مشاكل مصيرية، وهناك عدد من المواضيع نقترح أن نناقشها وهي:

ـ الوضع الراهن حاليًا، وهل هناك ما يستدعي مراجعة المواقف بالنسبة لسورية وإيران؟

ـ عندما التقى السيد الرئيس حافظ الأسد مع سيادة الرئيس رفسنجاني هنا في طهران وفي حال حدوث الحرب لا بد من لقاء لمناقشة الوضع الناشئ بالنسبة لسورية وإيران وبالنسبة للمعارضة العراقية.

من المفيد أن نناقش الوضع الراهن وفي ضوء الاستنتاجات، نضع الخطوات العملية التي يجب علينا أن نقوم بها، هل الدكتور حبيبي موافق على ذلك؟

قال السيد حبيبي: نعم.

فواصلت العرض:

ـ بالنسبة للحرب، كانت وجهة نظرنا في اجتماعاتنا السابقة أن استمرار الحكومة العراقية باحتلال الكويت سيؤدي إلى الانفجار العسكري.

- أعتقد أننا كنا متفقين على رفض اجتياح الكويت وعدم إعطاء المعتدي أي مكافأة على عدوانه.

- كنا متفقين على أنه بعد إنهاء مشكلة الكويت، يجب أن تنسحب القوى الأجنبية من منطقة الخليج، وإن لم تنسحب سنعمل معًا وبكل الوسائل الممكنة لإخراجها من المنطقة.

هذه النقاط كنا متفقين عليها. الحرب لم تكن مفاجئة، وفي تقييمنا أن مثل هذه الحرب التي توقعناها لم تكن حربًا بين الإسلام والكفر، وكنا متفقين على وجوب إخراج العراق من الكويت بأي صورة، لذلك نعتقد أن العمليات العسكرية يجب ألا تُشكل عامل ضغط علينا لتغيير تقويمنا وتوصيفنا لهذه الحرب، ولا شك أنه ليس هناك مواطن في سورية أو إيران أو العالم الإسلامي إلا ويشعر بالحزن للأضرار الكبيرة التي تصيب العراق والكويت والمنطقة، وجميعنا بذلنا جهودًا بوسائل مختلفة لإقناع الحكومة العراقية بالانسحاب من الكويت لتجنيب العراق هذه الأخطار، وآخر هذه الجهود التي بذلتها سورية رسالة وجهها الرئيس حافظ الأسد إلى الرئيس صَدَّام حسين يناشده فيها اتخاذ قرار حكيم وتاريخي بالانسحاب من الكويت، وتجنيب العراق والمنطقة آثارًا مدمرة، وأعطى الرئيس الأسد عهدًا بأن تقاتل سورية إلى جانب العراق إذا تعرض للعدوان من أي جهة بعد انسحابه، ورفض الرئيس العراقي العرض الذي تقدم به الرئيس الأسد، طبيعي قبل ذلك كانت هناك جهود عربية قامت بها الجزائر وليبيا، وجهود سوفيتية، ومنذ أيام قام غورباتشوف بمبادرة طرحها على الرئيس العراقي بالانسحاب من الكويت مقابل وقف القتال وتتم المفاوضات، فرفض جميع هذه المبادرات، إذًا هو مصمم على الحرب وبالتالي مصمم على إلحاق هذه الأضرار بالعراق، ولا أحد يستطيع أن يقدم أي خدمة للشعب العراقي ما دامت حكومته أغلقت أي باب في إطار العدل والحق.

هناك بعض الأوساط تحاول أن تصور الحرب وكأنها بين المسلمين وأعدائهم، نحن لا نستطيع أن نقبل بهذا المنطق، فالإسلام ليس صفة يصبغ بها الإنسان نفسه متى شاء، إذًا لنضع تقويمنا للحرب جانبًا، لأنها عمل كنا نتوقعه. لنناقش ما هي النتائج التي ستنتج عن هذه الحرب وما الاحتمالات:

- **الاحتمال الأول:** أن ينسحب صدام من الكويت تحت ضغط الحرب ويبقى في العراق.
- **الاحتمال الثاني:** أن تؤدي هذه الحرب إلى انهياره.

لنناقش الأمر في ضوء هذين الاحتمالين أو في ضوء أي احتمال آخر، ومن خلال مناقشتنا

لهذه الاحتمالات نرى أين تقع المعارضة العراقية، وأين دورنا في جميع هذه الأمور، لذلك أترك الحديث للدكتور حبيبي إذا كانت لديه وجهات نظر حول الأمور التي طرحتها.

قال الدكتور حبيبي: كما ذكرتم، في المواضيع الثلاثة نحن نشارككم وجهات النظر. احتمالات وقوع الحرب كانت كثيرة وقوية. وأيضًا بالنسبة لاحتلال الكويت أمر مرفوض ونحن متفقون على ذلك، وأيضًا بالنسبة لخروج القوات الأجنبية من المنطقة والخليج الفارسي، نحن بذلنا جهودًا قدر ما نستطيع ما بين احتلال الكويت ونشوب الحرب، وكنا نبذل الجهود حتى لا تقع الحرب وكنا نؤكد على نقطتين:

- الانسحاب الكامل والشامل من الكويت.
- انسحاب القوات الأجنبية من المنطقة.

وكما أعلن فخامة رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد ساعات من نشوب الحرب، وصرح بأنه أبدى أسفه لوقوعها وبذل جهودًا لمنعها، ونحن ما زلنا بعد نشوب الحرب أيضًا ولا نزال على مواقفنا كما قلنا «انسحاب العراق دون قيد أو شرط وانسحاب القوات الأجنبية». لقد قلنا لوفد عراقي كان هنا قبل بدء الحرب إن أكبر وأفدح خطأ ارتكبته العراق هو اجتياح الكويت، ومصلحة العراق والعالم الإسلامي تقتضي الانسحاب دون قيد أو شرط. على أي حال الحرب وقعت وموقفنا واضح وعلينا أن نناقش الاحتمالات، يبدو أن الاحتمالات ليست كتلك التي كانت موجودة قبل نشوب الحرب:

أحدها أن ينسحب العراق من الكويت ويبقى صدام في العراق هذا الاحتمال ممكن أن ينفذ بأشكال مختلفة:

- الحالة الأولى: أن يستخدم صدام للانسحاب تكتيكًا معقولاً، ينسحب من الكويت ويحتفظ لنفسه بشيء من المقبولية من الدول الكبرى وبخاصة أميركا، وهذا سيعطيه فرصة ليخرج وهو ليس ضعيفًا.

- والحالة الثانية: أن يقاوم ويصمد لدرجة أن يطردوه ليخرج وهو ضعيف بعد أن ينهكوه.

- الاحتمال الآخر.. أن يحصل اتفاق بين أميركا والعراق، وقد تكون فكرة راودتنا في بعض الأحيان؛ وهي فكرة تقول إن دخول العراق إلى الكويت كان مؤامرة ويمكن أن يخرج من الكويت ويحتفظ ببعض أجزائه كبوبيان.

في الاحتمالين والحالات الثلاث التي أشرنا إليها يمكن أن نتوصل إليها. يبدو أن القوى الحليفة متفقة على إبقاء صدام.

- الاحتمال الثالث: أن يواجه صدام الهزيمة الكاملة وينتهي.

- الاحتمال الرابع: أن يصطف الشعب المسلم إلى جانب صدام وينتصر في هذه الحرب.

هذه الاحتمالات يجب درسها وتقويم النتائج المحتملة لها.

نحن يبدو لنا في الوقت الحاضر أن انتصار صدام ضعيف جدًّا.

إذًا نعود للاحتمالات الأخرى.. هل القوى الأخرى التي تحارب صدام تريد القضاء عليه أم لا؟

إذا أردنا أن ننطلق بتفكيرنا مما نرغبه ونشتهيه نقول إن القوات المتحالفة تريد القضاء على صدام ولكن تُرى هل يفكرون كما نشتهي؟ وهل يوافقون أن تنتهي المشكلة إلى بقاء سورية وإيران قوتين في المنطقة؟ قد تكون هذه النقطة مهمة جدًّا؛ أي ألا تكون هناك قوة قوية في المنطقة، ونشك في نية الحلفاء القضاء على صدام، يبدو أن الموضوع عميق ويجب أن نفكر مليًّا بجوانبه ويجب أن يكون المفكر حذرًا، وأنا برأيي أن الكلام والاتهامات التي تثار ضد سورية وإيران تجري في هذا الإطار، يبدو إن الغرض من طرح الأقاويل حول سورية وإيران إقناع الرأي العام العالمي، وضرورة تبرير الاحتفاظ بصدام ولو كان ضعيفًا. هذه النقاط تبادرت إلى ذهني وأود أن أسمع منكم.

قلت للسيد حبيبي: نحن نناقش احتمالات لأننا لسنا جزءًا من عملية التخطيط للوضع القائم حاليًا، وأنا أشارك الأخ الدكتور حبيبي، يجب أن نشغّل عقلنا للوصول إلى الاستنتاجات الأقرب إلى الواقع والأقل خطأ.

من حيث الجوهر ليس هناك خلاف بين استنتاجات سورية واستنتاجات إيران، لكن هناك بعض النقاط قابلة للمناقشة فيما يتعلق باستمرار صدام، أعتقد أن الجبهة التي تحارب صدام تريد إسقاطه، لأنه إذا بقي في أي صورة يخرج منها من الحرب، إذا بقي في الحكم، فسيشكل عامل قلق واضطراب ليس في المنطقة بل في بعض البلاد الإسلامية، صدام قال لبعض القيادات الفلسطينية إن عبد الناصر وُجّهت له ضربة عام ١٩٥٦ ولكن خرج قويًّا وقاد العرب وأنا إذا ضُربت فسأقود العرب والمسلمين، هم يعرفونه جيدًا باعتباره أكثر الأنظمة في المنطقة التي قدمت خدمات للغرب، لذلك أنا أستنتج أنهم يرغبون في الخلاص

منه، لكن هل هم جاهزون لتقديم تضحيات كبيرة جدًّا للوصول للخلاص أم لا؟ إذا طُرد من الكويت وبقي في العراق ولم يسقط بعمل عراقي هل سيدخلون إلى العراق لإنهائه أم لا؟ هذا يحتاج إلى مناقشة.

وليس سهلاً تصور دخول القوات الغربية إلى العراق، قد يحصل ذلك ولكن يصعب تصوره، لذلك هم يريدون الخلاص ولكن هل سيستطيعون تحقيق ذلك؟ هذا السؤال المطروح، لأن القضاء الشخصي عليه يقضي على النظام.

- موضوع توازن القوى، إن غياب صدام سيؤدي إلى وجود سورية وإيران فقط، هذا الموضوع قابل للمناقشة برأينا، نظام صدام كانت له وظيفة معينة أو وظائف معينة تم استهلاكها، كان له وظيفتان أساسيتان: إشغال سورية وإخراج العراق من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي، وبعد قيام الثورة الإسلامية ضَرْب هذه الثورة، وتصفيتها وبالتالي لم تعد له وظيفة في المنطقة، ولا شك أنه استنزف سورية وأخرج العراق من ساحة الصراع العربي - الإسرائيلي، ولا شك أيضًا أنه استنزف الثورة الإسلامية في إيران وألحق بها أضرارًا مادية ومعنوية، ولذلك أن يكون في موقع الحلف المقبل معهم أمر يصعب تصوره. بعد انتهاء الحرب ستمر مرحلة قد تمتد بضع سنوات لإزالة آثار الحرب المادية والنفسية، وقد يكون لإسرائيل وتركيا دور رئيسي في تلك المرحلة، ولكن حجم هذا الدور يتوقف على حجم التعاون السوري الإيراني، وعلى حجم إدارة الصراع في تلك المرحلة. أعطي مثالاً على ذلك، القمة الخليجية. مؤخرًا، وبناءً على اتصالاتنا وإلحاحنا أنه لا بد من التوجه لإيران، وضعت فقرة خاصة عن العلاقات مع إيران وقالوا نسعى إلى إقامة علاقات مميزة معها.

وأعتقد أن جميع الأطراف الخليجية اتصلت بإيران وسمع المسؤولون كلامًا بهذا الاتجاه، إذًا إيران ليست مرفوضة من المنطقة بل مطلوب التعاون معها وكذلك سورية، من هنا أستنتج أن هناك إمكانية واسعة لدور كبير لكل من سورية وإيران في المرحلة القادمة، ولكن هذا بشكل رئيسي يتوقف علينا وعلى حسن إدارتنا للعمل، أعود للاحتمالات الأخرى وهي:

- إما أن يخرج صدام بقراره من الكويت ويسحب قواته للعراق ويدافع عن العراق، وهذا وارد.. ولكن فيه صعوبات، عَرَض عليه هذا الاحتمال من قبل غورباتشوف ورفضه، وبالتأكيد هذا الاحتمال إذا لم يأت نتيجة اتفاق فسيضرب خلال عملية الانسحاب.

- والاحتمال الآخر أن يضرب في الكويت، ويحتمي في العراق، هنا كيف يجب التعامل مع الموضوع، وقد يكون هذا الاحتمال أكثر الاحتمالات ترجيحًا.

ـ أما الاحتمال الذي يطرحه الدكتور حبيبي، أن يصمد وأن يقف معه المسلمون، فأعتقد أنه احتمال نظري لأنه لو حدث لأصبح صدام القوة العظمى رقم واحد إقليميًا، بعض التظاهرات التي تصدر عن التنظيمات في العالم الإسلامي تورطه أكثر في الحرب، لأنه يحلم بصورة البطل ويسمع هذه الأصوات ويتابع الحرب، بكل الأحوال ما يهمنا كما أعتقد نقطتان:

ـ **النقطة الأولى**: الآن ضاغطة علينا، كيف ومتى يمكن أن تتحرك المعارضة العراقية وكيف نساعدها؟

ـ **النقطة الثانية**: كيف نتحرك لتنظيم الوضع الإقليمي في المنطقة لتكون سورية وإيران من الدول اللاعبة الأساسية، مع التأكيد أن علينا ـ طالما لدينا هذه الاستراتيجية ـ أن لا نُدفع للخروج عن الخطوط الأساسية لها، نحن متفقون أن علينا أن نسترد العراق من صدام، وأن ينتهي نظامه وأن لا تجري أي تبديلات إقليمية في المنطقة وأن تخرج القوات الأجنبية بعد حل مشكلة الكويت.

هذه التحليلات، هل لدى الأخ فاروق شيء؟

قال السيد الشرع: إذا سمحتم أن أضيف على ما ورد في كلام السيد نائب الرئيس أو ورد في كلام الدكتور السيد حبيبي، موضوع إضعاف سورية وإيران، يُخشى أن تترافق عملية إسقاط صَدَّام حسين بتقوية إسرائيل وتركيا من جانب وإضعاف سورية وإيران من جانب آخر، الإعلام الغربي من بداية الأزمة يلعب على هذا الوتر ووراءه الصهيونية العالمية، يصور صَدَّام وكأنه يدافع عن العرب والمسلمين، من يتابع في الغرب أجهزة الإعلام الغربية التي توجه أخبارها السياسية وتعليقاتها إلى منطقتنا يدرك ذلك ويستنتج ذلك، بمعنى آخر إذا خدعنا من قبل شعارات صدام نكون بشكل تلقائي الهدف الثاني بعد إسقاط صدام، لذلك يجب أن لا نُستجرّ، ولكن في نفس الوقت رفضنا الاستجرار لأنه قد يضعفنا لذلك يجب أن نكون حذرين، يُراد إضعافنا عربيًا وإسلاميًا وفلسطينيًا وجماهيريًا، هدف الحملة المستمرة من آب حتى الآن إما لتوريطنا أو إضعافنا.

أنا أتفق مع الأستاذ عبد الحليم أنهم لا بد أن يسقطوا صدام، هيبتهم في بلدانهم والعالم تتوقف على إسقاطه لأن التحدي حصل ومجرد استمراره نجاح تحديه لهم.

قال السيد حبيبي: أريد أن أشير إلى نقطتين: أولهما سؤال، وقد يتابع الدكتور ولايتي،

السؤال بالنسبة للدول المطلة على الساحل الجنوبي للخليج الفارسي إلى أي مدى هم جادون وعندهم حسن نية لعلاقتهم بإيران؟

أنتم تعلمون أن الدكتور ولايتي عندما كان في نيويورك كان له لقاء مع وزراء خارجية مجلس التعاون، وفي ذلك الاجتماع عرض وزراء المجلس على الدكتور ولايتي نفس المضمون الذي أشرتم إليه، وأبدوا رغبتهم للتعاون مع الجمهورية الإسلامية، ولكن حتى يومنا هذا لم يكن هناك نشاط بهذا الخصوص.

النقطة الثانية التي ترتبط بما قاله السيد فاروق الشرع وهي أن الحرب إذا صورت أنها حرب بين الحق والباطل وأن صدام يرفع رايتها، عندما يهزم صدام يقولون إن الإسلام هزم وهم يريدون إثبات هذا، لذلك نحن نتفق وإخواننا حتى من الناحية العقائدية هذه الحرب يجب ألا تُصوّر أنها حرب بين الحق والباطل وأن صدام يقودها، وعلى هذا يجب أن لا تظهر الحرب كذلك وعلى هذا الأساس يجب أن نسحب القضية الفلسطينية من شعارات صدام وأن لا تكون وسيلة بيده، يجب أن تُسحب هذه الورقة من يده.

وعلى هذا الأساس نحن مصممون أن لا نُستجرّ إلى هذه الحرب وإخواننا في سورية كذلك، لذلك يجب البحث عن السبل لمنع إضعافنا.

قلت: بالنسبة لدول الخليج لا شك أن الكلام الذي نسمعه منهم كلام حار بالنسبة لإيران، ومن أيام كنا في السعودية وسمعنا من الملك فهد شخصيًّا أن أشياء مفرحة ستتم بين إيران والسعودية، الواقع السياسي الناجم عن اجتياح الكويت فرض عليهم أن يبحثوا عن علاقات قوية مع إيران وسورية، وأن يعيدوا تقويم سياساتهم السابقة، ثم يقولون صدام سيذهب.. سينتهي، ولكن نخشى أن يقوم صدام جديد في العراق، فالعراق أصبح يشكل هاجسًا، وصاروا يعرفون أن عملية التوازن تأتي بعلاقات مع إيران وسورية وليس بإمكانهم أن يأتوا بالقوات الأجنبية دائمًا.

الأمر يتعلق بكيفية التحرك، نحن نمشي خطوة إلى الأمام، ونصف إلى الخلف.. المهم أين نصل؟ أعتقد أن أمام سورية وإيران مشكلتين أساسيتين:

أولاً: حماية نفسيهما باعتبارهما تطرحان قضايا ذات طابع تغييري في المنطقة لا تتفق مع مصالح الآخرين، وباعتبارهما تقومان على أسس عقائدية.

ثانيًا: موضوع الصهيونية.

إذًا هاتان المسألتان اللتان يجب أن تُحركا سياستنا في المجالات المختلفة.

بالنسبة للنقطة الثانية، حرب الإسلام والكفر.. يجب أن نكشف زيف هذا الادعاء بكل قوة، ويجب ألا نتردد في أن نقول، لا أحد يستطيع أن يورطنا، أعطي مثالاً: صدام أطلق بضعة صواريخ على إسرائيل، قبل ذلك قام الأردن بمسرحية وجاءنا رئيس وزراء الأردن يبدي الخوف والهلع من اجتياح إسرائيلي، نحن نعرف أن من يضمن الملك حسين هو إسرائيل، فكيف تعمل إسرائيل على إسقاطه؟ هذا غير ممكن ومع هذا قلنا له إذا قامت إسرائيل باجتياح الأردن نحن معكم، ولكن إذا قمتم بعمل توريطي فلن نتورط.

صدام ضرب عدة صواريخ على إسرائيل، إذا أردنا أن نأخذ بعواطف الناس فيجب أن ندخل الحرب، شُنّت علينا حملة إعلامية لأننا رفضنا التورط، لكن قلنا بوضوح لا أحد يجرنا إلى الحرب بقراره، إذا كان صدام يريد أن يحارب إسرائيل فلا يضع جيشه في الكويت ويرسل لها بعض الصواريخ، وهو خدم إسرائيل مقابل ستين جريحًا، أخذت إسرائيل أحدث نظام دفاعي في العالم بالإضافة لوعود أخرى، يجب أن لا يجُرنا أحد للخروج عن استراتيجيتنا، هل يُعقل أن يمثل الإسلامَ صَدّام حسين وعرفات والملك حسين؟! فليأخذوا هذا الإسلام.. نحن المسلمون.

لذلك يجب أن نكون واضحين في هذا الأمر، نحن نقرأ بعض المقالات في بعض الصحف الإيرانية عن الجهاد، أعتقد أصحابها غير جادين كمن يريد أن ينشر الإسلام بقيادة أبي لهب، صَدّام حسين أبو لهب وأسوأ.

موضوع القضية الفلسطينية، لا شك أن الأضرار التي أصابت القضية الفلسطينية كبيرة جدًّا، لا أحد يتحدث عنها، الانتفاضة نامت بعد الاجتياح لا شك، يجب أن نكون أكثر نشاطًا لاستقطاب القوى والشخصيات الفلسطينية ودعمها لتأخذ مواقف أكثر وضوحًا وجدية من حرب الخليج وقيادة منظمة التحرير، عرفات ورّط صدام وكان يقول إذا جاءت الحرب يا مرحبًا بها، ولما جاءت هرب إلى تونس، وكان يقول إذا جاءت الحرب فستلتهب فلسطين وتحرق الإسرائيليين!! لم يتحرك أحد.

قال السيد حبيبي: النفط الكويتي احترق ولم يبقَ هناك ما سيشعل به.

قلت: نحن أقوياء، يجب أن نكون لاعبين في المنطقة لا جزءًا من اللعبة.

قال السيد ولايتي: بسم الله الرحمن الرحيم، لقد تحدثت والسيد فاروق الشرع في

الخارجية، والموضوع المهم هو ماذا يجب أن نفعل بعد انتهاء الأزمة؟ فإذا كان علينا أن نقوم بعمل ما – وهذا ضروري – فلا بد أن نهيئ الأرضية من الآن، لقد سبق لنا أن تحدثنا معًا على أنه بالنسبة لموضوع أمن المنطقة لا بد أن يقوم تعاون بيننا وبين دول المنطقة.

يمكن أن نجمع كما تفضلتم به والدكتور حبيبي، وبالنسبة للدول الساحلية، عندما يصرحون بالمواقف يُبدون الحماس والمشاعر، ولكن عند التنفيذ يتحركون ببطء، ما قاله لكم الملك فهو صحيح وسليم، علاقاتنا تسير باتجاه الجودة، أهم موضوع لنا هو موضوع الحج، وقد أستطيع القول إن ٩٠٪ منه محسوم، وإن شاء الله نحل المشكلة، ولكن من الناحية التنفيذية مجلس التعاون بطيء، نحن لدينا استنتاج أن الأميركان ليسوا موافقين على ذلك، لأن الأميركان قاموا بعملية استثمار كبيرة ويريدون أن يبقوا لسنوات، وهذا ليس لصالحنا وصالحكم، والخليجيون يعرفون أن هذا ليس لصالحهم ولكنهم لا يجرؤون على مواجهة الأميركان، وربما يكون دورنا وإياكم أن نعطيهم شحنة الجرأة، هذه نقطة.

والثانية تقدمنا بدعوة للمؤتمر الإسلامي عن طريق الأمين العام، ولو على مستوى وزراء الخارجية، نحن نقول إن هناك وجهة نظر، إن هذا المؤتمر سيكون عامل ضغط على صدام للخروج من الكويت.

فقلت له: نريد أن يخرج من الحكم وليس من الكويت فقط.

فقال السيد ولايتي: هناك موضوعان يجب التمييز بينهما:

هناك شيء في مشاعرنا ووجداننا، وما نقوله يجب أن يخرج من الكويت وبعدها يذهب إلى جهنم، وأنتم رجل سياسة، وهذه لعبة سياسية.

إذا لم نتفق كمنظمة إسلامية تصبح الحالة أن أوربّا وأميركا يعقدون مؤتمرًا ويتخذون قرارًا في مجلس الأمن وتأتي الصواريخ الأميركية، ونحن كمسلمين نبقى على الجانب، لذلك قلنا بعقد المؤتمر الإسلامي، طرحنا الموضوع وقال فاروق الشرع: عندما ينعقد المؤتمر ويتخذ قرارًا بوقف إطلاق النار، صدام سيقبل به والآخرون لا يلتزمون ويكون أبيض الوجه أمام الشعوب الإسلامية.

قلت للسيد الشرع إن القرار سيكون بثلاثة بنود: وقف إطلاق النار، انسحاب العراق من الكويت، انسحاب القوات الأجنبية، وهذه تشكل مجموعة واحدة، والذين يُقرون هذه المواضيع الثلاثة لن يعطوا لصدام فرصة بأن ينفذ واحدة فقط دون الباقي، ما هي الفائدة

السياسية لو لم ينفذ؟ إن صدام يقول أنا أدافع عن الإسلام بمواجهة الكفر. فعندما يأتي المسلمون ويقولون له يجب أن تنسحب، عندها لا يستطيع أن يقول أنا أتحدث باسم العالم الإسلامي إذا لم ينسحب.

أنا يجب أن أكون صريحًا معكم، جاءتنا شخصيات كثيرة وسمعنا كلامهم وتعاطفهم واضح مع صدام، ويجب أن أقول هذا، وآخرهم أحمد بن بيلا، وراشد الغنوشي من تونس، وعباس مدني من الجزائر، وعدد كبير من الإخوان في الباكستان والسودان، وجاءنا نجم الدين أربكان رئيس حزب الإنقاذ الوطني الإسلامي التركي، أكبر حزب في تركيا، وتحدث بنفس الأسلوب، ما أقصده أنه لا يمكن تجاهل هذا، جاءنا إبراهيم شكري من مصر، وحسن الترابي من السودان، وكذلك ممن أتوا شخصيًّا إبراهيم مشهور الشخص الثاني من الإخوان المسلمين في مصر، بعد حامد أبو النصر، نحن عندما نقترح عقد مؤتمر إسلامي نريد أن نأخذ الراية التي يحملها صدام، وعلى هذا نؤكد على مسألة انعقاد المؤتمر الإسلامي، نحن مستعدون للمناقشة معكم والسعودية والمصريين ماذا يجب أن نخرج به من المؤتمر؟

قلت: في الواقع لا أتفق مع السيد ولايتي في استنتاجه لأن هذا المؤتمر إذا عقد سيكون لمصلحة صدام ١٠٠٪، وهذا المؤتمر سيجعل من الحرب الدائرة حربًا بين المسلمين بقيادة صدام والكفار بقيادة أميركا.

معظم حكومات الدول الإسلامية عندها مشاكل داخلية ومسألة الحرب العراقية الخليجية توظفها أطراف في المشاكل الداخلية. أعطي أمثلة:

ـ الملك الحسن هو صديق السعودية، وله قوات فيها، لديه مشاكل في الداخل لا علاقة لها بالخليج، ولكن وضعت مشكلة الخليج ضمن هذه المشاكل، سيأتي ممثل الملك الحسن إلى المؤتمر ويقف إلى جانب صدام، وكذلك بنغلادش وإندونيسيا ونيجيريا، ونأخذ بالاعتبار أن جهاز منظمة التحرير بما لديه من أموال سيكون نشطًا لشراء هؤلاء الناس.

قال السيد ولايتي: ليست أموالهم أكثر من السعودية.

قلت له: إذا أراد الإنسان أن يقبض باسم الجهاد وفلسطين ويخرج مجاهدًا في النتيجة يخرج عميلاً، ماذا يطلبون الآن؟ وقف إطلاق النار؟ وقف إطلاق النار من يخدم؟ يخدم صدام.

إذا كان صدام جاهزًا لإعلان انسحابه من الكويت ينعقد المؤتمر، ولكن إذا انعقد المؤتمر الآن، فسيكون لوقف إطلاق النار وليس الانسحاب من الكويت، وهذه خدمة لصدام.

ومع تقديرنا للشخصيات التي أشير إليها، بعضها ينطلق من حسن نية وحرص إسلامي وبعضها من مصالح معروفة. وأصلاً صدام يعتمد على هذه المسألة، استخدم بعض هذه التنظيمات لإيجاد رأي عام.

الإنسان يتساءل أين كان هؤلاء عندما دخلت إسرائيل بيروت؟! كان إبراهيم شكري وحامد أبو النصر في ظل السادات كأن لبنان استراليا أو كندا.

قال السيد ولايتي: باعتبار وجود المسيحيين.

قلت له: كان غزو إسرائيل للبنان ضد كل المسلمين في لبنان، وأخطر بكثير من هزيمة العراق ـ إذا افترضنا أن العراق مُحِق ـ لو نجح الغزو في لبنان لتشكلت في لبنان دولة متحالفة مع إسرائيل.

أين كان أحمد بن بيلا؟ كان في باريس، لا نستطيع أن تقوم استراتيجيتنا على أساس الغنوشي وحسن الترابي. جاء بعضهم إلى سورية، أنا اجتمعت مع إبراهيم شكري قبل الحرب وكان معه وفد إسلامي، قلت لهم هل أنتم مع ضم الكويت إلى العراق؟ قالوا: لا، ألا تعتقدون أن الكويت قنبلة في صدر العراق؟ قالوا: نعم، هل سيتضرر العراق؟ قالوا: نعم، قلت دعونا نقنع صدام بالانسحاب لحماية العراق.

لماذا لم يزر بن بيلا صَدَّام ويقول له انسحب من الكويت لتحمي العراق، هل الكويت بلد صليبي؟ الكويت بلد مسلم.

هذه التنظيمات التي لم تُظهر كلمة واحدة ضد جعجع وعون اللذين قاتلا المسلمين يجب أن لا نسمع لها كلمة واحدة.

ألا يوجد إسلام إلا بأموال صدام وعرفات؟ نترك هذا الموضوع للمناقشة، إذا كانت هناك ضرورة جدية نناقشه ونستطيع أن نحدد حجم الدور في المنطقة:

أولاً: أن نُقوّض نظام صدام وتجري انتخابات في العراق، دورنا سيكون رئيسيًّا جدًّا.

ثانيًا: يجب أن لا نقع في المطب الذي تقع به بعض القيادات الفلسطينية. كلما حدثت مشكلة في الساحة الفلسطينية، كان جورج حبش يقول: »يجب أن نراعي مزاج الجماهير«.

قال السيد ولايتي: القذافي نفس الشيء.

قلت له: القذافي متفق معنا على انسحاب العراق من الكويت وانسحاب القوات الأجنبية.

وَضعنا مع إيران يختلف، المسألة بالنسبة لنا مسألة مصير، هل لدينا شك؟ إذا كسب صدام الجولة ستكون معركته القادمة مع إيران وسورية، أما بالنسبة للآخرين فالمسألة تسجيل موقف.

أذكر حادثة مؤلمة لا يمكن أن أنساها عام ١٩٨٢ عندما شنت إسرائيل حربًا على لبنان، دَعَوْنا إلى مؤتمر قمة فلم تنعقد، دَعَوْنا إلى مؤتمر وزراء خارجية، انعقد بعد الغزو بعشرين يومًا، بعد نقاش ثلاثة أيام لم نستطع إصدار بيان بإدانة الاجتياح الإسرائيلي، عندما يتعلق الأمر بنا ينام الناس، وعندما يتعلق بغيرنا يجب أن نضحي بكل شيء، هذه الأصوات نفسها، عندما كانت الحرب قائمة بين العراق وإيران، وكان يتذابح المسلمون أين كانوا؟ إبراهيم شكري.. الغنوشي... لا يجوز أن نمحو الذاكرة.

أقترح أن يُناقش هذا الموضوع عندما نجد أن الدعوة لهذا المؤتمر تخدم مصلحتنا وليس استجابة لأصوات من هنا ومن هناك.

قال السيد حبيبي: بما أن عددًا من الضيوف ينتظرون هناك، أقترح رفع الجلسة لما بعد لقاء الرئيس رفسنجاني غدًا.

* * *

استقبلنا الرئيس الإيراني في الساعة التاسعة والنصف يوم الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٩١. وبعد تبادل عبارات المجاملة سأل الرئيس: هل أنتم مستعجلون؟

قلت له: مرتاحون، وأمس أجرينا لقاء مع الإخوة وكان جيدًا جدًّا.

قال الرئيس: ظروف المنطقة آخذة في اتجاه التصعيد أكثر فأكثر.

أجبته: الأمر لم يكن مفاجئًا، كنا نتوقعه، لذلك كان الاتفاق أن يجري مثل هذا الاجتماع عند حدوث الحرب.

قال الرئيس: يبدو أن العراق هجم بالصواريخ على إسرائيل.

قلت له: أرسل صاروخًا أدى إلى جرح عشرات من الإسرائيليين؛ ولهذا أخذت إسرائيل نظامًا دفاعيًّا متطورًا، صواريخ باتريوت. خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية مات مئات الناس ولم تصدر ضجة، بينما جُرح بعض الإسرائيليين أدى إلى التعاطف مع إسرائيل.

سأل الرئيس: الأمر واضح، كيف ترون الأمور بمجملها؟

قلت للرئيس: من خلال مناقشاتنا، يبدو أن رؤيتنا وتحليلنا للوضع يكاد يكون واحدًا، كلنا توقعنا أن اجتياح الكويت ورفض صدام الانسحاب سيؤدي إلى الصِّدَام العسكري، إذًا الحرب لم تكن مفاجئة، رغم أننا كنا أحيانًا نستنتج إمكانية الاتفاق بين الأميركان وصَدَّام، لكن بتقديرنا ـ بعد نشوب الحرب ـ هذه الإمكانية سقطت نهائيًّا.

وبالتالي الحرب مستمرة حتى طرده من الكويت ونعتقد أنه ستكون هناك أعمال إضافية لطرده من العراق، وبالتالي نستنتج أنه ليست هناك إمكانيات عملية لوقف إطلاق النار حتى تنتهي المشكلة.

بطبيعة الحال يبقى السؤال: ماذا بعد ذلك؟ نحن نعتقد أن كل الأطراف ستخرج من هذه الحرب مثخنة بالجراح، والمهزوم سينتهي والمنتصر سيخرج ضعيفًا وسيحمل عقدة نتائج الحرب، برأينا ـ سورية وإيران ـ إذا تصرفتا بشكل ملائم تستطيعان التقاط الوضع في المنطقة وتغيير مجرى الأحداث، والجميع بعد الحرب في المنطقة سيشعرون بالحاجة إلى سورية وإيران، لذلك نحن نكون متفائلين بالقدر الذي نجيد فيه وضع تكتيكات مناسبة الآن وللمرحلة المقبلة ونكون متشائمين إذا لم نُحسن العمل وبقينا ننتظر ونترك الآخرين يفعلون ونحن نتفرج، ونعتقد أنه بإمكان الجبهة السورية ـ الإيرانية أن تكون الأقوى في المنطقة والأكثر تأثيرًا على التطورات الإقليمية وما سيحدث في المنطقة ولا سيما بعد سقوط صدام، وعلى المستوى الإقليمي الذين تحالفوا مع صدام يصعب استمرارهم.

نستطيع أن نفكر وأن نعمل كيف نلتقط الساحة الفلسطينية وأن نضعها في مسارها الصحيح؛ لأننا نتوقع أن عرفات مستمر في خطه النهائي.

بالنسبة للشارع في البلدان العربية والإسلامية نستطيع أن نوظف الحالة القائمة وهي معبأة ضد الآخرين، إذا كنا نحن وإيران موجودين يضعف دور الآخرين ويتراجع ولكن إذا غبنا سيقوى دور تركيا وإسرائيل.

الأمر متوقف بشكل كبير على كيفية تحركنا وعلى الخطوات التي سنقوم بها في المستقبل، مثلاً دول الخليج، كنا قبل أيام في السعودية وجاءنا وزير خارجية الإمارات، هناك مشاعر إيجابية تجاه إيران لم نكن نلمسها في الماضي.

وهم يقولون بالتعاون مع إيران وسورية ويقولون: صدام سيذهب ولكن نحن بحاجة إلى التعاون حتى لا يكون صدام جديد في العراق.

هذا هو الوضع، وبتقديرنا العمليات العسكرية مستمرة ونستنتج هذا من التصريحات ولم نسمعه مباشرة.

وبطبيعة الحال، نحن متألمون لضرب العراق، ليس سهلاً علينا أن نرى ذلك، ولكن المسؤول رقم واحد هو صدام؛ أتيحت له كل الفرص لتجنيب العراق هذه المأساة، وكل الدول العربية والإسلامية والأجنبية بذلت جهودًا لإقناعه بالانسحاب من الكويت ولكنه كان مصممًا، الرئيس الأسد وجه له رسالة رغم سوء العلاقات القائمة بيننا، رسالة كلها عواطف دافئة لإقناعه بالانسحاب قبل الحرب وعاهده أن سورية ستقاتل إلى جانب العراق إذا تعرض لعدوان عسكري بعد انسحابه من الكويت، كان الجواب محزنًا ومضحكًا في الوقت نفسه، وطبعًا رفض الرسالة.

سأل الرئيس: كيف؟

قلت: بالإذاعة، وجّه رسالة رفض بها رسالة الرئيس.

سأل الرئيس: رفض الرسالة أم مضمونها؟

قلت: مضمونها، وقال: الجيش السوري يكون جديًا إذا آمن، ولا يستطيع أن يحارب مع العراق لأنه غير مؤمن، ولا أحد يستطيع أن يدافع عن العراق إلا الجيش العراقي لأنه مؤمن، وإذا كان الجيش السوري مستعدًا للإيمان وسورية مستعدة أن تؤمن فلتتفضل ولتقاتل مع جميع المؤمنين ضد الكفرة، والكويت محافظة عراقية.

نعتقد أننا بذلنا كل ما يمكن بذله لتجنيب العراق هذا العمل العسكري لكن لم يستجب.

النقطة الثانية التي يجب التفكير الجدي فيها، المعارضة العراقية، وكيفية مساعدتها لتكون البديل في العراق، لا شك أن الأميركان وأصدقاءهم لا يرغبون أن يجدوا في بغداد حكمًا صديقًا لسورية وإيران، وهم عن قناعة يعتقدون أن الخطر على مصالحهم المستقبلية ليس من صدام وإنما من سورية وإيران باعتبارهما يرتكزان على عقائد من جهة ويستخدمان العقل من جهة ثانية.

يعرفون أن لنا قضية ولا يمكن أن نتخلى عنها إطلاقًا، بينما وظّفوا صدام فترة طويلة من الزمن واستخدموه؛ لذلك نستنتج أنهم لن يكونوا فرحين بقيام حكم شعبي في العراق صديق لسورية وإيران.

لكن ـ بطبيعة الحال ـ قضيتنا مشتركة ومصلحتنا أن يكون العراق معنا، وهذا يتطلب جهدًا إضافيًا من سورية وإيران لمساعدة المعارضة لتكون البديل.

هذا مختصر وجهة نظرنا.

قال الرئيس: بسم الله الرحمن الرحيم، شكرًا، هناك بعض النقاط نريد أن نطرحها. هناك قلق يساورنا، ربما تقوم إسرائيل بعمل عسكري ما بسبب الضغوط التي تتعرض لها، كيف ترون؟

قلت: إذا حللنا الموضوع بشكل عملي، ليس من مصلحة إسرائيل الرد على العراق.

قال الرئيس: أوافق على هذا، هناك شيء.. عادة الرأي العام الإسرائيلي يشكل ضغطًا على الحكومة عندما لا ترد.

قلت له: حكومة إسرائيل تبالغ بهذا الضغط لتأخذ دعمًا غربيًا أكبر. مثلاً أخذوا نظام ـ باتريوت ـ وعمليًا هذا النظام ألغى دور كل الصواريخ الموجودة عندنا وعند غيرنا، التي يمكن أن تستخدم ضد إسرائيل.

البارحة ـ في إيطاليا ـ قابل البابا عددٌ من نواب كل الأحزاب من أجل الاعتراف بإسرائيل، الإسرائيليون يوظفون هذه الصواريخ لتحقيق مكاسب. سمعت من الراديو مقابلة مع رئيس أركان الجيش الإسرائيلي السابق يقول فيها: علينا أن نمارس سياسة ضبط النفس. إذا أرادت إسرائيل أن تقوم بعمل فيجب أن يكون نوعيًا وإلا صار غير ذي جدوى وتفقد هيبتها.

ماذا سيفعلون؟ يُرسلون طائرات لقصف العراق، هل يرسلون خمسين طائرة؟ في أجواء العراق ألف طائرة، لا يضيفون شيئًا، يضربون بالصواريخ، العراق يضرب بها، لا يضيفون شيئًا، يستخدمون الأميركان ويقولون لهم: إن لم تدفعوا فسنرد. والأميركان لا يريدونهم أن يشاركوا.

قال الرئيس: أوافق على هذا، ويستطيع الإسرائيليون أن يقوموا بما يريدون عن طريق تركيا دون أن يُصرحوا، ولكن لنفترض أن إسرائيل دخلت الحرب، فإذا ما حصل هذا، وقد ناقشناه مع الرئيس الأسد عندما كان هنا، ولم يكن الوضع الحالي موجودًا، إذا حصل ذلك ما موقفكم؟

قلت: لدينا قرار، ولا أحد يأخذنا إلى الحرب إلا قرارنا، صدام أعلن في مؤتمر القمة العربي

من خلال مندوب العراق أنهم سيضربون إسرائيل لتوريط المنطقة.. هل يطلق الصواريخ لتحرير فلسطين؟

إن لم يكن الأمر تحرير فلسطين فلا يستطيع أن يجر أحدًا إلى الحرب. وإذا أراد أن يحارب نحن جاهزون، فليسحب جيشه من الكويت، ويأت إلينا، ونحن وإياه نحارب إسرائيل، لكن أن يطلق صواريخ ويجرنا إلى حرب لم نقررها هذا أمر غير وارد.

قال الرئيس: هل هذا يعني إذا دخلت إسرائيل الحرب أنتم لا تدخلونها؟

قلت له: إذا قُصفت إسرائيل بالطيران فهذا لا يعني حربًا، قبل عام ١٩٧٣ كانت جبهتنا تتعرض دائمًا لاشتباكات مع إسرائيل، كانت الجبهة ثلاثة قطاعات: الشمالي والأوسط والجنوبي، وأحيانًا كان يقع اشتباك بين إسرائيل وأحد القطاعات، وتكون باقي القطاعات هادئة، لأن الاشتباكات المحدودة شيء، والحرب الشاملة شيء آخر، لا أحد يستطيع أن يسوقنا إلى حرب لم نخطط لها، وإلا نُسلِّم لصدام أمرنا.. وهذا غير ممكن.

قال الرئيس: نحن ندرك هذا، هناك احتمال يُطرح الآن، لم يكن سابقًا وهو أن تستمر المعارك البرية طويلاً.

سألته: في الكويت؟

قال الرئيس: طبعًا، الحرب بين الأميركان والعراقيين قد تطول أكثر مما توقعنا وإذا ما حصل هذا، قد يكون الأميركان بحاجة للاستفادة من القوات الإسرائيلية لأنهم في هذه المنطقة لا يستطيعون أن يحاربوا جيدًا في البر، في حالة كهذه يكون الوضع عكس ما هو عليه الآن، فهم بحاجة إلى قوات إسرائيل البرية وعندها تبقى مسألة مجيء القوات الإسرائيلية عبر الأردن احتمال وارد.

قلت له: أنا لست عسكريًا ولكن إذا حللنا الوضع، هذا الاستنتاج بعيد الاحتمال، الخطة التي أعلنها الأميركان أصبحت معروفة:

المرحلة الأولى: تصل إلى ثلاثة أسابيع وتهدف إلى تدمير الطاقة العسكرية العراقية ضمن العراق لمنع العراق من مساندة الجيش في الكويت.

المرحلة الثانية: ضرب الحرس الجمهوري الموجود على الحدود العراقية ـ الكويتية، (هناك حوالي ١٧٠ ألفًا) لمنع الجيش العراقي من التراجع من الكويت.

المرحلة الثالثة: التركيز على القوات في الكويت.

الخطيئة الاستراتيجية التي ارتكبها صدام هي زج عدد كبير من الجيش في مساحة محدودة، لذلك فإن الخلل في أي جهة من هذه القوات سيؤثر عليها كلها، وسيركزون القوة النارية الجوية والأرضية على هذه القوات التي ستصبح محصورة، هذه القوات عندما تُقطع عنها الإمدادات من الصعب أن تصمد، بالإضافة إلى ذلك حجم القوى الغربية الموجودة في السعودية بحجم العراقيين أو أكثر بالإضافة للتفوق الجوي والتكنولوجي.

وهناك تجربة خاضها الجيش العراقي مع إيران، ليست لدى العراق عناصر إضافية عما كان موجودًا سابقًا عنده، لكن بتقديرنا لو لم يستعمل السلاح الكيميائي لكانت الحرب مع إيران مستمرة، وعندما كان يُضغط على الجيش العراقي كان الأسرى بالألوف، قيادة الجيش لم توفر لها الظروف النفسية والمادية اللازمة للقتال، لذلك لا نعتقد أن الأميركان سيكونون بحاجة إلى قوة برية إسرائيلية، وطبعًا إذا وصلنا إلى هذه المرحلة فنحتاج إلى تقويم جديد.. وفي هذه الحالة سنناقش الأمر معًا ماذا سنعمل.

قال الرئيس: كنت أقصد هذا الوضع.. يقتضي أن ندرس هذا الاحتمال بأسرع ما يمكن، وبإمكانكم خلال هذه الزيارة أن تبدؤوا بحث الموضوع مع الإخوة، طبعًا ما قلتموه من تحليل صحيح، ولكن ما زالت هناك أشياء أخرى قابلة للبحث. لنفترض مثلاً أن يباشر العراقيون الهجوم على السعودية قبل اختلال الوضع اللوجستي، يمكن مثلاً، في هذا الأسبوع، وهذا شيء يفكر به العراقيون، السيد عزت إبراهيم يقول: إن هناك رأيًا أن يبدأ العراق الحرب، هذه فكرة ونحن ندرسها. نحن ليس لدينا تجربة، ولا نعرف كيف يحارب الحلفاء على الأرض، وبرأيي المقارنة بين هذه القوات والقوات الإيرانية ليست واقعية.

مركز القوة في الحرب الماضية كان يقوم على الحرس وليس على الجيش، القوات كانت تتقدم بدافع الاستشهاد، وفي كل مرة كنا نحتل مواقع ونأخذ أسرى، وكنا عادة نقوم بمثل هذه العمليات مساءً، وبتكتيك يعتمد على المفاجأة، وعندما كان ينتبه العراقيون كان الأمر يتطور إلى الصعوبة، في كل المعارك كانت الانتصارات التي حققناها مبنية على مبدأ المفاجأة، ولا أدري هل لدى الأميركان هذه الإمكانية، ما أريد أن أقوله: نأخذ احتمال أن أميركا ستواجه مشاكل في البر، إذا حصل مثل ذلك فهذا جيد، لأن الأميركان إذا تلقوا ضربة أو درسًا فلن يفكروا بالمجيء إلى المنطقة مرة ثانية.

طبعًا، بالإمكانات الهائلة سينتصرون، ولكن يستحسن أن يتلقوا ضربة قوية تؤثر على

الشعب الأميركي، ووضع كهذا سيعطي الفرصة لسورية وإيران بإمكانيات أكبر لحل مشاكل المنطقة بما فيها إسرائيل طبعًا. في الأيام القليلة القادمة عندما تتوضح الصورة، سيكون التحليل أحسن.

قلت له: هم يتوقعون حسم الحرب بدون معركة برية، بحكم الوسائل الموجودة عندهم.. حسب معلوماتنا عندهم ١٢٠٠ هيلوكبتر مضادة للدبابات، لذلك تدمير الدبابات العراقية لن يكون أمرًا معقدًا.

قال الرئيس: معلوماتنا تقول شيئًا آخر: إن الأميركان سيفتحون جبهة من الحدود السعودية ـ العراقية من الغرب، ليلتفوا على القوات الموجودة في البصرة وفي الوقت نفسه يقومون بعملية بحرية، والآن هم يطهرون الممر البحري لإنزال قوات من البحر إلى البر، يبدو أن خطتهم عملية حصار للقوات العراقية الموجودة في الكويت وأوزال أوضح، خلال زيارة مستشاري، نفس الخطة على الخريطة.

قلت له: يبدو أن أوزال يعرف أكثر منا.

قال الرئيس: قد تكون معلوماتنا ليست دقيقة ولكن هناك احتمالاً كبيرًا بقيام معارك برية، إضافة إلى ذلك، العراقيون يحتفظون بطائراتهم العسكرية على الرغم من الأضرار التي لحقت بالمطارات، وهي محفوظة بدشم محصنة، إضافة إلى أن لديهم كمية كافية من الأسلحة الكيميائية في ساحات القتال وهي موزعة على أماكن مختلفة ولم تكن كلها في الأماكن التي قصفت.

قلت له: استخدام الطيران العراقي صعب، لأن التفوق الجوي والتكنولوجي يُخرج الطيران العراقي من المعركة. الآن يطلق صواريخ كان يعتقد أنها ستهز الوضع لكنها لم تفعل شيئًا، وحسب معلوماتنا ليس لديه صواريخ حاملة للأسلحة الكيميائية.

قال الرئيس: عزت إبراهيم قال غير هذا، قال: عندهم مجموعة صواريخ برؤوس كيميائية، إضافة إلى أن عملية تغيير الرأس الحربي للصاروخ ليست صعبة.

قلت له: إذا استخدم الكيميائي، سيفنون الجيش العراقي، سيعطيهم المبرر لاستخدام الذرّة والكيمياء.

وحسب معلوماتنا كل جنودهم مجهزون بتجهيزات لامتصاص الغازات بالإضافة

للكمامات، ولكن في مرحلة اليأس، قد يحاول ضرب المراكز المدنية بالكيمياء إذا كانت لديه الإمكانات، الاحتمالات مفتوحة.

قال الرئيس: الآن كيف يُقَوّم خبراؤكم فترة استمرار الحرب؟

قلت: إذا بدأت العمليات ضد القوات العراقية في الكويت فستكون قصيرة، القوة النارية الموجودة لدى الأميركان مخيفة، سواء البرية أو الجوية أو البحرية.

قال الرئيس: يعني.. تقويمكم أسابيع أم شهور؟

قلت: عندما تبدأ معركة الكويت ستكون قصيرة، لكن الزمن المأخوذ الآن يعود إلى محاولة الائتلاف تجنب الإضرار بالمدنيين، ولكن الأمر يختلف عندما يتعلق بالجيش، هناك طائرات حمولتها ٥٠ طنًا من القنابل ـ الأمر مخيف فعلاً ـ وطبيعة الأرض لا تساعد القوات العراقية على الصمود، بكل الأحوال الصورة مؤلمة وبشعة.

وكنا نتمنى لو أن الظروف تغيرت ولم يُقدِم صدام على هذه الخطوة، وبالتأكيد كلنا سنتألم لسنين طويلة من تذكر هذه الصورة.

قال الرئيس: على أي حال من مهامكم ومهامنا أن نتابع عن كثب تطورات الأحداث ونبقى مستعدين لكل مرحلة حتى لا نُفاجأ.

بالنسبة للمنطقة يجب أن نتعاون حتى لا نعطي الفرصة لأميركا وإسرائيل، وبالنسبة لمستقبل العراق يجب أن نكون حذرين، ونتصرف بحذر حتى لا يصبح بؤرة تآمر ضدنا وضدكم، أما الأضرار التي تلحق بالمنطقة وبالشعبين العراقي والكويتي فكلما قصرت يكون أفضل، وعلينا أن لا نيأس من الفرص التي تُوفر خروج العراق من الكويت، وخروج الأجانب من المنطقة، علينا أن نسعى بهذا الاتجاه وأن نقوم بواجباتنا، وحتى لو لم نصل إلى نتيجة سنكون مرفوعي الرأس أمام الله والشعب والضمير، وإذا وصلنا إلى نتيجة فيكون أفضل.

قلت للرئيس: هذه وجهة نظرنا، ولا نزال نرى ضرورة الضغط على الحكومة العراقية ونتحدث مع الأطراف التي لها صلة مع العراق بهذا الاتجاه، وبالتأكيد - كما أشار السيد الرئيس - يجب ألا يخرج الأميركان وحلفاؤهم منتصرين بانتهاء هذه المشكلة.

وبطبيعة الحال برأينا يجب أن ينتهي صدام لأنه إذا بقي سيكون ضرره في المنطقة أكبر، ووجهة نظرنا واحدة فيما يتعلق بمستقبل العراق، وهناك موضوع لَفَت نظرنا هو التصريح التركي الأخير الذي يتهم سورية وإيران بأن لهما مطامع في العراق، وأن تركيا ستتدخل إذا

تدخلت سورية وإيران في العراق، هذا الموضوع لَفَت نظرنا، ولذلك تناقشنا أمس بشأن عقد لقاء ثلاثي للجارات الثلاث للعراق، وهذا بحكم الجغرافيا، ومحاولة الوصول إلى التزام مشترك بعدم وجود مطامع في الأراضي العراقية، وطبعًا القلق ليس مصدره سورية وإيران، الفكرة نناقشها.. إذا كانت مفيدة نسير بها.

سيادة الرئيس باعتباركم استقبلتم عزت إبراهيم ماذا استنتجتم من خلال محادثاتكم حول وضعهم في العراق ومستقبلهم؟

قال الرئيس: بالنسبة للموضوع الأول؛ تركيا، نُفضّل أن يكون العمل ثنائيًّا، ذهبنا إلى الأتراك وقلنا لهم يجب أن نحترم وحدة الأراضي العراقية وعليكم أنتم فعل ذلك.

قلت: فعلنا.

قال الرئيس: نحن أعلنا ما توصلنا إليه، أعلنوا أنتم؟

قلت: ممكن.

قال الرئيس: هذه الطريقة تُجنبنا الأضرار المحتملة من الاجتماع الثلاثي، وعلى كل حال يمكن بحث الموضوع مع الدكتور حبيبي. بالنسبة للعراقيين تحدثنا بكل صراحة مع عزت إبراهيم، كانوا يتوقعون أن لا نتركهم وحدهم في مواجهة أميركا، وقلنا لهم يجب أن نعرف أكثر مما نعرفه الآن، كنا نتحدث بهذا الوضع، كان يدّعي أنهم لن ينسحبوا بأي ظرف من الكويت، وقلت له: أنتم تقولون عندما تُحل المشكلة الفلسطينية ننسحب. ماذا يعني هذا؟ قال: إذا حُلّت نحن مستعدون أن نبحث قضية الكويت، وكان يقول: في هذا البحث سننتصر، لأنه لا توجد أي وثيقة تقول إن الكويت كانت منفصلة عن العراق، قلت: إن صدام في إحدى رسائله كتب أن هناك ٨٠٠ كم من الحدود البحرية المشتركة بين إيران والعراق.

قلت للرئيس: لا أدري فيما إذا كنتم قد أعطيتمونا صورة عن الرسائل.

قال الرئيس: أعطينا السيد الرئيس.

قلت: موجودة في مكتب الرئيس، ونتمنى أن يزودنا بها السيد ولايتي.

قال الرئيس: سألت عزت إبراهيم: هذه الرسالة أليس صدام هو الذي ناقشها في القيادة؟ قال: نعم، كتبت في مجلس قيادة الثورة، قلت له ٨٠٠ كم من أين جاءت؟ ربما تقصدون الحدود

مع الكويت فكلها لا تصل إلى ٨٠٠ كم، فكان رده أنه لا يعرف كم كيلومترًا المسافة من الفاو حتى جنوب الكويت، وسألته: ماذا تقصدون بحل القضية الفلسطينية؟ قال: كل فلسطين، وحزب البعث في العراق ينظر إلى كل فلسطين وليس أراضي ١٩٦٧، فقلت له هذه وجهة نظرنا والآخرون لا يقبلون بهذا، وهذا يعني أنكم ستحاربون، أجاب: نعم، نحن متأكدون أن الحرب ستقع، قلت: إن الحسابات والتقويمات تفيد أنكم ستخسرون الحرب، قال: إذا خسرنا الحرب في حدودها التقليدية سنحارب حتى آخر فرد، بحرب عصابات شعبية.

لم يترك عزت إبراهيم ولا واحد بالمئة للانسحاب من الكويت، وكانت زيارته في وقت اجتماع بيكر وعزيز في جنيف، طبعًا هذا الكلام أقوله والعراقيون كانوا يقولونه وهم مستعدون والأميركان غير مستعدين، والآن الظروف تغيرت، من متابعتي لأحداث الحرب يبدو أن العراقيين لا يزالون متمسكين بكلام عزت.

قلت له: حساباتهم خاطئة. كانت لديهم تطمينات من بعض الجهات ذات الصلة بالغرب وبأن الحرب لن تقع، وعندما وقعت وصدرت ضجة إعلامية في بعض البلاد العربية والإسلامية، توقعوا حدوث بعض التغييرات وأن يوقف الأميركان الحرب.

كانوا يعتقدون أنه بعد الحرب بأسبوع ستتغير الأنظمة في سورية ومصر وباكستان وبنغلادش والخليج، وستُضرب مصالح الغرب في كل العالم العربي والإسلامي وهذا سيؤدي إلى ثورة في الرأي العام الغربي للضغط من أجل وقف الحرب، هناك من ورّطهم في هذه الحسابات، ياسر عرفات بشكل رئيسي وبعض التنظيمات التي تذهب إلى بغداد.

سأل الرئيس: ليبيا، تفكر بهذا؟

أجبته: عبد السلام جلود فقط، معمر يفكر بطريقة أخرى، يبحث الأمر بشكل أكثر مسؤولية من عبد السلام، صدام قال لوزير خارجية يوغسلافيا: روسيا انهارت والعالم الثالث بحاجة إلى قيادة، والعراق هو المؤهل، وهكذا قال عبد السلام لصدام.

وقال للأوربيين: أنتم لكم مشاكل مع أميركا وستحتاجون للعراق، وعبد السلام يتحدث عن الثورة الإسلامية ولا يدري ما يجري في العالم.

قال السيد ولايتي: يجب أن يقرأ الكتاب الأخضر.

قلت: صدام سيؤلف كتابًا آخر بعد الإلهام الإلهي.

الناس يتصرفون بشكل غير مسؤول، وضعوا العراق والمنطقة في مأزق صعب، ولكن كما

أشار السيد الرئيس يجب أن نعمل بكل إمكانياتنا في إيران وسورية وأن لا نسمح باستنزاف قدراتنا، وهذا يُمكّننا من التقاط الأوضاع في المستقبل، وهناك نقطة تتعلق بإسرائيل إذا احتاج الأميركان إلى قوات برية فمن تركيا وليس من إسرائيل.

قال الرئيس: بلِّغوا تحياتنا للسيد الرئيس، وقولوا له إننا نحسب ونطمئن كثيرًا لدرايته وتجاربه ونأمل أن يراقب - كما حصل سابقًا - الأوضاع عن كثب لمصلحتنا ومصلحة الشعب الفلسطيني.

قلت للرئيس: سأبلغه، وسنبقى على اتصال، وقد يتطلب الأمر لقاءً آخر في دمشق أو هنا، ونحن نراقب ويجب أن نبقى في الصورة، وقد يقتضي الأمر لقاء سورية وإيران مع المعارضة العراقية لترتيب الأوضاع.

قال الرئيس: أوافق.

* * *

وبعد انتهاء اللقاء مع الرئيس الإيراني عقدنا جلسة ختامية اتفقنا خلالها على: تنظيم الاتصالات، وتبادل المعلومات، والعمل على دعم المعارضة العراقية، وجرى خلال هذه الجلسة النقاش التالي:

قلت للدكتور حبيبي: موضوع تركيا.. نجري اتصالات ثنائية.

واستطردت أقول: بالنسبة للمؤتمر الإسلامي نحن لا نرفض الفكرة، ولكن نرى الوقت المناسب الذي يخدمنا ونناقش الموضوع، بالنسبة لاستنتاجاتنا اليوم والبارحة صار لدينا نفس الصورة، لكن المهم أن ننظم صيغة الاتصال وتبادل المعلومات، ولو اقتضى الأمر تبادل المعلومات يومًا فيومًا، قد تتوفر لدينا معلومات لا تتوفر لطهران وبالعكس، نراقب الموضوع وعندما نشعر أن هناك أمرًا يحتاج إلى اللقاء مباشرة نلتقي، خلال هذه المرحلة ستتعرض لضغوط عديدة نتيجة تطور الحرب، سنحاول امتصاص هذه الضغوط دون أن تدفعنا للخروج عن استراتيجيتنا المتفق عليها، لا أعرف فيما إذا كان هذا التلخيص دقيقًا لمناقشاتنا.

قال السيد حبيبي: طبعًا التلخيص دقيق، وفيما يتعلق بالموضوع الأول نحن أكدنا في الخبر الذي نشرناه عن وصول الوفد السوري على إيمان الجانبين بوحدة الأراضي العراقية.

قلت: ونحن أكدنا الخبر في نفس المعنى.

قال السيد حبيبي: إذن نحن نقوم الآن بصورة ثنائية بنشاط حول هذا الموضوع، وسيكون اتجاه نحو تحرك سوري باتجاه الأتراك.

قلت له: طبعًا.

قال السيد حبيبي: بالنسبة للموضوع الثالث، سنكون على اتصال، سوف ننفذ هذا ونكون على اتصال. وبالنسبة للموضوع الثاني؛ موضوع المؤتمر، يمكن أن نناقش هذا الموضوع ونتفق، ونعلن أننا متفقون، وأما عن الانعقاد وزمانه، يمكن الآن أن نعلن أننا متفقون على عقد المؤتمر، نقترح أن نُعلن الآن أننا متفقون.

قلت: يمكن الإعلان «ناقشنا موضوع الدعوة لمؤتمر إسلامي في الوقت الملائم بعد المشاورات مع دول المنظمة».

(بعد حديث جانبي مع السيد فاروق الشرع)

يلفت نظري الأخ فاروق إلى نقطة؛ وضع ملائم يعني أننا ننتظر الخلاص من العراق؛ وهذه نقطة سلبية.

قال السيد حبيبي: نحن في الخبر الذي نشرناه عن الزيارة قلنا إن هذا الموضوع يناقش، بما أننا أعلنا - يوم أمس - أننا نناقش، وبالنظر للنقطة السلبية التي أشار إليها السيد الوزير، يمكن أن نعلن أننا سنستمر بالمشاورة مع إخواننا أعضاء المؤتمر كافة، وبعد الانتهاء نعلن عن انعقاد المؤتمر.

قلت له: جيد، هناك نقطة يجب أن يُحضّر لها وهي المعارضة العراقية، كيف تتحرك ومتى وما المساعدات التي تُقدم لها، وقد نلتقي خلال أيام، لذلك يجب أن نكون لنا تصورات جاهزة عن العمل.

قال السيد حبيبي: أوافق على الفكرة، وضروري أن يكون بيننا تبادل معلومات واتصال مع المجموعة ككل، حتى نكون بالصورة تمامًا لأنه قد يأتي بعضهم ويقول لنا شيئًا ويأتي بعضه الآخر ويقول غير ذلك. وعلى ضوء المعلومات نتبين ما هي خطواتهم الأولى وما يجب علينا أن نقوم به، البيانات التي تصدر من جانبهم يجب أن تكون منسقة معنا؛ لأن أي كلمة في أي تصريح يمكن أن تؤدي إلى إلحاق ضرر كبير بالمعارضة التي يجب أن نساعدها. يبدو أنه لم يبق لنا موضوع في المنطقة لم نناقشه، يجب أن نبحث عن نقطة خلاف لنناقشها. بالنسبة للعلاقات الثنائية إذا كانت توجد نقطة ترون طرحها؟

قلت له: لا يوجد لدينا أي فكرة، لأن ما يشغلنا هو أزمة الخليج. ولكن أريد أن أَطْمئن على الشواطئ السورية إذا كانت مشمولة في الرسالة العراقية.

قال السيد ولايتي: الخارجية اليوم في عطلة ومع ذلك سنؤمن نسخة عن الرسالة.

قال السيد حبيبي: عندنا كاتب فكاهي كتب: الملك حسين يذهب إلى إسرائيل، ويعطون الأردن لعرفات، والسعودية لجورج بوش، ويعطون أميركا لصدام، وعندما ترتب الأمور تقع الكوارث فيصبح حسين ملكًا في إسرائيل، وعرفات يحصل على شيء يسميه فلسطين، وبوش يحصل على البترول، وصدام في هذه الحالة يصبح في موقع مخصص له أميركا، لأن أميركا عدوانية، العالم كله سيوافق على هذه الفكرة. بالنسبة لفلسطين كيف يمكن إخراج الوضع مما هو عليه، حتى تنتهي هذه اللعبة؟

قلت للدكتور حبيبي: العالم يعرف أن صَدَّام حسين يغلف مشكلته بالقضية الفلسطينية، ولو كان يريد فعلاً الموضوع الفلسطيني، لما تصرف كما تصرف الآن، هذا كلام يتحدث به الناس، وإذا وجدت بعض من يتعاطف معه فليس لهذا السبب، أكثر الناس حماسًا له منظمة التحرير. لذلك تدفع صدام، هم يعرفون أن صدام لن يأتيهم بشيء، لكنهم يظنون أن تعقيد الوضع في المنطقة قد يأتيهم بشيء إضافة إلى أن عرفات أخيرًا تورط بسياسة تصالحية مع إسرائيل وفشل، وبدأت أصوات فلسطينية تُحمله المسؤولية، فوجود قضية أخرى تطغى على القضية تخدم عرفات حتى داخل المنظمة، لذلك يحاول عرفات أن يربط قضية فلسطين بقطار الخليج، لكن هذا الأمر مؤقت كما أعتقد.

قال السيد حبيبي: المشكلة أن الفلسطينيين كانوا أسرى ألاعيب القيادات الفلسطينية، والآن يدخلون لعبة جديدة هي لعبة صدام، وعلى هذا أقول: إذا استطعنا أن نُنهي هذه اللعبة هذه الأيام، ومن حيث التحليل أوافقكم أن الموضوع ليس فيه جدية بأن يرفع صدام الراية الإسلامية، ولكن المشكلة أن القضية الفلسطينية يُنظر لها بهذا الشكل، وبأن صدام يدافع عنها، عملية تضليل، وهناك عشرات من اليهود يأتون مهاجرين إلى فلسطين.

قلت: يجب ألا نعتبر أن مجمل الناس يمكن تضليلهم، بعد نشوب الحرب مع العراق لم يصدر صوت، الناس أدركوا أن المطلوب استخدامهم لصالح صدام، صحيح هناك منع تجول، لكن من يريد أن يقوم بعمل يستطيع خرق منع التجول، التجمعات الفلسطينية في الخارج ـ مثلاً في الأردن ـ جاء من الكويت مائة ألف، وكلهم دعاة ضد صدام، أُخرجوا من الكويت وضاعت ثرواتهم، فهم يتحدثون ضد صدام، لكن الإعلام يخدم صدام، هذا

الأمر يجب ألا يُشكل عاملَ قلق لنا، ربط قيادة منظمة التحرير بصدام هو في النهاية لمصلحة الفلسطينيين لأن هذه القيادات ستنتهي مع صدام، وستكون فرصة لقيادة جديدة تعمل من أجل فلسطين.

قال السيد حبيبي: ما يتعلق بمسألة احتمال أن تدخل إسرائيل في حرب برية يجب أن نفكر بها، وندرسها لنكون على بينة في اجتماعنا القادم.

لديّ سؤال، هل لديكم معلومات عن وجود اتصالات بين الأتراك والإسرائيليين؟

قلت له: ليست لدينا معلومات.

سأل السيد حبيبي: هل من جديد في سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية على ضوء تغيير شيفاردنادزة؟

قلت: هناك تطورات تجري في الاتحاد السوفيتي تحت ضغط الجيش وهي مهمة، مثلاً عملية البلطيق قام بها الجيش، قد تؤدي هذه التطورات إما لتمزيق الاتحاد السوفيتي أو تصليبه وعودة وضع متصلب تجاه الغرب.

سأل السيد حبيبي: هل تغير موقفهم عما هو قبل شهر أو شهرين؟

فقلت: لا.

وسأل السيد حبيبي: هل جرى بحث في سورية أن تقوم إسرائيل بمهاجمة جنوب لبنان؟

فقلت: يقومون يوميًا بعمليات، ولكن بمعنى الهجوم لا نُرجّح ذلك، نحن نعطي لإسرائيل حجم عمل أكثر من قدراتها الفعلية، وضعهم الداخلي ليس سهلاً، وقدرة إسرائيل على التحرك في المنطقة ـ قياسًا بالماضي ـ أقل، لكن بالنسبة للجنوب تضرب، فكل عملية مقاومة ترد عليها بغارات، وهذا ليس جديدًا.

قال السيد حبيبي: ما هو برأيكم الموقف الأوربّي، هل هو إلى جانب أميركا؟ نقارن اليوم وقبل شهرين، أستنتج من لقائي مع السفير الفرنسي أنهم ليسوا مرتاحين، وتقديرهم أن أميركا خرجت عن إطار القرارات الدولية الصادرة بخصوص الأزمة.

فقلت: مع ذلك هم يخرجون مع الأميركيين ولا نتوقع قرارًا أوربيًّا مستقلاً، الأميركان يحرصون على السيطرة على موارد النفط ليمسكوا الأوربّيين من رقابهم؛ لذلك هم مضطرون

أن يمشوا تحت المظلة الأميركية، يأخذون أحيانًا بعض المواقف الانتهازية، يريدون أن يميزوا أنفسهم قليلاً عن الأميركان لاحتواء الأصوات المعارضة للسياسة الأميركية في المنطقة.

* * *

ومع تصاعد الأحداث وبدء العمليات العسكرية البرية وتقدم القوات الحليفة في مطلع آذار ١٩٩١ وانتفاضة الشعب العراقي ضد نظام صَدَّام حسين، عقدنا دورة اجتماعات للهيئة العليا في دمشق بتاريخ ٧ و٨ آذار ١٩٩١. عُقدت الجلسة الأولى مساء ٧/ ٣/ ١٩٩١، وبعد أن رحبت بالدكتور حبيبي والوفد المرافق له، أعربت عن ثقتي بأن هذه الاجتماعات دليل على تقدم العلاقات بين البلدين، وعلى أن هذه العلاقات جدية وعميقة، وقلت إن الموضوع الأساسي الذي نعتقد أن علينا مناقشته، الوضع في العراق وموضوع الخليج، ثم اقترحت قبل أن نُجري مناقشاتنا وتبادل وجهات النظر أن يحدثنا السيد فاروق الشرع عن اجتماعات وزراء الدول العربية الثماني في دمشق، وعن اللقاء الذي تم مع ممثلي الدول الأوربّية، لأن المعلومات التي يقدمها قد تساعد في المناقشات وتحديد الصورة.

تحدث الوزير الشرع فقال: في الفترة الأخيرة تطورت الأحداث بسرعة، وكان يطرح في عواصم عديدة إقامة ترتيبات أمنية في منطقة الخليج، وكنا دائمًا نؤكد على أن ترتيبات الأمن في المنطقة تنبع من دول المنطقة وعبرنا عن هذا الموقف في اتصالاتنا مع الأوربّيين والولايات المتحدة والدول العربية الأخرى، بالطبع كنا نتمنى أن يُعقد هذا الاجتماع قبل أسبوع أو عشرة أيام عندما اقترحنا ذلك لنناقش من جملة الأمور هذه النقطة، ولكن قدّرنا انشغال الإخوة في إيران خلال الأسابيع الماضية، ووجدنا أنه إذا لم نأخذ زمام المبادرة بطرح هذه القضية فإن هذه الصيغة كانت ستصدر من عواصم الغرب، وتذكرون أنه صدرت تصريحات عن فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة، بدؤوا يُلمحون إلى الخطوط العامة لصيغة أمنية في المنطقة؛ ولذلك أجرينا اتصالات مع الدول العربية المعنية بالخليج للإسراع في عقد اجتماع لوضع تصور موحد حول هذا الموضوع، بعضهم كان مترددًا والآخر لم يكن مترددًا، في المحصلة كان هناك اتجاه موافق، أجرينا اجتماعات خلال اليومين الماضيين، وجرت نقاشات عامة حول هذا الموضوع، لم ندخل في التفاصيل ولكن أكدنا على المبدأ وأعتقد أنكم اطلعتم على البيان الذي صدر عن الدول العربية الثماني، كان بعضهم لا يريد إضافة كلمة إسلامية على أساس أنها متضمنة كلمة عربية، قلنا يجب أن نضيف هذه الكلمة، وأخيرًا حصل إجماع حول إضافتها، وكان واضحًا من قِبل الجميع أن المقصود

بهذه العبارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بالذات وبشكل أساسي، طبعًا لم يُشر إلى اسم الجمهورية الإسلامية الإيرانية لأسباب وجدنا من الأفضل ألا تترك حساسية للآخرين كتركيا والباكستان طالما أن الفهم والمقصود بالجمهورية الإسلامية الإيرانية، ولمسنا من جميع الدول العربية التي اجتمعت في دمشق جوًّا إيجابيًّا تجاه إيران، ونرى أن تقديم التطمينات من قبل إيران لهذه الدول الثماني أيضًا يزيل أي مشاعر من الخوف، ولكن هناك اعتراف من الجميع بأهمية إيران في أمن منطقة الخليج، بالطبع نحن انطلقنا من هذا التعاون بين الدول الثماني لأن الجامعة العربية أصبحت في حالة من الانهيار بعد الاجتياح العراقي، ونحن في سورية نعتقد أن تشتيت الدول العربية معناه وضع هذه الدول تحت نوع من الوصاية للدول الأجنبية، ولذلك نعتبر هذه الموافقة من الدول الثماني ضمانة جيدة للمحافظة على حد أدنى من التفاهم مع هذه الدول العربية وإبقائها في إطار الالتزامات العربية والإسلامية، طرحنا موضوع قرارات الأمم المتحدة وتطبيقها على الصراع العربي ـ الإسرائيلي وقضية فلسطين، لأن إسرائيل خاصة تشعر - بهذه المرحلة وبعد الصواريخ التي أطلقها صدام دون فعالية والنتائج الكبيرة التي جنتها - أنها تريد الاحتفاظ بالأراضي العربية المحتلة وتعمل لمزيد من التوسع بسبب الهجرة اليهودية المكثفة إلى فلسطين، إسرائيل لا تريد تطبيق قرارات الأمم المتحدة ولا تريد عقد مؤتمر دولي، وفي حقيقة الأمر لا تريد السلام، تريد استسلام الجميع من أجل إقامة إسرائيل الكبرى.

ولذلك وجدنا أن أي التزام من أشقائنا في الدول العربية حول هذه المبادئ، أي تطبيق قرارات الأمم المتحدة شيء مهم جدًّا في هذه المرحلة، ونحن نعتقد بأن الصيغة التي ظهرت في إعلان دمشق ووُقّعت من قِبل الدول العربية الثماني مهمة، لأنها تتحدث عن انسحاب إسرائيل التام من جميع الأراضي العربية وضمان الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، هناك أيضًا حول التعاون الاقتصادي بين هذه الدول العربية وألا يخرج عن النصوص الموجودة في إطار الاتفاقيات العربية السابقة. ونحن في سورية كان يهمنا بالدرجة الأولى أن نأخذ مواقف سياسية من هذه الدول تجاه القضية الفلسطينية، وتجاه الأمن في منطقة الخليج أكثر مما يهمنا في هذه المرحلة الحديث عن التعاون الاقتصادي، طبعًا نحن لا نجهل بأن مليارات الدولارات قد أُنفقت من قِبل الدول العربية الخليجية لقوات الائتلاف، وهم تحدثوا ابتداءً من هذا الشهر عن أخذ قروض من المصارف الأجنبية، كانت أزمة الخليج مُقلقة جدًّا، صَدَّام حسين أتلف الثروة العربية والإسلامية. إذا كان هناك أي سؤال أو استيضاح حول البيان الذي صدر عن اجتماعات دمشق فأنا جاهز.

قال السيد حبيبي: بسم الله الرحمن الرحيم، أنا والدكتور ولايتي والوفد نشكركم على الترحيب وحسن الضيافة وأعلن سعادتي وسروري لأن هذا الاجتماع قد عُقد في الوقت المناسب، وكما تحدثنا اليوم بأننا قد قررنا أن نتطرق إلى وضع البرنامج العملي والزمني وإن شاء الله ستتمكن من الدخول لهذا البحث وهذا الإطار.

بالنسبة للمحادثات التي تمت في دمشق والبيان الذي صدر عن المحادثات لدّي سؤالان:

ما هي القرارات التي اتخذت بشأن أمن المنطقة ولم ترد في هذا البيان؟ هل هناك قرار اتخذ ولم يُذكر في البيان؟

لم نجد في هذا البيان موضوعًا صريحًا سوى التعاون الإسلامي بين البلدان، وطبعًا إذا كان هناك شيء آخر يجب توضيح البنود أو الجزئيات الواردة فيه.

فقال الوزير الشرع: كما يعلم الإخوة في إيران نحن لا نُخفي شيئًا عنهم بسبب متانة العلاقات بين البلدين والقيادتين، لم يَجْرِ أي اتفاق غير معلن، هذا أمر أكيد. وقلت لم ندخل في التفاصيل قبل أن يزورنا بيكر بصراحة وحتى لا تتغير مواقف بعض الإخوان العرب، والتفاصيل تُركت للبحث في الاجتماعات اللاحقة واتفق أن يجري اتصال مع الجمهورية الإسلامية لبحث هذا الموضوع معهم، بقينا في العموميات ولم يطرح أحد موضوعًا تفصيليًّا وإعلان دمشق يحتاج لأن يترجم بعدد من الاتفاقيات والبروتوكولات، ولكن كل هذا تُرك للاجتماعات القادمة. وما أريد تأكيده هنا أننا نحن في سورية قد أبلغنا ليس الدول العربية في الخليج ومصر فقط، وإنما الدول الغربية والولايات المتحدة بأن دور إيران في أمن منطقة الخليج مهم، ولا يستطيع أحد تجاهله سواءً أراد أو لم يُرِد؛ لأن إيران موجودة على الضفة الشرقية من الخليج ولم يجادلنا أحد في ذلك، كانت التساؤلات من قِبل الآخرين تنصبّ فقط حول ضرورة تقديم تطمينات من إيران لهذه الدول الصغيرة في الخليج وحول مدى استعداد إيران للتعامل مع هذه الدول باحترام متبادل وعدم التدخل بالشؤون الداخلية.

قال السيد حبيبي: بالنسبة للمحادثات مع البلدان الثمانية، وبخاصة التحولات التي تجري في المنطقة، هل جرى بحث هذا الموضوع؟ وهل أخذت وجهة نظر البلدان العربية الثمانية بالنسبة لقضية أمن المنطقة؟ وهل هناك مشروع في فكر وذهن الإخوة السوريين ليمكن البحث فيه؟

قال الوزير الشرع: نوقشت بشكل عام التطورات داخل العراق، في اجتماع دمشق بين الدول العربية الثماني، كما تم التطرق لهذا الموضوع حينما اجتمعت الدول الثماني مع دول الترويكا الأوربّية. مع الدول العربية وجدنا نوعًا من التردد والقلق حول التطورات التي تجري داخل العراق، هناك تخوف كما فهمت لدى بعض الإخوة وزراء الخارجية العرب من التركيز على الشيعة في العراق من قِبل الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وربط هذا الموضوع بالأصولية الدينية، كانت وجهة نظر سورية التي عبرنا عنها في اجتماع دمشق:

أولاً: لا يمكن أن يأتي للعراق نظام أسوأ من نظام صَدَّام حسين.

ثانيًا: إن إيران ليس في مصلحتها أن تهتم بالشيعة فقط من المسلمين، هذه ثورة إسلامية، من مصلحتها أن تنظر للمسلمين بكافة طوائفهم نظرة شمولية واحدة، وبصراحة لا أعرف مدى تصديقهم لنا عندما قلنا هذا الكلام، هذا يتوقف على القيادة الإيرانية أن تُطمئن دول المنطقة، وفعلاً نحن كنا صادقين عندما قلنا إنه ليس في مصلحة إيران أن تتكلم فقط عن الشيعة، هذه ثورة تهتم بجميع المسلمين.

الأوربّيون طرحوا بوضوح موضوع الأصولية، ويقصدون بذلك إيران وأجبتهم أنا – باعتباري رئيس الاجتماع عن الجانب العربي – أن الأوربّيين والأميركان لا يرون إلا الأصولية الإسلامية، في حين يتجاهلون الأصولية اليهودية، وقلت: مؤخرًا أدخلت إسرائيل وزيرًا جديدًا لحكومة شامير، ميزته الوحيدة أنه من مؤيدي طرد المسلمين والعرب من فلسطين، ومع ذلك أنتم الأوربّيون لم تتحدثوا عن هذا الموضوع، ولو حصل شيء مشابه لدينا لأقمتم الدنيا ولم تُقعدوها، هكذا قلت لهم، إننا لو عَيَّنَّا وزيرًا يطالب بطرد اليهود ورميهم في البحر لأقمتم الدنيا ولم تُقعدوها.

أما بالنسبة لموضوع الأمن في المنطقة، ليس هناك مشروع على الورق وإنما مجرد أفكار عامة تم دراستها في القيادة، وكما قلت بتوجيه من قيادتنا حاولت في الاجتماع وضع هذه الأفكار في بيان اجتماع دمشق.

قال السيد حبيبي: هل تم في هذا المشروع الأمني البحث حول مشاركة العراق الحالي، بصَدَّامه الحالي، أم مشاركة العراق الطبيعي، أو بعدم مشاركة العراق بصورة نهائية؟

قال الوزير الشرع: بالتأكيد بعدم وجود صدام، وحتى مشاركة العراق غير واردة بصورته الحالية، من البلدان العربية الثمانية استنتجت أن المخاوف لو لم تكن موجودة تجاه

إيران، وكانت العلاقات جيدة مع الجميع، لأقدموا على تعاون جيد للمساهمة في التخلص من صدام، وللسير بخطوات في هذا المجال.

قال السيد حبيبي: بالنسبة لإسرائيل هل تعتقدون أن هناك ارتباطًا بين هاتين القضيتين، أي هل هناك ارتباط بين أمن المنطقة وحلّ القضية الفلسطينية وأن المؤتمر الدولي سيُعقد فيما بعد؟

قال الوزير الشرع: طرح الأوربّيون في الاجتماع مع الدول الثماني عقد مؤتمر موسّع يضم بلدان البحر الأبيض المتوسط وأوربّا وعدد من دول المنطقة للحديث عن مسائل الأمن والتعاون، وكان من الواضح أنهم يقصدون وجود إسرائيل في هذا المؤتمر تحت عنوان إزالة عدم الثقة أو بناء الثقة كما قالوا، كان جوابنا الذي عبرت عنه وأيدني وزير الخارجية السعودي أننا لا نستطيع أن نجتمع مع إسرائيل في مثل هذا المؤتمر وهي ما دامت تحتل الأراضي العربية وتتنكر للحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني، وقالوا إن إسرائيل ترفض عقد مؤتمر دولي وبالتالي هذه محاولة للالتفاف على الرفض الإسرائيلي للمؤتمر، قلنا لهم نحن نتمسك بالمؤتمر الدولي تحت رعاية الأمم المتحدة، ويجب عليكم كأوربّيين ألا تسايروا إسرائيل وأن نصل إلى مرحلة يكون المجتمع الدولي كله في جانب، وإسرائيل في جانب آخر لرفضها المؤتمر الدولي ولرفضها تنفيذ قرارات الأمم المتحدة؛ إذا أردنا أن نقيس بمقياس واحد في التعاون الدولي. قبل قليل كنت أستمع للمذياع وتبين أن هذا الموضوع كان ساخنًا بين الترويكا الأوربّية وإسرائيل، وكان هناك خلاف في وجهات النظر بين الأوربّيين وإسرائيل، وسمعت تصريح رئيس الجانب الأوربّي قال لهم إن إسرائيل بعد أزمة الخليج وتطبيق قرارات مجلس الأمن، عليها أن تطبق قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالأراضي العربية المحتلة، والشيء المهم الذي سيزيد الضغط على إسرائيل موقف الرئيس الأميركي في خطابه أمس، وبدأت الآن معركة داخل إسرائيل حول هذه الأمور وقد تسقط حكومة شامير خلال أشهر قليلة بسبب ذلك، ولكن مع ذلك نحن نعمل في إطار هذه المبادئ سواءً التزم الأميركيون بالكلام الذي سمعناه أمس أو فشلوا بالضغط على إسرائيل.

قال السيد حبيبي: طبعًا، اليوم النسبة للنقاط التي تم بحثها مع الرئيس الأسد، هل يجب أن يكون هناك تيار واحد يحكم العراق أو تيارات مختلفة تحكم العراق؟ وطبعًا هذه المواضيع التي طُرحت مع الدول الثماني ومع الترويكا فنحن أيدنا فخامة الرئيس بما قاله ونحن ليس لدينا نظرة خاصة بالنسبة للعراق، ونقول إن الشعب العراقي هو الذي يجب أن يُعين مصيره،

وطبعًا نحن لا نخفي أن بعض المعارضين لهم اتصالاتهم معنا كما لديهم اتصالات معكم، وهذا لا يعني أن هذا التيار هو الذي يقرر ويستغني عن فئات أخرى، ونحن نرغب أن يصل هذا الموقف إلى آذان كل الذين يحبون سماع موقفنا، وطبعًا إذا كانت الثقة أو الاطمئنان موجودين فأعتقد أن هذا يكفي.

قلت للدكتور حبيبي: المشكلة لا تكمن في فهمنا المشترك للوضع الداخلي في العراق ولكن الغرب وبعض دول المنطقة ترى الموضوع من جانب آخر؛ من جانب التوازنات في المنطقة، العراق استُخدم في مرحلة معينة لضرب الثورة الإسلامية في إيران ولاستنزاف سورية، هذا العراق تورط في حرب الخليج وتم تدمير قوته العسكرية والاقتصادية فحدث فراغ بالنسبة لاستراتيجية الغرب في المنطقة، بطبيعة الحال هم يخشون أن يقوم حكم في العراق صديق لسورية وإيران؛ لأن هذا سيزيد في اختلال التوازن في المنطقة في غير مصلحة الغرب. شاهدت على التلفاز مقابلة مع فابيوس رئيس الجمعية الوطنية الفرنسية خلال الحرب، سأله المذيع: هل ستعملون على كسر العراق؟ أجاب: كلا. وكانت توجد خارطة بالقرب منه قال: انظر، هناك إيران لها مطامع، وهي مركز للأصولية الإسلامية هنا في الغرب، سورية يحكمها ديكتاتور موجود في الائتلاف وله مطامع في لبنان وينتظر المكافأة، إذن هم يريدون أو بعض الجهات الغربية تريد العراق أن يكون ضعيفًا لدرجة لا يهدد أصدقاء الغرب وقويًّا لدرجة يُحدث إرباكًا للقوى التقدمية في المنطقة، ولكن برأيي الغرب غير قادر على حمل أو تحمّل نظام صدام. في المؤتمر الأوربّي الأخير طُرح شعاران: الديمقراطية وحقوق الإنسان، وخلال الحرب صُوِّر صدام على أنه جزار وسفاح وديكتاتور ويذبح الناس، هم يريدون سقوطه ولكن يريدون هذا السقوط عبر عمل عسكري وليس عبر القوى الشعبية، طبعًا هذا ما يرونه هم، ولكن ليس كل ما يفكر به الآخرون يمكن أن ينفذ، وأيضًا ليس كل ما نفكر به نحن يمكن أن ينفذ، نعتقد أننا يجب أن نعمل لإسقاط صدام بأي شكل، ولا أحد يستطيع أن يفرض على الشعب العراقي شكلاً من أشكال الحكم، خاصة بعد التجربة مع صدام من جهة، ومن جهة ثانية لو جاء الجيش الأميركي والجيش السوفيتي إلى بغداد لا يستطيعان حماية الأشخاص المرتبطين بدول الغرب.

هناك حالة شعبية، وبعض هؤلاء ليس لهم علاقة بالعراق، مثلاً شخص كسعد صالح جبر، لا علاقة له بالعراق ولا يعرف ٥٪ من العراق، إذًا الأمر يجب أن نراه بشكل آخر، وهو يتعلق ببعض التكتيكات وليس باستراتيجيتنا، نحن برأينا يجب القيام بأي عمل ممكن لتطمين كل من يريد أن يطمئن للوصول إلى إسقاط صدام، نحن لسنا خائفين على مستقبل

العراق، ولكن هناك مرحلة يجب أن تمر، ونحن نصحنا قيادات المعارضة العراقية الصديقة لنا ولكم أن يكونوا مَرِنين إلى أبعد حد، وقلنا لهم هناك أسماء لا علاقة لها بالعراق إطلاقًا، ونريدهم لأنهم عملاء للولايات المتحدة، نحن نريدهم لأنهم عملاء للولايات المتحدة فعلاً لأننا نريد تطمين الأميركان، وبعد أن يسقط صدام، فلا أحد سوى سبحانه وتعالى يستطيع إعطاء هؤلاء فرصة الدخول لبغداد. طبعًا أنا اجتمعت معهم لساعات طويلة، يجب أن نضع خطة فعلية لإقناع وتطمين كل الناس، التحرك الشعبي الذي يجري في العراق إذا ضُرب لن يقوم تحرك شعبي قبل عشر سنوات، وقد تجد إيران وسورية نفسيهما في مرحلة ما مضطرتين للدخول في حرب مع العراق، ولذلك كل ما يطمئن هؤلاء الناس يجب أن نفعله. طبعًا نحن تحدثنا مع السعودية بشكل واضح، وعقدنا سلسلة اجتماعات مع السعوديين، هم يتصورون الشيطان ولا يتصورون صدام، وكذلك الكويت، ودول الخليج، ولكن برأينا الأمر لا يتعلق بهم، هم يريدون سقوط صدام، وعلينا أن نجعلهم لا يخافون من البديل. نستطيع القول إننا أقنعنا السعودية إلى حد كبير، وأمس عُقد هنا لقاء بين المعارضة العراقية وسعود الفيصل، واجتمع مع التنظيمات الإسلامية وحدها وتكلم معهم بشكل جيد، طبعًا خلال الاجتماع طرح بعض أطراف المعارضة الذين جاؤوا من السعودية أشياء تتعارض مع ما تطرحه السعودية، أحدهم قال يجب أن يصدر بيان عن الجيش العراقي وصموده والطلب بخروج القوات الأجنبية، وإدانة العدوان على العراق، والتحرك الشعبي، يعني نفس الكلام الذي يقوله صدام، طبعًا السعودية فوجئت بهذا الكلام، وكان جواب وزير الخارجية السعودي أننا نريد أن نتعاون مع الجميع ونحن جاهزون لتقديم كل مساعدة من أجل دعم الشعب العراقي. وطبعًا تم الاتفاق بيننا وبينهم على أن يجري اجتماع ثانٍ بين أطراف المعارضة الثلاثة بحضور ممثلين عن السعودية وسورية، أنا نصحت أصدقاءنا من المعارضة العراقية بأن يكونوا مَرِنين ويتركوا الفرصة للآخرين - أي للذين جاؤوا من السعودية - أن يعطّلوا العمل المشترك، وطبعًا أخذنا وعدًا بأن يجري إدخال سلاح للعراق عبر الكويت.

سأل شيخ الإسلام: من هم الأطراف الثلاثة؟

قلت:

١ ـ جبهة العمل العراقي المشترك؛ المؤلفة من جميع فئات المعارضة الصديقة لسورية وإيران.

٢ ـ المجلس العراقي الحر؛ ويضم مجموعة من الأسماء التي كانت موجودة من العهد الملكي.

٣ ـ مجموعة مختلطة من قوميين عرب سابقين وبعثيين سابقين ومستقلين.

هذه هي المجموعات الثلاث.

طبعًا بالقدر الذي نعطي به تطمينًا للسعودية ونقنعها أن الحكم القادم في العراق لن يُشكّل مشكلة لها تندفع بتقديم المساعدة للمعارضة من جهة، وتلعب دورًا في الحديث مع الدول الغربية من جهة ثانية، ولذلك نحن بذلنا جهودًا، والبيان الذي صدر في الأمس من إيران جيد، ولكن هناك مصادر غربية تحاول التشويش فعلاً، منذ يومين كانت هناك مقالة في الواشنطن تايمز تهاجم الرئيس بوش لأنه حطّم القدرة العسكرية للعراق ولم يأخذ بالاعتبار توازنات المنطقة.. وأشار المقال إلى إيران وسورية وإلى ما يمكن أن تقومان به.

نحن نعتقد أننا إذا عملنا بهذا الاتجاه ـ وزيارة الإخوة إلى تركيا مهمة لأنها تلعب دورًا بحكم علاقات تركيا مع الغرب ـ ولذلك نستطيع حماية الحركة الشعبية القائمة الآن في العراق.

هذا بالنسبة للعمل السياسي، وإذا كانت لديكم وجهة نظر أخرى نناقشها. أعتقد أننا متفقون على التقييم، تحدثنا عن برنامج عملي، إذا كانت هناك نقاط عملية يمكن مناقشتها والسير بها نريد أن نستمع إليها.

قال السيد حبيبي: بما أنني سأزور تركيا قريبًا، خلال اليومين القادمين، وإذا كان لديكم وجهة نظر خاصة لننقلها للأتراك باسمكم يكون ذلك جيدًا.

أجبته: الأمر الأول، أن نرسخ قناعة مشتركة لدى تركيا وسورية وإيران بأن استمرار نظام صدام يتعارض مع مصالح البلدان الثلاثة، هذه خطوة لدفع الأتراك خطوة إلى الأمام. والأمر الثاني، أن من مصلحة سورية وتركيا وإيران ودول الخليج أن يقوم نظام ديمقراطي في العراق. طبعًا هناك وسواس لدى بعض الجهات في تركيا وبعض الأوهام، قد تفكر بعض الجهات في تركيا التدخل في العراق لحماية السُّنَّة؛ لأن إيران تساعد الشيعة (مازحًا)!!

طبعًا الفارق بين الأمرين أن إيران مسلمة وتركيا غير مسلمة، ولكن الاستغلال السياسي يمكن أن يكون واردًا.

قال السيد حبيبي مازحًا: وصَدَّام حسين غير مسلم.

قلت: أصبح مسلمًا، إقناع الأتراك بهذه الأمور أمر مفيد، وإقامة تعاون إقليمي بين دول المنطقة لا يمكن أن يتحقق إذا بقي صدام بؤرة توتر في المنطقة، وطبعًا أمر مهم التأكيد للأتراك

أن إيران وسورية لا تَسْعَيان لإقامة حكم موالٍ لهما، هذا الأمر مهم جدًّا بالنسبة لتركيا، والرئيس أوزال وجّه الدعوة لجلال الطالباني لزيارة تركيا وسيسافر غدًا لمقابلته وسيتحدث مع أوزال بنفس المنطق.

قال الوزير الشرع: إذا سمحتم لي أن أؤكد على نقطة مهمة تحدّث عنها الأخ عبد الحليم، من استنتاجاتي وانطباعاتي خلال اجتماعاتنا مع الدول العربية الثماني واجتماعنا مع الترويكا الأوربّية، يبدو الآن كأن ليس لدى الولايات المتحدة وأوربّا الغربية تجاه الوضع داخل العراق قرار نهائي، أيهما أفضل.. بقاء صدام أم زواله، لماذا؟ لأنهم مطمئنون أن العراق وضعه صعب جدًّا، ولذلك سيكونون مهتمين بأخذ رأي أصدقائهم في المنطقة في السعودية وتركيا، من هنا تأتي الأهمية البالغة لما تحدّث به الأخ عبد الحليم سواء بالنسبة لتطمين السعودية أو بالنسبة لإفهام تركيا وجهة نظرنا.

قال السيد حبيبي: الحقيقة كنت أريد بسؤالي معرفة ما تتوقعونه من دور لتركيا في مسائل المنطقة، وقد توضح لي ذلك من خلال ما أشرتم، أشرتم أن الخطوة الأولى أن نُطَمئن تركيا على ما يجري، وأريد أن أسأل سؤالاً آخر: هل توافقون على أن يكون هناك اجتماع رباعي بين إيران وتركيا وسورية والسعودية، ومثلاً أن يُعقد في طهران؟

قلت للدكتور حبيبي: من محاذير هذا الاجتماع أنه سيُظهر الوضع وكأننا نتخذ قرارات تتعلق بمصير العراق، بالإضافة إلى ذلك بصراحة القوى الحية والنشطة الممسكة في العراق هي قوة صديقة لنا فلماذا نقيد هذه القوى باتفاقيات مع تركيا والسعودية؟ نحن نريد تطمين تركيا والسعودية لتتمكن هذه القوى من الإمساك بالعراق وليس لكي نضع قيودًا على هذه القوى، يعني يجب أن نميز بين العمل المرحلي والمناورة وبين العمل الاستراتيجي، بالإضافة إلى ذلك فإن إدخال تركيا في مسائل تتعلق بالعراق سيحرك بعض الأفكار القديمة الموجودة لديهم لا سيما أن هناك جهات في تركيا تتحدث عن دور أكبر لتركيا في المرحلة القادمة، طبعًا دور أكبر على حساب مَن؟ على حسابنا؛ ولذلك أعتقد أن نتصل بهم ونطمئنهم ولنشعرهم بالراحة، ولكن دون أن يقيّد ذلك حركة الشعب العراقي.

قال الدكتور حبيبي: ملخص كلامكم، تقصدون نحن في اتصالاتنا مع تركيا والسعودية أن نقتصر على هذه الدرجة، أن نُطمئنهم بأن الحكومة التي ستحكم العراق ليست موالية لنا ولكم؟

قلت: حكومة موالية للجميع وصديقة للجميع، صديقة لتركيا وللسعودية ولإيران

ولسورية وللكويت، أقترح أن يُرسَل الدكتور ولايتي كموفد إلى دول الخليج، ليؤكد لهم على هذه المعاني التي نتحدث عنها، ويؤكد لهم أن إيران تؤكد رغبتها بالتعاون والانفتاح معهم إلى آخر الطريق، المهم هناك مرحلة شهرين.. إما أن نرتاح من صدام وإما سيبقى مشكلة مستديمة.

قال السيد ناصر قدور: الأفضل أن نستريح.

قلت: طبعًا، كلنا نسعى في المستقبل للتعاون الإقليمي بين دول المنطقة، ونحن نسعى لتحسين علاقاتنا مع تركيا، علاقاتنا حسنة ولكن هناك مشكلة مياه نهر الفرات والرئيس أوزال أفضل من الرؤساء السابقين بمعالجة الموضوع.

قال الدكتور حبيبي: أذكر أنكم حدثتموني في السيارة بأن بعض الدول العربية الثمانية في اجتماع الأمس كانوا يَذكرون نوعًا ما حضور تركيا والباكستان.

قلت له: عندما جرى الحديث عن الدول الإسلامية، جرت أحاديث من هي الدول الإسلامية في المنطقة؟ تركيا، إيران، الباكستان، ولكن في نهاية الأمر حصر الموضوع، وحقيقة كان واضحًا موضوع إيران، ووجهة نظرنا أنه في المرحلة المقبلة وفي إطار تعزيز العلاقات بين الدول الإسلامية، وفي إطار تحسين ظروف المؤتمر الإسلامي أن يتم تعاون واسع بين الدول الإسلامية، بنهاية الأمر العالم ينقسم إلى تكتلات، طبعًا ليس أمامنا خيار إلا أن نجد تكتلاً للمسلمين ولكن ليس على طريقة صدام أو طريقة الملك حسين.

قال الدكتور حبيبي: هناك سؤال آخر، إضافة إلى المساعدات العسكرية، هل يمكن أن تصعد الحركة الشعبية في الجنوب؟ هل هناك إمكانية لمساعدات أخرى أو مساعدات بطرق أخرى للحركة الشعبية في الجنوب؟

أجبت الدكتور حبيبي: الواقع نحن تحدثنا مع السعوديين حول هذا الموضوع، ووعد سعود الفيصل أن يعرض الأمر على الملك فهد، وسنتابع، طبعًا نحن نريد بأي شكل أن تقدم السعودية المساعدات لأن هذا يُشكّل خطوة مادية للاعتراف بهذه الحركة الشعبية وبطرق إسقاط صدام.

وقال الشرع: هناك نقطة لمستها من سعود الفيصل، أقصى طموح لهم أن يأتي نظام ليس معاديًا لهم.

فقلت (مازحًا): هم يريدون نظامًا معاديًا للملك حسين، حتى يشرب الملك حسين من كأس العراق، على كل حال فيما يتعلق بالمساعدات ندرس ما يمكن عمله في هذا المجال.

قال الدكتور حبيبي: عرفنا وجهة نظر أصدقائنا في موضوع تطمين دول الخليج وكذلك الدول الأوربّية، ولكن ما هي وجهة نظركم الفعلية والعملية؟ تحدثنا أننا نريد أن نطمئنهم ونحن جاهزون ولكن عمليًا ماذا تقترحون لتطمينهم؟

قلت: عمليًا هناك ثلاث أو أربع دول أوربّية مهمة: «ألمانيا، إيطاليا، فرنسا، بريطانية». هناك علاقات مفتوحة بين بريطانيا وإيطاليا من جهة، وإيران من جهة أخرى، فممكن الحديث مع هذه الدول وشرح الوضع بأن ما جرى في العراق هو حدث داخلي، وأن إيران ليس لديها الرغبة في التدخل بالشؤون العراقية وترى أن يُترك موضوع العراق لأهل العراق، وترى أن العراق حتى يكون عامل استقرار في المنطقة يجب أن يكون ديمقراطيًا وأن تكون به تعددية سياسية، وأن يوضع دستور جديد يقطع الطريق أمام حكم ديكتاتوري، مثل هذه المخاطبة تطمئن من جهة وتُسقط الذرائع من جهة ثانية.

بالنسبة لبريطانيا أعتقد هناك اتصالات مع بريطانيا، طبعًا بريطانيا هي الأهم لأنها هي تمثل الولايات المتحدة في أوربّا.

قال الشرع: البريطانيون يعتبرون أنفسهم أنهم يقودون السياسة الأميركية.

قال السيد ولايتي: ويصدقون ذلك.

قال الدكتور حبيبي: وبالنسبة لوجهة نظركم مع دول الخليج، يكون ذلك بتبادل الزيارات؟

قلت: نعم بالزيارات.

سأل الدكتور حبيبي: كيف هو الموقف السوفيتي والصين بهذه الأمور؟

قلت: الصين بعيدة، لا أحد يسمع لها صوت، الاتحاد السوفيتي مشغول بسقوط بريماكوف، سقط اليوم، غورباتشوف رشّح تسعة أسماء للمجلس السوفيتي، نجح سبعة منهم وسقط اثنان، بريماكوف ومدير مكتب غورباتشوف، والاثنان يهود، فالاتحاد السوفيتي موجود وغير موجود، طبعًا هم ضد صدام وأصدروا تصريحًا يرفضون به قبوله كلاجئ سياسي.

قال الدكتور حبيبي: بالنسبة للمساعدات التموينية والطبية، ما هي وجهة نظركم؟ هل فكّرت المعارضة بهذا الموضوع تفكيرًا خاصًا؟

قلت: لم يناقشوا هذا الأمر معنا، ناقشوا مسألتين: مسألة تطمين السعودية. ومسألة إمكانية إرسال أسلحة إلى الجنوب إلى منطقة الناصرية العراقية عبر الكويت والسعودية، ونحن نتابع هذا الموضوع، وهناك احتمال أن ننجح.

قال السيد حبيبي: هل هناك مسائل بحاجة للبحث، لقد بحثنا الكثير من الأمور واتضحت التكتيكات التي يجب أن نتخذها معًا.

قلت: أعتقد أننا بحثنا أمورًا مهمة ومحور البحث الآن إنجاح الحركة الشعبية في العراق، وعدم تمكين صدام من تصفيتها، ومساعدتها لتصفيته، طبعًا هناك في الواقع مسؤوليات علينا وعلى إيران ونحن نقوم باتصالات سياسية، والآن يجري ترتيب إدخال أعدادٍ كبيرة من المعارضة العراقية إلى داخل العراق، بالاتجاه الغربي والشمالي الغربي، يعني يجري ترتيب هذا الأمر الآن، وجلال الطالباني سيبحث مع الأتراك إمكانية السماح بفتح ممر لدخول هذه القوات باعتبار أن الحدود السورية مع العراق كلها صحراء وبادية والمسافة بعيدة عن الموصل، وليست هناك كثافة سكانية وسنرتب عبورهم عبر تركيا باتجاه الموصل، يعني هناك عمل، وبطبيعة الحال أتوقع أيضًا أن تقدم إيران المساعدات للاتجاه الآخر، وأمر طبيعي أن نحاول ألا تظهر هذه المساعدات التي نقدمها وننفيها إذا طُرحت في الإعلام.

وقال الشرع: في بداية التحرك في جنوب العراق لعب الإعلام الغربي دورًا في تخويفهم عندما أشار إلى إيران، وإلا لما توقفت الحركة إلا بسقوط صدام.

قلت: طبعًا في المرحلة التي نتأكد بها من أن سقوط صدام أصبح قريبًا جدًا يجب أن نلتقي مع المعارضة العراقية لترتيب وضع حكومة مؤقتة في العراق وخلال أيام سيُعقد مؤتمر للمعارضة في بيروت، ونعتقد أنه ستكون له أهمية كبرى، هل هناك نقطة غير متفقين عليها؟

أجاب السيد حبيبي: لا.

فقلت (مازحًا): إذن نستطيع أن نتناول طعام العشاء بسلام.

وعُقدت الجلسة الثانية بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٩١

تحدث السيد حبيبي فقال: في الأمس وصَلَنا خبر جدّي نسبيًا وهو أن العراق قام باستخدام الأسلحة الكيميائية في النجف وشمال العراق. وخبر آخر أن هناك احتمال سقوط خانقين بصورة كاملة.

سألته: بيد المعارضة؟

أجاب السيد ولايتي: كلا، بل أن تستعيد الحكومة السيطرة. وكذلك بالنسبة للنجف الخبر مؤكد.

قلت: نحن نلتقط الاتصالات باعتبار كلها تأتي على اللاسلكي، قائد مجموعة عراقية في منطقة النجف طلب أمس صباحًا استخدام الغازات، طلب ذلك مرتين وبإلحاح، ولكن إلى الآن لم يأته الجواب، هل ترون من المفيد أن يجري اتصال بدول مجلس الأمن وتنبيهها لهذا الأمر؟

أجاب السيد حبيبي: هذا عمل مفيد وجيد.

قلت: إثارة الضجة حول الموضوع وصدور مواقف دولية قد يؤدي إلى لجم الحكومة العراقية من استخدام الغازات الكيميائية.

قال السيد حبيبي: نعم، هذا مفيد.

قلت: قبل أن نجري مثل هذه الاتصالات، من المفيد أن تعرف المعارضة العراقية أن هذا الأمر مطروح لأن هذا يؤثر على معنوياتهم.

وواصل السيد حبيبي حديثه قائلاً: الخبر الثالث أن المواد التموينية والقدرات الاقتصادية يتحمل الشعب والمعارضة ضغوطًا كثيرة في الداخل، يجب أن نفكر لو أن السعودية وتركيا لديها طرق لمساعدة المعارضة في الداخل بالمواد التموينية، فيجب أن تتحرك.

الخبر الرابع يتعلق بِكم كمعلومة، وصلتنا من وزارة الأمن لدينا أن هناك مجموعة من المعارضة السورية تتدرب في مقر باسم «القادسية» ويقع في غرب بغداد، وعدد هذه المجموعة خمسون شخصًا، والتدريب يشمل استخدام الهاون والـ«ر.ب.ج» والأسلحة الخفيفة. والتدريب يتم كل أسبوع من يوم السبت إلى الثلاثاء، من الساعة الثامنة صباحًا وحتى الثانية ظهرًا، وهناك ثكنتان في الرمادي وبعقوبة ولا ندري كم عددهم، هذه هي الأخبار التي لدينا فإذا كانت لديكم أخبار؟

قلت له: هناك موضوع أريد طرحه وأعتقد أن الوقت الملائم لبحثه الآن. لا شك أن من يملك سلاحًا إذا لم يستخدمه في الوقت المناسب قد لا يفيد في وقت آخر، نحن نعتقد أن كل ما يمكن أن يساعد في إنقاذ الشعب العراقي وإنهاء النظام العراقي يجب أن نقوم به، وهو الأهم الآن لأن مئات الآلاف من العراقيين الذين يقوم صدام بقتلهم نحن مسؤولون

عنهم أخلاقيًا، صدام يقتلهم لأنهم يتبنون سياسة صديقة لسورية ولإيران، هذا السلاح الذي نعتقد أن استخدامه الآن هو موضوع الرهائن، هذا الأمر نُوقش في الماضي وكانت تجري مناقشة مع الأخ فاروق، اتخاذ خطوة في هذا الأمر سيكون قنبلة كبيرة، طبعًا الوضع السياسي الآن لصالحنا، لصالح إيران ولصالح سورية ولصالح الشعب العراقي والشعب اللبناني، أعتقد أن مثل هذا العمل سيؤدي إلى حدوث تغييرات أساسية في مجرى الأحداث، هذه الفكرة أريد طرحها للمناقشة بصراحة بعد فترة قد نفقد قيمة هذا السلاح، وقد لا يفيد إطلاقًا فأتمنى أن نستمع إلى وجهة نظر الإخوة حول هذا الموضوع.

قال الشرع: طبعًا هناك اتفاق سابق بيننا.

أجاب السيد ولايتي: نعم.

فقال الشرع: ولكن أريد القول إن هذا الاتفاق حتى يصبح مفيدًا لنا وقابلاً للتطبيق، هو أن نقول إننا ساعدنا في الإفراج عن جميع هؤلاء الرهائن لأسباب إنسانية وفي الوقت نفسه نُبلغ الدول المعنية بالرهائن بأننا لا نضع شروطًا على الإطلاق ولكن نضيف ونقول لهم بكل وضوح إن إطلاق سراح رهائنهم يجب أن يعقبه إطلاق سراح المعتقلين اللبنانيين في السجون الإسرائيلية، سواءً في جنوب لبنان أو داخل السجون الإسرائيلية، بتقديرنا نحن يكفي أن نأخذ هذا التعهد بأنهم سيضغطون على إسرائيل لإطلاق سراح اللبنانيين بعد إطلاق سراح رهائنهم، نحن على قناعة أن هذا سيؤدي إلى النتائج التي نريدها جميعًا وأعتقد أن ما قاله الأخ عبد الحليم عن الفوائد السياسية، بتقديري أنها لا تُحصى بعملية إطلاق الرهائن.

قال السيد حبيبي: هناك موضوع أطرحه كسؤال مثلاً، إذا أطلقنا سراح الرهائن وبدون شروط، كيف نضمن، وما هي الضمانات، حتى يُفرَج عن السجناء اللبنانيين في السجون الإسرائيلية؟ نحن نقول نطلق سراحهم بدون شروط.

قال الشرع: سنقول إن الجمهورية الإسلامية الإيرانية وسورية ستعملان على إطلاق سراحهم لأسباب إنسانية، ونقول لهم أيضًا في الوقت نفسه إننا نريد منهم التزامًا بإطلاق جميع المعتقلين اللبنانيين، وفي مقدمتهم الشيخ عبيد لنفس الأسباب الإنسانية التي نعمل بها لإطلاق سراح رهائنهم، إيجابية هذه الصيغة لن يُفهم منها على أنها مقايضة وشروط بشروط، ولكن بتقديرنا ستؤدي إلى نفس النتائج التي نريدها.

قال السيد حبيبي: والتزامهم كيف سيكون؟

قال الشرع: سيُعبّرون لنا عند اتصالهم بنا وسنبلغكم بالتفاصيل.

قال السيد حبيبي: والمطلب الثاني وأنتم تعرفون مثلنا، بل أكثر منا، بأن الرهائن بيد الفلسطينيين، وعندهم مطالب وخصوصًا الفلسطينيين لديهم حساسية خاصة بالموضوع.

قلت: موجودون عند اللبنانيين، الذين كانوا عند الفلسطينيين أُطلق سراحهم، بصراحة ماذا يستفيد اللبنانيون من هذه المجموعة من الرهائن؟ سنة، اثنين، ثلاثة، وماذا بعد ذلك؟ ولكن من المؤكد أن خطنا في المنطقة ولا سيما الشعب العراقي سيحقق فوائد كبيرة جدًا، إذا كان العراقيون يقدمون الآن دماءهم ضد صدام فهم يستحقون أن يساعَدوا بهذا الطريق، بصراحة لو أردنا أن نضع يدنا على الرهائن لفعلنا لأننا نعرف أين هم، ومع من، والآن نستطيع أن نأتي بهم ولكن هذا الأمر لم نناقشه، ولا نريد أن نناقشه إطلاقًا لأسباب كثيرة، وأهم هذه الأسباب أن يكون ثمن إطلاق هؤلاء كبيرًا، ونعتقد الآن هو الوقت الملائم، طبعًا نستطيع أن نذهب إلى المكان ولكن قد يقتل الحاجزون والمحجوزون.. ولا نريد أن تقع مجزرة.

قال الشرع: خلال زيارتي لبريطانيا في الشهر الماضي، طرح وزير الخارجية هذا الموضوع، وأيضًا عندما اجتمعت بعدد من أعضاء مجلس العموم البريطاني، من كل الأحزاب؛ من المحافظين والمعارضة، طرحوا هذا الموضوع، أجبتهم بالجواب الذي اتفقنا عليه، نحن وإخواننا في إيران نبذل جهودًا حثيثة من أجلهم، لا إيران ولا سورية لهما علاقة مباشرة بالخاطفين، وقلنا لهم من خلال الأقنية التي يتم الاتصال بها أبلغنا بأنهم يريدون إطلاق سراح قائمة من المعتقلين الفلسطينيين واللبنانيين، مقابل ذلك كان جوابهم على الشكل التالي: أولاً، إنهم لا يستطيعون التكلم نيابة عن إسرائيل ولكن إطلاق سراح الرهائن يساعدهم في الضغط على إسرائيل بعد ذلك ويحرج إسرائيل ويكشف أن إسرائيل تمارس الإرهاب كدولة، هذه الجملة لم يقلها هيرد ولكن قالها لي أحد أعضاء مجلس العموم، ولكن الشيء الذي لَفَت نظري وانتباهي أنهم قالوا ما يلي: إن إيران لا تريد إطلاق سراح الرهائن، وهي تملك المفتاح في هذا الموضوع وأعطَوْني اسمين، اسم إيراني موجود في بريطانيا، واسم بريطاني موجود في إيران، ليست لديّ التفاصيل الآن ولكن المحضر موجود. قالوا إن إيران تريد تعقيد المسألة وليس حلها.

قال السيد ولايتي: الاسمان كوكبي، كوبيرت.

قال الشرع: نعم، بالطبع دافعت عن وجهة نظرنا المشتركة وقلت لهم غير صحيح بأن

لإيران علاقة بعملية الخطف، إطلاقًا، ومع ذلك ظلوا متمسكين بهذا، وقالوا إن سورية جادة بالموضوع وإيران غير جادة، أنا أنقل لكم ما جرى. الانطباع أن إيران هي التي تُعقّد موضوع الرهائن بقرار سياسي، ولا نعتقد أن لكم مصلحة في ذلك وبخاصة في هذا الظرف الدقيق، الأميركان لم نتحدث معهم بهذه التفاصيل، ولكن أبلغناهم ما كنا اتفقنا عليه سابقًا، وبصراحة لم يهتموا بإعطائنا جوابًا؛ لأن موضوع الرهائن لا نستفيد نحن ولا أنتم منه، هم يستغلون إسرائيل ضد مصالحنا السياسية والاقتصادية والمبدئية والغرب يريد أن يبقى على عدو في هذه المنطقة الحساسة فلماذا تكون سورية وإيران أو إيران بشكل خاص ضحية هذا التوجه الغربي؟ نحن بصراحة ليس علينا ضغوط من أجل ذلك كما كان في السابق.

قلت: نحن طرحنا مناقشة الموضوع صباح اليوم في ضوء التطورات التي تجري في العراق، ونتمنى أن يناقش هذا الموضوع في هذا الاتجاه، نعتقد أننا نقدم للعراقيين خدمة كبيرة على هذا الطريق.

قال الشرع: هم يريدون دائمًا إعطاء أنفسهم وجهًا إنسانيًا ويصوّرون وجوهنا أنها غير إنسانية، وأعطيكم مثالاً: في الأمس طلب السفير البريطاني موعدا عاجلاً معي لإبلاغ رسالة من هيرد من أجل أن أتحدث مع إخوتنا وزراء الخارجية العرب، وبشكل خاص وزير خارجية الكويت، حتى يكونوا إنسانيين مع الفلسطينيين في الكويت، هم يطرحون ذلك حتى يقولوا إنهم إنسانيون جدًا.

قلت: يُخشى أن يصبح موضوع الأسرى كأهل الكهف عندما استيقظوا وذهبوا ليشتروا الطعام فوجدوا أن عملتهم باطلة منذ زمن.

قال الشرع: القرار اليوم أو غدًا مهم، تأخيره لمدة أسبوع غير مفيد.

قلت: هذا يساعد، ونحن سنقوم باتصالات من أجل الوضع الداخلي في العراق كما اتفقنا في الأمس، هذا يساعد في حملة التعبئة.

قال السيد ولايتي: كونوا على ثقة أننا لا نعارض إطلاقًا إطلاق سراح الرهائن، وأقول لكم بصراحة نحن نعتبر موضوع الرهائن وِزرًا وحِملاً ثقيلاً على أكتافنا وأكتافكم والمنطقة، من أجل أن تعرفوا وجهة نظرنا بدقة – وجهة نظر الجمهورية الإيرانية الإسلامية – عندما كان سماحة الشيخ حسين فضل الله في طهران قال لهم الرئيس رفسنجاني أن يُطلقوا سراح الرهائن، والموضوع ليس كما يُظن بأنه عندما نقول لهم أطلقوا ويمكن أن تصدقونا أننا من

أجل إطلاق سراح الرهينة الأيرلندي فقد دفعنا ثمنًا باهظًا وعملنا قرابة ثلاثة أشهر، إنهم لا يسمعون كلامنا، لا يطيعوننا ولتتفضلوا وتروا أين يوجد الرهائن، وأطلِقوا سراحهم. وأنا أقول بصراحة، وبصورة رسمية، إذا كان بإمكانكم إطلاق سراح الرهائن فإننا لا ننزعج.

قلت للسيد ولايتي: ممكن ذلك، ولكن ستحدث مشكلة مع حزب الله، فضل الله لا علاقة له بالموضوع وتعرف ذلك جيدًا، ونعرف الجهة المولجة في الموضوع في حزب الله، نحن ليس لنا مصلحة في هذا الموضوع وإلا لكنا أخذنا إجراءات منذ سنوات.

ثانيًا لا نريد أن نُربك حزب الله، حزب الله حزب حليف وإلا كنا نستطيع فعل أي شيء. حقيقة لا نريد استخدام أي شكل من أشكال القوة ضد أناس نعتبرهم حلفاءنا.

قال السيد ولايتي: استنادًا إلى ما لدينا من معلومات، أن المجموعة المشرفة في إدارة حزب الله لا علاقة لها بهذا الموضوع أساسًا، يمكن أن يكون في حزب الله أشخاص لهم علاقة بهذا الموضوع، ولكن هذا ليس قرار حزب الله، نحن في الحقيقة ـ وبالتفصيل ـ لا نعرف الأشخاص المتورطين بهذا الموضوع بدقة، نحن لا نعرف الكثير من التفاصيل عن حزب الله، وإذا كان بالإمكان مساعدتنا في تعيين الأشخاص الذين لهم علاقة بالموضوع، وحقيقة ليست لدينا القدرة على ذلك، وليس لدينا القدرة لنقول لهم أطلِقوا فيطلقون، نحن ننصحهم فقط.

قلت: على كل حال الجيش اللبناني سينتشر في إطار تعزيز الأمن في بيروت خلال أيام في الضاحية، وخلال عملية الانتشار قد يتم الوصول إلى بعض الرهائن لأنهم ليسوا في مكان واحد، ولكن نحن متأكدون أن قيادة حزب الله إذا اتخذت قرارًا جديًّا تستطيع أن تضبط الأمر.

قال السيد ولايتي: أنا مُطّلع، وإذا كنتم تعتقدون هكذا، فذلك يعني أنكم لستم مُطّلعين.

قلت له: حزب الله لديه تنظيمات متعددة، فرعية، بديلة، ولكن كلها تعمل في إطار واحد.

السيد ولايتي: نعم، أقول حزب الله يعني الشيخ صبحي والمجموعة التي معه، مجلس الشورى في حزب الله لا علاقة له بالموضوع، مجلس الشورى ليس له سيطرة على هذا الفرع، والرهائن موجودون بيد من ليس لمجلس الشورى سيطرة عليهم، لأنه لو قال لهم أفرِجوا فإنهم لا يفرجون، أنا أعرف الموضوع بصورة مؤكدة وأعرف أن هذه المجموعة القيادية في حزب الله منزعجة من موضوع الرهائن لأنهم لا يحصلون على أي منافع.

قال الشرع: لدّي اقتراح، إذا كان الكلام دقيقًا ونحن لا شك نصدق الدكتور ولايتي، طالما حزب الله منزعج من ذلك، إذن نحن سورية وإيران وحزب الله يأخذون قرارًا ويحددون تاريخًا، على الأقل حزب الله يستطيع أن يخفف الخسائر.

قال السيد ولايتي: تعرفون بعض هؤلاء بقيادة حمادة، وأنا مؤخرًا كنت في ألمانيا وتحدث غينشر معي حول هذا الموضوع، حقيقة اختيار الأشخاص ليس لدينا وإلا نحن تحت ضغوط كثيرة من قِبل ألمانيا وبريطانيا وغيرهما، نحن لا نستطيع أن نضغط على حمادة لأن اثنين من العائلة معتقلان في ألمانيا، نحن نقلنا للألمان بأن ما نفهمه بأن الموضوع هو موضوع عادي، اثنان منهم عندكم وهم اعتقلوا اثنين منكم، نحن أرسلنا لوالد الشخصين وبدأ يشتمنا ويقول: أنتم أرسلتم كذا وكذا، حتى السفير الألماني جاء إليّ وقلت له: عباس لا يوجد ضده أي جريمة فلو أنكم تفرجون عنه، وعباس مقيم في ألمانيا، هم لا يوافقون على أن يحاكموا.

قال الشرع: لديّ اقتراح، إذا سمحت موضوع حمادة نتركه جانبًا ونتكلم عن بقية الرهائن، إذا تمكّنا من الحصول على تعهد رسمي غير معلن من الجانب الأميركي والبريطاني أنه خلال شهر من تاريخ إطلاق سراح رهائنهم سيتم الإفراج عن المعتقلين في إسرائيل، وهناك قائمة بأسمائهم، وفي هذه الحالة هم يُجرون اتصالات، نحن لم نبحث الموضوع معهم إطلاقًا، ولكن إذا كنتم توافقون نستطيع أن نبلغهم هذا الكلام حتى يجروا الاتصالات لإعطائنا التعهد ويكون هذا التعهد سِريًّا لأنهم لا يستطيعون القول إنهم أطلقوا بشروط بأي شكل من الأشكال، ولكن ربما باتصالهم مع إسرائيل يأخذون هذا الكلام.

قال السيد ولايتي: نحن نقول لكم بصراحة، نحن لا نطالب بأي شيء في مصلحتنا وحتى بالنسبة لموضوع الأموال التي كنا نتحدث عنها، نحن نقول لكم سنسعى أو نحاول بشيء تجاه هذا الموضوع، نحن لسنا بحاجة ولا نريد أي محاولة حتى في هذا الموضوع، موضوع المال، فقط بالنسبة لمصالح اللبنانيين إذا حصلت هذه المصالح للبنانيين فإننا ننسى كل شيء.

قال الشرع: هذه هي مصلحة اللبنانيين، هل تقبلون ذلك؟

قال السيد ولايتي: نحن نسعى ونحاول بكل جدية.

قال الشرع: نحن لن نطرح على الآخرين أي شيء قبل أن نأخذ كلامًا منكم بأنهم سيطلقون سراحهم، وخلال شهر من تاريخ إطلاق السراح يجب أن يتم إطلاق سراح اللبنانيين الموجودين في القائمة.

قال السيد ولايتي: حسب القائمة هناك معتقلون فلسطينيون ولبنانيون.

سألت: الفلسطينيون الذين أخذوهم من لبنان؟

أجاب السيد ولايتي: نعم الذين أخذوهم من لبنان.

قلت: لأن هناك نوعين من الفلسطينيين، هناك فلسطينيون أُخذوا من لبنان وهناك فلسطينيون قاموا بعمليات فوق الأراضي اللبنانية وليس في البحر. لأن هناك فلسطينيين موقوفون، مثلاً جماعة أبو العباس الذين قاموا بعملية في تل أبيب، مستحيل أن يُطلق سراحهم (مازحًا) وإلا فعلاً نظهر وكأننا وراء أبو العباس.

سأل الشرع: إذن متى نأخذ الجواب؟

قال السيد ولايتي: لا نستطيع أن نقول متى نجيب، نحن نسعى ونحاول.

فقال الشرع: بتقديري هذا الوقت أنسب وقت.

قال السيد ولايتي: نعم، ونحن بالتأكيد لسنا سعداء فيما يتعلق بأمور الرهائن.

قلت: الحقيقة الأمر مسيء لنا كمسلمين، الحملة على الأصولية الإسلامية من أين أتت؟ من هذه الأعمال.

* * *

الجلسة المغلقة بين السيد نائب رئيس الجمهورية الأستاذ عبد الحليم خدام والدكتور حسن حبيبي، بحضور وزيري خارجية البلدين بتاريخ ٨/ ٣/ ١٩٩١.

قال السيد ولايتي: **المطلب الأول** بالنسبة للعراق نقول بصراحة حول موضوع التحرك داخل العراق فإن الشعب يتحرك وإذا لم تتمكن المعارضة من الحصول على المساعدات خلال يوم أو يومين ستسقط لأن الناس لا تستطيع أن تقاوم، ونعرف بأن خانقين وطبعًا هذه المدن كانت بأيدي المعارضة، ومعلومات أمس التي قدَّمها الدكتور حبيبي للسيد الرئيس هي معلومات دقيقة ورأيتم أمس وزير الدفاع الأميركي كان يقول إن ١٢ مدينة هي بيد الشعب، وهذا يدل على عدة أمور: كيف يمكن للقوات الأميركية عدم معرفة البصرة بيد من؟ ومع ذلك يقول إنها بيد الحكومة، كانوا يتوقعون ألا تبقى البصرة يومًا واحدًا بيد المعارضة وأخيرًا اضطروا لإعلان الخبر الصحيح بأن البصرة لم تسقط، ولذلك يمكن أن تُشاع الأخبار الكاذبة، وفي نهاية الخبر يقول تشيني إن القوات الحكومية تستعيد تدريجيًا

سيطرتها، وهذا يُظهر لنا أن علينا ألا نكون متفائلين بوجهة نظر أميركا لسقوط صدام، وهذا يعني أن هناك اتجاهات مختلفة في أميركا حول سقوط صدام، وأقول لكم حسبما أبلغتنا به المعارضة العراقية الموجودة في البصرة بأنهم اجتمعوا مع الأميركان وطمأنوهم بأن تحركهم لا يتعارض مع الأميركان وإنهم لا يعارضون الوجود الأميركي، لقد التقوا بهم عدة مرات ومع ذلك هم لا يتجاوبون مع المعارضة ورغم أنهم يعرفون هذا الموضوع يتحدثون بشكل آخر، هذا يعني أن الموضوع بحاجة للعمل كثيرًا، تحليلنا بالنسبة للأخبار والأكاذيب التي تُشيعها إذاعة لندن بالنسبة لوضع المدن العراقية يدلنا على أن بريطانيا موقفها في استمرار صدام، يريدون بقاء صدام أكثر من أميركا، وإذاعة مونتي كارلو كانت تُشكك في سيطرة الحكومة على المدن ومن قبل استمرت بالتشكيك، حتى باقي الدول الغربية صححت كلامها بالنسبة للوضع في العراق، وهذا يدل على موقف حكومة فرنسا وكيفية تعاملهم معنا وكيفية نشر الأخبار تفهمنا الوضع.

المطلب الثاني: نحن وإياكم والسعودية - بحكم علاقاتها الحسنة معكم - يجب أن نقوم بتقديم المساعدات المختلفة للشعب العراقي، مثلاً بالنسبة للرمادي والتي تسيطر عليها المعارضة فإن تقديم المساعدات لها لا يمكن أن يتم إلا عن طريقكم، لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريقكم، أما النجف فلا بد أن تأتي المساعدات إليها عن طريق السعودية لأنها الأقرب، لو أن هناك قرارًا بالمساعدة يمكن أن نقدم للبصرة والعمارة المساعدات. الأكراد نحن وإياكم نقدم لهم المساعدات، بالنسبة للبرزانيين نحن نقدم لهم المساعدات وعلى ما يظهر أنهم لم يعملوا شيئًا بينما الطالباني عمل، الجميع يريدون المال والتموين والسلاح، نحن من جهتنا مستعدون لحَمْل الحِمْل ولكن إيران غير قادرة على تحمُّل كل الحِمْل، نحن متفقون تمامًا على أنه من الواجب تطمين السعودية والآخرين، السيد بشارتي سيذهب إلى السعودية وأنتم لكم اتصالاتكم مع وزراء الخارجية العرب، ومع بيكر وخلال لقاء السيد فاروق الشرع مع الوزراء العرب وبيكر تستطيعون أن تنقلوا إليهم كل ما أعطيناكم من معلومات وكل ما تحدثنا عنه، الدكتور حبيبي سيذهب إلى تركيا وسينقل للأتراك ما تحدثنا حوله، ولعلّي أنا أو مبعوث آخر سيقوم بجولة للمنطقة.

قلت: بالنسبة للمساعدات، المناطق المتاخمة لنا سنقدم لها المساعدات الممكنة من تموين وسلاح، وسنرى كيف نؤمِّن المساعدات للرمادي وللمناطق القريبة منها.

بالنسبة لموضوع مساعدة الأكراد فإننا سنقدم لهم في الحدود الممكنة، لقد تحدثنا مع السعودية وسنتحدث معهم حول هذا الموضوع مرة أخرى.

بالنسبة للوضع السياسي – وكما أشار السيد الرئيس – فإننا لا نلتقي في الخط السياسي مع الغرب، نلتقي معه في نقطة الاجتياح العراقي وإسقاط صدام.

يجب أن ندرك أهمية العراق بالنسبة لسورية ولإيران، ولهذا سنقوم بأي اتصال ممكن، الأهم هو إسقاط صَدَّام حسين، متى سقط التعويض سيكون كبيرًا ومن هنا ننظر إلى بعض المسائل الجانبية التي يمكن أن تساعدنا في تحقيق هذا الهدف، هناك موضوعان نريد أخذ صورة عنهما:

- مهمة سعدون حمادي إلى طهران.
- عدد الطائرات العراقية الموجودة في طهران وأنواعها إذا أمكن، وفي أي ظروف يمكن الإفراج عن هذه الطائرات.

قال السيد ولايتي: مهمة سعدون حمادي الأساسية التي جاء من أجلها، التحرك الشعبي في العراق، وقال لي نحن إذا أردنا الحرب نحارب وإذا أردنا الصلح نُصالِح، وقال أنتم لم تبيّنوا موقفكم، هل تريدون الحرب أم الصلح؟ لماذا تساعدون المتمردين وأنتم تعلمون أن هؤلاء ليسوا بشيء ولا يُشكّلون خطرًا وسُيقضى عليهم وحكومتنا باقية.

قلت له إنك تقول نفس الكلام الذي تقوله وكالات الأنباء، الوكالات تقول إن إيران وراء الموضوع، وأنت تقول الشيء نفسه، نحن نطالبكم ونقول لكم إذا كانت لديكم أي معلومات أو مستند رسمي للتدخل الإيراني فلتعطونا إياه. قلت له إن إيران أصدرت تصريحات علنية تؤكد من خلالها حرصها على وحدة الأراضي العراقية.

قال سعدون: أنتم تعرفون إذا تجزأ العراق فلن ترتاحوا من نتائج التجزئة وسوف تُجزؤون أنتم أيضًا. هذه هي مهمة سعدون حمادي الأساسية كما قال.

ولكنه أشار إلى مواضيع أخرى، قال أنتم بقيتم حياديين ولم تلتحقوا بنا بموضوع الكويت، قلت له أنتم لم توافقوا على إطلاعنا على مبادرة غورباتشوف الميتة، ولم تكونوا جاهزين لإطلاعنا عليها، وأنا سألت طارق عزيز ما هي مبادرة غورباتشوف؟ قال لا شيء، يقول انسحبوا من الكويت وبعد ذلك ذهب إلى موسكو وأعلن الموافقة على المبادرة المؤلفة من ثماني نقاط، والمبادرة كانت ساقطة، ولذلك في نفس الليلة أعلن السوفييت عن مبادرة مؤلفة من ست نقاط وتنازلتم أكثر، قلت له نحن وسائر الدول الصديقة طلبنا منكم الانسحاب من الكويت ولم تستمعوا لكلامنا، والأميركيون ضغطوا عليكم بالقوة وانسحبتم بالقوة، ما

عملتموه هو أنكم جلبتم نصف مليون جندي أميركي ورميتم على إسرائيل بضعة صواريخ وسببتم لها مساعدات كبيرة.. إضافة إلى التعاطف العالمي معها.

قلت له أنتم أرسلتم طائراتكم إلينا وخلقتم لنا مشكلة من جرّاء ذلك، وقلت له إن راشد العبد الله استدعى سفيرنا في الإمارات العربية، وقال له نحن نخاف ونخشى أن تُستخدم هذه الطائرات ضدنا من خلف الخطوط، قلت له لقد ساعدناكم بالمواد الطبية والتموينية وفي الطائرات، وعوضًا عن شكرنا تعاتبوننا.

وقال السيد حبيبي: أما فيما يتعلق بالطائرات عندما كنتم تغادرون طهران شرحنا وتحدثنا إليكم عن وصول الطائرات المدنية الموجودة في مطار طهران، ونحن في الوقت نفسه واستنادًا إلى القوانين الدولية قمنا بحجزها، بعد مغادرتكم طهران مباشرة وصلت أول طائرة عسكرية إلى إيران، مجموع ما وصل من الطائرات ٢٢ طائرة وصلت سالمة، وهناك مجموعة أخرى انفجرت في السماء أو احترقت وبعضها وصل إلى الأرض واحترق، إحدى الطائرات هبطت على طريق سيارات نهاوند.

إحدى المشاكل أن الطيارين لم يكونوا يعرفون إيران وخرجوا بدون خارطة ولذلك البعض منهم هبط في الصحراء والبعض هبط على الطرق العامة وإحدى الطائرات لم يسمح لها بالنزول، حاول العودة إلى العراق ولم يستطع ذلك فعادت وسقطت قرب مدينة بختران، نحن لم نسمح لهم بالهبوط إلا في حالات الطوارئ.

سأل الشرع: لماذا أرسلوا هذه الطائرات؟

قال السيد حبيبي: سألنا بعض الطيارين، بعضهم قال لم نكن نعرف ماذا نعمل وإلى أين نذهب، وأنه مرة واحدة أبلغوهم من القيادة بأن يقلعوا ويذهبوا إلى إيران، ولكن عندما سألنا طارق عزيز لماذا اتخذتم هذا القرار؟ وكان الرئيس رفسنجاني اعترض عليهم بلهجة شديدة وقال أنتم خلقتم لإيران مشكلة، مع أن عزت إبراهيم كان قد أبلغنا سابقًا بأننا في الأخير سنلتحق بهم وسننضم إليهم، واستنادًا إلى ما سمعناه من كلام كان تحليلنا أنهم بإرسال هذه الطائرات أرادوا إخراجنا من الحياد، وفي الوقت نفسه أبلغنا من قبل السفارة السويسرية حول الطائرات، وأبلغناهم اعتراضنا على تجاوز الأجواء الإيرانية من قِبل قوات الحلفاء، ولهذا أول طائرة حطّت في إيران أعلنا عن احتجازها وأبلغناهم أيضًا أنه إذا لجأت طائراتكم إلى إيران فلن نعيدها إلا استنادًا إلى القانون الدولي، ولقد أبلغنا هذا لطارق عزيز وقال بأنه لا يعارض ذلك.

يظهر أن العراقيين بعملهم هذا أرادوا أن يحافظوا على طائراتهم وحسب معلوماتنا أن بعض الطائرات العراقية ذهبت إلى الهند.

* * *

بعد الانهيار العسكري العراقي وانسحاب القوات العراقية من الكويت وقمع الانتفاضة الشعبية، بصورة مخيفة، ومقتل عشرات الألوف من العراقيين بأيدي رجال السلطة، كان من الطبيعي أن يتم لقاء قمة إيراني - سوري، فجَرَت اتصالات بين دمشق وطهران، تم الاتفاق خلالها على زيارة يقوم بها الرئيس الإيراني في السابع والعشرين من نيسان ١٩٩١، كما أبلغنا الجانب الإيراني أن الرئيس رفسنجاني سيزور تركيا أيضًا.

وصل الرئيس الإيراني إلى دمشق في السابع والعشرين من نيسان ١٩٩١ وجرى له استقبال حافل، وكان يرافقه عدد من الوزراء وأعضاء مجلس الشورى.

وفي المساء عُقدت الجلسة الأولى من المباحثات، وتركز الحديث حول احتمالات السلام في المنطقة في ضوء نتائج حرب الخليج، والمواقف العربية ولا سيما موقف منظمة التحرير الفلسطينية، وكانت وجهات النظر متفقة على أن عرفات يتبع سياسة انهزامية مدمرة للشعب الفلسطيني ولقضيته.

وأكد الرئيس حافظ الأسد موقفنا من أي مشروع للسلام، كما أكد على ثوابت الموقف السوري؛ وهي الانسحاب والحقوق الوطنية الفلسطينية، وجرى حديث طويل عن دور عرفات ومواقفه الفلسطينية والعربية ومنها موقفه خلال الحرب العراقية - الإيرانية.

ثم انتقل الحديث عن لبنان وتحدث الرئيس حافظ عن الخطوات التي اجتازها لبنان فرد الرئيس الإيراني أن الأمور تجري في لبنان بشكل حسن بتوجيهات سورية وهو يؤيد الموقف السوري وليس لديهم ملاحظات.

ثم تحدث الرئيس الإيراني عن الوضع في العراق وعن المفاوضات بين الجبهة الكردية والحكومة العراقية، وشرح زيارة مسعود برزاني لطهران ولقاءه مع وزير الأمن الإيراني.

قال الرئيس رفسنجاني: كان مسعود في وضع نفسي سيئ ويائس، إذ تحدث عن الجرائم التي ارتكبتها قوات الأكراد ضد العرب في المناطق الكردية وأنه يخجل من نفسه، وأنه يتمنى لو لم يكن كرديًا ولا يدري كيف تحولت جماعته إلى هذا الوضع، رغم أنه علَّمهم خلال عشرين عامًا مبادئ الأخلاق والوطنية ولكنهم تحولوا فجأة إلى النهب والسلب والقتل، كما

عبَّر مسعود عن يأسه بسبب عدم تقديم المساعدات له، لذلك ليس أمامه سوى التفاوض مع صَدَّام حسين، وأنه لسوئه أفضل من غيره في العراق، كما عبر مسعود عن رغبته بالاستقالة، وعندما نوقش مسعود حول التواجد الأميركي في المنطقة العربية، أجاب أنه غير مستعد لعمل أو قول شيء وأنه بقي في المنطقة حتى لا يُتهم بالهرب، وعندما سُئل مسعود عما يريد فعله في المستقبل قال أنا نادم على ثلاثين سنة من عمري وعلى التضحية من أجل أناس ليسوا من بني البشر. وأنه قرر منذ الآن وصاعدًا عدم التدخل في الأوضاع مع العلم أن الأكراد فَرِحون بقدوم الأميركان، وعندما سئل عن المفاوضات مع بغداد، قال لم نصل إلى شيء نهائي ولكن ظروفنا فرضت علينا التفاوض، وأنا لن أعمل شيئًا وأشارك فقط لأني قائد القوات الكردية، ولو لم تكن لي هذه الصفة لما ذهبت للتفاوض.

وبالمناقشة كانت وجهات النظر السورية والإيرانية حول المفاوضات الكردية مع الحكومة العراقية أنها جاءت وليدة الظروف التي مر بها العراق، وإذا نجحت هذه المفاوضات فستضعف المعارضة العراقية وسيقوى نظام الحكم في بغداد.

تم استعراض وضع المعارضة العراقية والظروف التي مرت بها والوضع الداخلي في العراق، وضرورة تشكيل قيادة جديدة للمعارضة العراقية تسهم فيها القوى بما في ذلك القوى التي لها علاقة مع السعودية، كما يجب الأخذ بالاعتبار رأي تركيا وذلك دفعًا لمطامعها من جهة، وحتى لا تتورط باتفاق مع صَدَّام حسين من جهة ثانية.

وصباح اليوم التالي عَقَد الجانبان جلسة المباحثات الثانية، وتابعا النقاش حول العراق ووضع المعارضة العراقية.

تحدث الرئيس الإيراني فقال: نحن نؤيد تشكيل مجلس شورى بحيث يجذب الإخوة في السعودية ومصر وسورية وإيران ويجذب رضاهم وثقتهم، ويتولى هذا المجلس قيادة المعارضة العراقية.

فرد الرئيس حافظ نحن بالبدء أردنا تطمين الجميع، وأردنا مشاركة الجميع، ولذلك من المفروض تشكيل قيادة تضم الجميع.

وتحدث الرئيس الإيراني عن لقائه بوزير خارجية السعودية، الأمير سعود الفيصل حيث جرى نقاش حول الوضع في العراق ووضع المعارضة وضرورة مساندتها فوعد السعودي بدراسة تشكيل لجنة ثلاثية سعودية - سورية - إيرانية، فوعد سعود بدراسة الاقتراح وتمنى

على الرئيس الإيراني دراسته مع سورية لأنهم يُنسقون مع دمشق، كما تحدث سعود عن قلق الملك فهد من الاتصالات الجارية بين صَدَّام حسين والجبهة الكردية.

وقد أجابه الرئيس حافظ أننا سنتحدث مع السعودية حول الموضوع، وتابع الرئيس الإيراني حديثه عن المعارضة العراقية وعن النصح الذي أسداه للسيد محمد باقر الحكيم قبل مؤتمر بيروت بضرورة إشراك السعودية وأنه فوجئ عندما لم يحدث ذلك.

ثم تحدثت عن ضرورة وضع قواعد واضحة وذلك بسبب احتمال بروز عوامل جديدة قد تفيد النظام العراقي، وإذا نجح صدام بعقد اتفاق مع الأكراد فإن اتجاه تطور الأحداث سيتغير وسينشأ وضع مذهبي في العراق، قد تتأذى المنطقة كلها منه.

وقال: إن صَدَّام حسين مستعد لتقديم تنازلات كبيرة لأي جهة تمده بإمكانية البقاء ولا سيما لتركيا، ونحن لا نستطيع الاعتماد على حُسن نوايا الأتراك، لذلك اقتراح أن يطرح رئيس جهاز الأمن السوري مع رئيس جهاز الأمن السعودي الأمير تركي فكرة العمل الثلاثي، ثم يجري الاتصال بالملك فهد وبذلك يكون أمام السعودية بعض الوقت لدراسة الاقتراح، وهم بالتأكيد سيدرسونه مع الأميركان. فرد الرئيس الإيراني، جيد، يطرح رئيس جهاز الأمن السوري الموضوع مع زميله السعودي ونحن سنتحدث مع الأتراك، كما نتحدث نحن وإياكم مع الأكراد، حتى لا يوقّعوا مع صدام نهائيًا وسُنطلعكم عبر سفيركم عن نتائج اتصالاتنا مع الأتراك.

ثم طرح الرئيس الإيراني السؤال التالي: ألا ترون أنه من المفيد أن نعلن عن مباحثات إيرانية ـ عراقية لتسوية المشاكل القائمة بين البلدين، وبذلك نقوم بمناورة أمام العالم الخارجي، ألا يؤدي ذلك إلى تحرك أفضل تجاهنا؟

فأجبته: بالعكس في هذه الحالة ستدفعهم باتجاه صدام وإعادة التعامل معه.

فرد الرئيس الإيراني: وقد تدفعهم هذه الحركة باتجاهنا.

فأجبته: ممكن أيضًا.

وهنا سأله الرئيس حافظ: لمن توجه المناورة؟ فأجاب الرئيس رفسنجاني للعالم الخارجي، فرد الرئيس قد تدفع هذه المناورة الأكراد للاتفاق مع صَدَّام حسين.

وهنا تدخل الدكتور ولايتي معارضًا المناورة، ومؤكدًا على سلبياتها، تحدث الرئيس رفسنجاني عن أهمية مساندة المعارضة وتقديم الدعم والمساندة لها لوصولها لهدفها المنشود،

وسأل الرئيس حافظ إذا كانت سورية تسمح للمعارضة بالاستفادة من الحدود السورية مع العراق؟

أجابه الرئيس، نوافق وعندما تقع أحداث في مجمل العراق يمكن المساعدة في المناطق المجاورة لنا؛ فإن صدام في وضع غير صعب لأسباب مذهبية، لذلك كانت المنطقة آمنة بالنسبة له خلال الانتفاضة. فرد الرئيس الإيراني هاشمي رفسنجاني إذا وضعنا برنامجًا لدعم المعارضة تكون حدودنا وحدودكم وحدود السعودية مفتوحة، ولا بد من وضع برنامج تنفيذي لكيفية تقديم المساعدات.

تدخلت بالحديث وطلبت الاتفاق على منحى الحديث السوري والإيراني مع الأكراد، فوافقني الرئيس حافظ وقال: إذا لم يكن هناك حديث واحد فقد يختلفون ويستفيد صدام من ذلك.

وتم الاتفاق على الحديث معهم بعبارات عامة مع التأكيد على الطلب منهم عدم التورط بالتوقيع مع صَدَّام حسين.

وهنا سأل الرئيسُ الإيراني الرئيس حافظ فيما إذا كانت سورية توافق على الحكم الذاتي للأكراد؟ فأجاب: في السابق كنا ضد هذه الفكرة، ولكن في أوائل السبعينيات وافقنا على الفكرة في المؤتمر القومي للحزب، وقد طرحها العراقيون، ونحن كنا نقول للعراقيين ولكل الناس عندما يكون النظام عادلاً لكل الناس فلا حاجة لإثارة مشكلة كردية أو غير كردية، لكن الأحزاب العراقية من كل الاتجاهات أيدت فكرة الحكم الذاتي وفهمنا أن مجلس الحكم الذاتي سيكون مسؤولاً عن الأمور المحلية علمًا بأن المنطقة الكردية ستكون خاضعة للقانون العراقي وللحكومة العراقية، ونحن لم نناقش التفاصيل، لكن أي شكل من الأشكال يؤدي إلى الانفصال نحن لا نؤيده.

فرد الرئيس الإيراني: ونحن أيضًا لا نؤيد الانفصال، ورأينا إذا قامت حكومة حرة في بغداد لا حاجة للحكم الذاتي، وهل توافقون على عدم تأييد الحكم الذاتي خلال حديثي مع الأتراك؟

أجاب الرئيس حافظ: الأمر متعلق بقرارات الحزب، ثم سأل الرئيس الإيراني عن عدد الأكراد في سورية، فأجابه الرئيس: ليس لدينا تجمعات كردية، لدينا عدد من الأكراد هاجروا من تركيا والعراق على الحدود السورية ـ التركية ـ العراقية، وهناك أكراد في بعض المناطق السورية.. ولكن المجموع لا يتجاوز مائتي ألف نسمة.

ثم جرى الحديث مرة أخرى عن الوضع الفلسطيني وضرورة مساندة المعارضة الفلسطينية التي تقف في وجه سياسة عرفات الانهزامية.

وبتاريخ الرابع من أيار ١٩٩١ أرسل سفيرنا في طهران الرسالة التالية:

بناءً على تكليفكم إياي السفر إلى طهران لمقابلة الدكتور علي أكبر ولايتي وزير خارجية الجمهورية الإسلامية في إيران، ونقل رسالتكم الشفهية إليه واستلام رده عليها، يُرجى أخذ العلم أنني قابلت الدكتور ولايتي الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ٣/ ٥/ ١٩٩١ في مكتبه في الوزارة، وقد أجابني بالآتي:

١ ـ لقد نُوقشت الأوضاع في العراق مع الجانب التركي وتركز النقاش حول مسألتين اثنتين هما: مستقبل الحكم في العراق والمسألة الكردية، وكان التفاهم تامًّا بين الرئيسين الإيراني والتركي حول ضرورة التخلص من صَدَّام حسين وإزاحته من الحكم في العراق كلية.

وقد رأى أنه من أجل الوصول إلى تحقيق هذا الهدف لا بد من:

(أ) متابعة مسألة المطالبة بتقديم صَدَّام حسين إلى المحاكمة لمحاكمته كمجرم حرب، وضرورة مساندة وتشجيع المجتمع الدولي ودعم الرأي العام الدولي المهتم بهذه الفكرة بغية وضعها موضع التطبيق الفعلي.

(ب) الاستمرار في فرض الحصار الاقتصادي على النظام العراقي وبذل كافة الإمكانيات لاستبقاء هذا الحظر مفروضًا وعدم رفعه عنه بسهولة.

٢ ـ كان الرئيسان الإيراني والتركي متفاهمين ومتفقين حول ضرورة قيام نظام ديمقراطي شعبي في العراق بمشاركة جميع فئات الشعب العراقي على مختلف انتماءاتها العِرقية والمذهبية، وأن يتم ذلك بالتنسيق مع الأمم المتحدة والاستعانة بمساهمتها في هذا السياق، وقد انطلق الرئيسان في تصورهما لمستقبل العراق من حلّين: أحدهما يتمثل بإقامة حكومة مركزية ذات برلمان منتخب مباشرة من الشعب ومشاركة جميع أبنائه، وثانيهما إقامة حكومة فيدرالية، إلا أن الرئيسين أَوْلَيا اهتمامهما للحكومة المركزية المستندة على برلمان منتخب من الشعب واستبعدا الحل الثاني المتمثل بإقامة فيدرالية لعدم قناعتهما بجدوى هذا الحل.

٣ ـ لقد لمس المسؤولون الإيرانيون أن الأتراك جادّون في معارضتهم لصَدَّام حسين، وكذلك يعارضون بشدة فكرة قيام حكومة كردية في شمال العراق سواءً كانت هذه الحكومة على صورة حكم ذاتي أو على شكل حكومة مستقلة.

٤ ـ أجاب الأتراك حول مستوى وحجم التدخل الغربي القائم حاليًا في شمال العراق أنه تم بناءً على رغبة منهم، وبضغط مارسوه على دول الغرب للتدخل ومعالجة وضع اللاجئين الأكراد المندفعين باتجاه الحدود التركية، وبهدف تأمين عودة هؤلاء اللاجئين إلى مُدنهم وقُراهم داخل العراق، بعد تأمين الحماية الضرورية لهم، وهم يعتقدون أن تدخل الغرب بالمستوى القائم حاليًا لا يشكل أي خطورة.

٥ ـ لقد شجع الإيرانيون الحكومة التركية على استمرار إغلاقها أنبوب النفط العراقي المار عبر أراضيها، كإحدى وسائل الضغط الواجب ممارستها ضد نظام صَدَّام حسين، وقال الدكتور ولايتي: لا يمكننا أن نستنتج أن الجانب التركي رحّب كثيرًا باقتراحنا هذا، لكن لا يبدو عليهم أنهم مهيأون حاليًا لفتح الأنبوب بالسرعة المتوخاة، وقد شجعناهم على إطالة أمد ذلك حيث حاولنا إقناعهم أنه طالما متفقون على ضرورة التخلص من صدام فلا بد من الاستفادة من كافة أنواع الضغوط المتاحة لممارستها بهدف إسقاطه، وممارسة الضغط الاقتصادي، يأتي في المقدمة، واستمرار إغلاق أنبوب النفط من أنجع الوسائل المستخدمة لتضييق الخناق عليه وعدم شعوره بالارتياح إطلاقًا.

٦ ـ طلب مني الدكتور ولايتي في ختام حديثه نقل التحيات الصادقة المقرونة بالشكر والامتنان إلى السيد الرئيس حافظ الأسد وإلى جميع الإخوة المسؤولين في سورية الشقيقة على حُسن الاستقبال والحفاوة التي لقيها الرئيس رفسنجاني ومرافقوه خلال زيارتهم إلى سورية حيث كانت الزيارة جدًا موفقة وناجحة وتمثلت أصداؤها في وسائل الإعلام العالمية والإقليمية بشكل بارز، وهم يتطلعون دومًا في علاقاتهم مع سورية إلى الارتقاء بها إلى أسمى المستويات وأفضلها.

وبتاريخ ٢٠/١/١٩٩٢ عقدت الهيئة العليا اجتماعها في طهران وأقرت جدول الأعمال.

في الجلسة الأولى ناقشت الهيئة الوضع الدولي، ثم عقدت جلسة مغلقة ضمت عن الجانب السوري إلى جانبي السيدين فاروق الشرع وزير الخارجية، وأحمد الحسن سفيرنا في طهران، وعن الجانب الإيراني السادة: حسن حبيبي، والسيد ولايتي، والسيد محمد خنساري للبحث في الوضع العراقي.

وقد بدأت فقلت: في إطار التطورات التي تجري في المنطقة، بصورة خاصة في هذه المنطقة، يصبح الوضع في العراق أكثر حساسية وأكثر دقة، يعني نحن نعتقد أن أهداف أميركا الأساسية الآن إيجاد اتصال جغرافي وسياسي واقتصادي بين تركيا ودول الخليج.

فقال السيد ولايتي: يعني بين الدول العربية في الخليج؟

فأجبته: نعم، وهذا الأمر يتطلب أن يقوم في العراق نظام في هذا الاتجاه لعدة أهداف رئيسية، منها ما يتعلق بسورية، ومنها ما يتعلق بإيران، والمهم ما يتعلق بإسرائيل، لأن إسرائيل تبقى إحدى الركائز الأساسية للغرب في المنطقة. في الوقت نفسه يريد الأميركان قيام نظام في العراق على شاكلة النظام الحالي، أي بأن يقوم ضابط بانقلاب عسكري في بغداد ويحافظ على هيكلية النظام الحالي ولكن بدون صَدَّام حسين.

وبرأينا لو تم هذا الأمر سيشكل مخاطر كبيرة على إيران وعلى سورية، وسيرافقه محاولة تطويق إيران من الشرق والشمال عبر الجمهوريات الإسلامية، وتركيا ومصر فيما أعتقد والسعودية أيضًا، وستقوم هذه الدول بأدوار متكاملة لتحقيق هذا الهدف.

برأينا هذا هو المخطط العام لدى الأميركان، ويكون بالطبع بشكل آخر مدعومًا من قِبل الدول العربية، نحن سواء كنا في سورية أم في إيران مصلحتنا أن يكون في العراق نظام صديق لسورية ولإيران، طبعًا إذا قام مثل هذا النظام.. هذا المخطط ينكسر، ويمكننا أن نقول بشكل واضح علينا أن نعمل لإقامة هذا النظام الصديق، ولا نسمح بإقامة نظام آخر موالٍ للأميركان، والآن الوضع الداخلي في العراق في غاية التأزم والتعقيد.

الوضع الاقتصادي سيئ، الوضع المعاشي سيئ، حالة الأمن سيئة، سلطة الدولة تكاد تكون محصورة في بغداد، فإذا قام ضابط من النظام بانقلاب عسكري وجرى تأييده مباشرة من الغرب، هذا الضابط مباشرة سينال تأييد الناس جميعًا داخل العراق، لأنه يكون بذلك قد أزال كابوس صدام من جهة، وفتح أبواب الأمل أمام الناس في أن تتحسن أوضاعهم، وبالتالي سيكون أقدر على الحركة معنا.

برأينا أنه يجب أن نناقش بشكل جدي كيفية الوصول إلى تغيير هذا النظام بنظام آخر صديق لنا، وإذا كنا لم نستطع ذلك يكون هذا النظام الضعيف المهترئ أقل سوءًا من نظام آخر معاد وقوي ومستند إلى دعم من أميركا، لأن هذا النظام الآن غير قادر على التحرك.

طبعًا نحن أجرينا اتصالات مع أطراف المعارضة العراقية ونجري أيضًا بعض الاتصالات داخل العراق، وبتقديرنا هناك إمكانيات جدية لإحداث شيء ما في العراق، لكن هذا الأمر يتطلب وضع برنامج عمل نقوم بتنفيذه، بل ونشرف على تنفيذه، طبعًا أي عمل إيراني - سوري مع المعارضة فقط سيواجَه من قِبل أميركا وجماعتها في المنطقة بالتعطيل، وقد جرى حديث حول تشكيل لجنة ثلاثية إيرانية - سعودية - سورية لدعم المعارضة العراقية، وجرى

اتصال معنا أو بالأحرى أُبلغنا من قِبل إيران بنتائج زيارة المندوب السعودي إلى طهران، ثم أبلغتنا السعودية أيضًا بنتائج هذه الزيارة ونحن وافقنا على تشكيل هذه اللجنة.

لذلك أعتقد أن الأمر يبدأ على النحو التالي: تجتمع اللجنة الثلاثية وتناقش خطة عمل سبق أن أعدها السيد محمد باقر حكيم، ثم يجري إقرار هذه الخطة، ويجري أيضًا تحديد التزامات كلٍّ من سورية وإيران والسعودية لدعم هذه الخطة.

طبعًا أي تشكيل في العراق تقرره هذه اللجنة سيكون على الأقل نحو الثلثين منه أو أكثر صديقًا لإيران ولسورية، بالإضافة إلى ذلك فإن أصدقاء إيران وسورية هم الذين لهم قوة على الأرض، وبالتالي فإني سأتلو الأفكار التي أبلغني إياها السيد محمد باقر حكيم، والواقع نحن لم نعترض على هذه الأفكار، وقد وافقنا بشكل مبدئي عليها.

وقلت له إن هذا الأمر يتطلب قرارًا جديًا من سورية وإيران، ونحن عندما نرى أن هناك أمورًا جادة نستطيع عندئذٍ أن نتحمل كامل مسؤولياتنا والتزاماتنا.

وهنا أريد أن أشير إلى أن أطراف المعارضة العراقية يعرفون أن فكرة عقد مؤتمر للمعارضة مطروحة في الساحة العراقية، وكانت هناك خلافات بينهم حول من يحضر المؤتمر وممن يتشكل، ولكن بعد زيارة السيد محمد باقر الحكيم، وقد اجتمع مع مختلف الأطراف، توصلوا إلى صيغة لتشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمر، واللجنة التحضيرية مكونة من خمسة وعشرين شخصًا، وناقشوا موضوع مكان انعقاد المؤتمر والسعودية كانت أبدت رغبة في أن ينعقد لديها.

مصر أيضًا تعمل لكي يُعقد المؤتمر فيها، المعارضة قررت بأكثرية ساحقة أن مكان الانعقاد يكون بحسب الأفضلية، وكان التصويت على ذلك بنسبة ١٨ أو ١٩ من أصل ٢٥، الأفضلية الأولى في العراق نفسه، الأفضلية الثانية في سورية، الثالثة في بيروت، الرابعة في مصر، الخامسة في السعودية.

أما نحن فقد قلنا لهم إننا لا نوافق على عقد هذا المؤتمر في سورية، أي أننا أبلغناهم بشكل مباشر أنه لا مصلحة في أن ينعقد في سورية، أي أنه كان ممكنًا انعقاده في سورية لو كان سقوط النظام في اليد، بالإضافة إلى ذلك، حتى أمام الرأي العام الخارجي، نريد أن يكون لهذه المعارضة الاستقلالية، يعني للاعتبارات الموجودة لدى إخوتنا في إيران بعدم الموافقة على عقد المؤتمر في طهران، أيضًا هذه الاعتبارات نفسها موجودة لدينا في سورية.

طبعًا التوجه الذي أخذوه يقضي بعقد مؤتمر تنبثق عنه هيكليات قيادية، يعني مجلسًا وطنيًا

وقيادة عليا، شيئًا من هذا القبيل، وهذه الأفكار هي الأفكار المطروحة في أوساط المعارضة العراقية.

الأفكار التي طرحها السيد محمد باقر حكيم هي التالية:

١ ـ دعم تشكيل اللجنة الثلاثية الإيرانية ـ السعودية ـ السورية لدعم المعارضة العراقية، ويرى أن تشارك بها المعارضة العراقية بعد توحيدها.

٢ ـ العمل على تنشيط الداخل شعبيًّا بالتوازي مع العمل ضمن القوات المسلحة، بحيث يتكامل العمل الشعبي مع العمل العسكري.

طبعًا وردت الإشارة إلى العمل العسكري لأن هناك إمكانيات ضمن الجيش العراقي نتيجة حالة التذمر.

٣ ـ توسيع لجنة العمل المشترك قائمة بين أطراف المعارضة الأساسية، وفي إطار ميثاق هذه اللجنة، وبما يؤدي إلى استيعاب القوى والشخصيات ذات الوزن في العراق، وكذلك العمل على إقامة مؤتمر للمعارضة يضم الجميع وقد تم استقطاب مؤسسات قيادية تعترف بها الدول المؤيدة للمعارضة.

٤ ـ الطلب إلى الدول الاعتراف بالمؤسسات القيادية كبديل للنظام العراقي الحالي وتحويل جميع الأموال العراقية المجمدة لحساب هذه المؤسسات القيادية – المجمدة في الخارج طبعًا – لكن هذه النقطة نحن لم نوافق عليها، لأن هذا السلاح ذو حدين، إذ ممكن أن يأتي الأميركان بمجموعة من سورية أو من إيران من الخارج وبحكم الهيمنة الأميركية الموجودة الآن في العالم يعترفون بهذه المجموعة كبديل للحكومة الإيرانية أو الحكومة السورية؛ لذا فإن هذه النقطة الرابعة لم نوافق عليها.

٥ ـ النقطة الأخيرة، تشكيل قوات مسلحة للمعارضة العراقية على الحدود العراقية في كل من سورية والسعودية وإيران، يجري استخدامها في الوقت المناسب.

أما وجهة نظرنا حول هذه النقطة، نحن نوافق في حال موافقة السعودية، لماذا؟ إذا لم توافق السعودية، أي أنه إذا بقيت سورية وإيران فقط وتدخلت قوات مسلحة من إيران وسورية فإن هذا الأمر سيؤدي إلى تدخل تركيا، وقد يؤدي أيضًا إلى تدخل إسرائيل، لأن قيام نظام جديد في العراق صديق لإيران ولسورية أيضًا يشكل خطرًا على إسرائيل وعلى مخططاتها في المنطقة.

قال السيد حبيبي: أي قيام نظام صديق مائة بالمائة.

قلت: طبعًا قيام نظام جديد صديق تمامًا، لذلك كما تحدثنا في دمشق أثناء الانتفاضة، أي أننا نريد تلوينًا معينًا لتطمين بعض الأطراف في المنطقة حتى يتمكن أصدقاؤنا من الوصول إلى بغداد.

لذا نحن اقترحنا هذه النقاط ما عدا تلك التي أبديت عليها تحفظات لتطرح للمناقشة في اللجنة الثلاثية، وإذا تم الاتفاق عليها مع تحديد الالتزامات، عندئذٍ نبدأ بالعمل من أجل تنفيذ هذا البرنامج، ونناقش ثنائيًّا كيف يمكن العمل ضمن العراق، نبحث السبل التي تؤدي بنا إلى تغيير النظام بما يحقق أهدافنا. فإذا كان إخوتنا في طهران يوافقون على الأفكار، وبما أن الحديث عن اللجنة الثلاثية قد بدأ بين السعودية وإيران، يمكن أن تقوم طهران بالاتصال بالسعودية والدعوة لاجتماع اللجنة الثلاثية، طبعًا نحن اقترحنا أن تكون اللجنة الثلاثية على مستوى رؤساء أجهزة الأمن لاعتبارات عديدة، إذ هناك مسائل نفضل أن تقرر من قِبل السلطات السياسية، ولكن على أن تُناقَش في إطار الأجهزة الأمنية المعنية.

قال السيد حبيبي: في حديثكم أشرتم إلى أن هناك خطة أميركية، في رأيكم هل هذه معلومات جديدة؟

قلت له: الأشخاص من المعارضة العراقية ممن لهم صلة بالأميركان قد أبلغونا أن هناك قرارًا أميركيًّا نهائيًّا لتغيير شخص صدام، لتغييره بضابط من الجيش على اعتبار أن الوضع الداخلي لبوش متأزم، وهناك حملة على بوش بمناسبة الانتخابات، إذ يقولون له ماذا فعلت في الخليج. دمرت العراق ودمرت الكويت وأبقيت على صَدَّام حسين أي أنك أبقيت على المشكلة قائمة، قد تسقط أنت يا بوش في الانتخابات ويبقى صدام.

قال السيد حبيبي: هل وجدوا هذا الضابط أم لا؟ إذ يجب أن تكون هناك خطة مدروسة بهذا الشكل، ويكون هذا الضابط جاهزًا.

فقلت: هم يعملون على إيجاد هذا الضابط، والخطة تقوم على ما يلي: يقوم ضابط في بغداد بإعلان التمرد، وفورًا يتدخل الطيران الأميركي لدعم هذا الضابط.

طبعًا الأميركان يُجرون اتصالات حثيثة مع جهات عديدة لتأييد هذا الضابط، ليست لديّ معلومات عما إذا كانوا قد وجدوا هذا الضابط، لكن ما هو مؤكد أن هناك جهودًا كبيرة تُبذل لإيجاد هذا الضابط أو لقتل صدام، وهم يعملون على الاتجاهين، إما قتل صدام، اعتقادًا منهم أن قتله يحل المشكلة المعنوية بالنسبة لبوش، أو القيام بالتمرد.

قال السيد حبيبي: النقطة الثانية، هل السعوديون مع الخطة التي رسمتها وقررتها أميركا؟ وما مدى تعاون السعودية مع هذه الخطة؟

أجبته: نعم، هناك هامش نلتقي فيه نحن والسعودية والأميركان، نتفق في هذه الخطة، نحن يهمنا أن يسقط، وأن يكون لنا دور في إسقاطه، وبالتالي أن يكون هناك دور لأصدقائنا في العراق المقبل، فهم يريدون إسقاطه، وأن يكون النظام لهم.. ولكن نقطة الالتقاء هي إسقاط صدام.

قال السيد حبيبي: إذن ماذا ترون بالنسبة للهيئة القيادية لهذه المعارضة؟

قلت: أعتقد أنكم إذا رأيتم هيئة قيادية ممثلة بتسعة أشخاص وفيها شخصان أو ثلاثة من المعروفين بصِلاتهم بالغرب يمكن القول، لا بأس.

قال السيد حبيبي: ماذا سنقول بشكل رئيسي؟

قلت: لن نقول إننا سنفعل كذا وكذا، نحن سنطرح أفكارًا، إذا نجحنا بضم السعودية فالأمر جيد، وإذا لم ننجح عندئذٍ يجب أن نستخلص خلاصات مفيدة، وهي أن الآخرين لا يريدون نجاحنا بإقامة نظام صديق لنا.

قال السيد حبيبي: يعني نستخلص أن الأميركان يعملون معنا حتى إسقاطه؟

قلت: لا، إذا رفضت السعودية نستنتج أن هناك تعقيدات، وأن هناك عملاً بمعزل عن إيران وسورية، وهذا الأمر يتطلب منا دراسة كيفية العمل على إفشال المخطط الأميركي من جهة، وضمان مصالحنا ومصالح أصدقائنا من جهة ثانية.

أي يمكن أن نناقش معًا في حال قيام مثل هذا الانقلاب، وكيف نمهد السبل لأصدقائنا العراقيين في المعارضة العراقية لأن يكونوا داخل العراق وفي واجهة العملية من أجل احتواء عملية الانقلاب.

سأل السيد حبيبي: من هم الأشخاص من المعارضة العراقية ذوي الاتجاهات الأميركية؟

أجبته: في الواقع ليس في ذهني أشخاص معينون، لكن يمكن أن نبحث عن أشخاص محترقين داخل العراق، إذ يهمنا أن يكون هؤلاء من المجردين من الشعبية داخل العراق، في الوقت الذي ندفع فيه نحن بأشخاص ممن لهم شعبية ووزن داخل العراق.

سأل السيد حبيبي: ما هو الموقف الأوربّي المساند، ولا سيما بريطانيا، وموقف الولايات المتحدة؟

قلت: بريطانيا تسير دائمًا وراء الولايات المتحدة لدعمها، أو أمامها لفتح الطريق.

سأل السيد حبيبي: هل تعمل بريطانيا الآن وراء الولايات المتحدة أم أمامها؟

قلت: بل الأمران، الإنكليز يعملون الآن مع بعض العراقيين الموجودين في لندن بشكل نشيط، وبشكل عام بريطانيا هي المكلفة بقضايا البلدان التي كانت خاضعة لسيطرتها.

قال السيد حبيبي: معنى هذا أن الإنكليز يعرفون العراق أكثر منا؟

قلت: نعم، يعرفون العراق أكثر منا، الآن الجزائر مثلاً، رغم حربها الطويلة والآلام الطويلة في حرب التحرير الجزائرية، ومع ذلك إذا قيل لأي جزائري لديك فرصة لقضاء إجازة في الخارج، فإنه يذهب مباشرة إلى فرنسا. وأيضًا، أي عراقي إذا أتيحت له الفرصة أن يخرج، يذهب مباشرة إلى لندن، في لندن هناك حوالي أكثر من ثلاثين ألف عراقي.

قال السيد حبيبي: هل اللجنة الثلاثية من الدول الثلاث؟

قلت: أولاً البلدان الثلاثة، بلدان حدودية مع العراق، وتتحمل أعباءً مباشرة بالنسبة للعراق، وعلى الأقل هناك بلدان في هذه اللجنة - سورية وإيران - لهما امتدادات سياسية في العراق، لذا نحن نوافق على لجنة إعلامية لقضايا من هذا الشكل؛ إعلام، صحف، لا بأس.

قال السيد حبيبي: أي أن أساس فكرة العمل الثلاثي بيننا وبينكم وبين السعودية أننا بلدان حدودية بالنسبة للعراق.

قلت: نعم، تمامًا.

قال السيد حبيبي: منعًا من حصول حساسية بين العرب، الأفضل أن تتصلوا أنتم بالسعودية، وتُبلغوهم لكي يظهر الأمر على أنكم تدعون للموضوع مما يبرز أنه مدعوم من قِبل العرب، وقد تكون مشكلة الأجهزة المعنية.

قلت له: أنا أخالفك وجهة النظر، إذ يمكن أن تتصل إيران بالسعودية وتعطف الاتصال على هذه المناقشات، واتصال إيران بالسعودية يظهر للسعودية مدى جديتنا بالمشاركة، لأنهم يعتقدون أن إيران تريد استبعادهم، ولذلك عندما تُجري إيران نفسها هذا الاتصال، هذا الشك سرعان ما يزول هذه نقطة. والنقطة الثانية أن القرار السياسي يفترض أننا اتخذناه

جميعًا عندما وافقنا على تشكيل اللجنة الثلاثية، ومشكلة الأجهزة ليست المشكلة عندنا، ولا عند إيران، بل المشكلة تكمن في السعودية نفسها، فإن الأمير تركي رئيس جهاز الأمن هناك يعتبر مستلم الملف العراقي، والخط مباشر بينه وبين الملك فهد. الأمير سعود الفيصل ليس معنيًّا بصورة مباشرة ويومية بالعمل في العراق.

قال السيد حبيبي: بمعنى آخر أنه يفضل العلم ببعض المهام المتعلقة بالسياسة الخارجية وأعفي منها لكي يتولاها الأمير تركي. بالنسبة للسياسة الخارجية في السعودية لا يوجد مرجع واحد مثل ما هو معروف لدينا، لدينا صيغة معينة في إيران للتعامل.

قلت: الصيغة الموجودة في إيران ليست موجودة أيضًا في سورية. طبعًا وزير الخارجية في الصورة اليومية للعمل، لكن العمل كله موجود في أماكن أخرى، بالنسبة للملفات والأشخاص الذين يقومون بالعمل اليومي يمكن أن يعرف الأمر عن طريق وزراء الخارجية.

قال السيد ولايتي: أنا مثلاً أتولى الأعمال، وسيادتكم القضايا المتعلقة بلبنان، وقضايا ساحات أخرى سياسية، وهي قضايا مهمة ولكن الملفات موجودة دائمًا تحت أيدينا، إذ نصل إلى مرحلة نهائية في الموضوع حيث يجب أن يُتخذ قرار فيه.

نحن ليست لدينا مشكلة، سنبلغ السعودية، وسنطمئنهم، كما ذكرتم بملخص اجتماعنا هذا.

قلت: يمكن أن نبلغ السعوديين أننا ناقشنا معًا موضوع العراق، والوضع والنشاط لدى المعارضة العراقية في ضوء الاتفاق على تشكيل اللجنة الثلاثية.

وأنه قد تم الاتفاق على دعوة اللجنة الثلاثية لعقد الاجتماع في المكان الذي تقترحه الرياض نفسها، ولا شك أنهم إذا وافقوا على عقد الاجتماع لديهم يكون هذا الأمر أفضل.

قال السيد ولايتي: حسنًا، الدكتور حبيبي موافق وأنا موافق، وشيخ الإسلام موافق، على أن نبلغ السعوديين.

قلت: على كل حال بعد أن تقوموا بإبلاغ السعوديين تُعْلِمونا بأنكم أبلغتم السعوديين، ونحن في الوقت نفسه نتصل.

قال السيد حبيبي: نعم، وبالنسبة للاجتماع على مستوى.

قلت: أنا لديّ اقتراح عملي، نحن بالنسبة إلينا، أي صيغة يجري الاتفاق عليها مع السعوديين من أجل اللجنة موافقون عليها وفي أي مستوى، وليست لدينا مشكلة.

الأمر الآخر، عندما تجتمع اللجنة تبحث النقاط التي اقترحها السيد محمد باقر الحكيم، أي ثلاث قضايا يجري التركيز عليها.

بالنسبة إلينا وإيران، المؤسسات القيادية.. يجب في كل الظروف أن يكون في أيدينا معًا على الأقل ثلاثة أرباع أعضاء هذه اللجنة:

أولاً - أن ندقق في هذا الأمر بحيث أن الأكثرية الأساسية في اللجان القيادية يجب أن تكون صديقة لنا.

ثانيًا - مسألة تواجد القوات المسلحة في أراضي الدول الثلاث على الحدود، أيضًا هذا الأمر ينبغي التركيز عليه لأنه مهم ورئيسي.

ثالثًا - ويجب أن نحض السعودية من أجل تحمّل القسم الكبير من الالتزامات المالية التي تحتاجها قوى المعارضة العراقية سواء من أجل تمويل العناصر العسكرية، أو تمويل عناصر المقاومة.

رابعًا - يجري التعاون على دعم - أو على حض - المعارضة العراقية للإسراع في أعمال اللجنة التحضيرية من أجل عقد هذا المؤتمر المقرر في وقت سريع، لكن يجب في كل الأحوال ألا ينعقد قبل أن نضمن التوجهات التي ستصدر عنه.

وبالنسبة للمكان، نحن لا نوافق على عقد هذا المؤتمر كما قلت في سورية للاعتبارات نفسها التي أعربَت عنها إيران، لكن لا يهمنا أين يعقد.

بالنسبة لسورية نحن لم نعترض على السعودية، ليس لدينا أي اعتراض.

قال السيد حبيبي: يجب علينا أن نبذل الجهود لأن نهيئ الآخرين لكي يقبلوا السعودية مكانًا للمؤتمر.

قلت: نستطيع القول بأننا متفقون على مُجمل الأمور بهذا الموضوع.

قال السيد حبيبي: اتفقنا أن نجري اتصالاً مع السعوديين، وبالتالي نبلغكم ونخبركم بمضمون هذا الاتصال، وفورًا أنتم تتصلون بالسعوديين وبالتالي نعمل على أن نهيئ لعقد هذا المؤتمر.

وفي الخامس من آب ١٩٩٢ عقدت الهيئة العليا دورة اجتماعاتها في دمشق.

افتتحت الاجتماع بالترحيب بالدكتور حبيبي والدكتور ولايتي والإخوة أعضاء الوفد، وقلت: لدينا مواضيع مهمة من أجل مناقشتها والوصول إلى تصورات مشتركة وأساليب عمل مشترك، وهناك عدد من المواضيع والتي أقترح مناقشتها وهي:

الوضع الدولي، الصراع العربي - الإسرائيلي، العراق والخليج، لبنان، الإرث السوفيتي (جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق)، يوغسلافيا، مؤتمر عدم الانحياز.

وإذا كانت هناك مواضيع أخرى يمكن إضافتها.

قال السيد حبيبي: كما أشرتم، صحيح أن هذه الجلسة تأتي في إطار الجلسات الدورية ولكن هناك قضايا مهمة جديرة بالبحث ونحن نتطرق إليها ونناقشها.

بالنسبة للمواضيع التي اقترحتموها، لا شك أنها مسائل مهمة ومتفقون على مناقشتها، ومن المفيد التطرق إلى موضوع القضية الأفغانية، ونحن نطرح معلوماتنا ونستمع لمعلوماتكم.

قلت: جرت العادة أن يبدأ الوفد الضيف بالحديث، ولذلك نحن جاهزون للاستماع.

قال السيد حبيبي: كل المسائل المعروضة للبحث مهمة وتتساوى من حيث الأهمية؛ ولذلك يمكن البدء بأي موضوع، وبتصوري من المفيد البدء بموضوع العراق الذي تحدثنا عنه سابقًا وتحدثنا عنه في طهران، كما تحدثنا في طريقنا من المطار إلى هنا، أشرنا إلى موضوع العراق، كان من المقرر أن يكون هناك اجتماع ثلاثي حول العراق وحصلت تطورات وبعد اجتماع فيينا لم يتم حصول هذا الاجتماع الثلاثي، ولذلك حبذا لو تفضلتم بإبداء رأيكم بخصوص هذا التوقف وما جاء من السعودية بخصوص توقف هذا الاجتماع.

النقطة الأخرى: بهذا الموضوع هناك نشاط من قِبل معارضي الوضع الحالي في العراق، وأقصد الأكراد الذين يريدون تعاونًا أكثر مع تركيا، وهذا يعني تفكك العراق. هذه القضية؛ قضية انفصال الأكراد عن العراق ربما تبدو في الظاهر لمصلحة تركيا، ولكن في باطن الأمر ونظرًا لعدد الأكراد الكبير في تركيا فإن هذا يضر تركيا في المستقبل، وبما أن الولايات المتحدة لم تُبدِ رأيًا بهذا الخصوص وإذا حصل التفكك - وهذا يضر تركيا، والولايات المتحدة صديقة تركيا - كيف ترون هذا الموضوع؟

في موضوع العراق يبدو أن هناك موضوعين:

الأول: التحركات الرامية لتفكيك العراق.

الثاني: اتحاد قوى المعارضة للنظام الحاكم في العراق، وكيف يمكن لهذه القوى أن تتجمع ونعطي فعالية أكبر لهذه المعارضة وتجميعها.

نحن من حيث الموقف - كما تعلمون، وأعلنا هذا الموقف في كافة المحادثات التي أجريناها - نعارض بشدة تفكيك العراق، ونعتقد أن وجود الأمن واستتبابه في المنطقة يستدعي وحدة العراق.

وبالنسبة لنشاط المعارضة العراقية نرى من الضروري أن تتم نشاطات المعارضة العراقية حسب الخطة التي ناقشناها واتفقنا عليها، ويجب أن نسعى بهذا الاتجاه.

قلت للسيد حبيبي: كنا تحدثنا في السيارة عن العراق وأشارك الدكتور حبيبي الإشارة إلى الخطر الكبير الذي يهدد المنطقة إذا تفكك العراق، وإذا أخذنا بعض الوقائع نستطيع أن نصل إلى استنتاج واضح بأن هناك دفع ما لخلق حالة من التفكك الواقعية ثم السياسية والدستورية في هذا البلد.

الانتخابات التي أجراها الأكراد في شمال العراق والمؤسسات التي أقاموها سابقة خطيرة، وهي عبارة عن عمل انفصالي، فعندما تجري مثل هذه الانتخابات بعيدًا عن الدولة المركزية ويتكون مجلس وتتشكل حكومة، فهذا يعني قطع الصلة الواقعية والسياسية مع المركز، وبالتالي حالة من الانفصال، هذا الأمر لم يتم بقرار خاص يتخذه الأكراد فيما بينهم، ولكن نعتقد أن هناك قوى خارجية دفعتهم لذلك.

الأمر الثاني: هو المؤتمر الذي عُقد في فيينا، هذا المؤتمر ضم مجموعتين:

المجموعة الأولى عربية تضم بعض العناصر المرتبطة مباشرة بالمخابرات الأمريكية والبريطانية.

والمجموعة الثانية، مجموعة الأكراد.

الهدف من هذا المؤتمر صدور إقرار عراقي بما جرى في شمال العراق، لأن بيان المؤتمر تضمن تأييد الانتخابات التي جرت والتعامل معها، أي أنه أعطاها شرعية، يعني أن هناك طرفًا عراقيًا يعترف - باسم العراق - بشرعية ما أجراه الأكراد.

الأمر الثالث: تصريحات جلال الطالباني، ومما يلفت النظر أن ليس هناك دولة عربية

استنكرت هذه التصريحات، أو أشارت إلى خطورة تفكك العراق، أو إلى ضرورة استمرار العراق كبلد موحد.

يُضاف إلى ذلك أن الطالباني والبرزاني أقاما صلات مباشرة وقوية مع تركيا وجمّدا اتصالاتهما مع إيران وسورية، طبعًا هما يعرفان أن ليس من مصلحة تركيا التحاق الأكراد العراقيين بتركيا أو انفصالهم عن العراق، واللافت تصريح جلال طالباني حول القرار الأكراد الانضمام إلى سورية أو إيران أو تركيا، والخطر في هذا التصريح الانفصال عن العراق، وبالتالي يعرف أن إيران أو سورية أو تركيا لن تقبل بهذا الانفصال أو الانضمام، ويكون بذلك قد ثبت النقطة الأولى، وهي الانفصال. لأول مرة يصدر صوت كردي يعلن الانفصال، فهو أراد أن يغطي هذا الأمر بالقسم الثاني من تصريحه الالتحاق بإحدى الدول الثلاث، طبعًا بعد قليل في ضوء ردود الفعل سيصدر تصريحات أخرى أكثر توجيهًا نحو الانفصال، والملفت للنظر أن هذا التصريح صدر وهو في طريقه إلى واشنطن، كما أن وزير الخارجية الأمريكي اجتمع بالوفد العراقي والكردي، الذي يضم الأكراد ولم يصدر أي تصريح أو إشارة من الجانب الأمريكي تُدين الانفصال في العراق.

الأمر الرابع: الملفت للنظر أيضًا التصريحات الأمريكية حول اضطهاد صدام للشيعة في الوسط والجنوب، هذه التصريحات لم تكن تصدر في الماضي، وهذا الوضع يذكرنا بالتصريحات التي كانت تصدر فيما يتعلق بالأكراد، وما تلاها من إقامة مناطق حماية في الشمال شكلت القاعدة أو المنطلق لإجراء الانتخابات الكردية، وللأسف فإن بعض الأطراف العراقية تطالب بإقامة مناطق محمية في الوسط والجنوب تحت حماية الأمم المتحدة، أو تحت حماية من القوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية، التي تقوم بنفس المهمة في شمال العراق، دون أن تدرك خطورة هذا الموضوع. ماذا يعني ذلك؟ إنه يعني أن نظام العراق مستمر، ولذلك يطالبون بالحماية. ومناطق الحماية ستكون منفصلة عن السلطة المركزية في العراق، وستقوم حالة من التفكك الواقعي، طبعًا نحن نتحدث عن الموضوع بغض النظر عن تقييمنا للنظام الحالي القائم في بغداد، ولكن من أجل أن ندرك الصورة التي يجري إعدادها الآن للعراق وللمنطقة.

طرح الدكتور السيد حبيبي سؤالاً عن تفكيك العراق واستقلاله وقال: إن ذلك سيؤذي تركيا، وتساءل: وكيف يمكن للأميركان أن يقوموا بمثل هذا العمل ضد تركيا؟ وإنني واثق أنه بالنسبة للأميركان أو غيرهم الهدف تفكيك المنطقة، وخلق الظروف التي تمنع شعوب العالم الثالث من التفكير بالتحرر من الوضع الدولي الجديد، واستعادة إمكاناته وطاقاته

وذلك تأمينًا لمصالحها. كما أن إسرائيل لها مصلحة في تفكيك العراق وتفكيك المنطقة. والنفط والمصالح النفطية الغربية وتأمينها، تتطلب مثل هذه الحالة، وبصورة خاصة التصريحات الأخيرة التي صدرت عن الحكومة العراقية واعتبرت الكويت جزءًا من العراق، أعطت مثل هذا المبرر، طالما أن العراقيين يعتبرون الكويت جزءًا من العراق، إذن هناك إمكانية ولو بعد سنوات لأن يلعب العراق دورًا بعدم استقرار منطقة النفط، تفكيك العراق يزيل هذا الخطر.

قال الشرع: تأكيدًا لذلك، هناك تصريح لمسؤول كويتي في النيويورك تايمز يقول: العراقيون كلهم مع ضم الكويت، ولذلك العراق كله خطر، ويقول المسؤول الكويتي: إن المعارضة أيضًا ضد رسم الحدود؛ أي أنها مثل النظام العراقي.

قلت: أود أن أشير إلى عامل آخر وهو أن دور تركيا في استراتيجية الغرب عامة، والأميركان خاصة، تراجع بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أي الدور الاستراتيجي لتركيا تراجع كثيرًا بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، فالأمر الملح والضاغط ليس الخطر الشيوعي، وإنما مسألة النفط وتأثيره في الاقتصاد العالمي، بالإضافة إلى خطر آخر يتحدثون عنه منذ فترة، والآن ازداد الحديث عنه وهو «الإسلام». نيكسون في آخر كتاب له قال: الخطر الذي يهدد العالم هو الإسلام. حاييم هيرتزوغ عندما زار بولونيا قال أيضًا: إن الخطر الذي يهدد العالم هو الإسلام، فتفكيك العالم الإسلامي هدف كبير الآن، وبالتالي تركيا ليست بمنأى عن مثل هذا الخطر، ولكن ليست من الأولويات الآن، قد تكون الأولويات في مكان آخر. لو أخذنا أفغانستان.. رغم أن كل فصائل المجاهدين كانت ذات صلة بالأميركان وأصدقاءهم، نراهم يتذابحون وأفغانستان مهددة أيضًا بالتفكك، ما يجري في الجزائر... إضعاف العالم الإسلامي وتفكيكه جزء من استراتيجية الصهيونية من جهة، وبعض القوى الغربية من جهة أخرى، هذه المسألة برأينا خطيرة جدًا وإذا لم نتخذ الخطوات والإجراءات التي من شأنها وقف ذلك، ونزعها حتى من الأذهان، سنواجه مصاعب كبيرة في المستقبل. من كان يتصور، منذ ثلاث سنوات، أنه سيجري في يوغسلافيا ما يجري الآن؟ من كان يتصور أن الحروب الأهلية ستقوم بين الجمهوريات السوفيتية؟ ولذلك أعتقد أنه يجب البحث في كيفية مواجهة هذه المسألة، لأن هذا الأمر مهم. ومن الوسائل المهمة إعادة تركيز الاهتمام على المعارضة العراقية، لأن صدام بسياساته وممارساته أكبر حليف – شاء أو أبى – لهذا المخطط. نحن، كما أشار الدكتور السيد حبيبي، كنا متفقين ثلاثيًا على عمل مشترك لتجميع المعارضة العراقية، وخَطَوْنا خطوات لا بأس بها، ولكن فوجئنا بالموقف السعودي يوقف كافة الخطوات التي كانت ستتم، ويُوقف

العملية كلها، وتم التركيز على مؤتمر فيينا، برأينا مؤتمر فيينا لم يكن فيه عراقيون لهم صلة بالعراق، قد يكون هناك أفراد مخدوعون ولكن تركيبة المؤتمر تركيبة بريطانية ـ أميركية، الولايات المتحدة والغرب يعتبران مؤتمر فيينا والمؤسسات التي انبثقت عنه تمثل العراق، واستقبل وزير الخارجية الأميركي أعضاءه، وسيستقبلون في فرنسا ودول أخرى، ويلاحظ أنه تم إبعاد القوى الأساسية في المعارضة العراقية المتواجدة في إيران وسورية، وواضح أن الهدف كان إبعاد إيران وسورية عن النشاطات الهادفة لتصحيح الوضع في العراق، نحن نعتقد أن علينا أن نخطو بالمقابل خطوات جادة لعقد مؤتمر للمعارضة العراقية مؤلف من القوى الصديقة لإيران وسورية ينبثق عنه مؤسسات في إطار مناقشاتنا التي جرت في طهران حول العراق، وأن يجري الاتصال مع الجبهة الكردية المكوّنة من مسعود وجلال، والحوار معها في محاولة لإعادتها إلى الموقع الصحيح، ولكن إذا أصرت هذه الجبهة على موقفها أيضًا لا بد من عمل منسق بين سورية وإيران في الساحة الكردية لدعم القوى الكردية التي ترفض الانفصال عن العراق والتي ترفض تفكيك العراق وتآكله، واستمرار النظام يشكل حالة نموذجية لتحقيق هذا الهدف.

هذه هي وجهة نظرنا بالنسبة للعراق، إذا كانت هناك مقترحات حول الموضوع، أو إذا كانت هناك موافقة على الاقتراح يمكن أن يتبلور بشكل عملي، طبعًا هذا لا يعني قطع الاتصال مع السعودية، يعني أن نخطو خطوات عملية، وفي الوقت نفسه نعيد اتصالنا مع السعودية في محاولة جديدة لإشراكها في العمل معنا.

قال السيد حبيبي: بالنسبة لما تفضلتم به حول الولايات المتحدة وحلفائها وأنهم لا يريدون تغيير النظام العراقي، هناك معلومات خاصة في الأسبوعين الأخيرين تدل على خلاف ذلك، ويبدو أن الولايات المتحدة تريد إزالة النظام الحاكم في العراق حاليًا بأي ثمن، وعلى ضوء ذلك ما هي تحليلاتكم ومعلوماتكم؟

قلت: هذه الأخبار أخبار انتخابية، وضع بوش الانتخابي معقد، طرح مثل هذه القضية قد يساعده، ولكن كيف نستطيع القول إن الأميركان يريدون التغيير وفي الوقت نفسه يُعقد مؤتمر فيينا ويجرى استبعاد القوى الأساسية القادرة على التحرك داخل العراق؟! طرح جلال الطالباني حول الاستقلال الكردي أمر من الصعب تصور أن يُعلن دون أن تكون هناك موافقة ما من جهة غربية، طبعًا هناك احتمال أن الأميركان يريدون تغيير النظام بنظام عسكري آخر، على غرار النظام الحالي، ولكن حتى الآن لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئًا ولن

يستطيعوا، قرأنا في وسائل الإعلام أنه كانت هناك مؤامرة أميركية ـ أردنية لتغيير النظام؛ أي يعتمدون على الملك حسين، بعض الأطراف العربية تؤكد هذا الاتفاق الأميركي ـ الأردني، فعندما تتجاهل الأمور قوى المعارضة الأساسية وتتجه إلى الملك حسين لإحداث تغيير، هل نستطيع الاستنتاج بأن هناك عملاً جديًا في هذا الاتجاه؟ نعتقد أن إلغاء الاجتماع الثلاثي لم يكن بمعزل عن جهات من خارج المنطقة.

قال السيد حبيبي: طبعًا ظواهر الأمور تدل على ذلك، وأشرت إلى أنه إضافة إلى أخبار الصحافة فإن هناك معلومات لدينا، هل لديكم معلومات حول موضوع تغيير النظام العراقي من قِبل أميركا؟

قلت: معلومات إعلامية.

قال السيد ولايتي: المعلومات المتواجدة لدينا مصدرها بعض الأوساط الغربية وسألونا عن موقفنا بخصوص هذا الموضوع.

قلت: هل يصدق أحد أنهم يريدون التغيير ويعتمدون على هذه النماذج من المعارضة العراقية.

قال الشرع: يَقبلون في حالة واحدة، أن يأتي خليفة لصدام مثله، أي نفس النظام، مؤتمر فيينا مربوط بحركة انقلابية في بغداد ولكنها فشلت أو لم تحصل.

قلت: لم تحصل.

قال الشرع: على أساس أن يأخذوهم من فيينا مباشرة وينصّبوهم، هكذا كان التفكير.. وإلا لماذا السرعة بعقد مؤتمر فيينا، المؤتمر فشل.

قال السيد حبيبي: هذه المسائل التي أشار إليها السيد الشرع تدل على أن الأميركان كانت لديهم فكرة تغيير النظام في العراق.

قلت: يغيرون شخص صدام، ولكن تركيبة النظام تبقى كما هي، وبالتالي هذا ليس تغييرًا، هذا تكريس للواقع.

قال السيد حبيبي: نحن تابعنا الموضوع ومن خلال تجربة السنوات الماضية، الغرب بصورة عامة يتبع سبلاً معينة لتحقيق أهدافه في هذه المنطقة، من ضمن هذه السبل تفكيك العراق. ألا ترون أن هذا الطرح يمكن أن يؤدي بالنتيجة إلى أن يقوم شخص عسكري

عراقي أو الشعب العراقي بمحاولة لإنقاذ الوضع بإسقاط النظام حتى لا يتكرس تفكيك العراق؟ أليس بإمكاننا نحن أن نقوي من حركة المعارضة انطلاقًا من هذا الدافع؟

وقال السيد ولايتي: خوفنا نحن من تفكيك العراق يدفع الجميع لتنشيط المعارضة العراقية.

قلت: لذلك فإن أكبر حليف لهذا المخطط هو صدام واستمراره سيؤدي إلى هذه النتيجة، ونحن معنيون بوحدة العراق لأننا نرى الخطر أكبر، وعلينا أن نبادر إلى خطوات عملية في إطار مناقشاتنا في طهران. نظريًا كلام الأخ حبيبي عن نهوض الشعب العراقي، أو أشخاص لتغيير النظام، صحيح، لكن إذا أخذنا الوضع الداخلي في العراق لا يمكن أن يتم ذلك بمبادرة ذاتية من داخل العراق، إذا لم تكن سورية وإيران وراء هذه المبادرة وذلك لأن الشعب العراقي مشلول، خاض حربين قاسيتين مدمرتين خلال عشر سنوات وبشكل مستمر، الجيش العراقي واقع تحت شعور الهزيمة بعد حرب الخليج، لكن مجمل هذا الواقع يشكل حافزًا للتغيير، التغيير لا يأتي من ذاته إذا لم يخطط له، ولذلك اقترحت موضوع العمل على عقد مؤتمر وانبثاق هيئة قيادية في إطار مباحثاتنا التي جرت في إيران، هذه المعارضة المساندة بشكل قوى من سورية وإيران تشكل حافزًا داخل العراق واطمئنانًا للقوى الوطنية والإسلامية، أو القوى التغييرية؛ أن هناك من يساعدها، عندها يمكن الحديث عن التغيير، وقناعتنا أن أي تغيير لا يؤدي إلى قيام حكم صديق وقريب لسورية وإيران سيكون كارثة للمنطقة وسيكون أسوأ من الوضع الراهن، لأنه سيأخذ شرعيتين: شرعية من داخل العراق، وشرعية من خارج العراق، ولذلك الجهات الأخرى تريد إبعاد أي دور لإيران أو سورية في عملية التغيير.

قال السيد حبيبي: نحن موافقون على استمرار ما تم الاتفاق عليه في طهران، والمسؤولون من الجانبين يجب أن يستمروا في اتصالاتهم وعملهم، وكما يجب عدم قطع الاتصال مع السعودية ويبقى الاتصال مستمرًا بيننا وبين السعودية، ويجب أن نتأكد ونتحقق هل السعوديون قد توصلوا إلى خطوتهم الإيقافية بسبب نابع عن قناعة أم بسبب ضغوط خارجية؟

قلت: المهم النتيجة، النتيجة أنهم توقفوا.

سأل السيد حبيبي: هل تعتقدون الآن أن العمل الثلاثي في المستقبل أصبح غير ممكن؟

قلت: أصبح مشكوكًا به، نلاحظ أن عملية التوقف تمت قبل اجتماع بيكر بمندوبي مؤتمر فيينا.

قال الشرع: سمعت الناطق الرسمي باسم مؤتمر فيينا يقول: «هذا مؤتمر مهم لأننا تخلصنا من النفوذين السوري والإيراني، ونحن نسير باتجاه مستقل لتغيير النظام في العراق». الناطق الرسمي شخص عراقي، جنسيته أميركية ويعيش في الولايات المتحدة.

سأل السيد حبيبي: هل هناك إمكانية دخول أشخاص جدد لاتفاقية فيينا؟

قلت: جماعة فيينا، أو الذين نظموا المؤتمر، يريدون تشكيل هذه القيادة التي تم تشكيلها كممثل للعراق، ويأتيهم دعم من الدول الأخرى، والأخطر أنه كان مطلوبًا من المؤتمر الاعتراف بالانتخابات الكردية ونتائجها وإذا حدث انقلاب يكون هؤلاء جاهزين حتى يركبوا الموجة.

قال السيد حبيبي: إذن نحن نستمر كما اتفقنا في طهران، ومن أجل إعطاء حوافز أقوى للمعارضة، يجب أن ننبههم دائمًا لخطر تفكيك العراق، وهناك موضوع شبيه بالسؤال واقتراح في الوقت نفسه، إلى أي مدى نستطيع أن نتحدث عن الخطر الداهم للمنطقة؟ أي التحدث مع دول إسلامية أخرى مثلاً، هل ترون أن نتحدث؟

قلت: يجب أن نتحدث وهذا الأمر مطروح، تصريح الطالباني بمنتهى الخطورة، وإجراء الانتخابات بحد ذاته عمل انفصالي كبير، هم لم يُجروا الانتخابات من أجل تشكيل قيادة كردية، أجروها من أجل تشكيل مؤسسات قيادية ودستورية، هل أفهم أن الجانبين السوري والإيراني سيعملان على عقد مؤتمر للمعارضة ينبثق عنه قيادة أكثر تماسكًا والتحامًا، تعمل وفق الأفكار التي ناقشناها في إيران مع استمرار الاتصال بالسعودية لإقناعها بمتابعة العمل الثلاثي.

قال السيد حبيبي: أنتم تعرفون الأكراد والأتراك كما نعرفهم، وهناك واقع أن الأكراد والأتراك لا يستطيعون العيش تحت سقف واحد، هناك أحقاد بين الأكراد والأتراك والعراقيين، إذا حصل انفصال هناك خطر كبير مؤكد على تركيا، وخطر مؤكد أن تتفكك، إذن إذا ما حصل هذا الخطر وتفككت تركيا، فإن النفوذ الذي تحدثت عنه والذي يعطى لتركيا في جمهوريات آسيا الوسطى لا يساوي شيئًا، اللهم إذا قرر الغرب غض النظر عما يحصل لتركيا.

قلت: إذا تضاربت مصالح تركيا مع مصالح الغرب، هل يتخلى الغرب عن مصالحه الاستراتيجية مقابل مصلحة تركيا؟

أجاب السيد حبيبي: طبعًا الغرب سينحاز لصالحه ولا شك، ولكن يجب أن نعرف ما هي المصالح؟ مثلاً إذا جاء إلى سدة الحكم في العراق نظام غير هذا النظام الموجود، ويكون غير منحاز لسورية وإيران، هل يمكن أن يوافق الغرب على هذا النظام؟

قلت: العراق لا يمكن ضبطه إلا بأحد نظامين، إما نظام يشارك به كل الناس؛ أي ديمقراطي، أو نظام عسكري شديد كنظام صدام، النظام الديمقراطي الذي يشارك به الجميع يشكل خطرًا على الأنظمة في الخليج، الأنظمة الديمقراطية في الخليج بالمعنى الشامل مضطرة لأن تتمسك بمصالح البلد وتتعارض مصالحها مع المصالح الغربية، النظام العسكري لا يستطيع أن يستمر دون أن تكون له طموحات خارج العراق.

العراق كدولة قام عام ١٩٢٠ أو ١٩٢١، أي بعد الحرب العالمية الأولى، وكان فيه نظام ملكي، ولكن لم يحكم العراق بشكل ديمقراطي، دائمًا كان هناك نظام قوي يقمع الناس، في عام ١٩٤٩ وضع صالح جبر اتفاق «بورتثموث»، سقط صالح جبر.. واضطر الإنكليز والوصي على العرش أن يأتوا بمحمد الصدر رئيسًا للوزارة وشكّل حكومة ضمت كل زعماء المعارضة العراقية آنذاك، طرحوا مسألة جلاء البريطانيين عن البلاد.. سقطت حكومة الصدر وجاءت حكومة أخرى، عندما قامت الثورة في العراق جاء عبد الكريم قاسم، وهو عسكري، وأول ما نظر إلى الكويت عام ١٩٦٨، وعندما جاء البكر أيضًا نظر إلى الكويت وحدثت أزمة عام ١٩٧١ بين الكويت والعراق وذهبتُ للوساطة، ذهبت للكويت، والتقيت صباح السالم، قال: هناك اتفاق موقّع بيني وبين البكر عندما كنا رؤساء وزارة ونحن نقبل بتنفيذ هذا الاتفاق، آنذاك احتل العراق مرفأ أم القصر في القسم الكويتي، ذهبت إلى بغداد وعرض الموضوع على البكر، ابتسم ابتسامة صفراء وقال: الاتفاق كان بين البكر عندما كان رئيس وزراء وصباح السالم عندما كان رئيس وزراء، الآن لا أنا رئيس وزراء ولا هو رئيس وزراء، ولذلك الاتفاق طار. قلت له: الكويت كدولة تحتاج لحدود، ما هي الحدود التي يجب أن تكون للكويت؟ قال: نحن نحدد الكويت كما نحدد بغداد، مستعدون لإعطائهم حدودًا إدارية كحدود بغداد. هذا الكلام عن الكويت.. ويعني كأنها بلدية من بلديات العراق. عندما تسلّم صَدَّام حسين الحكم شن بعد أقل من سنة الحرب على إيران، حكم ديكتاتوري في العراق لا يمكن أن يبقى داخل العراق، سيخرج. ولذلك فإن الغرب يعرف هذه الحقائق

ويريد التخلص من العراق كبلد، مستحيل أن يُجري الأكراد الانتخابات ويشكّلوا حكومة بمعزل عن موافقة بعض الدول الغربية. لنذكر أيام الانتفاضة بعد تحرير الكويت، كان صدام يقصف مناطق الوسط والجنوب ويدمرها بكل وسائل القمع، وأيضًا يخرب المناطق الكردية، ولكن مع ذلك كل وسائل الإعلام الغربية تركزت على الشمال وتجاهلت ما يجري في الوسط والجنوب، لذلك يجب ألا نستغرب مثل هذا الهدف.

قال السيد حبيبي: نحن متفقون حول الخطر الداهم ويجب أن نسعى للاتجاهات التي تحدثنا عنها، ويجب أن يستمر الاتصال مع السعودية.

بالنسبة لانعقاد مؤتمر.. المعارضة موافقون من حيث المبدأ، ونقترح أن نُنشط العمل بين الخبراء، يجب أن نُنشط العمل على مستوى الخبراء، لأن هناك كما قلتم مؤتمر فيينا، وهناك دعم غربي للمؤتمر، لا بد أن نضمن للاجتماع الذي نريده النتائج المرجوّة، لا بد من زيادة وتيرة العمل على مستوى الخبراء، والاتصال بالمعارضة لتأمين مستلزمات نجاح المؤتمر، وبعد ذلك يُعقد المؤتمر.

قلت: جيد.

قال السيد حبيبي: إذن هذه هي النتيجة التي توصلنا إليها فيما يتعلق بالعراق. وإذا استطعنا أن نتطرق لكيفية الاتصال بالدول الأخرى وطرح الموضوع الذي يهدد العراق يكون من المناسب التحدث خلال اليومين اللذين سنقضيهما هنا ونحدد الدول التي سنتصل بها ونحدد مع من سنتصل، ومع من ستتصلون.

* * *

وفي إطار تحضيره لاجتياح الكويت فقد اتخذ الخطوة التالية التي اتخذها وهي تهدئة الوضع مع إيران ليتمكن من سحب قواته من الحدود العراقية ـ الإيرانية من جهة، وحتى لا يتيح لإيران فرصة الانقضاض عليه في حال إقدامه على شن الحرب ضد الكويت.

وبين الواحد والعشرين من نيسان عام ١٩٩٠ والرابع عشر من آب في ذات العام جرى تبادل عدد من الرسائل بين الرئيس العراقي والرئيس الإيراني، وكانت الرسالة الأولى للسيد علي خامنئي مرشد الثورة الإسلامية في إيران، وإلى الرئيس هاشمي رفسنجاني.

وأضع أمام القارئ هذه الرسائل المتبادلة بين الأطراف ليدرك أن اجتياح الكويت لم يكن حالة عابرة، وأن الهدف كان أوسع مما أُعلن من خلافات حول الديون وأسعار النفط.

في الواحد والعشرين من نيسان ١٩٩٠ وجّه صَدَّام حسين الرسالة التالية إلى آية الله علي خامنئي قائد الثورة وإلى حجة الإسلام علي أكبر هاشمي رفسنجاني، هذا نصها:

سيادة علي خامنئي،

سيادة هاشمي رفسنجاني،

السلام عليكم،

سبق لي وأن خاطبتكم في مناسبات سابقة، أثناء الحرب، بصورة غير مباشرة عبر وسائل إعلام العراق التي كانت الوسيلة الوحيدة المتاحة أمامنا لإيصال ما نريد قوله لكم، كما كنت أستمع إلى ما تقولونه عبر وسائل إعلامكم بالمقابل، وكانت آخر مبادرة توجهنا بها إليكم بنيّة لا ريب فيها إلى تحقيق السلام الكامل والشامل هي تلك التي أعلناها في الخامس من كانون الثاني ١٩٩٠، غير أننا لم نهتدِ معًا حتى الآن إلى ما نرجوه من سلام بين بلدينا لنغادر سوية مآسي الحرب واحتمالات اندلاعها من جديد، وإنه لأمر مفهوم أن تحيط الظنون والهواجس والتفسيرات المتشككة بما هو خيّر وما يمكن البناء عليه من آمال، والآن، ومن غير إعادة لما سبق أن قلناه من وجهة نظر كي تقولوا أنتم بالمقابل ما لديكم من وجهة ولكي لا يندفع الحوار بعيدًا عن ميدانه وأغراضه البنّاءة ويتجه نحو المجادلة وتبرز فيه عوامل الاختلاف لتتغلب على ما نرجوه من اتفاق على تحقيق السلام الفعلي والشامل والفوري لا بين العراق وإيران وحسب، بل بين الأمة العربية وإيران، إن شاء الله.

أخاطبكم هذه المرة مباشرة لأقترح عليكم في هذا الشهر المبارك الذي يصوم فيه المسلمون وهم يتجهون إلى الفوز برضى الرحمن سبحانه وتعالى عقد لقاء مباشر بيننا يمثلنا فيه عبد الله صاحب هذه الرسالة، السيد عزت إبراهيم وفريق من معاونينا، ويمثلكم فيه السيدان علي خامنئي وهاشمي رفسنجاني وفريق من معاونيكم، كما أقترح أن يُعقد اللقاء في مكة المكرمة قِبلة المسلمين في الصلاة إلى الله والبيت العتيق الذي بناه سيدنا إبراهيم عليه السلام، أو في أي مكان آخر يتم الاتفاق عليه بيننا لنعمل بعون الله على تحقيق السلام الذي تنتظره شعوبنا والأمة الإسلامية جمعاء ونوفر بذلك دماء قد تسيل مرة أخرى لأي سبب كان، فمن بين الاحتمالات التي يحملها الموقف أن تسعى القوى التي كان لها يد في الفتنة التي وقعت بين إيران والعراق إلى تجديد الحرب مرة أخرى بما يبعد السلام عن بلدينا.

وإنكم لا بد تتابعون التهديدات التي يتعرض إليها العراق والأمة العربية من جانب الصهيونية وبعض الدول العظمى والكبرى، ولا شك أنكم تعرفون بأن الهدف الأساس من

هذه التهديدات هو إبقاء يد الكيان الصهيوني طليقة لتعيث في الأرض فسادًا، ولتكون قادرة على البطش بمن يعترض سبيل الباطل وينهره ويصده عن رغباته وأطماعه الشريرة في المنطقة ويسعى لإزالة احتلاله لأرض فلسطين العربية والقدس الشريف العزيز على كل مسلم، بل وعلى كل من يؤمن بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر.

إن هذه القوى الشريرة التي نأمل أن تخيب آمالها وتطيش سهامها بعون الله لا بد وأن تعمل على إعادة الصراع الدامي المسلح بين إيران من جانب والعراق والأمة العربية من جانب آخر، ولديها ما لديها من وسائل لتحقيق ذلك، وعند ذلك لن يخسر المسلمون جميعًا فرصة توجيه إمكاناتهم وما لديهم من قدرات لتحرير مقدساتهم في فلسطين وحسب، بل سيخسرون الكثير والكثير مما عندهم.

إننا نرى بلوغ ما يعتبره العراق حقًّا، وبلوغ ما تراه إيران حقًّا، متاحًا لنا في اللقاء المباشر بيننا والذي يقطع الطريق على المتربصين الساعين إلى تعكير الرغبة في السلام، إذا ما اتجهت النيات باتجاه صِدق إلى السلام وفق ما يرضاه الله لنا وترضاه شعوبنا، ومن جانبنا فإن هذه النية متوفرة لدينا بإيمان عميق ومستقر وليس فيها غير الرغبة في الحصول على حقنا الثابت المتوازن مع حقكم الثابت.

وإنني لأقترح عليكم، وعلى قاعدة خير البر عاجله أن يتم اللقاء في ثاني أيام عيد الفطر المبارك أو في أي موعد آخر يتم الاتفاق عليه.

أما بشأن زيارتكم لمكة وما يتصل بها من مستلزمات المراسم من جانب الدولة المضيفة فإننا، وعلى أساس ما يجمعنا وإخواننا في المملكة العربية السعودية من وشائج الأخوة والاحترام المتبادل، سنتمنى على أخينا الملك فهد بن عبد العزيز، لأن يوفر ما هو ضروري ومناسب لمثل هذا الأمر، مع العلم أننا لم نبلغه حتى الآن بمضمون رسالتنا هذه.

وتسهيلاً وتحضيرًا لمتطلبات اللقاء، قد ترون مثلما نرى أن يتواجد في طهران من يمثلنا ويتواجد في بغداد من يمثلكم وأن تفتح خطوط الهاتف المباشر بين العاصمتين لتأمين الاتصالات اللازمة.

اللهم اشهد أني قد بلغت، والسلام عليكم

صَدَّام حسين
بغداد في ٢٦ رمضان ١٤١٠هـ
الموافق ٢١ نيسان ١٩٩٠م

ولم تمضِ أيام حتى تلقّى الرئيس العراقي الجواب التالي من الرئيس الإيراني:

باسمه تعالى

رسالة رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الجوابية على رسالة رئيس الجمهورية العراقية المؤرخة ٢٦/ رمضان ١٤١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد عبده ورسوله وعلى آله الأطياب الأطهار.

جناب السيد صَدَّام حسين،

لقد اطلعت على رسالتكم المؤرخة ٢٦ رمضان ١٤١٠، وفي الحقيقة إذا كانت موضوعات هذه الرسالة قد حظيت بالاهتمام قبل ثمان سنوات وكان إرسال الرسالة مكان إرسال الجندي لما كانت إيران والعراق وربما جميع الأمة الإسلامية تواجه كل هذه الخسائر والضحايا اليوم، والكل يعلم بأن الثورة الإسلامية ومنذ البداية ودائمًا وضعت قضايا تقارب الدول الإسلامية ومجد وعظمة الإسلام والمسلمين والنضال ضد الحكومة الإسرائيلية الغاصبة وتحرير فلسطين في أول سلّم أولوياتها، وإذا كانت جميع حكومات المنطقة العربية وكما فعلت بعضها، قد عرفت مكانة هذه الثورة المضادة للصهيونية والاستكبار وتعاونت معها لكانت الآن معادلة القدرة والقوة في الشرق الأوسط هي في نفع الإسلام ولما وجدت إسرائيل والاستكبار مثل هذه الفرصة لبسط وجودها وتوسعها، وإننا بطبيعة الحال ليس لدينا مشاكل مع الأمة العربية، ومن المؤسف أن فرصة تاريخية ذهبت خلال السنوات العشر الماضية ومن بداية الثورة الإسلامية فُرضت علينا حرب مدمرة ما أردناها، واحتُلت مناطق واسعة من أراضينا في الحدود الغربية للبلاد وهدرت طاقات وإمكانات بشرية واقتصادية وعسكرية لإيران والعراق والتي كان يجب أن توظّف للنضال ضد الكفر والإلحاد وقد انتفع أعداء الإسلام والقوى العظمى بذريعة حمايتها أو أنها زادت من تدخلاتها، كما أن إسرائيل استطاعت أن تربح من هذه الفرصة وتقوم بتنفيذ قسم من برامجها التوسعية العدوانية، وكان من نتائجها أن أصبح عار كامب ديفيد ومساومة بعض دول المنطقة مع إسرائيل أمرًا عاديًا.

لقد قُلنا مرارًا إنه لو لم تبدأ الحرب وتمت الاستفادة من الإمكانات المتاحة لشعبيْ إيران والعراق من أجل الوحدة وحفظ مصالح المسلمين، لما تجرّأ الاستكبار الغربي والصهيونية على القيام بذلك.

وعلى أية حال فلا بد من أخذ العبرة من كل ما حدث والانتباه إلى أن مواصلة حالة اللا سلم واللا حرب أو اشتعال الحرب ثانية سيكون وبالاً وتدميرًا أكثر للبلدين والشعبين الإيراني والعراقي وضعفًا للأمة الإسلامية وسرورًا وفرصة لكسب الامتيازات للكفر العالمي، وطبعًا فإن تجربة الحرب المفروضة قد أفهمت أولئك الذين لا يصدقون بسرعة بأن الهجوم العسكري سوف لن يكون قادرًا على زعزعة أسس وأعمدة الثورة الإسلامية المعتمدة على إرادة الجماهير الإسلامية.

وهنا يجب أن نؤكد، وكما أعلن قائد الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية الإمام الخميني العظيم قدس سره الشريف، وذلك بعد قبول القرار حيث قال:»إننا نتحدث إلى شعبنا بكل صدق وإننا في إطار القرار ٥٩٨ نفكر في سلام صامد، وهذا ليس تكتيكًا بأي شكل من الأشكال». إننا في سعينا من أجل الوصول إلى سلام حقيقي وشامل لن نسمح لأي شك أن يساورنا، وإن سماحة آية الله الخامنئي قائد الثورة يواصل بحزم الطريق نفسها التي رسمها إمامنا الراحل للوصول إلى سلام شامل، وعلى هذا الأساس فإننا نرحب بأي نوع من المبادرة أو الاقتراح الذي يُوصل البلدين إلى السلام الشامل خاصة في الظرف الحالي الذي يحاول حماة إسرائيل الغاصبة الاستفادة من تمزق العالم الإسلامي من أجل الحصول على امتيازات أكثر وتضعيف المسلمين وتقوية الصهاينة، إننا لا نرغب في حالة اللا حرب واللا سلم، ولكننا نختار وبكل حزم طُرق السلام الحقيقي والشامل الذي يحفظ مصالح الأمة الإسلامية.

وإنني أجلب انتباهكم إلى هذه الحقيقة وهي أن مواصلة احتلال قسم من أراضينا الإسلامية سيجعل حركتنا في طريق الوصول إلى صلح شامل بطيئة أو غير مثمرة، وأنتم تعلمون بأننا وبعد قرارنا بإيقاف الحرب سحبنا جميع قواتنا في داخل العراق إلى حدودنا بدون إبطاء وكونوا واثقين بأن هذه الوضعية بالنسبة للشعب الإيراني الذي نذر نفسه للإسلام والثورة تخلق شكًا جديًا لديه في حُسن نية الطرف الآخر، نحن مصممون على أن نحظى بثقة الشعب خلال مسيرتنا في طريق السلم كما في مرحلة الدفاع.

والنقطة الأخرى وهي قبل الإقدام على إجراء الاتصال بين رئيسي جمهوريتي البلدين لا بد من جلوس ممثل من جانبنا وممثل من جانبكم في إحدى الدول التي لها علاقات ودية مع الجانبين ليتحدثا عن الأمور التي يجب إنجازها؛ لكي تتوفر الأرضية اللازمة والخطوات التمهيدية للقرار النهائي بدون فوات الأوان.

ومن جهة أخرى يجب أن يكون أسلوب الإجراءات بحيث لا يوجد أي خلل في اعتماد القرار ٥٩٨ باعتباره الإطار المناسب لحل النزاعات.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام على من اتبع الهدى

أكبر هاشمي رفسنجاني
شوال ١٤١٠ هجري قمري
الموافق ١٢/ ٢/ ١٢٦٩ هجري شمسي

وقد حمَل الرسالة العراقية وجوابها مندوب بعث به عرفات إلى طهران مع الرسالة التالية من ياسر عرفات:

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الفقيه السيد علي خامنئي،
سماحة الأخ الرئيس هاشمي رفسنجاني،
رئيس جمهورية إيران الإسلامية،
تحية الجهاد والثورة،

فإنني أغتنم فرصة وصول رسولنا إليكم الأخ أبو خالد وهو يحمل رسالة خاصة من السيد الرئيس صَدَّام حسين والتي قمت بتسليمها له، وهذه الرسالة المفاجئة والمهمة هي مبادرة حُسن نية من العراق إلى إيران، بل من القيادة العراقية إلى إخوانهم في القيادة الإيرانية التي أمْلَتها الظروف الخطيرة التي تمر بها الأمة الإسلامية بشكل عام والأمة العربية بشكل خاص والتي تسبَّب فيها القرار الدولي المشترك بعد لقاء مالطا بالهجرة اليهودية السوفيتية ومن بلدان شرق أوربّا والتي ستصل خلال العشر سنوات إلى أكثر من ثلاثة ملايين يهودي مهاجر؛ فيرتفع عددهم إلى أربعة ملايين مع الزيادة في المواليد، وإن هذه الملايين هي إسرائيل جديدة ستنفجر حتمًا في جميع أنحاء الشرق الأوسط، وستثبت لعقود جديدة استعمارهم لمقدسات المسلمين في فلسطين والقدس أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وتأتي هذه الهجرة لخنق الانتفاضة المباركة للشعب الفلسطيني المجاهد.

وأمام المستجدات الأخرى المتمثلة بالتهديدات الإسرائيلية والأميركية وبعض الدول الأوربّية للدول العربية وللأمة الإسلامية وللمنطقة كلها التي يحاولون بها السيطرة من

خلال إسرائيل التي تمثل رأس الجسر والحربة الاستعمارية لقوى الاستكبار العالمي في الشرق الأوسط، أهم مراكز احتياطي النفط في العالم بجانب الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به.

إن العالمين العربي والإسلامي بل وشعوب ودول العالم الثالث وشعب فلسطين بالخصوص لينتظر منكم المبادرة الإيجابية والبنّاءة أمام هذه المبادرة التي يرسلها إليكم السيد الرئيس صَدَّام حسين، وهي تأتي بناء لهذه العوامل المجتمعة وعلى أرضية المساعي الخيّرة التي ننطلق منها لإنهاء هذا الوضع بين البلدين الشقيقين المسلمَين لما فيه خير الشعبين الإيراني والعراقي وخير الأمة الإسلامية وخير فلسطين وشعبها المجاهد الذي يتطلع من أسره في رحاب المسجد الأقصى المبارك إلى نجاح هذه المبادرة الخيّرة حتى تتوحد كلمة وقوة وإرادة المسلمين من أجل فلسطين أرض الإسراء والمعراج.

أناشدكم بكل المحبة، وبكل الأخوة وبكل المقدسات أن نسارع بهذه الخطوة المباركة، فأفئدة المسلمين ترنو إليكم وتهفو لنجاحها.

وإنني مع إخوانكم شعب فلسطين المجاهد وبكل ما له من المحبة والتأييد والدعم في هذا العالم سنكون الأوفياء المخلصين لتحقيق وإنجاح هذه المبادرة الخيّرة لأمتنا الإسلامية.

بسم الله الرحمن الرحيم {ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين} صدق الله العظيم

والله من وراء القصد

وكل عام وأنتم والشعب الإيراني الشقيق بخير، ومعًا لنصلي سويًّا في القدس المحرَّرة بعونه تعالى.

أخوكم
ياسر عرفات الحسيني
رئيس دولة فلسطين
رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية
٢٧ رمضان ١٤١٠
٢٢ مايو ١٩٩٠

وفي التاسع عشر من أيار بعث الرئيس العراقي برسالة جوابية إلى السيدين خامنئي ورفسنجاني، وهذا نصها:

السيد علي خامنئي،
السيد علي أكبر هاشمي رفسنجاني،

وبعد،

تسلمت رسالتكم الخطّية المؤرخة في ٦ شوال ١٤١٠، الجوابية على رسالتنا المرسلة إليكم والمؤرخة في ٢٦ رمضان ١٤١٠، المصادف ٢١ نيسان ١٩٩٠، وقد قرأتها وأعَدْت قراءتها أكثر من مرة، أنا وإخواني في القيادة ورغم أننا قد فهمنا من رسالتكم أنكم توافقون على اقتراحنا لعقد لقاء بيننا وبينكم على مستوى القمة لإعطاء حل حاسم ونهائي للمشاكل المعلقة بين بلدينا، والتي كانت سببًا للنزاع أو نتيجة له، وإننا قد سررنا بذلك، إلا أن روح الرسالة لم تكن كما كنا نأمل، ذلك أنها قد انطوت على عبارات مبطنة في بدايتها وحيثما وجدت فرصة لذلك وخشنة في خاتمتها.

إننا أيها السادة، عندما فكرنا في الكتابة المباشرة إليكم فقد قلبنا كل ما تكتنفه العلاقة بيننا من وضع خاص، ولكننا وجدنا أن أسلوب الكتابة مباشرة، وما يتأسس عليه من صلة، هو الأسلوب الأكثر جدوى لتحقيق لقاء مباشر وحوار مباشر، ليس هنالك ما هو أكثر فائدة منه وأقدر على إنجاز السلام المنشود بين العراق وإيران، بل بين الأمة العربية وإيران.

وإننا نعرف ونفترض بأنكم تعرفون أيضًا أن السلام بيننا لا يتحقق باقتناع طرف من غير أن يقترن باقتناع الطرف الآخر، ولا تفيده رعاية يقدمها طرف واحد من غير أن تثير مبادرة الرعاية هذه، رعاية مقابلة للأفكار والمعاني والأساليب أيضًا عند الطرف الآخر.

وقد استذكرنا قبل أن نكتب رسالتنا الأولى، بأننا قد استخدمنا واستخدمتم، وأسمع كل طرف الطرف الآخر أقوى العبارات وربما أخشنها طوال السنوات العشر الماضية، وبغض النظر عن تأثير ذلك الأسلوب ونوع ذلك التأثير الذي كان من صفحات النزاع والحرب بيننا، فإنه لم يحقق السلام.

ومن ضمن ما ورد في رسالتكم من عبارات ومصطلحات ـ الحرب المفروضة وبطء الفهم ـ واختتام رسالتكم بجملة ـ والسلام على من اتبع الهدى ـ بدلاً من ـ والسلام عليكم ـ مما هو معتاد استخدامه في رسائل كهذه.

ولأننا نريد السلام ليس لأي سبب إلا لمعانيه العظيمة في نفوسنا وفي ما نؤمن، فقد وزنا رسالتنا، مفاهيم وتعابير، مع قياساتنا الإنسانية ونُبل مقاصدنا فلم نستخدم إلا ما يرضي الله والناس من عبارات، ولا يعني ذلك ابتداء تغييرًا في كل مفاهيمنا وآرائنا، بل يعني أننا نرغب في أن نفتح بابًا جديدًا أقرب للنفس المقابلة، وأكثر قدرة على التأثير فيها لصالح منهج السلام الذي نُعده مقصدًا شريفًا، ويخدم شعبنا والإنسانية، ولأن هذا الأسلوب هو الأسلوب اللائق والمناسب لمثل هذه المقاصد والسبل، فالواجب يقتضي أن نجرب أسلوبًا جديدًا في التخاطب، هو غير أسلوب الحرب أو الزمن الذي سبقها، ثم إن استخدام العبارات والتعابير التي استخدمت أثناء الحرب، لا يوهم أيًا من الطرفين بأنه يعني اقتدارًا إضافيًا على ما هو معروف عن اقتدار كل طرف من طرفي النزاع، وهو لا يعين على إثبات أمر على أنه حق، وإن استخدام عبارات مناسبة لمخاطبة كهذه، إن لم يقوِّ اقتدار المقتدر ويعينه بعد التوكل على الله، فإنه في كل الأحوال لا يحذف من اقتداره شيئًا، ولا ينقص منه حقًا ثابتًا، بل سيكون مدخل ضوء إلى قلوب حَمّلتها الحرب الكثير حتى أثخنت جراحها، وبما يجعلها، عندما تتجه اتجاه صدق، مهيأة لعمل الخير الذي يحقق السلام.

لذلك وجدنا أن الذي يناسب المكاتبة بيننا، هو عدم تثبيت ما نراه حقًا لنا، لكي لا تندفعوا إلى تثبيت ما ترونه حقًا لكم، وبذلك قد لا تتوفر فرصة للتهيؤ النفسي، كما ينبغي ليستقبل كل منا الحوار المباشر، وإننا في هذا لا نقصد سد باب الحوار الذي ينفتح في الصلة المباشرة على ما يراه كل منا مفيدًا، ليتعرف كل طرف على صلة الخطوة الأولى بآخر خطوة على طريق السلام، وليرى عملية السلام ككل من خطواتها الأولى، وصلة ما يراه حقًا لنفسه، مع ما يراه المقابل حقًا له، ويستحسن ونحن نسعى سوية إلى ما يحقق السلام أن لا ينشغل أي طرف منا بما هو ماض، على حساب ما هو مستقبل لأن البقاء عند سياسة مضغ أحداث الماضي يجعل من ينطبق عليه هذا الوصف متهمًا من قِبل شعوبنا، وهي الأقدر على معرفة خواص كل واحد منا، بأنه بطيء الفهم، وإننا في هذا لا نريد أن نتهرب من الماضي، لأنكم تعرفون أو تقدرون، بأننا قادرون على أن نبرز إلى ميدان مناظرة (من بدأ الحرب والعداوة وكيف بدأت) وثائق كافية تدعم وجهة نظرنا بصورة تفصيلية، وتعرفون أن الوثائق ستكون أكثر تأثيرًا في إقناع المحيط الأوسع من شعوبنا والإنسانية، مما ستكون عليه الأقوال والآراء المسبقة لأي طرف في قيادتي البلدين، وتعرفون أن التساؤل حول هذا الموضوع والخوض فيه، إذا ما عُدّ مدخلاً لبحثنا على أساس أنه الأسبق في تسلسله الزمني كما كنتم تقولون قبل تموز عام ١٩٨٨ يتطلب زمنًا وجهدًا لإثبات الحجة يوازي زمن الحرب ويتعداه إلى الزمن

الذي سبقها أو يتناظر معه، وتعرفون أن كل واحد من طرفي النزاع يحتفظ بتوقيت لبدايته، ويستند إلى حجج ووقائع عملية وقانونية، غير الحجج والوقائع التي يستند إليها الطرف الآخر، ومن ذلك سيتضح من هو الأحق في أن يصف الحرب بالحرب المفروضة، ومن هو الأحق في أن يشير إلى إرسال الرسائل بدلاً من إرسال الجنود... إلخ.

أما عن قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ فهو في نظرنا منذ أن قبلناه بعد صدوره في تموز عام ١٩٨٧ خطة سلام شامل ودائم بين البلدين وفق ما يتفقان عليه، مستعينين بما ورد فيه من مبادئ وأحكام.

لذلك التزمنا بالقرار – وما نزال نلتزم بتطبيقه – على أساس هذا الفهم وإننا نفترض ونحن نسعى إلى السلام أن رغبتنا في البلدين فيه وفائدتنا منه، تحظى بنفس المستوى والدرجة من الحماسة، لذلك فليس مطلوبًا من أي من طرفي النزاع أن يقدم ثمنًا مسبقًا لخطوة اللقاء المباشر، غير الرغبة الجادة في تحقيق السلام، وبمفردات عملية ذات دلالة، وعندما يتحقق السلام فإنه من تحصيل الحاصل أن يكون جيش كل بلد داخل بلده، وأن لا يكون له امتداد على أي تلة أو شبر أرض أو في مياه أيٍّ من البلدين، مما فرضته ظروف خاصة واعتبارات وقف إطلاق النار وحالة اللا حرب واللا سلم.

ذكرتم في رسالتكم بأنكم انسحبتم من الأراضي العراقية، وتعنون بذلك انسحابكم من حلبجة في ظروف خاصة معروفة، إلى آخر الجملة.

وتعليقنا على ذلك، أننا انسحبنا من أراضيكم التي دخلت إليها جيوشنا في ظروف معروفة في بداية النزاع المسلح في عام ١٩٨٠ وتم ذلك في ٢٠ حزيران ١٩٨٢ بعد أن كنا قد أعلنا قرار الانسحاب ذاك في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة في ١٠ حزيران ١٩٨٢ والذي قلنا فيه إننا سننسحب في مدة أقصاها عشرة أيام، وقد طبق فعلاً بينما انسحبت قواتكم من حليجة في ظروف قتال خاصة، هي غير الظروف التي انسحبت فيها جيوشنا.

لذلك، فإذا كنتم تُعدون انسحابكم من حليجة الذي حصل في ظروف خاصة دليلاً على إثبات حسن النية الذي ينفي عنكم الطمع، أو الرغبة في الاحتفاظ بأراضي الغير فإن الأدعى أن يعد انسحابنا من أراضيكم عام ١٩٨٢ وانسحابنا من أراضيكم بعد معارك توكلنا على الله الرابعة في قاطعي الجنوب والأوسط في تموز ١٩٨٨ دليلاً إضافيًا، مع الدلائل الأخرى على حُسن نيتنا، وعدم رغبتنا في احتفاظ العراق بأي شبر من أرض إيران.

وفي كل الأحوال، فإن السلام يعني فيما يعنيه من جانبنا أن لا يغتصب أي طرف حقًّا ثابتًا لطرف آخر، وأن لا يغتصب أو يحتفظ أحد أطراف النزاع بشبر أرض أو مياه الطرف الآخر، وهو منهج طالما أكدنا عليه، وتمسكنا به في أكثر الظروف تعقيدًا وعداوة، ولذلك فمن البديهي أن نتمسك به في نفس الوقت الذي نحثكم فيه على التمسك به في ظروف مباحثات السلام وكطريق لبلوغه، إن شاء الله.

لقد عَلِمنا من إجابتكم على الاستفسارات التي عرضها سفيرنا، في جنيف على سفيركم هناك حول ما جاء في رسالتكم إلينا بشأن لقاء تمهيدي بين مندوبين عن الطرفين أنكم تُحبذون هذا الأسلوب للتحضير للقاء القمة، إننا نوافق على هذا الترتيب، وقد خولنا سفيرنا في جنيف السيد برزان إبراهيم التكريتي بإجراء المحادثات مع سفيركم هناك السيد سيروس ناصري، وفي رأينا أن تكون مهمة مندوبينا تبادل وجهات النظر حول مواقف الطرفين ليتعرف كل طرف على رأي الطرف الآخر إزاء القضايا التي تهمنا، وقد يتمكن المندوبان من الاتفاق على بعض الجوانب بما يوضح لنا الصورة عند اللقاء على مستوى القمة ويُسهّل مهمتنا على أن يُبقيا ما قد لا يتفقان عليه ليُحسم في اللقاء على مستوى القمة.

أما عن مكان انعقاد القمة فإننا ما نزال بانتظار تحديد مقترحكم بشأنه؛ لأننا لم نجد في جوابكم رأيًا قاطعًا في المكان الذي اقترحناه وهو مكة المكرمة، وقد يكون ذلك من الأمور التي يبحثها المندوبان.

أما بشأن من يحضر القمة فإننا ما نزال نرى بأن اللقاء على مستوى القمة، ينبغي أن يضم مصادر القرار الأساسية في البلدين، إذا ما قبلتم فعليًّا فكرة اللقاء على مستوى القمة، توكلنا على الله لتحقيقها معنا لأن حضورنا معًا على مستوى القمة هو اختبار الجدية التوجّه لحسم الأمور بحلول نهائية مقبولة للطرفين، إذا ما تحققت بعون من الله، سيكون بعدها السلام الدائم والشامل، وإن بقاء مصادر قرار أساسية خارج لقاء القمة قادرة على أن تقول لا أو نعم سيؤثر على تطبيق ما يتم الاتفاق عليه وعلى مستوى الالتزام به، إذ إن بقاءها خارج اللقاء لا يحقق غرضه ولا يُطمئن أطرافه كما يجب، وقد يُعطل أو يُعدل ما يُتفق عليه من قرارات في القمة.

ثم إن السلام يبدأ فعليًّا من حيث تبدأ بدايته النفسية داخل من ينسجون خيوطه حتى يتكون كحالة مستقرة في الصدور؛ لذلك فإن من يشارك في صنعه منذ البداية سيجد أنه مسؤول مسؤولية أخلاقية ونفسية عن تطبيقه والالتزام به، بالإضافة إلى أن حضور كل ثقل

مركز القرار يقطع أية حجة قد تبرز بما يعقد، أو يؤخر مسار السلام بعد الاتفاق عليه، لذلك نعيد التمسك بمقترحنا بأن يحضر لقاء القمة من جانبنا رئيس مجلس قيادة الثورة رئيس الجمهورية ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة، ويحضر من جانب إيران السيدان علي خامنئي، وعلي أكبر هاشمي رفسنجاني.

والله من وراء القصد

والسلام عليكم

صَدَّام حسين
بغداد في ٢٤ شوال ١٤١٠
الموافق ١٩ أيار ١٩٩٠

وقد ردَّ عليه الرئيس الإيراني بالرسالة التالية:

رسالة الرئيس هاشمي رفسنجاني الجوابية على رسالة رئيس الجمهورية العراقية بتاريخ ٢٤ شوال ١٤١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والسلام على رسول الله وآله وصحبه الكرام،

جناب السيد صَدَّام حسين،

استلمت رسالتكم المؤرخة ٢٤ شوال ١٤١٠ ونظرًا للاحتمال أن تكون حكومتكم جادة في طريق السلم كما ظهر من رسالتكم فإننا نرسل لكم جواب هذه الرسالة الثانية، ولكننا نأمل أن لا تضيع الوقت من الآن فصاعدًا، في تبادل الرسائل إلا في الحالات الضرورية، وأن لا يعاني الشعبان وجماهير المنطقة أكثر مما عانوا من تأثير حالة اللا حرب واللا سلم، وأدعو الله أن تكون هذه آخر رسالة وأن نشهد خطوات عملية جدية في طريق السلام.

في رسالتكم هناك شكوى لبعض عبارات ومضامين رسالتنا الجوابية، ونحن أيضًا لا نرضى في رسائل السلم أن تطرح موضوعات مؤذية أو مؤلمة، ولكن مع الأسف فإن حجر أساس هذا البناء قد تم وضعه في أول رسالة كتبتموها وهي في رأيكم من أجل إزالة ترسبات الصراع وتمهيد طريق الصداقة، ومن ضمنها في الرسالة الأولى ثم الادعاء وكأن الخا

الذي يواجهنا هو «الأمة العربية» الشيء الذي بذلت من أجله جهود جمة وبقي بلا طائل ولا نتيجة.

أنتم وحزبكم الذين كنتم تتحدثون في تلك الأيام عن موقف تيار التقدمية وجبهة المواجهة وقلتم بأن أفرادًا مثل بعض الملوك والشيوخ والأمراء كانوا يساندونكم طوال فترة الحرب هم ليسوا من الأمة العربية، وبُذلت جهود كافية إلى حد ما في إفشاء ماهيتهم كتابة ونشرًا وأحيانًا عرض بعض الوثائق.

وأستبعد أن تكونوا قد نسيتم أن أغلب الحكومات التقدمية والذين كانوا معكم في خندق واحد في جبهة المواجهة كانوا معنا في هذا الصراع أو على الأقل لم يكونوا منحازين، أما وضع الجماهير وبخاصة القوى الإسلامية المخلصة فتعرفونه جيدًا. في رسالتكم الأولى كنتم قد تحدثتم عن موقف من تبنى شؤون فلسطين والفلسطينيين والقوى المقاومة ضد هجمة الإمبريالية مع أنه يستبعد أن يكون منظمو تلك الرسالة غافلين عن تعاطف الجمهورية الإسلامية الإيرانية للقضية وكونها طليعة في هذا المجال، ولا يعلمون أن الهدف الأول للهجمة الاستكبارية هو الثورة الإسلامية الإيرانية، وكان من الأفضل أن لا يتم تجاهل هذه الحقيقة إذا كانت الرسالة قد كُتبت من أجل بناء الثقة.

إضافة إلى أن الآداب المتبعة في المراسلات الرسمية لم يتم رعايتها في رسالتكم الأولى والثانية ووجدت فيها عبارات وتعبيرات تحتوي على نقاط سلبية ومؤلمة تشابه تلك التي استعبتموها في رسالتنا، ومن الأفضل أن نتجاوزها وإذا لم تكونوا قد فتحتم أنتم باب الشكوى لما كتبنا هذه الأشياء لأننا الآن نتطلع إلى السلام وليس إلى المشاجرة وحرب الرسائل، وفيما يخص مستوى المسؤولين في المحادثات فمن الأفضل أن يكون الأمر الآن واضحًا بأن سماحة آية الله الخامنئي ولي أمر الثورة الإسلامية سوف لن يشارك في المحادثات، وطبيعي أن رئيس الجمهورية وسائر المسؤولين لن يُقدموا على شيء يخالف نظر القائد وإذا شارك رئيس الجمهورية في المحادثات فإنه ستكون حتمًا لديه كامل الصلاحيات حيث سينفذ القرار بالتأكيد ولا مجال للقلق الذي أبديتموه في رسالتكم.

ومن أجل إثبات حُسن النية والجدية في طريق السلام، فإنه قد تمت المقارنة في الرسالة الثانية بين انسحاب قواتنا بعد قبول القرار ٥٩٨ والوضعية بعد عمليات بيت المقدس واستعادة خرمشهر والانسحاب التكتيكي في نهاية الحرب.

حبذا لو لم تكونوا قد دخلتم في هذا البحث الذي لا يحتاج إلى توضيح أكثر وأنتم أنفسكم

تعلمون أنه حتى بعد فتح خرمشهر، بقيت قواتكم العسكرية في الجبهة الوسطى في مواقع كثيرة من الأراضي الإيرانية من ضمنها مدن نفت شهر وخسروي ومهران وعشرات القوى والمرتفعات التي كانت لها ظروف متباينة مع الجبهة الجنوبية حيث كانت أكثر المناطق منذ اليوم الأول للحرب ولحد الآن تحت احتلال قواتكم، ومن المستبعد أن يكون قادتكم العسكريون قد أخفوا وكتموا هذه الحقائق عنكم.

ومع أنه قد تم التأكيد مرارًا في الرسائل على ضرورة الاجتناب من اتخاذ المواقف المثيرة والتي تؤدي إلى ردود فعل فقد وردت إشارات إلى بعض الادعاءات التي تتناقض مع تلك التأكيدات، وتعلمون بأن تعريف الحقوق ليس على أساس الانطباعات والرغبات الشخصية، بل وفق القوانين والأنظمة المعروفة، وفي اعتقادنا فإن أحد المبادئ المهمة لضمان إحلال السلام بين دولتين هو مبدأ الوفاء بالعهد واحترام الضمانات الدولية. إن تأكيدكم على اعتماد القرار ٥٩٨ نتلقاه بشكل إيجابي، ولكن من الجدير بالذكر أن هذا القرار واضح وخالٍ من الغموض ويمكن أن يتم تنفيذه، وعلى أساس الأساليب المقترحة من قِبل الأمين العام الذي يتحمل مسؤولية تطبيقه، إن تكرار المواقف غير المفيدة أظهر عدم جدواها العملي خلال عدة دورات من المحادثات تحت إشراف الأمين العام، وإن ما تظهرونه من وجود مشكلة في تعيين البادئ بالحرب والذي هو من واجبات الأمين العام الأساسية حسب القرار ٥٩٨ لتثبيت سلام شامل وصامد بين البلدين وسد الطريق أمام الإجراءات التدريجية والخطوات العملية للوصول إلى سلام شامل ونهائي وكذلك طرح الادعاءات التي ليس لها دليل وكل شيء من هذا القبيل والذي يتنافى مع حُسن النية، نعتبرها ليست متناسبة مع الأهداف السلمية لأي من الطرفين.

ومن المؤسف أن التصريحات غير المناسبة التي انعكست في قرار اجتماع القمة في بغداد حول قضايا القرار ٥٩٨ وحقوق العراق وإيران، يمكنها أن تخلق مشاكل في طريق نيل الثقة والاطمئنان لحسن النية والسلام والصداقة والتي يجب تداركها.

إن السيد سيروس ناصري ممثلنا في المحادثات مع ممثلكم وإن مهمته هي المحادثات في القضايا الجوهرية لتنفيذ القرار وتهيئة الأرضية لاستئناف العلاقات السلمية بين البلدين المسلمَين إيران والعراق، وقد طلبنا منه أن يتحاشى الاشتراك في بحث القضايا الشكلية والهامشية التي تؤدي إلى قتل الوقت وإطالة الوضع الحالي، ولا بد من أن نؤكد بأن لقاء رئيسي الجمهوريتين سيكون مناسبًا وصالحًا فقط في حالة أن يثق الطرفان من نتائجها

الإيجابية، وبعكس ذلك فإن من الممكن أن تكون لها آثار سلبية وخسائرها أكثر من الوضع الحالي.

وبسبب المواقف السلبية حاليًا - وفي الماضي - لحكام السعودية بالنسبة للثورة الإسلامية الإيرانية فإن أراضي الحكومة السعودية ليست في الوقت الحاضر مكانًا مناسبًا لمحادثات السلام، ومع الانتباه إلى وجود أماكن متعددة فإن انتخاب المكان المناسب للطرفين سوف لا يمثل مشكلة بالنسبة لنا، ويفضل أن تكون وجهة النظر محددة عشية البدء بالمحادثات ونحن نوافق اقتراحكم بأن يحدد ممثلونا المكان خلال محادثاتهم التمهيدية، وطبيعي أن يطّلع الأمين العام على سير المحادثات التمهيدية، وفي الحالات الضرورية يمكن الاستفادة من وجهات نظره ومبادراته حول تعزيز السلام، وسيتم الاجتناب عن حصر طريق السلام بالمحادثات المباشرة (بالشكل الذي أشير إليه في الرسالة الثانية)، وسوف لن نغلق الطرق الأخرى بوجهنا ومن ضمنها الطريق الأساسي الذي تم قطع جزء منه.

وفي الختام أسأل الله تبارك وتعالى أن يَمُنّ علينا بالتوفيق التام من أجل إزالة الخصام وقلع جذور الصراع وتعبيد وتسوية طريق الشعبين وسائر الناس وحكومات المنطقة والتعاون من أجل رفاه الأمة الإسلامية والجهاد ضد أعداء الإسلام والمسلمين وبخاصة التحرير الكامل لأرض فلسطين الإسلامية.

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

طهران ـ أكبر هاشمي رفسنجاني

* * *

وفي ٣٠ تموز ١٩٩٠، وقبل اجتياح الكويت بثلاثة أيام أرسل الرئيس العراقي الرسالة التالية إلى الرئيس الإيراني، وهذا نصها:

السيد علي أكبر هاشمي رفسنجاني المحترم،

رئيس جمهورية إيران الإسلامية،

السلام عليكم،

بعد تمعن دقيق في ما ينبغي التمعن به، وبعد استعراض دقيق لتطور العلاقات والحال بين العراق وإيران، وما يحيط بالمنطقة وما يكتنفها من أخطار، وبغية مواصلة دورنا في تقديم

المبادرات التي تُوفر فرصًا أوسع لإنجاز السلام، فقد وجدنا أنفسنا، وطبقًا لمسؤوليتنا الوطنية والمسؤولية الإنسانية التي ترتبها على كاهلنا مبادئنا العظيمة أمام مسؤولية تقديم مبادرة جديدة، ولأن مبادرتنا هذه المرة تتناول بالمعالجة كلَّ القضايا الجوهرية التي تضمنتها بنود قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨ مرة واحدة، وفي إطار واحد، وبصورة تفصيلية، فإننا نأمل أن يجري التعامل معها على هذا المستوى، وأن يكون التفاعل معها بمستوى من الجدية الذي لا يُضيع على شعبينا فرصة حق العيش في ظروف سلام متفق عليه حتى التفاصيل، وفي إبعاد مخططات أعداء الشعوب الساعين إلى دفع الظروف - لا سمح الله - إلى ما يُعيد حالنا في البلدين، إلى ما كنا عليه قبل آب ١٩٨٨ وبذلك يخسر من يخسر من غير ربح بيّن.

إن قوى الظلام التي تبحث في زواياه، وبأيديها أدوات الغيلة، قادرة تحت تأثير الشعور بحقيقة أن الحرب لم تنته من الناحية القانونية بين البلدين بعد، على أن تدفع إلى ما يُطلِق شرارة الحرب مجددًا، وكما تعرفون فإن قيام الحرب قد يتولد من بدايات تبدو في بادئ أمرها على أنها بسيطة مثلما يتولد عن الشرارة حريق هائل، وإن الأشرار المتربصين بنا قد يدفعهم عجزهم عن تحقيق أهدافهم دون إشغال البلدين أو أيًّا منهما في الحرب، وقد يُقلقهم ما تجمّع لدى طرفي النزاع من أسلحة، وقد يتطلعون إلى معرفة تأثير تلك الأسلحة أو بعضها، فيدفعون إلى ما يُطلِق الشرارة بوسائلهم الخبيثة التي قد لا تجد صعوبات كبيرة في جبهة طولها في البر فقط بحدود الألف ومائتي كيلو متر، وفي البحر بحدود ثمانمائة كيلو متر، وإن هذه الجبهات المليئة بإمكانية واحتمال حدوث شرار متطاير من فوهات الأسلحة، قد لا تفترض لذلك بدء أن يُطلِق جمع كبير نيران أسلحتهم، إذ قد يقوم بهذا أحدهم، لأي سبب وتحت أي تأثير، ليجعل الجمع الكبير يطلق ناره، وبذلك تكون الخسارة أكبر للجميع، ولا يستفيد عند ذلك إلا السيئون، وسيكون ذلك على حساب شعوبنا كما أسلفنا.

ولأن هذا ليس هدف أي من العراق وإيران، كما ورد في تصريحات مَن يُمثّلها فإن الواجب يقتضي، ليس الوصول إلى السلام فقط، وإنما الوصول إليه بأسرع وقت، لتبقى إمكانية تحقيق أحلام الظلام والظالمين بعيدة عن ساحتنا.

وعلى أساس كل هذا أبادر بما يلي:

١ ـ أعاود طرح فكرة إجراء لقاء سريع بين رئيسيْ دولتي البلدين في مكان يتم الاتفاق عليه، ليبحثا الموضوعات التي يتحقق بالاتفاق عليها السلام الشامل والدائم.

٢ ـ أن يتناول البحث والاتفاق كل الموضوعات المعلقة، وإن طرح أي موضوع جديد

بعد التوصل إلى الاتفاق الشامل من جانب أي طرف دون موافقة الطرف الآخر أمر مرفوض ويعتبر بمثابة تنصل من الاتفاق، وإن العناوين الفرعية لما يتفق عليه يجب أن تستخرج من بنود القرار ٥٩٨ وأن يتم الاتفاق على أساس الفهم والتأكيد على أن هدف القرار ٥٩٨ الأساسي هو تحقيق السلام الشامل والدائم وعن طريق الحوار وليس أي شيء آخر، وأن تكون عناصر الاتفاق كلاً لا يتجزأ، وبصيغة صفقة متكاملة ومترابطة، وأن يكون الإخلال بأي بند من بنودها إخلالاً بكل بنودها.

٣ ـ لا يهم من أين يبدأ الحوار والاتفاق على الموضوعات، إلا أن الاتفاق على أي مفرد، أو عدد من مفردات موضوعات البحث، يبقى معلقًا على الاتفاق على البنود الأخرى، وطبقًا لكل ما ورد من مفهوم في الفقرة «٢» من رسالتنا هذه.

وعليه فلأيّ من طرفي الحوار الحق في الرد على أي إعلان منفرد يصدر من قِبل الطرف الآخر بما يراه مناسبًا، بما في ذلك حق نفي الاتفاق الجزئي على أي من موضوعات الحوار المتفق عليه.

٤ ـ أن يتم الانسحاب خلال مدة لا تزيد على شهرين من تاريخ المصادقة النهائية على الاتفاق الشامل الذي نتوصل إليه، وكلما كان الزمن أقصر كان ذلك أفضل، وأن يجري الاتفاق على ترابط لا انفصام فيه، بين كل خطوة يخطوها طرفا النزاع، فيما يترتب عليه من التزام طبق الاتفاق مع الخطوة المناسبة في الالتزام المقابل، أو ما يوازيه من الطرف الآخر.

٥ ـ إننا ما زلنا نعد موضوع الأسرى محكومًا باتفاقيات جنيف، ولذلك نفترض أن إطلاق سراحهم كان يجب أن يتم على أساس بنود هذه الاتفاقية، وقد مضت سنتان على الزمن اللازم لإطلاق سراحهم طبقًا لهذه الاتفاقية، وهو الزمن الممتد بين توقف إطلاق النار والوقت الحاضر، ومع هذا ولكي نُسهّل عملية السلام، فلا نمانع ووفقًا للأسس والمفاهيم المشار إليها أعلاه، من الاتفاق على جدول إطلاق سراح الأسرى وفق الفترة المحددة في الفقرة «٤» شهرين اعتبارًا من تاريخ المصادقة النهائية على الاتفاق كأقصى مدة وكلما اتفق على ما هو أقل زمنًا كان ذلك أفضل.

٦ ـ أن يجري الحوار فيما يتعلق بشط العرب على أساس العناوين الثلاثة الآتية:

(أ) السيادة الكاملة عليه للعراق، كما هو حقه التاريخي المشروع.

(ب) السيادة للعراق على شط العرب مع تطبيق مفهوم خط التالوك في حقوق الملاحة

بين العراق وإيران بما في ذلك حق الملاحة والصيد والمشاركة في إدارة الملاحة فيه وتقاسم الأرباح منها.

(جـ) إحالة موضوع شط العرب للتحكيم، وفق صيغة يتفق عليها الطرفان مع الالتزام المسبق بالقبول بما يُسفر عنه التحكيم وحتى تبت جهة التحكيم بالأمر، يباشر بتنظيف شط العرب وفق صيغة يتفق عليها الطرفان ليكون صالحًا للملاحة والاستعمال ويكون الاتفاق على أساس افتراض أن الطرفين سيختاران أيًا من العناوين الثلاثة أعلاه باعتبار أن العنوان الأول يمثل حق العراق، ومفترضين أن العنوانين الآخرين يمثلان رغبة إيران.

٧ ـ الاتفاق على إسقاط الفقرة السادسة من القرار ٥٩٨ عن البحث وإهمالها نهائيًا لأنها لا تنطوي على فائدة السلام، بل وتعرقله، وقد تدفع نتائجها إلى البغضاء والحقد والثأر في المستقبل، فيما يفترض السلام طريقًا آخر للشعبين الإيراني والعراقي، ومطلوب في هذا الشأن إبلاغ الأمين العام للأمم المتحدة رسميًا وخطيًا بالاتفاق الذي نتوصل إليه.

٨ ـ أن لا يباشر بأي خطوة من الخطوات المشار إليها والتي تتضمنها اتفاقية السلام التي نتوصل إليها بين العراق وإيران، قبل استكمال كل الإجراءات التشريعية للمصادقة عليها، طبعًا للوضع الدستوري في البلدين بما يجعلها نهائية من الناحية القانونية والدستورية ولا رجوع عنها بأي شكل من الأشكال كلاً أو جزءًا ويجعل بنودها نافذة، وعلى أن يتم إيداع وثائق المصادقة على الاتفاقية لدى الأمين العام للأمم المتحدة، وفي توقيت واحد يتفق عليه الطرفان.

٩ ـ أن تكون اتفاقية السلام الجديدة بين العراق وإيران، متضمنة لكل ما يُتفق عليه، ولا مانع، وتسهيلاً لتحقيق السرعة لإنجاز اتفاقية السلام، من أن تتضمن الاتفاقية إلى جانب الموضوعات الجديدة، وموضوعات الحدود البرية والحقوق الأخرى ووفقًا لما يتفق عليه بعض ما ورد في الاتفاقيات السابقة التي تضمنها تاريخ العلاقة بين البلدين، وما تم الاتفاق عليه سابقًا من غير إخلال بالبنود الواردة في رسالتنا هذه.

١٠ ـ أن تتضمن الاتفاقيات مبادئ واضحة حول إقامة علاقات حُسن الجوار وعدم التدخل في الشؤون الداخلية واحترام كل بلد لما يختاره البلد الآخر من نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وكذلك الإقرار الذي لا لبس فيه بحقوق الملاحة بكل أشكالها في المياه الدولية في الخليج ومضيق هرمز.

١١ ـ قد يكون مناسبًا أن تضمن حسن تطبيق الاتفاقية جهة دولية يتفق عليها مجلس الأمن.

١٢ ـ رغم أننا نعرف أن الوضع الدولي لا يسمح لنا ببناء آمال كبيرة على مساعدات تُقدم إلينا لإعادة الإعمار فإننا نرى أن تُقسم المساعدات الدولية التي تقدم وفق الفقرة «٧» مناصفة بين العراق وإيران.

١٣ ـ ومن أجل تسهيل الاتصالات بيننا وفي ضوء التطور الإيجابي في علاقاتنا فإننا نرى أن نُعيد فتح سفارتينا في طهران وبغداد خاصة وأنهما بقيتا في ظروف الحرب ولم تغلقا إلا في شهر أيلول ١٩٨٧.

هذا أيها السيد الرئيس ما بدا لنا، أنه يحقق السلام الدائم والشامل بين العراق وإيران وهو مقترح متكامل، عناصره مترابطة وغير قابلة للتجزئة، وهو ما عاونتنا تجربتنا على تلمسه بها في ذلك ما أوحت به أو ما تضمنته المحادثات بين ممثلينا في جنيف، السيدين ناصري وبرزان.

وفي هذا يكون كل شيء قد أصبح واضحًا بما لا يدع مجالاً لأي تفسير غير هذا وما ننشده من السلام الحقيقي الشامل والسريع.

والله أكبر

صَدَّام حسين

واضح من تدقيق هذه الرسالة تصميم بغداد على الوصول إلى اتفاق مع إيران بأي ثمن، لأن قرار الحرب ضد الكويت بات في طريق التنفيذ.

وقد رد الرئيس الإيراني بالرسالة التالية:

باسمه تعالى

رسالة الرئيس هاشمي رفسنجاني الجوابية على رسالة رئيس الجمهورية العراقية المؤرخة ١٢ محرم ١٤١١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد نبيه وآله الأطهار

جناب السيد صَدَّام حسين رئيس الجمهورية المحترم،

لقد تم استلام رسالتكم المؤرخة في ١٢/ ٥/ ١٣٦٩ مع أن أصل الرسالة كما يبدو، نظمت على أساس التقدم في المحادثات ولكن جزءًا من مضامينها يستوجب الأسف.

وقبل كل شيء أرى من الواجب أن أؤكد مرة أخرى على إرادة ورغبة الجمهورية

الإسلامية الإيرانية بالنسبة إلى تحقيق السلام العادل والصامد، وآمل أن تكونوا أنتم أيضًا قد وصلتم إلى هذه النتيجة، وبعد قبول القرار ٥٩٨ فإننا وبوضوح كامل لمسؤولينا حيال السلام والتبعات الناتجة عنه، بدأنا تحركًا صادقًا ووضعنا أمامنا أن أي شيء لا يُمكن أن يحد من مسيرة السلام عدا ما يتعلق بحقوق شعبنا المشروعة والتي لا تقبل التغيير، وإن تعاملنا طوال المحادثات التي كانت تحت رعاية الأمين العام للأمم المتحدة وكذلك رسائلنا الجوابية لرسائلكم والمحادثات التي جرت بين ممثلنا وممثلكم في جنيف، يجب أن تكون قد أوضحت هذه القضية، وكان التسريع في قضية الوصول إلى السلام وإجراء الخطوات العملية لتنفيذ القرار ٥٩٨ بدلاً من كتابة الرسائل والمحادثات المطولة من تأكيداتنا في بداية محادثات ممثلينا في جنيف والآن نحن نعتقد أيضًا بأن التقدم في محتوى المحادثات وليس في شكلياتها والسعي من أجل الأوضاع حيال القضايا التي تمهد الطريق للسلام ستقربنا إلى هدفنا، ذلك الهدف الذي يقضي على الأرضيات الكامنة من أجل هدم الوضع الحالي أو الأرضيات المفتعلة من قِبل أعداء الإسلام التي يمكن أن تظهر إلى الوجود في الظروف الإقليمية والعالمية الحالية، وعلى هذا الأساس فإن السلام سيكون في متناول البلدين الجارَيْن وتكون قوات البلدين المنشغلة بعضها ببعض في خدمة الاحتياجات الحياتية للشعبين لتقوم بمسؤولياتها الأساسية في البناء والسلم والأمن في المنطقة.

وبالانتباه إلى الموضوعات التي ذكرناها آنفًا نعتقد بأن ذكر النقاط التالية حول مضامين الرسالة المؤرخة ٣ آب ١٩٩٠ والرسالة بدون توقيع المؤرخة ٣٠ تموز ١٩٩٠ والرسالة المؤرخة ١ تموز ١٩٩٠ ضروري للتوضيح:

١ ـ إن إجراء اللقاءات والمحادثات في مستوى أعلى من المستوى الحالي في جنيف ستحصل عندما نجد نتائج ملموسة في المحادثات الجارية في جنيف لتكون أساسًا للمراحل التالية، ولكننا نعلم بأنه لم يحصل في جنيف أكثر من التعرف على وجهات نظر الطرفين في حين كانت مهمة ممثلينا إجراء المحادثات في القضايا الجوهرية؛ ولهذا السبب وكما نوّهنا سابقًا فإن لقاء رئيسي الجمهوريتين سيكون مفيدًا فقط في حالة أن تكون القضايا الأساسية واضحة ومحلولة، وعلى عكس ذلك فإن فشل محادثات الرئيسين ستكون له آثار مضرة على السلام وسيبعد السلم عن البلدين.

٢ ـ في رسالتكم المؤرخة ٨/ ٥/ ١٣٦٩ حول نهر أروند، تم طرح اقتراح وكأنه تراجع عن ادعاءات بياناتكم السابقة، وكما هو واضح لكم فإنه لا يمكن أن يحظى بقبولنا. واقتراحنا

المجدد هو اعتماد معاهدة ١٩٧٥ لإجراء المفاوضات حول السلام لأنه بدون الالتزام بالمعاهدات السابقة وبخاصة تلك المعاهدة التي تحمل توقيعكم، فإنه لا يمكن الاعتماد على ما يقال حاليًا بهذا الخصوص.

٣ ـ بالنسبة للانسحاب من الأراضي الإيرانية المحتلة فقد أخذتم بالاعتبار مدة شهرين لتنفيذ ذلك والذي لا يمكن تفسيره، لأن هذا العمل إذا رافقه حُسن النية يمكن إنجازه في يوم أو يومين وفي حين أن الأمين العام للأمم المتحدة قد طرح أسبوعين للانسحاب وثلاثة أشهر مقابل إطلاق سراح الأسرى.

٤ ـ والعجيب أنكم مع تمسككم بالقومية العربية، قد انتقدتم موقفنا الحق حيال احتلال الأراضي الكويتية من قِبل الجيش العراقي في حين تم التغافل والتغاضي عن أهم القضايا البديهية ومنها تهيئة الأرضية اللازمة لحضور القوات الأجنبية في المنطقة وسلب الهدوء والاستقرار للمسلمين وإيجاد المشاكل لهم، وكذلك التضامن الإسلامي والجوار والتفريط في أمن المنطقة وتدبير ظروف الجبهات والضمانات الدولية، وكيف يمكن تفسير رسالة تبدأ باسم الله تعالى وتنتهي بشعار الله أكبر وعلى عكس تعاليم الإسلام والقرآن الصريحة والقومية، يُقدم فيها المبدأ القومي والعِرقي على المبدأ الإسلامي والعقائدي، وإن الآيات الكريمة: {إنما المؤمنون إخوة} و{إن هذه أمتكم أمة واحدة} و{إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم} كافية لكل مسلم عندما يتخذ موقفًا أن يضع العلاقات العِرقية والجغرافية واللغوية جانبًا ويتبع المبادئ الإسلامية، إنكم تعلمون أكثر من غيركم سياسات الحكومة الكويتية طوال الحرب ومقدار ظلمهم بالنسبة للثورة الإسلامية الإيرانية، لكن موقفنا ينبثق عن مبادئنا وليس له علاقة بالأشخاص.

٥ ـ لا شك بأنه أثناء إجراء محادثات السلم بين وفدَيْنا، فإن هجوم بلد على بلد جار بصورة غير قابلة للتصور وبدون أقل قدر من العلم والاطلاع والتنسيق والذي تكون له آثار وتبعات طارئة بالنسبة لنا، يمكن أن يُضعف ثقتنا ويخلق شكًّا جديًّا في أهداف المحادثات التي جرت خلال الأشهر القليلة الماضية، خاصة وأنه خلال هذه الفترة لم نشهد إجراءات يمكن أن تعكس حُسن النية، وكان الإصرار كالسابق على مواصلة احتلال أراضينا، وحتى أننا شهدنا الاعتراض على أصغر قضية، مثل إطفاء حرائق الآبار النفطية التي ليس لها مردود لكم سوى إتلاف وهدر منابع الثروة في البلد الإسلامي.

٦ ـ إن لهجة رسالتكم الأخيرة لم تكن متناسبة مع الحالة الضرورية لمسيرة المحادثات، وقد

استعملت لهجة سبق وأن تم اختبار عدم جدواها سابقًا من قِبل شعبنا المسلم الثوري، كما تم استخدام تحليل حول المواقف الجديدة لأصدقائكم وحُماتكم السابقين لإقناعنا، وهذا ليس مناسبًا أيضًا، ذلك لأنكم تعلمون بأننا قد اختبرنا عمليًا كل هذه المراحل وانتهينا منها وأثبتنا بأن حساباتنا تعتمد على إيمان ومقاومة ودعم الجماهير، أكثر من أي شيء آخر ولا نعتبر زعل أو لطف الآخرين ذا قيمة مهمة بحيث نجعل برامج حياتنا ومواقفنا وقراراتنا المهمة تعتمد على أساس ذلك، كما أننا لسنا في صدد الاستفادة من الظروف الحالية، ولا نريد سوى حقوقنا المشروعة والقانونية؛ الشيء الذي أكدنا عليه في جميع مراحل محادثاتنا.

٧ ـ النقطة التي أكدتم عليها في رسالتكم حول الإسراع في الحركة باتجاه السلام نقبلها تمامًا، ولكن هذا لا يعني أن تكون السرعة والتقدم في طرح الاقتراحات الشكلية ورفع مستوى المحادثات بدون أن يحصل تقدم في محتواها، بل يجب التقيد بالاتفاقيات الثنائية المعترف بها دوليًا ولا نطالب بأكثر من حقوقنا المشروعة، لأنه لا يمكن التصور بأن يحصل في المحادثات ما لم يتحقق خلال حرب دامت ثماني سنوات.

إذا كنا نقبل بهذا المبدأ فلا حاجة لنا لاتباع طريق لتعيين الحدود في الأراضي والأنهار غير معاهدة عام ١٩٧٥، وإذا كنا لا نرتضي بذلك فمن الأفضل أن نحوّل أعمال تنفيذ القرار إلى منظمة الأمم المتحدة ومجلس الأمن مع الحفاظ على نقطة ارتباط جنيف من أجل تبادل وجهات النظر في القضايا المشتركة.

والسلام عليكم

أكبر هاشمي رفسنجاني

* * *

بعد اجتياح القوات العراقية للكويت، أبدت إيران موقفًا واضحًا بإدانة عملية الاجتياح، مما حدا بالرئيس العراقي لإرسال الرسالة التالية إلى الرئيس الإيراني:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد على أكبر هاشمي رفسنجاني المحترم،

رئيس جمهورية إيران الإسلامية،

السلام عليكم،

اطلعت صباح يوم الجمعة ٣/ ٨/ ١٩٩٠ على خلاصة لنشاطكم السياسي وجانبًا مما

صدر عن حكومة إيران (بيان وزارة الخارجية الإيرانية واجتماعكم مع القادة العسكريين وما صدر عنه من خبر).

ووجدت من المصلحة وتأكيدًا لأحكام المسؤولية الإنسانية تجاه شعب إيران، إلى جانب المسؤولية الوطنية تجاه شعبنا، أن أكتب إليكم مرة أخرى في ١٦/ ٧/ ١٩٩٠ اقترحنا عليكم استقبال مبعوث عنا لأمر يتعلق بدفع عملية السلام إلى أمام وبأسرع وقت، وعندما تأجّل جوابكم على تحديد موعد لاستقبال المبعوث بادرنا لإيصال الرسالة الخطية التي كلفنا المبعوث بحملها إليكم، لكي تتهيئوا لقراءتها وتستحضروا ما يقتضي من تفكير ومذاكرة مع إخوانكم في القيادة حول مفاهيمها وما تضمنته من آراء ومقترحات، وبذلك نكون على بينة من موقفكم منها عندما تسمح ظروفكم باستقبال المبعوثَيْن اللذَين لم تحددوا لهما حتى الآن يومًا لاستقبالهما كبديل عن اليوم الذي اقترحناه عليكم، الاثنين من يوم ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠.

وقبل رسالتنا هذه كنا قد أرسلنا لكم في ٢/ ٨/ ١٩٩٠ توضيحًا بمبادرة منا عن طريق ممثلكم في جنيف السيد ناصري، وقد قُمنا بكل هذا ليس فقط تعبيرًا عن تأكيد الرغبة في السلام، وإنما تأكيد الرغبة في إنجاز السلام بأسرع وقت، لنبقي بلدينا وشعبَيْنا بعيدًا عن دوامة تطورات الظروف في المنطقة والعالم وبعيدًا عن احتمالاتها الخطرة.

السيد الرئيس، لقد قمت بكل هذا ليقيني أن المحاربين يستطيعون أن يفهموا بعضهم ونوايا كل واحد منهم بدرجة أسرع حتى لو كانت صفة المحارب قد اكتُسبت من خلال صراع مسلح فيما بينهم، والآن من خلال قضية الكويت، ذرت قرنها في الأفق بوادر أزمة قد تدفع إلى مجرى الصراع مَن لم يتروَّ ويتأنَّ بما فيه الكفاية.

إن من أصعب الأمور، وقد تكون من بين أخطرها، أن يتجاوز التفكير والسلوك في لحظة ظرفية الهدف أو الأهداف التي يسعى إليها بمشروعية إلى هدف أو أهداف ليست لها مشروعية، لا في تفسير شعبه، ولا في تفكير المقابل من الذين هم طرف في الأمر.

وفيما نعرفه عن المعلَن من أهدافكم، أنكم تريدون السلام، وقد قدمنا من جانبنا ما يؤكد رغبتنا نحن أيضًا في السلام، ونعرف أيضًا أنكم تَسعَون إلى تحقيق الانسحاب وهذا ما أكدَته رسالتنا في ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠ وقدمت فيه سقفًا زمنيًا للانسحاب، لا يجوز أن يزيد عنه.

وتضمنت رسالتنا تلك في ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠ معالجات محددة ومقترحات عملية وليس كلامًا عامًا عن كل بند تضمنه القرار ٥٩٨ الذي أكد العراق وأكدت إيران الالتزام به، ونحن ما زلنا بانتظار موافقتكم على تحديد يوم تستقبلون فيه مبعوثَيْنا اللذَيْن سميناهما لكم وهما «وزير الخارجية وممثلنا الدائم في جنيف»، والذي بعد إجراء المحادثات معكم ومع من

تنسبونهم سنكون أمام مرحلة حاسمة للسلام، كما نأمل بإذن الله، فإذا كان هذا هو الذي تريدونه وهو المعلَن والذي نعرفه، وإن جوابنا عليه هو كل ما ذكرت، فإن الانزلاق في مجرى الإفرازات الظرفية التي تخص العلاقات العربية وتدور في خلفياتها وحيثيات حاضرها يبعد مساعيكم عن الهدف ويشوش الصورة عنه، وإذا ما تشوشت الصورة عن الهدف يصعب عند ذلك علينا وضع الترتيبات التي نأمل من خلالها وبالإسراع في إنجازها أن يتحقق السلام.

وقد يدفع باتجاه يبعد الأمور عن حساباتها الصحيحة من لم تكن له خبرة، ولكنني في كل الأحوال لا أتوقع ولا أتمنى أن يتزحزح المجربون لحرب دامت ثماني سنوات من أمثالكم وإخوانكم في قيادة إيران، إلى أمر ليس من مصلحة إيران وليس من بين أهدافها المشروعة.

إنكم لا شك - أو هذا ما أظنه على الأقل - تعرفون دوافع التصريحات التي تُطلق من صباح يوم أمس الخميس ٢/ ٨/ ١٩٩٠ سواءً من داخل المنطقة أو من خارجها، وقد كان لكم تقييمكم لأطرافها، وكان لنا تقييمنا لأطرافها وكلنا يعرف دوافعهم، ولكنكم تعرفون بأنهم جميعًا قادرون على إصلاح مواقفهم بوسائلهم الخاصة وبإمكاناتهم المعروفة عندما يكتشفون أن تصريحاتهم سوف لن تقدم ولن تؤخر أمام إرادة شعب العراق العظيم الذي صمم على إحقاق الحق ومعالجة الغبن والغدر والتآمر.

إن مَن يُصدِّر السلاح إلينا ويُصرِّح بوقف تصديره سيصلح الأمر عندما يعيد تصديره إلينا، وإن من يوقف أو يقطع العلاقات الاقتصادية سيعالج الأمر عندما يعيدها معنا، أما العراق وإيران إذا ما انزاح موقف أي منهما عن موضعه الصحيح فإنه سيفوت فرصة تاريخية على شعبه في الفوز بالسلام إلى جانب تثبيت حقوقه المشروعة، وإن الخسارة ستكون كبيرة إذا ما اهتز مسار ما أنجزناه من شوط في حوارنا على هذا الطريق الذي كوّن بداية ثقة بخطوات بعضنا.. وهذا ما لا نتمناه لكم مثلما لا نتمناه لأنفسنا، وعلى أي حال.. فإذا كان الذي نعرفه وهو المعلَن من أهدافكم في المفاوضات هو كل أهدافكم، فيما نؤكد لكم أن المعلَن منا هو كل أهدافنا بالتأكيد، فعلينا أن نسرع بعقد اللقاء وعليكم أن تُسرعوا بتحديد يوم لاستقبال المبعوثَيْن، وعن هذا الطريق فقد تتحقق الأهداف المشروعة ويتحقق السلام الذي هو غاية نبيلة لشعبَي البلدين، والله أكبر.

والسلام عليكم

صَدَّام حسين
رئيس جمهورية العراق
بغداد في ١٢ محرم ١٤١١
الموافق ٣ آب ١٩٩٠

وفي الرابع عشر من آب أرسل الرئيس العراقي الرسالة التالية إلى الرئيس الإيراني

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الرئيس علي أكبر هاشمي رفسنجاني المحترم،
رئيس جمهورية إيران الإسلامية،

بعد التوكل على الله العلي القدير، وبقصد إزاحة ما يعرقل فتح الطريق لعلاقات أخوة مع كل المسلمين، ومن يختار منهم الإخوة من مسلمي الجارة إيران، ومن أجل فتح المجال لتفاعل جدي مع كل المؤمنين لمواجهة الأشرار الذين يريدون بالمسلمين وأمة العرب شرًّا، ومن أجل إبعاد العراق وإيران عن ابتزاز وألاعيب القوى الدولية الشريرة وأذنابهم في المنطقة، وانسجامًا مع روح مبادرتنا التي أعلنا عنها في ١٢/ ٨/ ١٩٩٠ والتي توخينا منها تحقيق السلام الشامل والدائم في المنطقة، ولكي لا نبقي لذي حجة ما يمنعه من التفاعل وإبقاء الهواجس والتحسب، ولكي لا تبقى أي من طاقات العراق معطلة خارج ميدان المنازلة العظيمة، وحشدها باتجاه الأهداف التي أجمع المسلمون والعرب الشرفاء على أنها حق، ولإبعاد التداخل عن الخنادق، وإبعاد الظنون والهواجس ليجد الخيّرون طريقهم إلى علاقات طبيعية بين العراق وإيران، وكثَمرة لحوارنا الذي امتد بصورته المباشرة منذ رسالتنا إليكم في ٢١/ ٤/ ١٩٩٠ وحتى آخر رسالة منكم إلينا في ٨/ ٨/ ١٩٩٠ وكَحَلّ نهائي واضح، لا يُبقى لذي عذر عذرًا قررنا ما يلي:

١ ـ الموافقة على مقترحكم الذي جاء في رسالتكم الجوابية المؤرخة في ٨/ ٨/ ١٩٩٠ والتي استلمها ممثلنا في جنيف السيد برزان إبراهيم التكريتي من ممثلكم السيد سايروس ناصري، باعتماد اتفاقية عام ١٩٧٥ مترابطة مع الأسس الواردة في رسالتنا في ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠ وبخاصة فيما يتعلق بتبادل الأسرى والفقرتين «٦» و«٧» من قرار مجلس الأمن ٥٩٨.

٢ ـ وعلى أساس ما ورد في «١» من رسالتنا هذه وما ورد في رسالتنا إليكم في ٣٠/ ٧/ ١٩٩٠ فإننا على استعداد لنبعث إليكم بوفد إلى طهران أو يزورنا وفد منكم في بغداد لإعداد الاتفاقيات والتهيؤ لتوقيعها على المستوى الذي يتم الاتفاق عليه.

٣ ـ وكبادرة حُسن نية، فإن انسحابنا سيبدأ اعتبارًا من يوم الجمعة ١٧/ ٨/ ١٩٩٠ وسنسحب قواتنا التي تواجهكم على طول الحدود بما يبقى على ما هو رمزي منها، مع حرس الحدود والشرطة فحسب، لتنفيذ الواجبات اليومية لظروف طبيعية.

٤ ـ وأن يتم تبادل فوري وشامل لكل أسرى الحرب بكل أعدادهم المحتجزين في كل من العراق وإيران، وأن يتم ذلك عبر الحدود البرية وعن طريق خانقين ـ قمر شيرين ومنافذ أخرى يُتفق عليها، وسنكون نحن المبادرين إلى هذا وسنباشر به اعتبارًا من يوم الجمعة المصادف ١٧/٨/١٩٩٠.

أيها الأخ الرئيس علي أكبر هاشمي رفسنجاني،

في قرارنا هذا أصبح كل شيء واضحًا، وبذلك تحقق كل ما أردتموه، وما كنتم تركزون عليه، ولم يبق إلا ترويج الوثائق لنطل معًا من موقع إشراف بيّن على حياة جديدة، يسودها التعاون في ظل مبادئ الإسلام ويحترم كل منا حقوق الآخر، ونبعد المتصيدين في الماء العكر عن شواطئنا، وربما تعاونا بما يبقي الخليج بحيرة سلام وأمان خالية من الأساطيل الأجنبية وقوى الأجنبي التي تتربص بنا الدوائر، بالإضافة إلى ميادين الحياة الأخرى.

والله أكبر، والحمد لله

صَدّام حسين
رئيس جمهورية العراق
٢٣ محرم ١٤١١
١٤ آب ١٩٩٠

* * *

وقد رد الرئيس الإيراني بالرسالة الجوابية الآتية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم

جناب السيد صَدّام حسين رئيس الجمهورية العراقية المحترم،

لقد تم استلام رسالة سيادتكم المؤرخة ٢٣/٥/١٣٦٩ الموافق ١٤ آب ١٩٩٠، إن إعلان قبولكم من جديد معاهدة عام ١٩٧٥ قد مهّد الطريق لتنفيذ القرار وحلّ الخلافات في إطار القرار ٥٩٨ وتبديل وقف إطلاق النار إلى سلام دائم وصامد، ويعتبر انسحاب قواتكم من الأراضي الإيرانية المحتلة دليلاً على صدقكم وجديتكم في طريق السلام مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ومن حُسن الحظ أنه يتزامن هذا مع الموعد المقرر لإطلاق

سراح الأسرى ونأمل مواصلة انسحاب قواتكم حسب الجدول الزمني المعلَن واستمرار عملية إطلاق سراح أسرى الطرفين بصورة أسرع حتى تتكامل.

وكما أعلمناكم عن طريق ممثلنا في جنيف، فإننا مستعدون لقبول ممثلكم في طهران آملين مع استمرار الجو الإيجابي وحُسن النية الموجودة أن نتمكن من الوصول إلى سلام شامل وثابت مع الحفاظ على جميع الحقوق والحدود المشروعة للشعبين والبلدين المسلمين.

والسلام عليكم

أكبر هاشمي رفسنجاني
رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية

لا أريد التعليق على هذه الرسائل؛ لأن الخلفية التي كانت وراء كتابتها من الجانب العراقي واضحة، ولأن الجانب الإيراني كان أيضًا واضحًا، فقد أراد تحقيق مكاسب مستفيدًا من ظروف العراق، وفي الوقت نفسه، حافظ على مواقفه السياسية ولا سيما موقفه من قضية الكويت.

زارت طهران وفود عراقية عديدة خلال أزمة الكويت، محاولة تغيير الموقف الإيراني ولكنها لم تُفلح، وعند الحديث عن اتصالاتنا مع إيران سنرى جانبًا من المناقشات الإيرانية ـ العراقية.

* * *

الفصل السادس

محاولات توحيد المعارضة العراقية

كان علينا أن نبذل جهودًا مضنية لتوحيد أطراف المعارضة العراقية، لا سيما الفصائل الرئيسية، فاستمرار التناقضات بين أطرافها الرئيسية ينعكس سلبًا على الوضع الداخلي في العراق، ويعزز موقف النظام من جهة أخرى.

كان حجم التناقض كبيرًا، ورُقع الخلافات تتسع يومًا بعد يوم، وتتعمق عوامل الفرقة التي من شأنها أن تهز الوحدة الوطنية للشعب العراقي الشقيق، وذلك مع نمو تيارين يؤديان إلى تصدع الوحدة الوطنية، وهما: تيار الجبهة الكردية التي بدأت تميز نفسها تميزًا قوميًّا عن سائر أوساط المعارضة، والتيار المذهبي الذي تبنّاه بعض قادة التيار الإسلامي في أوساط الشيعة كما في أوساط السنة.

وإلى جانب ذلك، كانت أجهزة المخابرات العراقية تلعب دورًا نشطًا في تمزيق المعارضة، وزرع التناقضات بين أطرافها عبر تسريب عناصر نشطة إلى صفوفها، حيث أدى هذا النشاط إلى تصفية عدد كبير من العناصر المعارضة داخل العراق.

وبرز الملك حسين بصورة مفاجئة للعمل في ساحة المعارضة العراقية، رغم المنافع الكبيرة التي حققها الأردن بتعاونه مع العراق، ورغم الدور الذي نُسب إلى الملك حسين في توريط صَدّام حسين في حربه ضد إيران واجتياحه للكويت.

ومع فشل الانتفاضة، ونجاح الحملة العسكرية في شمالي العراق، ازداد الإحباط، وتوهمت قيادات رئيسية في ساحة المعارضة العراقية، أن اندفاعها نحو واشنطن وكسب ودها سيجعل العراق مفتوحًا أمامها لقيادته، فارتضى لنفسه موقع المرتبط بأجهزة المخابرات الأميركية والبريطانية، متخليًا عن ماضيه الوطني، مما يؤكد، أن الإحباط واليأس طريقان للانهزام وإضاعة الطريق وفقدان المبادرة.

وفريق آخر من المعارضة كانت الولايات المتحدة ترى فيه عدوها المقبل في العراق فظن

أن التعامل معها وإبداء المرونة والاتصال بأصدقائها في المنطقة يُكسبه ثقتها، ويمكنه من العبور إلى قيادة العراق، غير مدرك أن الخطأ في الحساب سيفقده مبادئه، فيخسر الناس، ولا يربح الدولة العظمى.

وإلى جانب أوضاع المعارضة كان الوضع الإقليمي ضاغطًا، ولكل دولة سياساتها تجاه النظام العراقي الذي ألحق بها جميعًا أضرارًا بالغة.

كانت سياسة إيران ترتكز على الأسس والمبادئ التالية:

١ ـ إسقاط صَدَّام حسين باعتباره العدو الذي أشعل الحرب ضدها، وألحق بها أضرارًا كبيرةً، ويُشكل تهديدًا مستمرًّا لها.

٢ ـ إقامة نظام إسلامي حليف أو صديق لها، يكون شريكًا استراتيجيًّا لها في المنطقة.

٣ ـ في حال عدم توفر إمكانية إقامة نظام إسلامي، فإن نظامًا ديمقراطيًّا يشارك به الإسلاميون، يشكل ضمانة لعدم عودة الحرب بين الجارين.

٤ ـ مقاومة أي نظام عسكري لأنه سيكون تجديدًا لنظام صَدَّام حسين، وله نفس المفرزات.

ولا بد من الإشارة إلى أن المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج كالكويت، كانت لها اعتبارات أخرى في رسم سياستها تجاه العراق.

كان العراق بالنسبة للدولة العربية الخليجية، السدَّ المنيع بوجه مخاوفها من إيران، وساعدوه في حربه ضدها، ووفروا له كل وسائل الدعم، فاستأسد بعد وقف الحرب بينه وبين إيران، فاجتاح الكويت، وعندئذ تحول السد المنيع إلى مصدر للخوف والقلق من الحاضر ومن المستقبل.

في تلك المرحلة، كان على المملكة السعودية أن تواجه المخاوف التقليدية من إيران، وخطر آخر من حاكم لا حدود لجنونه وأطماعه. في تلك المرحلة تركزت السياسة السعودية على ما يلي:

١ ـ أمام عجز الوضع العربي، فقد استبدلت العامل العربي في تحقيق الأمن الإقليمي لها، عبر التعاون مع الولايات المتحدة الأميركية، بكل ما لذلك من إفرازات.

٢ ـ العمل على إسقاط نظام صَدَّام حسين، ومعاقبته على جريمته باجتياح الكويت، حتى لا تتكرر تلك المأساة.

٣ ـ منع دخول التيارات الإسلامية ذات الصلة بإيران من الوصول إلى حكم العراق.

وإلى جانب مخاوف إيران والسعودية والكويت، فإن تركيا كانت لها أيضًا مخاوفها من الوضع في العراق، عبر الخوف من تفككه وإقامة دولة كردية في شماله، في الوقت الذي تخوض فيه حربًا ضد حزب العمال الكردي التركي.

إذا كانت الولايات المتحدة تسعى لتدمير العراق وخلق أطراف تخدم إسرائيل من جهة وتمكنها من السيطرة الكاملة على نفط الشرق الأوسط، واستخدام العراق ورقة ضاغطة على دول الخليج العربية وعلى إيران، وإذا كانت للإنكليز مصالحهم وكذلك الفرنسيين، بالإضافة إلى مصالح تركيا واستراتيجيتها تجاه العراق وأهدافها عن استراتيجيات الجهات الأخرى التي أشرت إليها.

لقد كان علينا أن نرى بوضوح ما يريده الآخرون من العراق وما يمكن أن يؤثر في توجّهاتهم على مصالحنا القومية والوطنية.

إن العراق قُطر عربي ونحن دعاة للوحدة العربية وسعينا لها مع الجميع عقيدة منا أن الوحدة هي عقد التأمين الوحيد للعرب جميعًا في مَشرقهم ومَغربهم.

وبالنسبة لسورية، فإن العراق بحكم كونه قطرًا عربيًّا، فإن ما يجري فيه أو حوله من أحداث ينعكس مباشرة على سورية وعلى مصالحها، ونحن نجابه إسرائيل نبحث دائمًا عن الغد العربي حتى في موريتانيا، وليس من مصلحتنا أن يكون البلد العربي المجاور ممزقًا غارقًا في أوحال المذهبية والعنصرية، أو أن يكون الحكم فيه طاغيًا جبارًا؛ لأن الطغيان فيه حالة من الجنون ولأن القهر والظلم فيه حالة من الدمار الذاتي للبلاد كلها.

وليس من مصلحتنا أن يكون في العراق حكم قلق ضعيف لأن ذلك يُتيح الفرص للعب القوى الخارجية من جهة وفتح الأبواب لقيام نظام ديكتاتوري يُعيد العراق إلى وضع ألحق بنا أضرارًا هائلة، ولا يخدمنا أن يتحول العراق إلى نظام إسلامي تحت المظلة الإيرانية لأن من شأن ذلك أن يعزز النفوذ الأجنبي في الخليج.. وكلما تعزز هذا النفوذ تعزز الدور الإسرائيلي وتعاظم نفوذ إسرائيل.

هدفنا سقوط النظام وقيام نظام وطني يشارك به الجميع دون هيئة خارجية أو مذهبية أو عنصرية.

وفي الوقت الذي كان يرى به الآخرون أن تدمير الجيش العراقي يجب أن يكون هدفًا

لأي نظام فقد كانت وجهة نظرنا أن طريق الخلاص من النظام القائم من الصعب أن يكون سهلاً خارج تدخل الجيش العراقي الذي يجب أن يُعطى كل الضمانات التي تُطمئن ضباطه وجنوده على مصيرهم ومستقبلهم ومصير الجيش ومستقبله.

ومع ذلك فقد انطلقنا من وجوب التعاون مع الجميع ـ وأقصد بالجميع السعودية وإيران وسائر أطراف المعارضة العراقية – سعيًا للوصول إلى قواسم مشتركة تسهل عملية إسقاط النظام، مدركين أنه إذا ما أتيح لنا الحفاظ على الجيش فإن النظام القادم سيكون بمأمن وطني وقومي.

لقد كانت اتصالاتنا كما أشرت في غير مكان مستمرة مع إيران ومع السعودية، وحاولنا أن نصل إلى صيغة من التنسيق الثلاثي لا سيما أن كل دولة أخذت تستقطب بعض أطراف المعارضة العراقية مما زاد في تعقيد الوضع، وبدأت العناصر الانتهازية في هذه المعارضة تبحث عن المال.

لقد كانت هناك محاولة لعقد مؤتمر للمعارضة العراقية في السعودية وانقسمت أطراف المعارضة بين مؤيد ومعارض، فالقوميون والشيوعيون وكذلك بعض أطراف إسلامية عارضوا عقد المؤتمر في السعودية، أما إيران ومن هو مرتبط بها كانت متحمسة لعقد هذا المؤتمر، وقد قام السيد عباس بكنان أحد موظفي الخارجية الإيرانية المكلفين بالمعارضة العراقية بزيارة لندن والاتصال مع أطراف المعارضة داعيًا هذه الأطراف لعقد مؤتمر في الرياض دون مشاركة البعثيين والشيوعيين؛ لأنهم غير مقبولين – كما قال – دوليًّا وبخاصة من الأميركان.

فوجئنا بذلك وأرسلنا رسالة إلى طهران فيها لوم وعتب، وقد كان الجواب بالنفي ولم نقتنع بهذا الجواب.

اجتمعت مع اللواء علي دوبا رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية والسيد عبد الله الأحمر عضو قيادة الحزب لمناقشة اللقاء الذي تم بتاريخ ٢٦/ ١١/ ١٩٩١ بين اللواء علي دوبا والأمير تركي الفيصل ووفده المؤلف من أربعة ضباط من المخابرات السعودية هم: اللواء محمد العتيبي، والمقدم خالد الناصر، والسيد عبد الله الزمراني، والسيد قفلاء ممدوح.

أبلغنا اللواء علي دوبا أن وجهات النظر بين الوفدين السوري والسعودي كانت متفقة فقال إن المملكة العربية السعودية شديدة الاهتمام بتغيير النظام وهي تتطلع لأن يكون لها

دور في التغيير وقيام نظام جديد لا يُشكل تهديدًا أو قلقًا لدول الخليج، كما علّق على الموقف الإيراني قائلاً: إن إيران تريد غطاء عربيًّا وصديقًا للولايات المتحدة الأميركية لتتمكن من أن يكون لأنصارها دور أساسي في بناء النظام الجديد في بغداد.

عرض علينا اللواء علي دوبا لقاءه مع الأمير تركي وخلاصته أن الأمير السعودي أبدى حرص السعودية على التعاون مع سورية حول العراق وأنه يود استمرار التنسيق بين البلدين، وأجابه الرفيق علي بأن سورية منفتحة على التعاون واستمرار التنسيق على أن يكون اتفاقنا واضحًا على الأهداف. وبالمناقشة تم الاتفاق على أن هدف العمل إسقاط النظام، وإقامة نظام يشترك به الجميع وصديق لسورية والسعودية وإيران، ثم تحدث العماد علي عما عرضه اللواء العتيبي عن زيارته لطهران بتاريخ ٢٣/ ١١/ ١٩٩١ في إطار معالجة القضية العراقية وجمع قوى المعارضة، وتحضير عقد مؤتمر للمعارضة في وقت قريب يُتفق عليه، وأن من أهداف الزيارة لطهران لقاء السيد محمد باقر الحكيم.

لقد اجتمع اللواء العتيبي أولاً في الخارجية الإيرانية مع مسؤول إدارة الخليج حجة الإسلام مصطفى الخامنئي الحائري وجرى الحديث حول النقاط التالية:

١ ـ تصور السعودية فيما يتعلق بالعراق.

٢ ـ أهداف المملكة وكيفية تعاملها مع القضية العراقية، وأبلغ العتيبي المسؤول الإيراني أن السعودية تنظر إلى إعادة إعمار العراق وقيام حكم عربي إسلامي فيه يطبق الشريعة الإسلامية على أنه هدف صحيح، إلا أن الأمر غير مقبول إقليميًّا ودوليًّا. وأن أهداف السعودية في العراق هي:

١ ـ العمل على إزالة صَدَّام حسين وزمرته.

٢ ـ إقامة حكم ترضى عنه جميع فئات الشعب العراقي.

٣ ـ الحفاظ على الكيان العراقي موحّدًا.

٤ ـ التزام نظام الحكم القادم بعلاقات حسن الجوار مع دول المنطقة والالتزام بتطبيق الاتفاقات والمواثيق الدولية، ويتحقق ذلك من خلال ما يلي:

التنسيق مع دول المنطقة الشقيقة والصديقة سورية ـ مصر ـ إيران ـ تركيا.

أن تساعد هذه الدول وتعمل مجتمعة من أجل توحيد المعارضة.

أن تساند وتساعد هذه الدول في انعقاد المؤتمر.

أن تساعد على وضع قرارات المؤتمر موضوع التطبيق.

وسأل المسؤول الإيراني المسؤول السعودي: كيف تتدخل السعودية في الشؤون الداخلية العراقية مع أن سياستها تقوم على عدم التدخل في الشؤون الداخلية؟ فأجابه السعودي: إن السعودية تعمل لإسقاط صَدَّام حسين وإزالة معاناة الشعب العراقي، إضافة إلى قلق المملكة من نشوب حرب داخلية تؤدي إلى تقسيم العراق وزعزعة الاستقرار في المنطقة، كما أن السعودية ترغب في إعادة بناء العراق وإزالة الحصار عنه.

وقد حدّد العتيبي تصور السعودية للمؤتمر بما يلي:

١ ـ تشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمر تتفق عليها أطراف المعارضة.

٢ ـ تشكيل لجنة تنفيذية يرضى عنها الشعب العراقي.

٣ ـ وضع ميثاق وطني يمثل طموحات الشعب العراقي.

٤ ـ يتحول أعضاء المؤتمر إلى مجلس وطني عراقي.

٥ ـ تتمنى السعودية أن تعترف الدول الإقليمية والإسلامية باللجنة التنفيذية والمجلس الوطني المنبثق عن المؤتمر.

٦ ـ أن تدعم الدول التي يهمها استقرار المنطقة المجلسَ الوطني على حساب صَدَّام حسين بحيث يتحول هذا الدعم إلى إجراء عملي باستخدام الأرصدة العراقية المجمدة في الخارج لصالح المجلس الوطني وتقترح المملكة أن يُعقد المؤتمر في النصف الثاني من شهر كانون الثاني ١٩٩٢.

وأشار اللواء العتيبي إلى أن الإيرانيين قد وافقوا على المقترحات السعودية وتحدث اللواء العتيبي عن لقائه مع السيد محمد باقر الحكيم في اليوم التالي للقائه مع المسؤول الإيراني وأبلغه رأي السعودية في الانتفاضة، وأن صَدَّام حسين استفاد كثيرًا من الأخطاء التي وقعت خلالها، وقد عزز موقعه على حساب الشعب العراقي، وأضاف العتيبي لو حصل انقلاب آنذاك لأدى التدخل الإيراني إلى تقسيم العراق، وسأل العتيبي السيد الحكيم عن صحة الدعوة لعقد مؤتمر في شمال العراق، وأن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية يطالب بنسبة ٤٠ من أعضاء المؤتمر، فأجابه الحكيم أنه لا يطالب بأية نسبة معينة بل يترك تعيينها للسعودية، فرد العتيبي بأن هذا من شأن المعارضة العراقية وليس السعودية، وذكر الحكيم أن جلال الطالباني هو الذي اقترح عقد المؤتمر في شمالي العراق.

وتساءل الحكيم عما يجب عمله من أجل تسهيل عقد مؤتمر المعارضة ومن أجل إنجاحه فطلب إليه العتيبي تثقيف الأجهزة الإعلامية للمجلس الأعلى وتوجيهها بعدم التعرض للمؤسسات الحالية في العراق وإعطاء تطمينات للجهاز الحزبي والإداري وبقية مؤسسات الدولة العراقية والتأكيد على إقامة علاقات طيبة مع جميع شرائح المجتمع العراقي، وبخاصة ضمان عدم تدخل قوات بدر أو أية قوات مسلحة أخرى تابعة للمجلس أثناء عملية التغيير والموافقة على برنامج يُمثل العروبة والإسلام ويضمن حقوق الأفراد والأقليات وعدم مقاومة أي انقلاب إذا كان يتمشى مع ميثاق المجلس الوطني الذي توافق عليه المعارضة، وعدم دعم أي توجه أصولي متطرف أثناء المؤتمر أو بعده، وأن يصدر عن السيد الحكيم وعن مسؤولي المجلس الأعلى تأكيدات على ضرورة الانضباط وعدم السماح بأية ممارسات تتناقض مع حرية الآخرين، كما يجب الحصول على ضمانات كافية بعدم خرق الاتفاقات الإيرانية ـ العراقية في حال حدوث عمل ما في العراق، وعلى أن تتضمن هذه الضمانات صدور نشرات البيانات عن السيد محمد باقر الحكيم وعلماء الدين تحرّم قتل المواطنين والاعتداء عليهم وتثير خوفًا من حرب أهلية والتأكيد على ذلك في كل التصريحات والندوات، كما يجب أن يكون واضحًا استحالة تطبيق المشروع الإسلامي وعدم الإصرار عليه لأنه مرفوض إقليميًّا ودوليًّا وتجنب المغالاة في المظهر الإسلامي أثناء عقد المؤتمر والتخلي عن المطالب والشروط التي يمكن أن تؤدي إلى نسف المؤتمر، كما يترتب على السيد محمد باقر الحكيم عدم قصر نشاطه على إيران والتحرك للاتصال بالدول العربية والإسلامية وغيرها لطرح أفكاره عليها.

وذكر العتيبي أن الحكيم وافق على هذه الشروط، وعندما سألناه ما الذي يضمن التزام جماعة الحكيم بذلك؟ أجاب بأنه لم تحصل اتفاقات ولم يأخذوا تعهدات من إيران أو من الحركات الإسلامية بما تم بحثه، واقتراح العتيبي تشكيل لجنة ثلاثية سورية ـ سعودية ـ إيرانية لمتابعة قضايا المعارضة العراقية وتنسيق الجهود بشأنها، ولقد وافقت إيران على ذلك.

وبعد ذلك التقى العتيبي بالمسؤول الإيراني مصطفى الحائري مرة أخرى وأطلعه على نتائج لقائه بالسيد الحكيم، واتفق على ضرورة عدم إبراز المظهر الأصولي الإسلامي في المؤتمر وطلب المسؤول الإيراني منه أن يشارك الحكيم في المؤتمر الإسلامي باسم المعارضة العراقية ممثلاً للعراق، فأجاب اللواء العتيبي بأن المعارضة العراقية هي التي يمكن أن تفوض السيد الحكيم أو سواه بذلك، ولكن العراق لا يزال عضوًا في المؤتمر الإسلامي، وحضور الحكيم باسم العراق تقرره الدول الإسلامية والدولة المضيفة، وأكد المسؤول الإيراني على ضرورة لفت اهتمام العالم نحو القضية العراقية وعن أهمية زوال صدام وزمرته، عدم تجاهل دور

سورية في القضية العراقية، كما ركز على ضرورة أن يخرج مؤتمر المعارضة بصيغة سياسية بديلة للنظام العراقي واقتراح عقد المؤتمر ما بين ٢٥/ ١ ـ ٥/ ٢/ ١٩٩٢.

واقترح العتيبي بأن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق شكل لجنة تحضيرية للمؤتمر تضم: السيد أبو جلال الأديب، والسيد محسن الحسيني، والسيد محمد الحيدري، وكان أبو جلال الأديب شديد التشدد فيما يتعلق بإعطاء التطمينات للأجهزة العراقية عند حصول أي تغيير، حيث عبّر عن موقفه بالقول بأن كل أجهزة السلطة العراقية ملوثة بالدم، كما طلب الحكيم من العتيبي العمل على إيجاد جيب آمن في الجنوب أسوة بالشمال، كما طلبوا من السعودية تأمين زيارة مسؤول مهم للأردن، وكان رد العتيبي بأن الأمر سابق لأوانه.

وعلق اللواء علي دوبا بأنه أبلغ العتيبي أن الأصوليين غير مقبولين عراقيًا وعربيًا ودوليًا وأن التيار الوحيد الذي يعطي التطمينات للحزب والجيش وأجهزة الدولة هو التيار القومي، وأنه لا يجب اعتبار التنظيمات الأصولية ممثلة للشيعة في العراق.

وتابع اللواء علي عرض حديث العتيبي قائلاً: وافق الجانب السعودي على هذا الرأي، وأشار العتيبي إلى أن الغرب لا يستقبل الإسلاميين إلا من أجل الحصول على معلومات منهم، وتطرق إلى محاولة بعض أطراف المعارضة لخلق تناقضات بين سورية والسعودية فيما يخص القضيـة العراقية واللعب على هذه التناقضات.

وقال اللواء علي إننا اتفقنا على إشعار كافة أطراف المعارضة العراقية بأن سورية والسعودية على توافق تام حول المسألة العراقية، وإنه لا يمكن لأية أطراف اللعب على تناقضات يحاولون خلقها بأنفسهم ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال تواجد ممثل لأي من الجهازين في اجتماعات الجهاز الآخر مع المعارضة العراقية لإشعارهم أننا طرف واحد، كما يقوم الجهازان بتبادل محاضر اللقاءات مع أطراف المعارضة العراقية، أما بالنسبة للجنة الثلاثية ومهمتها التوفيق بين أطراف المعارضة العراقية وتوجيهها بما يخدم مصلحة العراق والدول الثلاث وفق مبادئ العمل القائمة على إسقاط صَدَّام حسين والحفاظ على عروبته وإقامة نظام حكم مقبول من جميع فئات الشعب العراقي ويحافظ على استقرار العراق وعلى علاقات حُسن الجوار.

وتابع اللواء علي دوبا قائلاً بأن العتيبي أبلغه أن المركز الإعلامي الذي كان اقترح إقامته في السعودية بمشاركة مصر وسورية، أصبح الآن جاهزًا ويحتاج إلى لقاء ثلاثي لرؤساء الأجهزة الأمنية في الدولة للتوقيع على محضر اتفاق بشأن هذا المركز، وتلخصت مطالب الجانب السعودي بالآتي:

١ ـ توقيع بروتوكول المركز الإعلامي والبدء بالعمل من خلاله ويريدون معرفة رأي سورية باشتراك إيران بهذا المركز ولجم صوت التطرف الديني المغالي في طروحاته.

٢ ـ تشكيل لجنة ثلاثية سورية ـ سعودية ـ إيرانية لوضع أطراف المعارضة العراقية للاتفاق والسعي بهم إلى مؤتمر محدد القرارات ينشأ عنه مجلس وطني يتولى شؤون المعارضة حتى إسقاط صَدَّام حسين.

٣ ـ تشكيل لجنة ثنائية سورية ـ سعودية من أجل معالجة موحدة لقضايا المعارضة العراقية.

وتابع اللواء علي قائلاً: لاحظنا من خلال الحديث مع الجانب السعودي أنهم مقتنعون بضرورة زوال صَدَّام حسين وزمرته وليس زوال صدام فقط، كما لاحظنا إصرارًا سعوديًا على ضرورة توحيد المعارضة العراقية والسير بها إلى مؤتمر يخرج بنتائج يرضى عنها الشعب العراقي في الداخل، وبتقديرنا أن هذا الإصرار السعودي على السرعة في معالجة الموضوع يعتمد على أحد أمرين:

١ ـ أن تكون الولايات المتحدة قد هيأت لتغيير في العراق وكلفت السعودية بالحصول على ضمانات من إيران والدول الإسلامية بعدم التدخل.

٢ ـ خشية السعودية من التراخي الإقليمي والدولي في عملية إسقاط صَدَّام حسين والتساهل في الضغط الاقتصادي عليه؛ وبالتالي بقاء كابوس صدام في منطقة الخليج.

وبعد أن أنهى اللواء علي دوبا عرضه، ناقشنا الاقتراحات السعودية والوضع في الساحة العراقية ومسألة عقد المؤتمر والنشاطات الجارية حول ذلك بين أطراف المعارضة وبين سورية والسعودية وإيران، بالإضافة إلى الاتصالات التي يجريها بعض العراقيين مع الإنكليز والأميركان، واتفقنا على رفع الاقتراحات التالية للرئيس:

١ ـ الموافقة على تشكيل لجنة ثلاثية سورية ـ سعودية ـ إيرانية للإعداد والإشراف على المؤتمر وتنسيق المواقف ودعم المعارضة لإسقاط نظام صَدَّام حسين.

٢ ـ الموافقة على إنشاء المركز الإعلامي في السعودية بمشاركة مصر وسورية وإيران والتوقيع على البروتوكول.

٣ ـ الموافقة على تشكيل لجنة ثنائية سورية ـ سعودية لمتابعة أعمال المعارضة وتنسيق المواقف ومنع الدسّ بين البلدين.

كما ناقشنا مُجمل العمل العراقي واتفقنا على اقتراح ما يلي:

١ ـ العمل على تأطير الشخصيات الحزبية السابقة المدنية والعسكرية، والشخصيات القومية والتنظيمات الدينية والديمقراطية في إطار العمل مع سورية.

٢ ـ الاتصال بالجبهة الكردية وتوجيه دعوة لوفد منها لزيارة دمشق.

٣ ـ الاستمرار بدفع مليون ليرة سورية شهريًا للجنة العمل المشترك.

٤ ـ تأمين عشرة ملايين ليرة سورية موازنة شهرية للبند الأول.

وناقشت المقترحات مع الرئيس الذي ارتأى إرجاء إبلاغ السعودية ردنا على اقتراحاتها، لإجراء مناقشة مباشرة مع الملك فهد، ووافق على استئناف المساعدة للجنة العمل المشترك اعتبارًا من أول الشهر، كما طلب تحديد عدد الشخصيات المقترح التعامل معها لتحديد الاحتياجات المالية، وقد أبلغت الرفيقين الأحمر ودوبا رأي الرئيس.

جرت اتصالات عديدة بيننا وبين السعودية ولكن غَلب عليها طابع التحفظ نظرًا للهوة القائمة في سياساتنا تجاه العراق وفي طريق الوصول إلى إنهاء النظام.

كنت أستقبل بصورة شبه يومية شخصيات من المعارضة العراقية من مختلف الاتجاهات، وكان كل واحد يرمي بالفشل على الأطراف الأخرى دون أن يقدم البديل الصالح الذي يؤلف بين الجميع.

لقد ركزت دائمًا خلال هذه اللقاءات على المبادئ والأسس التالية:

١ ـ وحدة العراق الجغرافية والسياسية وبضرورة مقاومة الاتجاهات الهادفة إلى تفكيك العراق وتمزيقه والخلاف بين أطراف المعارضة ونحن من جهة وبين صَدَّام حسين بسبب سوء النظام وسياساته المغامرة والمجنونة والدموية، ولسنا تحت أي عنوان بخلاف مع شعبنا في العراق ومع وحدة التراب العراقي.

٢ ـ أن المعارضة يجب أن تأخذ المبادرة وأن تنطلق من هدف مرحلي أساسي وهو إسقاط النظام وترك الأمور الخلافية – وهي ثانوية – إلى ما بعد ذلك.

٣ ـ إن مستقبل العراق ومَن يحكمه يجب أن يُقرره الشعب العراقي بصورة حرة بعد سقوط صَدَّام حسين وليس عبر اقتسام المواقع والمراكز بين أطراف المعارضة والسقوط في فخ الخلافات حول هذه المسائل.

٤ ـ إن المعارضة يجب أن تركز على الداخل ودور الخارج ثانوي وهو عبارة عن عنصر مساعد، بينما يتجه الجميع إلى البلدان العربية والأجنبية وهي لا تستطيع أن تقدم أكثر من قدر من المساعدات المادية والإعلامية والسياسية.

وفي الثالث والعشرين من شهر كانون الأول ١٩٩١ استقبلت السيد محمد باقر الحكيم مع وفد من قيادته، وجرى استعراض مفصّل للوضع العراقي وللظروف الصعبة التي يمر بها العراق.

كما ناقشنا وضع المعارضة العراقية وكيفية العمل لتنسيق وتوحيد مواقعها والخروج من المأزق الذي تمر به، لا سيما بعد الخلل الذي وقع بسبب مواقف الجبهة الكردية من جهة وبسبب تعنت كل فريق من أطراف المعارضة بمواقفه، كما ناقشنا الكيفية التي تؤدي إلى إسقاط النظام عبر الجيش وكيفية تطمين الجيش.

وبعد جلسة طويلة اتفقنا على المبادئ التالية:

١ ـ دعم تشكيل لجنة سورية ـ سعودية ـ إيرانية لدعم المعارضة.

٢ ـ العمل على تنشيط الداخل شعبيًا بالتوازي مع العمل ضمن القوات المسلحة؛ وبذلك يتكامل العمل الشعبي مع العمل العسكري.

٣ ـ توسيع لجنة العمل المشترك في إطار ميثاقها بما يؤدي إلى استيعاب القوى والشخصيات ذات الوزن في العراق وكذلك العمل على عقد مؤتمر للمعارضة يضم الجميع وينبثق عنه مؤسسات قيادية تعترف بها الدول المؤيدة للمعارضة.

٤ ـ الطلب إلى الدول الاعتراف بالمؤسسات القيادية كبديل للنظام العراقي وتحويل جميع الأموال المجمدة لحساب هذه المؤسسات القيادية.

٥ ـ تشكيل قوات مسلحة للمعارضة على الحدود العراقية في كل من سورية والسعودية وإيران يجري استخدامها في الوقت المناسب.

لقد كانت هذه المبادئ تشكل إطارًا عامًّا يمكن القبول به من جميع أطراف المعارضة، كما يرضي إلى حد بعيد كلاً من السعودية وإيران وسورية، هذا وكانت اتصالاتنا مع الأطراف تأتي في إطار هذه المبادئ العامة، كما أن معظم قيادات المعارضة كانت مدركة الحاجة إلى اتفاق على مبادئ مرتكزة أصلاً على بيان المؤتمر الوطني العراقي الذي عُقد في بيروت.

وبتاريخ السابع من كانون الثاني تلقيت من السيد جلال الطالباني الرسالة التالية:

ـ السليمانية في ٣/ ١/ ١٩٩٢

سيادة الأستاذ عبد الحليم خدام المحترم نائب رئيس الجمهورية العربية السورية.

عزيزي الرفيق أبو جمال.

تحية أخوية حارة.

أهنئكم بمناسبة العام الجديد متمنيًا لكم السعادة وطول العمر، والتوفيق في خدمة سورية بقيادة الرفيق حافظ الأسد.

لقد أرسلت لكم بعض الملاحظات عن طريق الرفيق الأستاذ عزيز محمد، والآن يزوركم الأستاذ عمر مصطفى ليزودكم ببعض التفاصيل ومطالب الذين يبدون الرغبة في العمل الجدي، أرجوكم إرسال الجواب اللازم بسرعة.

أما بصدد مؤتمر المعارضة.. فإني أعتقد بضرورة الإسراع فيه والاتفاق على البديل والبرنامج وعدم الاهتمام بالمكان والشكليات الأخرى، البديل سواءً كان لجنة الإنقاذ الوطني أو الحكومة الانتقالية على أرض الوطن يجب أن يكون برئاسة عربي ـ سني ـ قومي، أو ديمقراطي أو قوميٍّ كالأستاذ أديب الجادر، مثلاً، أما القومي العسكري فأعتقد أن الفريق عارف عبد الرزاق هو الأنسب؛ لذلك أقترح دعوته إلى سورية للتعارف والتفاهم معه، وبعلمي فإن الإخوة المصريين يؤيدونه، أما إذا رُفض هذا الاقتراح فمجلس السيادة الثلاثي، عربي سني + عربي شيعي + كردي، فهو حل مقبول ومعقول والبرنامج يجب أن يكون ديمقراطيًا.

هذا طبعًا إذا لم يحدث عمل داخلي جاد، إذ يقينًا أن القائمين سيختارون قائدهم على الأقل للمرحلة الأولى.

وهناك شخصان آخران أنا على اتصال بهما ويعيشان في بغداد حتى الآن هما: ناجي طالب رئيس وزراء سابق (شيعي قومي) من قادة الضباط الأحرار، ورجب عبد المجيد سكرتير اللجنة العليا للضباط الأحرار (قومي عربي سني) ونائب رئيس وزراء سابق.

على كلٍّ أعتقد أن الداخل يقترب من الغليان، ولكننا نحتاج إلى تنسيق جدي ودائم ومتواصل معكم سيبحثه الأستاذ عمر مصطفى معكم.

إن الأساليب المتوقعة للإسقاط هي:

١ ـ انتفاضة عسكرية يقوم بها أساسًا ـ قسم بغداد ـ يبينه لكم الأستاذ عمر.

٢ ـ تمرد القطاعات العسكرية في الموصل والبصرة وكركوك بدعم من المعارضة الكردية والعربية «السنية والشيعية».

٣ ـ انتفاضة شعبية مدعومة ببعض الفِرق العسكرية.

نحن نشتغل على الموجات الثلاث، وللاحتمالات الثلاثة، ولكن الاحتمالات الثلاثة تحتاج إلى إسناد + تنسيق محكم + تشجيع الإسناد والتشجيع منكم ومنا ومن المنطقة والعالم.

التنسيق بيننا وبينكم وبين العاملين من الداخل فقط، لذلك أقترح إرسال:

١ ـ رفيق سوري عاقل؛ أي غير عراقي، ومتفهم.

٢ ـ إرسال ضباط سوريين إلى منطقتنا لندرس معًا باستمرار الوضع، وكذلك للاتصال بالضباط وقادة الفِرق والفيلق، بعلمهم، وبالاتفاق معهم.

٣ ـ تعيين مندوب دائم لكم في كردستان العراق، يُستحسن أن يكون له مكتب شرط أن يكون المسؤول سوريًا، ومن الممكن تأمين سرية وجوده إذا تعذرت العلنية للأسباب المتعددة.

٤ ـ اشتراك سورية في التعاون السعودي ـ الإيراني، المتفق عليها بينهما، كل يخدع الآخر أو هكذا يتوهم، إن وجود سورية ضروري جدًا ومهم وحيوي.

لا مانع للتعاون معهما، ولكن الخيط الأساسي يجب أن يبقى في يد المعارضة العراقية، الكردية والعربية الديمقراطية والقومية، بإسناد وعلم سورية.

الرفيق الأستاذ أبو جمال.

آسف لعدم تمكني من زيارة دمشق العزيزة لأننا مُقبِلون على المؤتمر ٢٧/ ١/ ١٩٩٢، ولكني مشتاق لها ولكم وسائر الرفاق، ولذلك فسأزوركم بعد المؤتمر في أول فرصة، لقد حملت الأخ وزوّدته ـ بنص معين ـ قد يفيدكم الاطلاع عليه.

وختامًا أرجوكم تقديم تحياتي واحتراماتي إلى الرفيق الرئيس حافظ الأسد مع التمنيات الصادقة لسيادته بالصحة والعمر المديد، وأرجوكم تقديم تحياتي إلى سائر الإخوة.

ودمتم لأخيكم المخلص

أبو شلال

لقد أبلغت موفد السيد جلال الطالباني نتائج المحادثات مع السيد محمد باقر الحكيم، كما أبلغني منه؛ أي جلال، أن الضابط العراقي « » يقود الفرقة « » في « »، كما أن أخاه « » يقود فرقة أخرى موجودة في « »، وذلك معه فرقة موجودة في « ».

إن هذا الضابط يطلب التنسيق والإسناد مع سورية والأكراد.. بالأخص إسناد جوي، نريد أن نعرف ما تستطيع سورية القيام به لإسنادهم، يريدون معرفة الشيء العملي ويهمهم بالدرجة الأولى الإسناد الجوي.

كما أن الاتحاد الوطني معه فرقتان واحدة في « »، والثانية في « » قرب « »، ومعنا كذلك مائتا ضابط في بغداد داخل الحرس الجمهوري الخاص يدّعون أن بإمكانهم قتل صدام لكن في هذه الحالة هم يحتاجون إلى إسناد جوي وتحرك القطاعات الأخرى. يريدون إسناد منا ومنكم.

لم آخذ هذه المعلومات مأخذًا جديًا بحكم معرفتي بالأوضاع الداخلية في العراق لا سيما في القوات المسلحة، مع استحالة أن يغامر ضابط كبيرًا كان أو صغيرًا بالاتصال بنا عبر السيد جلال الطالباني لأنه يدرك أن مثل هذا الاتصال لن يبقى في حدود ضيقة، بالإضافة إلى أن هناك ثمة إمكانيات للاتصالات المباشرة معنا، كما أخذت في الاعتبار إمكانية أن يكون الاتصال من قِبل المخابرات العراقية باسم الضابط المذكور.

ومع ذلك فقد أبلغت موفد الطالباني أن هذا الأمر يتطلب مناقشة مع المذكورين مباشرة أو مع ممثل عنهم يمكن أن يأتي إلى سورية أو اللقاء به في الخارج وذلك لاستطلاع جدية الموضوع من جهة ولمعرفة الدور المطلوب من سورية.

ولا بد من الإشارة في هذا المجال إلى عشرات الاتصالات التي كانت تجري مع جهات سورية باسم تنظيمات عسكرية عراقية مرفقة بمطالب لدعم هذه التنظيمات، وكنا نضع هذه الاتصالات تحت مجهر الشك والحذر.

في هذا الوقت كانت الاجتماعات متتالية بين أطراف المعارضة للتحضير لمؤتمر عام يُعقد في السعودية، وكنا نُطلع السعودية على الاتصالات التي نجريها مع أطراف المعارضة كما أن السعودية كانت تُطلعنا على اتصالاتها مع العراقيين.

ومع ذلك فإن قاعدة العمل لم تكن مبنية على الثقة مما فرض علينا لمنع الانزلاق، سواءً باتجاه تغيير لصالح إيران أو الأميركان، أن نُبقي على صلة اتصال وبثقة تحول دون قيام إيران

باستغلال حاجة السعودية إلى وضع يدها على العراق، أو قيام الولايات المتحدة مستغلة السعودية بوضع يدها وإقامة نظام موالٍ لها، يلعب دورًا مُهمًّا في الضغط على سورية في قضية المفاوضات حول السلام.

في ضوء هذه القاعدة كانت تجري اتصالاتنا سواءً مع السعودية أو إيران واستطعنا من خلال ذلك أن نُبقي على دور مركزي لا يمكنه من تغيير النظام في بغداد ولكن لا يمكن أن يتم التغيير إذا لم تكن سورية موافقة ومشاركة.

وبتاريخ ١٢/ ٢/ ١٩٩٢ استقبلت السيد حسين شيخ الإسلام موفدًا من طهران لمناقشة الوضع العراقي ودار بيننا الحديث التالي:

تحدث السيد حسين قائلاً: قبل أن أدخل بالبحث الأساسي أريد أن أبلغ سيادة نائب الرئيس أنه تم مناقشة المواضيع التي طُرحت في طهران بيننا وبينكم مع السعوديين واتفقنا أيضًا في طهران على أن تتابع سورية الخطوات اللازمة لذلك.

لقد اجتمع السيد فومي مدير عام وزارة الخارجية في إيران مع الأمير سعود الفيصل، وقد أبلغه مُجمل القضايا والمسائل وقال له إننا على استعداد أن يتم بعد أسبوعين من الآن اجتماع لوزراء خارجية الدول الثلاث في السعودية، ومن الممكن أن يكون من الجانب السعودي الأمير سعود الفيصل أو أي شخص آخر، وقلنا للسعوديين إننا موافقون على أن يشترك معاونو وزراء الأمن في هذا الاجتماع الثلاثي، وقامت السعودية بتوجيه دعوة للسيد باقر الحكيم وهو سيقوم بزيارة بعد عشرة أيام، نحن نعرف أن السيد الحكيم سوف يُقنع الطرف السعودي قبل الاجتماع الثلاثي أن السعودية أعلنت موافقتها على عقد مؤتمر المعارضين داخل السعودية، ونحن نعتبر هذه المسألة خطوة مهمة وإيجابية ومُثمرة لأنهم لم يكونوا من قبل يؤيدون انعقاده داخل السعودية، وجدول الأعمال وفحوى المناقشات نحن على استعداد أن تتم نفس المناقشات التي تمت في طهران، وبالنسبة لمؤتمر المعارضين نقترح أن يتم عقده بعد عشرين يومًا من اجتماع وزراء خارجية الدول الثلاث. هذه هي معلوماتي حول السعودية.

ـ النقطة الثانية: تتعلق بالمعلومات التي كنا قد حصلنا عليها حول تحركات داخل العراق وبخاصة داخل الجيش العراقي، إنني قد كُلفت بالتشاور حول هذه القضية معكم، فهل حصلتم من قبل على مثل هذه المعلومات أم لا؟ وفيما إذا وصلتكم هذه المعلومات فإلى أي مدى تعتبرون هذه المعلومات صحيحة؟ نحن قد حصلنا عليها من قنوات عديدة مثل

المعارضين الأكراد والعرب، نحن نرغب أن نسمع من سيادتكم حول هذا الموضوع.

سألته: ما هي هذه المعلومات؟

أجابني السيد حسين: تحرك عسكري داخل الجيش العراقي لتخليص الشعب العراقي من براثن صدام، نرغب منكم أن نسمع هل حصلتم على معلومات جديدة بهذا الشأن بعد زيارتكم إلى طهران أم لا؟ نحن نعرف أن الأميركان يحاولون تطبيق بعض المسائل لإجراء بعض الأمور، ولكن لا نعرف مدى جدية الأميركان، هل هم يتلاعبون أم هي مساعٍ حقيقية؟

وقد عقّبت على كلامه: بالنسبة للموضوع الأول حول السعودية هذا الأمر يعتبر جيدًا ولكن يجب التأكيد على بقاء العمل الثلاثي، وعدم فتح ثغرة لاستخدامها من قِبل الأميركان.

أميركا لا تزال تضع اسم سورية وإيران على لائحتها بإطار الإضعاف والضغط، ولا نستطيع أن نقبل بحُسن نية أية نوايا حسنة لدى الأميركان، ولا لدى أصدقاء أميركا في المنطقة، بغض النظر عن التحاور والمناقشة معهم يجب أن يبقى في خلفية الرأس سياسة أميركا في المنطقة وسياسة أصدقائها في المنطقة.

بيكر بدأ البارحة جولة في جمهوريات الدول التي كانت تشكل الاتحاد السوفيتي السابق تحت عنوان «مقاومة النشاط الإيراني»، بوش بعد استقباله سليمان لديمريل رئيس وزراء تركيا قال يشجع النشاط التركي لمواجهة النشاط الإيراني.

إذًا يجب أن يكون واضح في أذهاننا، ومن الصعب أن نتصور أن يكون لدى الأميركان ما يخدم إيران وما يخدم سورية، يعني إذا رأينا هذه الصورة يجب أن يكون تحركنا مدروسًا وحذرًا مع الآخرين، إذا لم نستطع توظيف جهود الآخرين لخدمة استراتيجيتنا يجب أن لا نوظف جهودنا لخدمة استراتيجيتهم.

يجب أن لا يكون التغيير لصالح الولايات المتحدة، لأن مثل هذا التغيير سيستفيد من سلبيات نظام صَدَّام حسين، وسيحكم بيد أميركا على العراق، هذا النظام الجديد سيقوم بوصل جغرافي بين تركيا والأردن وإسرائيل، وسيشكل سدًّا بين إيران وسورية، وسيتشكل حلف في المنطقة من تركيا والعراق والأردن متعاونًا مع إسرائيل، يكون تحت المظلة الأميركية وسيستهدف سورية وإيران، وسيمهد الجو للصلح مع إسرائيل، طبعًا نحن نرى هذه الصورة

وقلقون منها والأميركان قد وضعوا سورية وإيران على لائحة المطاردة، استدعت الخارجية الأميركية مستشار السفير السوري في واشنطن وطلبوا منه إبلاغ الحكومة السورية أن لا تعمل على صدور قرار في لجنة حقوق الإنسان يدين إسرائيل لأن هذا سيؤثر على عملية السلام، في الوقت نفسه تقوم الولايات المتحدة الأميركية بالضغط لإدانة سورية وإيران وليبيا والباكستان ودول أخرى، يعني يجب أن نرى هذه الصورة حتى لا نقع في خطأ كبير. نذهب إلى الاجتماع ونتمسك بمناقشة النقاط التي اتفقنا عليها في طهران وبكاملها، في الوقت نفسه يجب أن نأخذ بالاعتبار وقوع مفاجآت في العراق يعني حتى لا نستعمل غطاء وتأتي المفاجآت، ويجب أن ندرس ثنائيًّا في حال وقوع مثل هذه المفاجآت، وما هي الخطوات العملية التي ستتخذها سورية وإيران وحلفاء سورية وإيران على الساحة؟ وبرأيي إذا رتبنا أمورنا بهذا الشكل ليس هناك أي قلق في أن يجري هذا المؤتمر سواءً في السعودية أو في غير السعودية.

طبعًا بوش لديه حالة مُلحة لإسقاط صدام، شخص صدام فقط، لكن هو مع إبقاء النظام، هم يريدون نظامًا عسكريًّا في العراق، لا يريدون نظامًا شعبيًّا؛ لأن أي انتخابات ستجرى في العراق حتى لو كانت نصف حرة ستأتي بمجلس معادٍ لهم، وهم أيضًا يريدون نظامًا عسكريًّا لقمع التيار الإسلامي في العراق والتيار الوطني المعادي لهم.

أمامنا تجربة الجزائر.. لقد بقي الغرب يضغط من أجل الديمقراطية وحقوق الإنسان حتى أقنع الشاذلي بن جديد وعمل بروسترويكا، أجرى انتخابات وجاءت نتيجتها على غير ما كانوا يتوقعون، فزجوا بالجيش، ولنرى الآن ماذا يحدث في الجزائر، لذلك هو يريد إسقاط صَدَّام حسين ليضمن النجاح في الانتخابات، إذا جاء شهر تشرين الأول وصدام في السلطة فإن بوش صعب نجاحه، وهناك حملة من الديمقراطيين ضده بسبب حرب الخليج، هو يجب أن يحقق شيئًا، إذا فشل في العراق يحاول أن يحقق شيئًا في المفاوضات بيننا وبين إسرائيل، يعني بين العرب وإسرائيل، وإذا فشل بموضوع المفاوضات لديه ساحة جاهزة، ليبيا، يعني هي احتياط. إذًا:

١ ـ صَدَّام حسين.

٢ ـ مفاوضات العرب وإسرائيل إذا فشل بها فإنه سيوجه ضربة لليبيا، وبرأينا نحن إذا استطعنا ضمان وحدة القوى الصديقة لنا، وقدمنا لها مساعدات جدية، ليس هناك قلق، ومشاركة السعودية مفيدة، لذلك نذهب وبذهننا هذه الصورة، ممكن أن يأتي إلى هنا بشكل

سري مسؤول الأمن الإيراني ويجتمع مع مسؤول الأمن السوري الذي سيذهب مع وزير الخارجية إلى السعودية، وهنا يجهزوا الأمور. والعملية طبعًا الدكتور ولايتي هو المشرف السياسي، لكن بنهاية الأمر هناك جهاز ما.. شخص ما.. هو الذي يقوم بالاتصالات وبالعلاقات ومتابعة التنفيذ، ممكن الاجتماع مع مسؤول جهاز الأمن لدينا الذي يتابع هذه الأمور، وحول هذا الموضوع ليس لدينا وجهات نظر مختلفة، مجمل ما يتعلق باللجنة الثلاثية لوزراء الخارجية نحن متفقون على التوجهات كلها في طهران.

أما بالنسبة للوضع في العراق ووضع الجيش العراقي هناك تململ لكن حتى الآن لم يصل حسب معلوماتنا إلى درجة الاقتراب من التحرك، يعني جاءتنا معلومات حول بعض الأوضاع ضمن الجيش العراقي، طبعًا هذه المسائل الإنسان لا يستطيع أن يغامر بها، أرسلنا إلى داخل العراق بعض الأشخاص لأن المعلومات جاءتنا من مصادر كردية وقاموا بالاجتماع مع المصادر ودققوا بالمعلومات، وتبين أن ما أرسلوه لي برسالة خطية غير دقيق. حتى الموفدون السوريون عرضوا علي هذه المصادر؛ بأننا نحن مستعدون للقاء مع ممثل من هؤلاء الضباط من أجل ـ نحن نريد تدقيق الأمور ونطلب الجدية ـ الأمر، لكن لم يجرِ مثل هذا اللقاء لأن المعلومات التي أرسلت غير صحيحة، هناك معلومات تُسربها المخابرات العراقية بهدف كشف تنظيمات إذا كانت موجودة هذه التنظيمات، وتأتينا معلومات كثيرة حول هذا الموضوع، لكن معلوماتنا الأكيدة أنه هناك تململ في معظم قطاعات الجيش العراقي، ولم يجرِ حتى الآن ربط بين الناس، هذا الأمر يحتاج إذا نفذنا ما اتفقنا عليه في طهران ممكن تسريعه، يعني إذا تم الاتفاق على تشكيل قوة معارضة عراقية على حدود سورية وإيران والسعودية مع خطة للتحرك الشعبي داخل العراق ممكن أن تتحرك بعض القطاعات في الجيش العراقي، لكن إذا لم يكن هناك عمل جاد من الصعب أن نجد مغامرين.

فالوضع مهترئ جدًا، يعني الأميركان يبذلون جهودًا، هم يُجرون اتصالات متعددة ولا أستطيع القول إنهم وصلوا الآن إلى أشياء ملموسة داخل العراق، هم ينشطون بهذا الاتجاه، قد يستطيعون الوصول إلى هذه النتائج إذا تأمّن لهم غطاء يوجِد قناعة لدى مجموعات من ضباط الجيش العراقي إذا تحركوا، فإن هذا التحرك سيودي بصدام، هم يحاولون ـ الأميركان ـ أن يتصلوا بكل أطراف المعارضة العراقية، وكل يوم يأتي إلى سورية أسماء لم نسمع بها من قبل وبمتابعة هذه الأسماء وتدقيقها نلاحظ أن معظمها قد سافر إلى لندن أو واشنطن، أسماء كثيرة حتى بعض هذه الأسماء التي كانت معروفة بنظافتها استطاعوا أن يجّروها لأن هناك أشخاصًا بالمعارضة العراقية ينتظرون صدور بيان رقم «١» في العراق لتعيين المناصب

والوزراء... إلخ، أو برأيي الضمانة الحقيقية هي أن نبقي على قوة حلفائنا وأن نزيد هذه القوة بشكل إذا ظهرت مفاجأة أن يكونوا داخل العراق، هذا الأمر يجب مناقشته بيننا وبين طهران بشكل دقيق، ثم ما نتفق عليه نطلب منهم أن ينفذوه؛ لأن المشكلة معهم بالمناقشة بأي موضوع سينتشر مباشرة بين مئات الناس، هذا هو الوضع بالنسبة للجيش العراقي، وأعتقد أن المعلومات التي جاءتكم هي من نفس المصادر التي جاءتنا أيضًا؛ من مصادر كردية ومن المعارضة العربية الموجودة في الشمال.

أخذ الحديث السيد حسين موضِّحًا: نحن فيما يتعلق بمعلوماتنا لم نتلق من الأكراد فقط، وإنما من الآخرين أيضًا، ما قالوه لنا جماعات البرزاني والطالباني بأن هناك تحركًا داخل الجيش العراقي ولم تكن هذه المعلومات دقيقة، وتلقينا معلومات من المعارضين الشيعة في الجنوب ومعلوماتهم تقريبًا متشابهة مع معلومات الأكراد في الشمال لكنها أكثر دقة ـ معلومات العراقيين في الجنوب ـ على العلم بأنه من الممكن تدقيقها.

إنني كُلفت بهذه الزيارة إلى سورية حتى أطرح مع سيادتكم تفاصيل هذه المواضيع ولنتناقش على مُجمَل هذه المعلومات حتى نتفق إذا كانت هذه المعلومات التي عندكم أو التي عندنا هي كاذبة أم لا؛ لأننا قد نحصل على مثل هذه المعلومات بكثرة ومعظمها كاذب، كما أيضًا قلتم أنتم إن الجهات العراقية هي التي تُسرب هذه المعلومات، لكن بما أن هذه المعلومات حصل عليها من عدة قنوات فقد تم إنجاز هذه الزيارة لطرح هذه الأمور عليكم ولنتشاور عليها.

علقت قائلاً: من الناحية المعنوية وضع الجيش العراقي أكيد متوتر، إذا لم يكن متوترًا هذا العراق يستحق صَدَّام حسين؛ لأن ما جرى في العراق جيش يُزج في الحرب ضد إيران، وعمليًّا هو هُزم بهذه الحرب؛ لأن الغرب ومساعدتهم بالأسلحة ومساعدة الأميركان لصدام لعب دورًا كبيرًا، عمليًّا هُزم الجيش العراقي في هذه الحرب ولم يستطع تحقيق أي شيء إلا بعد أن استخدم قنابل سامة.

الأمر الثاني، صَدَّام حسين قتل الآلاف – ليس المئات – من ضباط الجيش وصَفّ ضباط وجنود هذا الجيش.

الأمر الثالث، صَدَّام حسين قتل عشرات الألوف من المواطنين العراقيين، وهؤلاء لهم أقرباء في الجيش.

الأمر الرابع، زجّ صَدَّام حسين العراق في حرب الخليج الأخيرة وألحق بالجيش العراقي

كارثة كبيرة ودمّر العراق، بعد كل هذه الأمور يجب أن نتوقع حالة من التأزم في الجيش العراقي كبيرة ولنقل كبيرة جدًّا، لكن حالة القمع الوحشية تبقي هذه الحالة مكبوتـة، متى تتحرك هذه الحالة؟! ضمن شرطين:

الشرط الأول: وجود حركة شعبية منظمة تشمل كل العراق من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.

الشرط الثاني: أن يشعر هؤلاء أن هناك عملية جدية لدعم جدي لهذه الحركة الشعبية لإسقاط هذا النظام.عندئذٍ لن يبقى مع صَدَّام حسين سوى القسم القليل من الحرس الجمهوري، والجيش في المحافظات سيعلن انضمامه للثورة، هذا الأمر، لماذا لم يحدث في أثناء الانتفاضة؟ لأن الانتفاضة جاءت عفوية، وهي عبرت عما هو محتقن في نفوس العراقيين ضد صَدَّام حسين.

ثانيًا: ضباط الجيش العراقي تشكلت لديهم قناعة أن الأميركان يريدون المحافظة على صَدَّام حسين؛ لأن الاجتماع الذي تم بين بعض القيادات العسكرية العراقية وشوارزكوف بُحِث فيه السماح باستخدام طائرات الهيلوكبتر لضرب الناس، وبالإضافة إلى ذلك الجيش كان متشردًا وفي حالة من التسيب والضياع.. وقسم منه تحت رمال الكويت.. قسم كبير منه في الأَسْر، ومع ذلك هناك المئات من الحالات التي ترك فيها الضباط والجنود الجيش والتحقوا بالشعب، وبرأينا الجيش العراقي بحالة من الاحتقان، ولدينا معلومات حول ذلك ولدينا نحن بعض الاتصالات لكن هل الوصول لهذه المرحلة سيؤدي للانفجار، الأميركان يراهنون على خلق جو ضاغط على صدام وبالتالي إلى الانفجار، وهم عبر بعض دول الخليج ينفقون أموالاً كثيرة لشراء بعض الناس وحتى من العشائر.

هذا هو الوضع بشكل عام.. هل هناك وقائع محددة يريد السيد حسين مناقشتها معي؟

أعاد السيد حسين الحديث مرة ثانية قائلاً:

بالنسبة للخطة التي طرحت، كان هناك سيناريو فهل حصلتم على معلومات من هذا السيناريو أم لا؟ بالنسبة لما قاله لكم الأكراد، وهل هم خططوا أو قاموا بتخطيط السيناريو أم لا، وهل كان هذا التخطيط بصورة كلية أم لا؟

أجبته قائلاً: المعلومات التي وصلتنا من الأكراد تقول بأنه هناك تذمر وهناك أفراد كبيرة من الجيش العراقي جاهزة للعمل، وأعطونا أسماء، الذي أرسل لنا الرسالة اقترح أن يتم

الاتصال بهؤلاء الناس وأنه في حال الاتفاق على تحرك شعبي وعسكري ممكن لهؤلاء الناس أن يتحركوا، ومن تدقيق بعض الأسماء تشكلت لدينا بعض الشكوك وأرسلنا ضابطين إلى الشمال واجتمعا مع مصدر هذه المعلومات، تحدث عندها كلام غير الكلام الذي أُرسل لي برسالة خطية، طلبوا من مصدر المعلومات اللقاء مع ممثل هؤلاء الضباط.

حتى إنهم قالوا لهم بأننا جاهزون للذهاب إلى أي مكان وحتى للوصول إلى بغداد، تهرّب، طبعًا عندئذٍ قيّمنا الوضع، والمعلومات تأتي بوضع ضمن أجواء متوترة وأقوال متسربة ووضعنا احتمال أن المخابرات العراقية هي التي سربت هذه المعلومات للكشف، ولتأتي هذه المعلومات لدينا.. نحن لدينا أصدقاء في الجيش العراقي فنطلب منهم الاتصال وعندما يُكتشفوا يُقضى عليهم.

- وما هي معلوماتكم التي جاءتكم هل هي من هذا القبيل؟

أجاب السيد حسين: هذه المعلومات هي من مصدرين: من الجنوب ومن الشمال.

وكما بعثتم أنتم أشخاصًا إلى شمال العراق قمنا نحن أيضًا بهذا الأمر وأوفدنا بعض الأشخاص لشمال العراق، وبالتأكيد نحن لنا قاعدة مستقرة في شمال العراق، وعندما دققوا في تفاصيل هذه المعلومات قالوا لنا نحن لا نستطيع القبول بهؤلاء الأشخاص، ولكننا في نفس الوقت لا نرفض هؤلاء.

قررنا القيام بمحاولات سياسية، ولهذا السبب قمت بهذه الزيارة؛ إذا رأينا بأنه ليس هناك أمر جدي لا نصدق عندها هذه المصادر.

أوضحت له: التأزم موجود في الجيش العراقي، ويجب أن نكون حذرين حتى نحمي الناس الشرفاء في الجيش، هذا الوضع أعتقد أنه لو كانت هناك أشياء جدية هؤلاء يستطيعون إيجاد اتصالات جدية مع إيران ومع سورية.

أجابني السيد حسين: أنا موافق معكم، وأشكر سيادة النائب.

* * *

اتفقنا مع الإيرانيين في إحدى زياراتي لطهران على تشكيل لجنة ثلاثية سورية ـ سعودية ـ إيرانية لمتابعة الوضع في العراق، وقد أصر الجانب الإيراني على أن تكون من وزراء الخارجية، بينما كان رأينا أن تكون من رؤساء أجهزة الأمن.. ووافقنا تجاه الإصرار الإيراني.

ولدى إبلاغ السعودية بالاتفاق فقد وافقت على تشكيل اللجنة إلا أنها أبلغتنا أن الأمير تركي سيمثل السعودية، وإذا شاءت إيران أن يأتي وزير خارجيتها فالأمر متروك لها، مع الإشارة إلى أن رأي السعودية أن لجنة على مستوى وزراء الخارجية ستعيق العمل.

وبتاريخ السادس عشر من نيسان استقبلت معاون وزير الأمن الإيراني الذي جاء إلى دمشق للتنسيق مع الجانب السوري قبل عقد اجتماع رؤساء الأجهزة الأمنية للدول الثلاث، وتركز الحديث بمعظمه حول العراق، وحول مؤتمر المعارضة وعدد أعضائه، ونسب التمثيل، ودور كل من سورية والسعودية وإيران، وأبلغته موافقتنا على اجتماع اللجنة الثلاثية على مستوى وزاري مع حضور رئيس جهاز الأمن المختص.

وبتاريخ الرابع من حزيران ١٩٩٢ استقبلت الدكتور علي ولايتي وزير خارجية إيران، وتطرقنا إلى عدد من المواضيع الدولية والإقليمية بما في ذلك الوضع في العراق، لقد سألني الوزير الإيراني عن تقييمي للقاء الثلاثي الذي تم بين الممثلين الأمنيين لكل من سورية والسعودية وإيران فأجبته:

تقييمي بعد اطلاعي على محاضر المحادثات أنها لم تكن ناجحة، ولكن لم تكن فاشلة، الجانب السعودي على ما يبدو لم تشكل لديه القناعة للتعامل المفتوح مع سورية وإيران فيما يتعلق بالعراق، المناقشات التي جرت بين رؤساء الأجهزة الأمنية كانت جيدة ولكن عندما أُحيل الموضوع إلى لجنة فنية كانت هناك صورة أخرى وبالتالي الذي لم يقولوه في اجتماع رؤساء الأجهزة قالوه في اجتماع الفنيين، لم يجرِ التوصل إلى نقطة اتفاق بصورة خاصة حول موضوع المؤتمر والهياكل التي يجب أن تنبثق عنه، واتفقوا على لقاء في إيران بعد موسم الحج، قد يكون الاجتماع الأول لسبر آراء الأطراف، نأمل أن يكون الاجتماع القادم أفضل، ولكن المهم أن تجري الاجتماعات القادمة بحضور رؤساء الوفود ولا تترك للفنيين إلا بعد الاتفاق على سياسات العمل، على ما يبدو ليس هناك من مستعجل، حتى الأميركان غير مستعجلين على إسقاط صَدَّام حسين، وإن لهم أهدافًا أخرى؛ هم يريدون استنزاف العراق والمنطقة وفرض المزيد من الالتزامات على العراق وتفكيك وحدته الوطنية، وفي هذا الإطار جرت الانتخابات الكردية، ذلك أن الانتخابات التي تجري خارج إطار السلطة المركزية وبعيدًا عنها وعن الدستور الذي يسود البلاد هي شكل من أشكال تقرير المصير، وبالتالي خطوة كبيرة على طريق الاستقلال.

سألني الدكتور ولايتي: هل الهدف إقامة دولة كردية؟

أجبته: إنها الخطوة الأولى في العراق، ويليها الخطوات الأخرى في إيران وتركيا.

رد الدكتور ولايتي متسائلاً فيما إذا كان هناك أمل في إسقاط صدام، مُلمحًا إلى إمكانية بحث مسألة الحوار معه.

قلت له: إن تغيير النظام يتطلب العمل، والأمل يأتي من خلال العمل، ونحن إذا نظرنا إلى واقع المعارضة فإن التفاؤل بإمكاناتها يتضاءل، فالمعارضة ممزقة والجميع بمن فيهم أصدقاؤنا يبحثون عن مكاسب وحصص في النظام الجديد الذي لم يعملوا شيئًا لإقامته، بالإضافة إلى ذلك فإن الدول المعنية بهذا الأمر في المنطقة؛ أي سورية وإيران والسعودية لا تناقش الموضوع بصورة جدية ولكلٍّ موقفه ولكل موقف خلفياته، وإن الأخذ بالاعتبار حجم الأضرار التي ستصيب المنطقة والدول الثلاث من استمرار صَدَّام حسين.

أردت أن أقول للوزير الإيراني من الصعب رؤية صدام يتهاوى طالما أن هدف السياسة الإيرانية إقامة نظام مرتبط بإيران؛ لأن هذا الأمر يتعارض مع مصالح دول المنطقة من جهة ومن جهة ثانية فإنه يثير عددًا من الأطراف الدولية.

إن عدم النجاح في التعاون يعود بصورة أساسية لموقفيْ إيران وسورية؛ إن إيران تسعى لإقامة نظام إسلامي بقيادة السيد محمد باقر الحكيم على قاعدة الارتباط والتكامل معها، صحيح أن الإيرانيين لم يُصرحوا بذلك ولكنهم لم يفعلوا عكس ذلك، بل إن التيار الإسلامي المرتبط بهم كان واضحًا في هذا الاتجاه.

أما السعودية فقد كانت لها خلفية أخرى، فهي تخشى من قيام نظام إسلامي مرتبط بإيران، ومن جهة ثانية فهي تُقدر أن أي نظام يقوم في العراق لن يكون صديقًا لها في إطار المعادلات القائمة؛ ولذلك تتباطأ في العمل أملاً في تشكيل تيار حوالي لها يكون له موقع مهم في النظام الجديد.

وفي الوقت الذي كنا نتحاور خلاله مع إيران والسعودية كانت الولايات المتحدة وبريطانيا تنشطان باتجاه آخر، بهدف إقامة هيكلية جديدة للمعارضة العراقية وإنهاء الهيكلية القائمة، والمتمثلة بلجنة العمل المشترك التي شكلها مؤتمر المعارضة في بيروت.

لقد اعتمدت الدولتان الجبهة الكردية لتكون الطليعة في العمل، وقد تجاوبت الجبهة مع المساعي الأميركية، أملاً في أن يشكل هذا التعاون دعمًا للأكراد في بناء الهيكلية الكردية التي بدؤوها بانتخابات مجلس تشريعي، وتشكيل حكومة انبثقت عن هذه الانتخابات.

في السادس والعشرين من حزيران ١٩٩٢ عُقد لقاء ثلاثي في طهران للمختصين من أجهزة الأمن السورية والسعودية والإيرانية، لبحث عقد مؤتمر للمعارضة العراقية الذي تم الاتفاق على عقده في السعودية أثناء لقاء رؤساء الأجهزة الأمنية الثلاثة في دمشق.

في بداية الاجتماع تحدث رئيس الوفد الإيراني العميد علي أكبر فراهاني مرحبًا بالوفدين السعودي والسوري، وأكد اهتمام القيادة الإيرانية بهذه الاجتماعات آملة الوصول إلى نتائج إيجابية، وأضاف في لقاء دمشق اتفقنا على مكان عقد المؤتمر في السعودية وعلى التنسيق للوصول إلى أفضل النتائج وتقديم المساعدة للشعب العراقي، وعلى ضرورة التنسيق بين الأطراف الثلاثة لإسقاط صَدَّام حسين، وأشار إلى أن النقاط التي يجب متابعتها في هذا اللقاء هي:

١ ـ تحديد الأعضاء الذين سيشاركون في المؤتمر.

٢ ـ المساعدة التي ستقدم للمعارضة العراقية.

٣ ـ النشاطات السياسية المطلوبة من الدول الثلاث كي تضمن نجاح المؤتمر وخروجه بنتائج إيجابية.

بعد ذلك تحدث رئيس الجانب السوري وأوضح أن مستجدات طرأت على الساحة العراقية، فقد عُقد مؤتمر فيينا وحضرته بعض أطراف المعارضة، ولا بد من تحديد مواقف الدول الثلاث من هذا المؤتمر، ونحن نرى أنه لا يمثل المعارضة الحقيقية، وهو يمثل خطوة لإطالة عمر نظام صَدَّام حسين، كما أن المؤتمر يُشكل عملاً هادفًا لإحباط أي عمل جدي تتفق عليه الدول الثلاث بما فيها المؤتمر في السعودية.

كما أشار رئيس الوفد السعودي إلى أن السيد محمد بحر العلوم أرسل رسالة للأمير تركي الفيصل يستوضح فيها رأي المملكة بمؤتمر فيينا فأجاب بأن أي مؤتمر توافق عليه المعارضة العراقية ويخرج بنتائج إيجابية فإن المملكة لا تعارضه.

كما أن السعودية أبلغت وفدًا مؤلفًا من أحمد الجلبي وليث كبة ومحمد عبد الكريم محمد علي، نفس الجواب، وأضاف المندوب السعودي أن حكومته لم تقدم أية مساعدة لمؤتمر فيينا لكنها سمحت لمن يريد حضوره بالخروج من السعودية.

وتحدث رئيس الجانب الإيراني عن اتصال أجراه بالخارجية الإيرانية جماعة من مؤتمر فيينا لأخذ رأي إيران فتم إبلاغهم أن أي مؤتمر لا يحظى بتأييد الدول الثلاث لن يسفر عن نتائج

إيجابية وسيشكل دعمًا لصَدَّام حسين، وأضاف: قلنا للمعارضة العراقية في إيران إن مؤتمر فيينا لا يوافقنا وهو وسيلة لضرب مؤتمر السعودية. وأشار إلى أن إيران أبلغت الطالباني وجهات كردية أخرى؛ أن عدم حضور القوى الإسلامية وبقية القوى المهمة مؤتمر فيينا سيضعف هذا المؤتمر.

وبعد مناقشات طويلة قال المندوب السعودي إنه يوافق على أن المؤتمر يعتبر إجهاضًا لعمل الدول الثلاث، وإن السعودية لا تؤيد القرارات التي صدرت عنه ولكننا لا نريد الاصطدام مع الدول التي أيدته.

ثم تحدث المندوب السوري ثانية، فقال: يجب أن نركز اعتراضنا على نقطتين:

١ ـ تمثيل الشعب العراقي في مؤتمر فيينا ليس حقيقيًّا.

٢ ـ فرّط المؤتمر بوحدة العراق.

وعلينا أن نعمل على إجهاض مؤتمر فيينا من خلال محورين:

١ ـ دعوة القوى الأساسية التي لم تحضر مؤتمر فيينا لإعلان موقف ضده.

٢ ـ إعلان موقف واضح ضد أية جهة تسعى لاقتطاع أي جزء من العراق.

ولدينا الإمكانية لتوحيد المعارضة العراقية وعقد مؤتمر يمثل الواقع العراقي على ألا تكون تركيبته على نفس الأسس التي قام عليه مؤتمر فيينا.

ثم تحدث المندوب السعودي عن عدم وجوب معارضة مؤتمر فيينا حتى لا نخسر أعضاءه، وحتى لا نثير مشكلة مع الدول التي أيدته.

وبعد مداخلات عديدة اتفق الأطراف على عدم تأييد مؤتمر فيينا وتبني وجهة نظر الجانب السوري.

ثم جرى نقاش حول طريقة تشكيل المؤتمر في السعودية ونسب التمثيل، واقترح الجانب السوري أن يقوم كل طرف بتسمية ٢٥٪ من أعضاء المؤتمر وتتفق الأطراف الثلاثة على الربع الباقي.

اعترض الجانب السعودي وأصرّ على أن يأتي التمثيل على أساس الأشخاص وليس الأحزاب أو الطوائف.

وعاد رئيس الجانب السوري يتحدث عن أهداف جهود الدول الثلاث لتخفيف حدة

الخلافات بين أطراف المعارضة العراقية حول اللجنة التحضيرية وأعضاء المؤتمر ووضع ميثاق العمل الوطني وبلورة خطة لتحرير العراق، وأضاف يمكن أن يتم الوصول إلى ذلك بأحد الخيارين:

١ ـ تمثيل الحضور بالقوى السياسية العراقية.

٢ ـ تمثيل الحضور بترشيحات الدول الثلاث لمن تراهم مناسبين لعقد مؤتمر ناجح أو اختيار طريقة أخرى يقررها رؤساء الأجهزة.

كما اقترح الجانب السوري تشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمر لتحديد أسماء المشاركين ووضع جدول الأعمال وإعداد الوثائق بما في ذلك خطة العمل، وفي نهاية المناقشات تمت الموافقة على اقتراحات الجانب السوري.

وبتاريخ ٢٨/ ٦/ ١٩٩٢ وفي موعد وصول الأمير تركي إلى طهران للمشاركة في اجتماعات رؤساء الأجهزة الأمنية للدول الثلاث وصلت برقية من الرياض تفيد أن الأمير تركي أُدخل المستشفى في حالة إسعاف، وأن اللواء العتيبي سيحل محله، وكان واضحًا أن السعوديين لا يريدون متابعة العمل الثلاثي.

اجتمع اللواء علي دوبا مع السيد مصطفى بور محمد رئيس جهاز الاستخبارات الإيرانية وكيل وزارة الأمن في إيران واتفقا على قبول الطريقة التي قدمها السعوديون لاختيار أعضاء المؤتمر لا سيما أن بإمكاننا تحقيق ما نريد وفق الطريقة المقترحة.

بعد ذلك طلب الجانبان عقد لجنة الخبراء مرة ثانية وتعديل المشروع وتضمينه خطوات عملية محددة للبدء بالإعداد للمؤتمر، وفعلاً عَقدت اللجنة اجتماعًا وتم الاتفاق على تحديد الفترة بين ١٠ ـ ١٥ تموز موعدًا لاجتماع لجنة الخبراء في الرياض لاختيار الأسماء وتعيين لجنة تحضيرية للمؤتمر، وتم الاتفاق على أن تضع كل دولة تصورًا لعقد مؤتمر ناجح عدد أعضائه ٣٠٠، وترشح الأعضاء الثلاثمائة لهذا المؤتمر، ويجري في اجتماع الرياض اختيار الأعضاء باعتماد من تُجمع عليه الدول الثلاث في لوائحها، وإذا لم يكتمل العدد من تجمع عليه دولتان، وإذا لم يكتمل النصاب تناقش الأسماء بين ممثلي الدول الثلاث.

وهذا هو نص محضر اجتماع لجنة الخبراء:

بسم الله الرحمن الرحيم

ـ محضر اجتماع لجنة الخبراء (السعودية ـ السورية ـ الإيرانية) في طهران

ـ التاريخ: ٢٧ حزيران ١٩٩٢م

ـ المكان: وزارة الأمن في طهران

تنفيذًا لتوصيات رؤساء الأجهزة الأمنية في سورية والسعودية وإيران في لقاءاتهم السابقة بدمشق وتوجيهاتهم لنا بالعمل لمجابهة نظام صَدَّام حسين والإطاحة به ودعم عمل المعارضة انطلاقًا من الأسس التالية:

وحدة الشعب العراقي على كامل ترابه مع ضمان عراق المستقبل ليكون عربيًّا إسلاميًّا، واستكمالاً لما تم الاتفاق عليه في دمشق بين لجنة الخبراء طبقًا للمحضر المرفق ـ وقع في طهران ـ بشأن مؤتمر المعارضة العراقية المزمع عقده في السعودية، نؤكد على ضرورة المباشرة بإعداد المهام التحضيرية للمؤتمر وفق ما يلي:

ـ **أولاً**: تشكيل لجنة فرعية مصغرة عن لجنة الخبراء تجتمع في الرياض ما بين ١٠ ـ ١٥ تموز لتحديد أسماء العراقيين المرشحين للمؤتمر ووفق الأسلوب التالي:

١ ـ يتم اعتماد الأسماء المكررة في لوائح الترشيح لدى الأجهزة الثلاثة كأفضلية أولى.

٢ ـ يتم اعتماد الأسماء المكررة في لوائح الترشيح لدى جهازين من الأجهزة الثلاثة كأفضلية ثانية لإتمام النصاب.

٣ ـ في حال عدم اكتمال النصاب للمؤتمر تعتمد الأسماء الغير مكررة بموافقة أعضاء اللجنة الفرعية وبالتصويت عليها وينجح من ينال صوتين من أصل ثلاثة.

٤ ـ نوصي بالمواصفات التي يجب توفرها في العضو المرشح للمؤتمر كالتالي:

أن يكون متحمسًا لإسقاط نظام صدام قولاً وعملاً ويدعو إلى نظام عربي إسلامي مقبول دوليًّا.

أن يكون حريصًا على وحدة العراق جغرافيًّا وبشريًّا.

أن يكون من المعروفين وطنيًّا وله تأثير في الأوساط العراقية في الداخل والخارج.

أن يكون ذا سمعة حسنة في الأوساط العراقية وغير مشبوه بأي صلات مع نظام صدام أو مع أعداء الشعب العراقي.

ـ **ثانيًا**: تقوم اللجنة الفرعية بتشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمر من المرشحين للمؤتمر عدد أعضائها تسعة، وتنفذ كافة مهامها تحت إشراف لجنة الخبراء الدائمة، ومهام اللجنة التحضيرية كما يلي:

القيام بكافة المهام الإدارية للإعداد للمؤتمر.

إعداد ورقة عمل المؤتمر.

إعداد هياكل تقارير المؤتمر، وتستعين اللجنة بمن تراه مناسبًا من العراقيين المتخصصين لإعداد الهياكل العامة للتقارير في حالة الضرورة.

تجتمع اللجنة التحضيرية مع لجنة الخبراء لبدء أعمالها في السعودية بعد أسبوعين من إعلان تشكيلها.

ـ ثالثًا: مهام المؤتمر:

عدد أعضاء المؤتمر لا يتجاوز ثلاثمائة عضو، منهم ستين عضوًا من الداخل.

يعتبر كافة أعضاء المؤتمر مجلس وطني عراقي وينتخبون لجنة تنفيذية تقوم بالمهام القيادية وعدد أعضائها في حدود ٢٠ ـ ٣٠ عضوًا.

وضع ميثاق عمل وطني وإقراره.

تكليف اللجنة التنفيذية لوضع تصور عام للجانب العسكري تنظيمًا وتنفيذًا.

عند صياغة البيان الختامي يجب أن لا تتخلله أية شعارات طائفية أو عِرقية.

ـ رابعًا: الدعم المطلوب من الدول الثلاث لعقد المؤتمر:

تسهيل سفر الوفود والأشخاص داخل الدول وخارجها من وإلى المؤتمر.

رصد الإمكانات المادية اللازمة لإنجاح المؤتمر.

تلبية كافة احتياجات اللجنة التحضيرية من وسائل إعلام ونقل...إلخ.

ـ خامسًا: الدعم المطلوب من الدول الثلاث بعد المؤتمر:

افتتاح مكاتب عمل للقيادة الجديدة في الدول الثلاث وتقديم الدعم السياسي لها.

تعيين ضباط اتصال من الأجهزة الثلاثة مع القيادة الجديدة.

دعم تحركات ونشاط اللجنة التنفيذية للقيادة العراقية الجديدة في التجوال بين دول العالم لشرح وجهات نظرها وبرنامجها لإسقاط نظام صدام وإقامة حكم وطني مستقل يلتزم بكافة القوانين والمواثيق والعهود الدولية وبعلاقات حسن الجوار مع الدول الإقليمية والتعهد بوحدة التراب العراقي وصيانة الوحدة الوطنية للعراق.

قيام الدول الثلاث بنشاطات دولية للحصول على الاعتراف الدولي بالقيادة الجديدة وطلب الدعم لها والتسهيلات لنشاطاتها وتنقلاتها.

التأكيد على تنفيذ الخطة الإعلامية المقررة سابقًا وتقديم الالتزامات المترتبة على كل دولة من الدول الثلاث للمركز الإعلامي الموجود في السعودية.

رصد ميزانية للقيادة الجديدة تقرر من قبل رؤساء الأجهزة بعد عرضها على دولهم.

تقديم الدعم لجيش التحرير العراقي بكل ما يحتاجه من تدريب ومعسكرات وسلاح عن تشكيله.

تقديم التسهيلات من الدول الثلاث للقيادة العراقية الجديدة لاستخدام حدودها مع العراق لتنفيذ شتى الأغراض السياسية والاقتصادية والإعلامية والعسكرية بالتنسيق مع الدول المعنية.

ـ **سادسًا: طريقة التمثيل في المؤتمر**: يؤخذ بالتمثيل الوارد في المشروع السعودي المرفق.

ـ **سابعًا: تقويم مؤتمر فيينا للمعارضة العراقية**: رأت الأطراف الثلاثة المجتمعة في طهران مؤتمر فيينا بما نجم عنه من نتائج يشكل إساءة وإحباطًا لعمل المعارضة العراقية وإجهاضها لجهود الدول الثلاث من أجل عقد مؤتمر ناجح للمعارضة العراقية في السعودية يكون أقرب إلى الكمال في تمثيله للشعب العراقي، واتفقت الأطراف الثلاثة على ضرورة إجهاض مؤتمر فيينا بما يمثله من خيانة للتراب العراقي واستغلال الثغرات الموجودة فيه لتحقيق ذلك من خلال ما يلي:

تضافر جهود العراقيين في كل دولة للتصدي للمؤتمر واستصدار بيانات ضده بجهود الدول الثلاث.

العمل على كسب الشخصيات التي تم انتخابها في مؤتمر فيينا لصالح مؤتمرنا القادم، وتوزع مهام كسبهم على الدول الثلاث حسب نفوذ الدول عليهم.

ـ **ثامنًا**: تم التأكيد على ضرورة تبادل المعلومات بين الدول الثلاث فيما يتعلق بالشأن العراقي.

وفي مطلع تموز وقبل الموعد المحدد لعقد اللجنة التحضيرية ببضعة أيام طلبت السعودية تأجيل الاجتماع لموعد آخر يُتفق عليه.

وهكذا توقف بصورة فعلية التنسيق بين الدول الثلاث مما انعكس على مجمل الوضع داخل ساحة العمل العراقي.

* * *

الفصل السابع

الموقف من النظام العراقي بعد تحرير الكويت

منذ تأسيس الجمهورية الإسلامية في إيران تعززت العلاقات بين البلدين، ونجحت كل من دمشق وطهران بإقامة جسر من علاقات التعاون رغم الاختلاف العقائدي في الأسس التي تقوم عليها كل منهما.

ومن الأمور المهمة أن كلاً من قيادتي الدولتين تمكنت أن تشكل فهمًا واضحًا لسياسات الآخر ولأهدافه وأساليب تعامله مع الوقائع والأحداث، وأن تقدر الوسائل المتاحة، وظروفه الداخلية والخارجية، مما أسقط الشكوك ورسخ التعاون في منطقة ومرحلة بالغتي التعقيد.

ومن اللافت أن كلاً من قيادتي البلدين اتسمت بقدرتها على التمييز بين ما هو جوهري وأساسي، وما هو عابر وهامشي، وكان الأهم أن يكون الاتفاق حول الأمور الجوهرية، دون أن يكون للأمور الطارئة التي قد يكون لكل من العاصمتين مواقف مختلفة منها تأثير يذكر على الثقة القائمة بينهما.

كانت المسألة العراقية من أهم المسائل التي أصبحت موضع نقاش وحوار بين قيادتي الدولتين، ولا عجب في ذلك؛ فإن النظام العراقي شكّل أحد محاور التعاون الرئيسية بين قيادتي البلدين، بسبب سياساته العدائية لسورية، وبسبب حربه التي شنها ضد إيران .

كانت العاصمتان متفقتين على دعم تغيير النظام العراقي الذي يقوده صَدَّام حسين، والعمل على قيام نظام عراقي جديد تكون له علاقات جيدة ومتميزة مع الدولتين، وعلاقات طيبة مع دول الجوار، دون أن يكون قاعدة للعدوان أو ممرًّا له، بل يكون عاملاً من عوامل الأمن والاستقرار في المنطقة.

ورغم اتفاقهما على الأهداف الرئيسية تجاه العراق فقد كان لكل منهما خصوصية غير خصوصية الآخر، فالعراق بالنسبة إلى سورية، قطر عربي يُشكل كل منهما للآخر امتدادًا

ويطمح كل منهما إلى احتواء الآخر والتوحّد معًا عبر العداء وليس عبر الحوار والتعاون، بينما العراق بالنسبة إلى إيران، بلد جار، بينهما حساسيات تاريخية شهدت حالات شبه دائمة من التوتر، كان آخرها حربًا شنّها العراق ضد إيران.

كنا متفقين على ضرورة تغيير النظام، ولكننا عمليًا - رغم الاجتماعات العديدة - لم نستطع التوصل إلى برنامج عملي لدعم المعارضة العراقية من جهة، وفتح الطريق الجدي لتحقيق هدف التغيير من جهة ثانية، مما انعكس سلبًا على وحدة المعارضة العراقية وعلى مستقبلها ومستقبل العراق.

كان الجانب الإيراني يتبنى دعم التيارات الإسلامية، التي كان بعضها حليفًا أساسيًا لها وصديقًا لسورية، وبعضها الآخر أقرب إلى سورية منه إلى إيران؛ بسبب التناقضات بين قوى هذا التيار، وبالتالي فقد كانت طهران تطمح بأن يقود التغيير في العراق حليفها الأساسي محمد باقر الحكيم؛ رئيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية، وأن تَضمن قيام نظام يُسقط احتمالات عودة سياسة العداء لإيران من جهة، ويُقوي النفوذ الإيراني في المنطقة من جهة ثانية.

وفي نفس الوقت، كانت سورية، رغم علاقاتها بقوى التيار الإسلامي، وإيمانها بأن يكون شريكًا أساسيًا في العراق الجديد، حريصة أيضًا على أن يبقى للتيار القومي الدور الأساسي في قيادة العراق، آخذة بالاعتبار جميع الظروف الإقليمية والدولية.

هذه الخلفيات لسياستي البلدين أدت إلى اغتراب الحلفاء الأساسيين لكل منهما والتعاون مع الولايات المتحدة الأميركية وبريطانية، وتشكيلهم فيما بعد غطاء للحرب ضد العراق واحتلاله.

ومع توقف القتال في العراق بانهيار نظام صَدَّام حسين، وتفكك القوى العسكرية والأمنية، وفرار القيادة السياسية، فقد كانت الدولتان متفقتين على رفض الاحتلال، كما كانتا ترفضان الحرب، واتفقتا على استنزاف القوات الأميركية والتمسك بوحدة العراق.

وعودة إلى موضوع التنسيق بيننا وبين قيادة إيران، فقد كانت قيادتا البلدين تناقشان أي طارئ يطرأ على موقف إحداهما من أجل فهم الطرف الآخر لهذا الموقف.

بعد محاولة بعض أطراف المعارضة العراقية القيام بعمل عسكري انطلاقًا من شمال العراق تحت إشراف أميركي، وبعد انكشاف المشروع الأردني، طلب الرئيس حافظ الأسد

التوجه إلى طهران لإجراء مباحثات حول المسألة العراقية وخطة الملك حسين، توجّهت إلى طهران بتاريخ الثاني من أيلول ١٩٩٥ وبدأت المباحثات في الساعة الرابعة مساء مع نائب الرئيس الإيراني الدكتور حسن حبيبي.

بدأت الحديث عن الوضع في العراق والتحركات الأميركية والإسرائيلية في المنطقة مما يتطلب التنسيق بين البلدين. وسألت مُضيفيّ إذا كانت لديهم معلومات، وما هي وجهة نظرهم، وكيفية التعاون لمواجهة هذا الوضع وهذه التطورات التي كان أبرزها التخطيط الأميركي للسيطرة على العراق ثم المنطقة كلها.

تحدث السيد حبيبي قائلاً:

معلوماتنا من داخل العراق حول التطورات العراقية محدودة وقليلة لأن علاقاتنا مع العراقيين على مستوى متدنٍّ، والأخبار التي تَرِدنا حول التحركات من داخل العراق قليلة جدًّا. وفي نفس الوقت، بالنسبة إلى الأخبار عن الأحداث الأخيرة، وهروب أعضاء من أسرة صدام وأقربائه فإننا نعرف أن هناك تذمرًا داخل العراق وداخل الجيش والمواطنين إلا أنه لا يوجد تحرك ضد النظام العراقي، هناك تحرك في مجموعة طاقم الحكم العراقي، وهناك عدم ثقة كذلك بالنسبة لمجموع أسرة صدام، كما أن الكوادر الحزبية بدأت تلملم نفسها وتنكمش وتحافظ على ما لديها من قوة في إطار الحديث عن ضرورة فصل الحزب عن صدام وأسرته، فيما يتعلق بهروب أعضاء من أسرة صدام إلى الأردن فهناك تفسيرات:

ـ التفسير الأول: إن هذا برنامج مخطط ومدروس من أجل الإطاحة بصدام بصورة كاملة ونهائية وللإطاحة أيضًا بأسرته وبكل من معه لإحداث التغيير داخل العراق.

ـ التفسير الثاني: هناك خلفية نفسية خاصة شوهدت في الأشهر الأخيرة تفيد بأن ما يجري هو بعض التحول أو التغيير في داخل الأسرة الواحدة، وهذا ما يحصل في بعض الدول العربية، ومثال ذلك ما حصل مؤخرًا في دولة قطر، ويمكن لهذين التفسيرين أن يكونا مع بعضهما البعض ومتوازيين؛ بمعنى أن أسرة صدام أرادت فعلاً أن تحل محل صدام ثم بعد أن يأتي أفراد أسرة صدام إلى الحكم سيُطاح بهم لأنهم سيكونون في موقع أضعف من موقع صدام، النقطة المهمة في هذا المجال هي أنه بعد هروب أو خروج هؤلاء من بغداد لم نسمع عن حالات أخرى من الهروب أو مغادرة العراق، وهذا يدلنا على أنه إذا كان هناك فعلاً برنامج فقد كان يقتصر على هؤلاء ولم يتعداه، في نفس الوقت إن خروج حسين كامل ومن كان معه وذهابهم إلى الأردن، وما قدموه من معلومات عن الأوضاع الداخلية في العراق والقضايا

العسكرية، كل ذلك أدى إلى مزيد من عدم الثقة لدى الأمم المتحدة مما يؤدي إلى مزيد من الضغوط التي تُمارس على العراق، حتى أن فرنسا التي كانت تقف موقفًا محايدًا أو إيجابيًا تجاه العراق أصبحت تتخذ موقفًا سلبيًّا منه. فيما يتعلق بالمعارضة، فقد حصل حديث فيما بينها وأنه يجب استغلال هذا الموقف الحاصل، وسيادتكم أعلم من أي شخص آخر بمواقف قوى المعارضة وأوضاعها، إن جماعات الإسلاميين أصبحت أكثر تقاربًا بين بعضهما وجرت بينهما اجتماعات، وهي حريصة على الوصول إلى تقارب أكبر وتعاون مع القوميين، ولكن يوجد لديهم بعض الشكوك والتردد بالنسبة إلى الاقتراب من المؤتمر.

هذا مُجمل ما لدينا من معلومات عن أوضاع العراق بمختلف أوجهها.

فيما يتعلق بالمشروع الأميركي ـ الإسرائيلي الذي أشرتم إليه، فهذا ما كان يجري الحديث عنه سابقًا؛ أي منذ سنتين، حين كان يتداول الحديث في الأردن إعادة العراق إليهم مشيرين إلى السابقة التاريخية للملك فيصل، والحديث الآخر الذي يدور الآن هو توحيد الأردن وفلسطين مع بعضهما ليتسنى لهما حل بعض الأوضاع القائمة في إسرائيل، وليس من المستغرب أن يسعى الملك حسين لاستغلال الفرصة ليعمل على خدمة مصالحه مع الفلسطينيين، والعراق مستفيد من هذا الموقف، لا بد لنا من معرفة موقف دول المنطقة بالنسبة إلى هذه الخطة وهذا المشروع، كما أشرتم خلال حديثكم في السيارة، نحن أيضًا لدينا ذات الاحتمال ونحن مهتمون مثلكم بهذه المسألة، وربما تركيا تُحبذ هذا المخطط ولا تبدو غير مرتاحة لهذه الخطة وهذا المشروع إذ إنه من المحتمل أن تستلم تركيا مقابل هذه الموافقة جزءًا مما كانت تدعيه في الشمال العراقي منذ القديم، أما نحن وأنتم فإننا ضد هذا المشروع، ويبدو أن الكويت أيضًا معارضة لهذا المشروع، لكن يجب أن نرى ما هو موقف مصر والسعودية والدول الجنوبية في الخليج، طبعًا بالنسبة إلى تونس والجزائر والمغرب والسودان لا يمكننا القول إنه ليس لديهم تأثير سواء كان لديهم موقف موافق أو معارض، لكن يمكننا القول إنهم أبعد عن المنطقة، وبالتالي ربما تقتصر حساسيتهم على العالم العربي، أما الموقف في لبنان فهو كالموقف في سورية، نريد أن نعرف منكم رؤيتكم لمواقف هذه الدول بالنسبة إلى الموافقة أو المعارضة وما يمكن عمله، من وجهة نظرنا إن الموقف خطير، وإسرائيل والولايات المتحدة تعملان منذ فترة.

وقد أجبت قائلاً:

وجهة نظرنا هي أن الموقف خطير، وتعمل إسرائيل والولايات المتحدة منذ فترة طويلة

من أجل السيطرة الكاملة، وقد مرت المنطقة بمحطات، فالحرب العراقية ـ الإيرانية محطة، والاجتياح العراقي للكويت محطة، ومحاولة إدخال إسرائيل وإقامة علاقات بينها وبين الدول العربية أيضًا محطة. من حيث النتيجة، الهدف تشكيل مجموعة منسجمة ومتجانسة تكون قاعدة لإسرائيل والمصالح الأميركية، طبعًا هذا الأمر يلحق أضرارًا كبيرة في المنطقة وبشعوبها، كان الحديث يجري عن تغيير في العراق والكل كان يتحدث عن هذا التغيير، الجديد في الأمر هو دور الملك حسين الآن الذي بدأ يبرز للعيان، فقد ألقى خطابًا منذ أيام وكان صريحًا فهو يرى أن العراق إرث هاشمي.. وبالتالي هو الوريث. منذ سنتين عرض الملك حسين على جلال الطالباني مشروع إقامة دولة اتحادية تضم الفلسطينيين ـ جماعة عرفات ـ والأردن وغرب العراق وجنوبه وشماله، طبعًا سيكون هذا الكيان مرتبطًا عضويًّا بإسرائيل، فكانت هذه المؤامرة تستهدف أساسًا كلاً من سورية وإيران، ومخاطرها كبيرة على البلدين، الملك حسين يأخذ عادة أدوارًا صغيرة ولكن فعاليتها كبيرة إلا أنه يأخذ الآن دورًا كبيرًا جدًّا، وهذا الأمر يجب أن نفشله، لنتصور خريطة المنطقة والسيطرة الإسرائيلية.. وهذه يجب أن نقاومها، معلوماتنا تفيد أن الأمور تجري بشكل جدي ومتسارع، وضع الشعب العراقي بائس ويريد الخلاص، وأي نظام بديل قد يأتي ستكون له شعبية كبيرة وسيعيش مدة طويلة بسبب سلبيات صَدَّام حسين، وبالتالي سيتمكن النظام الجديد من الارتكاز على قاعدة شعبية قوية، السؤال العملي هو ماذا نعمل الآن؟ من جهتنا سنُجري اتصالات بعدد من الدول، وقد حرصنا أن يكون اللقاء أولاً مع إيران حتى نتبادل وجهات النظر مع إخواننا حول كيفية مواجهة هذه المؤامرة، وما يمكن عمله اليوم قد لا يكون من السهل عمله في الغد، لذلك فإن القيام بالعمل الملائم في الوقت الملائم هو في مصلحة الجانبين. الحكم في العراق الآن سيئ ومجنون، ويلحق أضرارًا كبيرة بالعراق ولكن رغم هذا السوء لا يزال العراق من ناحية الشكل دولة واحدة، طبعًا نشير هنا إلى نقطتين: الأولى أن مؤتمر فيينا كان القاعدة الفكرية والسياسية للعراق المقبل لأن موضوع الفيدرالية اتُّخذ فيه قرار في مؤتمر فيينا، والثانية التي يجب الانتباه لها هي أنه عندما ينفجر الوضع في بلد ما فإن آثار ذلك ستنعكس على المنطقة كلها، بالنسبة إلينا، الأميركيون في أحسن الحالات أو أسوأها يريدون استمرار النظام الحالي في العراق بدون صَدَّام حسين، ولكن بالنسبة إلى إسرائيل فإن الشيء النموذجي هو أن ينفجر العراق كما انفجرت أفغانستان، وخطة الحركة الصهيونية هي أن تخلق للعالم العربي والإسلامي مشاكل تشغله عن مشكلة الصراع مع إسرائيل، إن ما يمكن عمله كثير ويجب أن نجدد موقفنا كدولتين من هذه التطورات واحتمالاتها، أي أن نعمل على منع حدوثها.

الأمر الثاني الذي يجب أن نقوم به هو توحيد المعارضة العراقية التي ليس لها ارتباطات في الخارج، ودعم هذه المعارضة والطلب منها أن تضع برنامجًا لداخل العراق، وأن نعمل جميعًا على مساعدتها لتنفيذ هذا البرنامج، طبعًا الأمور ليست سهلة ولكن في الوقت نفسه يكون من الأسوأ ألا نعمل. لذلك يجب أن نتفق على أن القيادة العراقية التي نثق بها يجب أن تجتمع وتضع برنامجها، أي عندما تشكل المعارضة قيادة وتعلن برنامجها - وندعم هذا البرنامج - سيكون لذلك رصيد داخل الجيش العراقي وداخل الحزب الحاكم. طبعًا نحن سنتابع اتصالاتنا مع الدول العربية، إن حركة الملك حسين تجري بالتنسيق بينه وبين الأميركان ولديه بصورة عامة اتصالات مع إسرائيل، عندما تنظم المعارضة نفسها فإن هذا سيساعد الداخل حتى يكون هناك فرز بين العملاء والمتآمرين من جهة والشرفاء من جهة أخرى، فإذا كانت هناك موافقة على المبدأ فيمكن أن يُجرى اجتماع قريب في الأيام القادمة بين المجموعتين الإسلامية والقومية الديمقراطية.

وقد عقّب السيد حبيبي:

نحن نعتقد أن الحالة الراهنة تتطلب من قوى المعارضة أن تتوحد وتتآلف فيما بينها سواء كان حجم الخطر كبيرًا أم لم يكن؛ لأنه إذا كان حجم الخطر كبيرًا وبنسبة عالية كما تفضلتم وأشرتم، فإن من شأن هذا التحالف تقليل حدة هذا الخطر وحجمه وآثاره، وحتى إذا لم يكن الخطر بهذا الحجم وكانت نسبته منخفضة، ففي هذه الحالة أيضًا سيكون من شأن هذه الخطوة أن تُساهم في إسعاد الشعب العراقي ومساعدته على أن ينجح ويخلص، على كل حال نحن وإياكم متفقون على أن هؤلاء المعارضين يجب أن يكونوا إلى جانب واحد، ولكن إذا كان هذا الخطر كبيرًا فمن شأنه أن يُلحق الضرر بهذه الدول.

في المرحلة الأولى ورغم كل ما بذلناه من جهود لم ننجح في أن نجعل المملكة السعودية تقف إلى جانبنا، لكن إذا كان هذا الخطر محدقًا فإن من شأنه أن تأتي المملكة السعودية وغيرها إلى جانبنا.

وهنا علّقت قائلاً:

يجب أن نميز بين إمكانية كل دولة عربية على التحرك، فمن المؤكد أن عددًا مُهمًا من الدول

العربية قَلِق من هذا الأمر، ولكن بهامش أقل بكثير مما في طهران ودمشق، إلا أنه من المهم أن نضمن وقوف هذه الدول ضد هذا المخطط أو نضمن عدم تأييدها له. إن مسؤولية

التحرك والقدرة عليه تتركز في إيران وسورية بصورة جدية، طبعًا نحن نأخذ بالاعتبار أن سوء وضع المعارضة العراقية يجعل الكثير من قياداتها غير قادر على رؤية الأمر على حقيقته، نعتقد أنه إذا نجح هذا المخطط؛ أي مخطط وضع العراق تحت مظلة العرش الهاشمي، تكون إسرائيل رابحة، وإذا فشل وانفجر الوضع الداخلي في العراق وتحول إلى أفغانستان جديدة فهي أيضًا رابحة، إن احتمال نشوب الحرب الأهلية في العراق قائم، طبعًا النظام نفسه ساهم في خلق هذا الجو، ونحن لدينا مشكلة مع العراق وهناك مشكلة بين الحكومة المركزية العراقية والمناطق، وقد نجح النظام في خلق توترات مذهبية بين السنة والشيعة، وهذا اللعب سيكون محور العمل الرئيسي في المستقبل، وهذا الوضع هو الأخطر بالنسبة إلينا؛ سواء بالنسبة إلى سورية أو إيران، لذا فإن نجاحنا في أن يشكل حلفاؤنا قيادة في الخارج تخاطب الداخل، من شأنه أن يمتص الترسبات المذهبية التي خلقها النظام، وإذا ما أردنا أن يكون لجيش العراق دور إيجابي وبنّاء فإن تشكيل هذه الصيغة سيكون مُطَمْئنًا للجيش ويكون أمرًا إيجابيًا وبنّاءً.
إن الكثير من قيادات المعارضة ينظرون بسطحية إلى الأمور؛ فعندما التجأ حسين كامل إلى الأردن كان يجب ألا يرحب به أحد من المعارضة لأنه أحد أسوأ أدوات صَدَّام حسين. فهو الذي أحرق آبار نفط الكويت، وهو الذي ضرب العتبات المقدسة في كربلاء والنجف وقتل ألوف العراقيين. ومع ذلك رأينا بعض المعارضين يرحبون به، وبتقديرنا أن هذا الرجل المجند لدى المخابرات الأميركية عبر الأردن أو خارجه منذ فترة، قدم للأميركان معلومات مذهلة تتعلق بالأمن الوطني العراقي، ومع ذلك رأينا بعض المعارضين يرحبون به، وأكثر من ذلك قرأت بيانًا لمنظمة العمل الإسلامي ترحب به وتطالب الملك حسين بالتعامل بديمقراطية ورفق ورحمة مع الشعب العراقي، الأمر الذي يدل على سذاجة. نحن متفقون بوجهات النظر ولذلك أقترح أن نرتب لقاء بين المجموعتين في أقرب وقت ممكن وأن نعطيهم توجيهات صارمة بضرورة الاتفاق وبأن الأمر الآن لا يتعلق بالحصص والأشخاص وإنما بمصير البلد والمنطقة، لذلك نرى أن يجري اجتماع هنا يضم السفير أحمد الحسن وأحد الإخوان من جانبكم لتلتقيا مع من هو موجود هنا من قيادات المعارضة الإسلامية العراقية، وينقلان لهم وجهة نظرنا المشتركة، وفي نفس الوقت يجتمع في دمشق السفير الشيخ حسن أختري وأحد إخواننا مع المعارضة الموجودة في دمشق ونشكل فورًا لجنة من عدد من الأشخاص لوضع برنامج عمل، والمؤسسات التي يجب أن تمارس مسؤولية متابعة وتنفيذ هذا البرنامج، إضافة إلى ذلك نتفق على صيغة لتبادل المعلومات المتوافرة لدى كل منا كدولة حول الموضوعات والمعلومات التي تصل إلينا أو التي تصل إلى إيران، وأن نجتمع بشكل فوري إذا اقتضت

الضرورة لبحث المستجدات، ويمكن أن يقوم نشاط موازٍ إلى جانب النشاط السياسي الجاري بين الحكومتين للتعاون والتنسيق بين أجهزة الأمن المكلفة بالقضية العراقية.

رد السيد حبيبي بقوله:

أعتقد أن كل هذه المواضيع هي التي كنا متفقين حولها حتى في السابق، ولكن الحالة العراقية لم تكن بهذه الصورة من الخطورة ولم تكن المعارضة العراقية فعالة بهذا الشكل، والآن وجدت المعارضة الحافز والدافع لها مما سيجعل العمل معها أسهل، وأعتقد بأن اقتراح الاجتماع في طهران ودمشق سيكون له فائدة، لقد جرى بين جماعة الإسلاميين في الآونة الأخيرة حوار مشترك، وإذا كان لدى القوميين نفس الترتيب بين بعضهم فإن تحقيق وجهة نظر مشتركة بين الجانبينَ سيكون أمرًا واقعيًا؛ وبالنتيجة يجعلنا هذا غير مضطرين لتدارس العديد من وجهات النظر المختلفة والمقارنة بينها؛ إذ نكون أمام مجموعتين فقط.

وأجبت السيد حبيبي:

يوجد بين القوميين أيضًا مثل هذا الحوار ونحن بصدد دعوة القوميين في الخارج للاجتماع في الأيام القليلة القادمة وإذا توصلنا إلى تحقيق لقاء بين الإسلاميين والقوميين وتشكيل هيئة عليا سياسية مشتركة ووضع برنامج عمل فسوف نستعيد المبادرة داخل العراق وخارجه، إذا أردنا أن نتكلم عن مصلحة إيران وسورية ومصلحة الشعب العراقي تكون مصلحتنا في أنه إذا كان هذا النظام في العراق سينهار، فيجب أن يأتي بدلاً منه نظام جديد صديق لإيران وسورية، أما إذا جاء نظام آخر مرتبط بالأميركيين والإسرائيليين فسيكون الوضع في غاية السوء بالنسبة إلى إيران وسورية. إن وضع النظام الحالي أشبه بذئب هرِم مُكسّر قابع ومنهار في الأرض غير قادر على التحرك، وحالته أصبحت محدودة من حيث ضراوته بالنسبة إلى سورية وإيران، ولكن إذا تم تجديد هذا النظام من أجل خدمة إسرائيل وأميركا، بذئب شاب ستكون أضراره على سورية وإيران كبيرة، وإن وجهة نظري الشخصية هي أن يبقى هذا الذئب الهرِم العاجز حتى يُستبدل بنظام موالٍ لسورية وإيران، فإذا نجحنا في تغيير الوضع في العراق لمصلحتنا فإن ذلك سيؤثر على التوازن الدولي كله وليس فقط على منطقتنا. والدول الغربية، ولا سيما الأوربّية، التي تستخدم وسائل الضغط على إيران وسورية الآن، ستجد نفسها مضطرة للتعاون معنا، وحتى الولايات المتحدة ستضطر إلى النظر بعين الاعتبار إلى الحقائق الجديدة، لذلك فإن وجهة نظري هي أن الصراع حول العراق مصيري بالنسبة إلى سورية وإيران كما هو مصيري بالنسبة إلى أعوان أميركا وعملائها ومصالحها في المنطقة.

لنعد قليلاً إلى التاريخ، ففي عامي ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩ كانت هناك محاولة لتحقيق وحدة بين سورية والعراق، في الوقت الذي بدأت فيه الثورة الإيرانية تتأجج، ولنلاحظ أنه عندما نجحت الثورة الإيرانية جرى تآمر لضرب العلاقات السورية ـ العراقية، وبعدها بأقل من ثمانية أشهر قام النظام العراقي باجتياح الأراضي الإيرانية، لنتصور التالي: لو استمرت العلاقات السورية ـ العراقية كما كنا نخطط لها مع قيام الثورة في إيران وجرى تحالف بين الدول الثلاث لحافظت الثورة الإيرانية على قوة زخمها، ولكنا قد حافظنا على طاقات كبيرة في العراق وإيران، ولوجهت هذه الطاقات وجهة أخرى بصورة تغيير الوضع في المنطقة كلها بما في ذلك ما يتعلق بإسرائيل. لذلك نرى أن الموضوع حساس ومصيري.

وهنا قال السيد حبيبي:

فيما يتعلق بهذا الاتفاق والحوارات واللقاءات بين الجانبين، هناك نقطتان يجب أن نحدد الهدف بشأنهما مع أصدقائنا الإسلاميين والقوميين، ونظرًا لضيق الوقت سأحاول أن ألخص الموضوع باختصار شديد. أولاً: بعد أن تتقدم المجموعتان بالحوار فيما بينهما وتُمهد الأرضية للتعاون، كيف سيكون عليه الأمر بالنسبة لسائر المجموعات الأخرى المرتبطة بالخارج؟ وهل ستتخذ المجموعتان موقفًا بشأنها أم تتركها؟

النقطة الثانية وهي كما أشرتم نترك هذا الذئب الهرِم العاجز حتى يتسنى لنا إحلال نظام سليم محله، ولكن خلال هذه الفترة الزمنية كيف ستكون علاقتنا نحن وأنتم مع الساحة العراقية والحالة في العراق، فهذا من الأهمية بمكان وكذلك مع المجموعات العراقية؟

وقد رددت قائلاً:

يجب ألا يُعطى هذا الذئب فرصة وإمكانية تجديد شبابه؛ أي يجب أن نستمر بالعمل على كشف مخاطر هذا الذئب والسعي لتجريده من كل عوامل القوة والوسائل التي يستخدمها وفي مقدمتها الجيش والحزب في العراق. طبعًا يجب أيضًا أن تركز المعارضة نضالها ضد هذه المؤامرة القادمة وفي الوقت نفسه تستمر في نضالها ضد النظام القائم ولكن ضمن معادلة ألا يؤدي هجومها على النظام إلى فتح ثغرات لصالح المخطط الآخر، وفي مرحلة معينة إذا تطلب الأمر الحديث مع النظام لوقف المؤامرة الأكبر فإنه يمكن من وجهة نظري مناقشة هذا الأمر بكل موضوعية. إن إيران قد أجرت اجتماعات مع العراقيين ولكن يجب أن نأخذ بعين الاعتبار عدم الاطمئنان لصَدّام حسين وعدم الوثوق بكلامه.

وعقّب السيد حبيبي قائلاً:

على كل حال إننا إذا اتخذنا أصغر موقف ضد هذه المؤامرة سيؤدي ذلك عمليًّا لخدمة مصلحة النظام الحالي والموقف الحالي في العراق، وحتى إذا أعلنا موقفنا بأننا ضد أي تجزئة للأراضي العراقية سيكون ذلك لصالح النظام الحالي في العراق.

تم الاتفاق على تنشيط الاتصالات مع المعارضة العراقية لتوحيد مواقفها ومع الدول العربية لشرح خطورة الوضع على مستقبل العراق ومستقبل الاستقرار في المنطقة. وقد لخص السيد حبيبي المحادثات كما يلي:

الاتفاق كما ذكرتم، وسيتم اجتماع هنا في طهران بحضور السفير السوري مع المجموعات الإسلامية، وسيُعقد اجتماع آخر في دمشق مع القوميين بحضور سفيرنا بدمشق وسيكون جدول الأعمال هو التعاون والاتفاق، ونحن وأنتم متفقون فيما بيننا على أن تُهمَل سائر المجموعات الأخرى وسيكون الهدف الرئيسي استقرار حكم سليم وودي وصديق لإيران وسورية، ويجب أن تركز المعارضة جهودها بالدرجة الأولى لإحباط هذه المؤامرة؛ أي ألاّ يشكل نضالهم وكفاحهم إلى تعزيز المؤامرة أو يؤدي إليها، بل أن يقوموا بالاتصال مع سائر الدول العربية وبخاصة الدول التي تساعد أو تتخذ موقفًا ملائمًا، ونحن من جهتنا سنساعد في هذا الاتجاه دون أن نعلق الآمال الكبيرة على مساعدة هذه الدول، هل تلخيصي جيد ودقيق؟

أجبت السيد حبيبي:

تلخيص دقيق جدًّا، وأنا موافق عليه. إن نظام صَدَّام حسين عاجز ومن الصعب أن يستمر، ولكن عراقًا مقسمًا يتقاتل أهله هو الأسوأ والأخطر.

وفي نهاية الجلسة تم الاتفاق على عقد لقاء في طهران للمجموعات الإسلامية، يحضره السفير السوري، ولقاء آخر في دمشق للمجموعات القومية يحضره السفير الإيراني، وذلك للتحضير للقاء المجموعتين لوضع برنامج عمل مشترك، وسيكون الهدف الرئيسي إقامة حكم في العراق صديق لكل من سورية وإيران.. علاقاته جيدة مع دول الجوار، مع التأكيد على هذه المجموعات بعدم التورط بالمشروع الأميركي أو تسهيل نجاحه.

وعند الساعة السابعة مساءً استقبلني الرئيس الإيراني علي أكبر هاشمي رفسنجاني. وبعد تبادل عبارات المودة عرضت عليه ما يلي:

في الواقع نحن قلقون لما يجري في المنطقة حول العراق، وتحليلنا للوقائع يشير إلى أن هناك مخططًا كبيرًا يتجاوز العراق. توجد محاولة لإعادة رسم خريطة المنطقة، تقودها الولايات المتحدة وإسرائيل، وأدوات تنفيذها بعض الأشخاص في المنطقة، وهدفها إعادة رسم خريطة المنطقة وإقامة نظام جديد في العراق ضد إيران وضد سورية يكون جزءًا من منظومة إقليمية تضم إسرائيل والأردن والعراق وقسم من الفلسطينيين، إن أهداف إسرائيل الأساسية هي تفكيك العراق، هناك بعض الوقائع التاريخية التي توضح شكل التفكير الإسرائيلي.

ـ **الواقعة الأولى**: انعقد مؤتمر للحركة الصهيونية في نيويورك عام ١٩٤٢ واتخذ ثلاثة قرارات:

١ ـ إقامة دولة يهودية في فلسطين ثم الأردن.

٢ ـ نقل الفلسطينيين إلى العراق.

٣ ـ السيطرة على الشرق الأوسط وقيادته لخدمة مصالح إسرائيل.

كان ذلك في مرحلة الحرب العالمية الثانية وفي ظروف لم يكن أحد يعرف كيف ستكون نتائج الحرب، ومع ذلك خططوا لمدة تتجاوز خمسين عامًا.

ـ **الواقعة الثانية** في عام ١٩٦٧ عندما ناقش مجلس الأمن مشروع القرار ٢٤٢ طرح موضوع اللاجئين الفلسطينيين فرفضت إسرائيل ذلك وقالت لنتحدث فقط عن اللاجئين، لأن هناك لاجئين يهودًا تركوا البلاد العربية وذهبوا إلى فلسطين ولهم حقوق مثل حقوق اللاجئين الفلسطينيين. وإذا عرفنا أن هناك أكثر من ٦٠٠ ألف يهودي كانوا في العراق سنرى أن إسرائيل تريد أن تدفع بمئات الألوف من الفلسطينيين إلى العراق، والملك حسين في خطابه منذ أيام، كشف عن هذا المخطط بشكل واضح إذ قال إن الهاشميين هم الذين وحّدوا العراق، وإنه هو وريث العرش الهاشمي في العراق. بعد خروج حسين كامل إلى الأردن ركزوا وسائل الإعلام حوله، ولكن من المعروف أن حسين كامل مرفوض في العراق، لذلك فإن طرح هذا المشروع يُشكل قلقًا لنا، لنتصور خطورة منظومة تقام في المنطقة تضم العراق والأردن وإسرائيل وقسمًا من فلسطين، فمن خلال هذه المنظومة ستتمكن إسرائيل من السيطرة على المنطقة، **ومما زاد في قلقنا التحركات العسكرية الأميركية في المنطقة؛ ففي الواقع ليس المقصود بها صَدَّام حسين مباشرة؛ لأن أيًّا كان.. حتى الطفل يعرف أن صَدَّام لن يهاجم الأردن ولا الكويت ولا السعودية، ولكن الهدف من هذه التحركات هو طمأنة**

أي قوة داخل العراق ضد صدام ومرتبطة بهم بأنها ستلقى المساعدة من القوات الأميركية، هذا الموضوع سبَّب حالة من القلق في المنطقة وفهمنا من وزير خارجية الكويت الذي زار سورية مؤخرًا أنهم قلقون، وكذلك مصر والسعودية. طبعًا نحن عندما نرى هذه الصورة فإننا نتوجه أولاً بالتنسيق والتعاون مع إخوتنا في طهران، وفي الاجتماع الذي عقدناه بعد الظهر مع الدكتور حبيبي اتفقنا على عدد من النقاط:

النقطة الأولى: هي أن المعارضة العراقية الحليفة لسورية وإيران يجب أن تجد صيغة جديدة للتعاون فيما بينها، وهذه المعارضة يجب أن تقف ضد هذا المخطط، ويجب أن تشكل البديل في داخل العراق، بحيث لا يكون الانطباع بأن البديل حكم موالٍ للأميركان، بل يُقدَّم للشعب العراقي بديل آخر، بديل وطني ديمقراطي. لا شك أن مصلحة العراق ومصلحة سورية ومصلحة إيران في أن يقوم نظام بديل في العراق صديق لسورية وإيران. وأنا استخدمت تعبيرًا وهو أن صدام الآن عبارة عن ذئب هرِم ومنهار وضعيف؛ لذلك علينا نحن أن نركز على ألاّ يكون بديل هذا الذئب الهرِم ذئبًا فتيًّا وشابًّا؛ لأنه سيكون مؤذيًا جدًّا، بل يجب أن يُستبدل بهذا الذئب قوة حليفة لنا أو قوة تفتح الطريق أمام حلفائنا في العراق، كما اتفقنا على أن الصيغة الجديدة لعمل المعارضة ستدعم من سورية ومن إيران، وأن يجتمع ممثلون عن القوى الحليفة لنا لوضع هذه الصيغة وأن يمهد لذلك باجتماع يضم سفيرنا في طهران وأحد الإخوان مع قوى من المعارضة الموجودة في إيران، واجتماع آخر يضم سفيركم في دمشق وأحد إخواننا من المسؤولين عن مسألة العراق مع قوى من المعارضة الموجودة في دمشق ويتم تحضير برنامج للقاء، كما اتفقنا على أن يكون الهم الأول للصيغة الجديدة هو العراق وليس الحصص أو الأشخاص، وعلى ألا تخوض المعارضة معارك هامشية مع أطراف عراقية أخرى من المعارضة، طبعًا إلا إذا أرادت بعض تلك الأطراف فتح معركة، سنتصل نحن بالدول العربية ونحاول كسب تأييدها ضمن الهوامش التي تستطيع التحرك فيها، هذا هو ملخص مناقشاتنا بشكل عام.

سألني الرئيس رفسنجاني: هل هذا مجرد تحليل أم أن ذلك مستند إلى معلومات؟

فأجبته:

تحليل ومعلومات، فنشاط الملك حسين مركز منذ فترة نحو العراق، ومنذ سنتين كان جلال الطالباني في لندن واجتمع مع رئيس الوزراء جون ميجر الذي طلب من جلال أن يزور الملك حسين، وذهب الطالباني بعد ذلك إلى واشنطن وطلبوا منه أيضًا أن يجتمع مع

الملك حسين الذي استقبله وعرض عليه إقامة دولة اتحادية في المنطقة تضم خمسة أقاليم جنوب العراق وغرب العراق وكردستان والأردن وفلسطين عرفات، وعندما ذكر لنا الطالباني مشروع الملك حسين هذا قلنا له هذه خيانة، ولكن عندما خطب الملك حسين مؤخرًا أصبح هذا المشروع برنامجًا يعملون وِفْقه، كما نشّط الملك حسين اتصالاته مع زعماء العشائر واستقبل وفودًا منهم. إن صلات الملك حسين مع صدام معروفة فهو الذي وقف مع صَدَّام حسين في حرب إيران ووقف معه بعد اجتياح الكويت. وخلال حرب الخليج كان الأردن يساند الحكومة العراقية، ثم فجأة اتخذ خطًّا معاكسًا بمعدل مائة وثمانين درجة ليعلن أن العراق لن يستقر إلا بعد سقوط صَدَّام حسين ويعلن أنه سيساعد على إسقاط نظام صَدَّام حسين، إن هذه الأمور كلها لم تأت من فراغ، وهي مرتكزة على مشروع مخطط للمنطقة.

قال الرئيس رفسنجاني: من كلامكم نفهم أن المعلومات المستقاة لديكم تفيد أن المخطط يهدف إلى تجزئة العراق؟

أجبته: المخطط يهدف إلى تجزئة العراق على أساس مذهبي وعِرقي، وإعادة تكوينه على أساس فيدرالي، وإذا سار المخطط إلى نهايته.. اتحاد مع العراق وجزء من فلسطين.

قلت: نعم ستكون هناك مشكلة كبيرة في المنطقة، كما سيتأثر العالم الإسلامي كله؛ لأن معظم الدول الإسلامية فيها شرائح مختلفة، مذهبية وعِرقية.

علق الرئيس رفسنجاني قائلاً: على كل حال سواء كان ذلك تحليلاً أو خبرًا أو معلومة، فإننا نفترض أنه تحليل صحيح، ويجب إدراك خطورة الوضع من قِبل الجميع، وأتوقع أن تقوموا باتصالات مع الدول العربية لا سيما مصر والسعودية.

سنكون مضطرين إلى إجراء محادثات جادة أخرى على مستوى أعلى من مستوى السفراء ونود معرفة المعلومات بعد هذه اللقاءات. بالنسبة لاقتراحكم بشأن تنسيق عمل المعارضة العراقية فإننا حتى ولو لم يكن ذلك المشروع محتملاً فإننا مستعدون للعمل على تنسيق عمل المعارضة العراقية وأن نَحول دون قيام حكم في العراق صديق لأميركا أو عميل لها في العراق ككل، وحتى بغض النظر عن موضوع تجزئة العراق والحالة الفيدرالية فإننا سنشرع بالعمل وموقفنا ثابت بهذا الصدد وسنبدأ بالتعاون في هذا المجال، ولكن إذا افترضنا إضافة المشروع الأميركي إلى ما تفضلتم بشرحه من مسألة تجزئة العراق فلا بد أن نركز مجهوداتنا في هذا المجال لمقاومة هذا المخطط.

على كل حال إذا تم تنفيذ هذه الفكرة وإقامة دولة فيدرالية في العراق فإن كثيرًا من الأمور ستتغير على مستوى المنطقة. وعندما قلت إن الأمر يحتاج إلى مزيد من المحادثات على مستوى أعلى فإننا نحتاج إلى محادثات أعمق فالخطر سيكون كبيرًا، وبعد زيارتكم هذه سنبحث هذه القضايا ونتدارسها فيما بيننا، وأنتم بعد جولتكم هذه لا بد أن تكونوا على استعداد لندخل في محادثات أخرى على ضوء ما تحصلون عليه من معلومات.

بالنسبة لتنسيق المعارضة ليست لنا أي شروط، ولا بد أن نبدأ من التحضير الأولي للأمر وأن نعمل خلال الأيام القليلة القادمة، وربما يتطلب الأمر إذا كانت هذه المعلومات جدية أن نلتقي مع سيادة الرئيس حافظ الأسد.

أجبته: الأمر يحتاج فعلاً إلى مثل هذا اللقاء. ثم شكرت الرئيس رفسنجاني على اللقاء مؤكدًا أن العلاقات بين البلدين تفرض مثل هذا التعاون.

وبناء على اقتراح سوري، عقدت الهيئة العليا السورية ـ الإيرانية اجتماعًا في دمشق بتاريخ ٢٧ شباط ١٩٩٦، وكان الموضوع الرئيسي العراق وما يدور حوله، وحضر عن الجانب الإيراني الدكتور حسن حبيبي نائب رئيس الجمهورية، والدكتور علي ولايتي وزير الخارجية، والسيد حسين شيخ الإسلام معاون وزير الخارجية، وأحمد حسن سفيرنا في طهران.

وبعد الترحيب بالوفد الإيراني تحدث الدكتور حبيبي قائلاً:

بسم الله الرحمن الرحيم، نحن نبدي شكرنا للاستضافة الحارة التي قوبلنا بها. كما تعرفون في المرة الماضية التي تكلمنا بها في إيران كانت هناك مسائل تدور رحاها حول العراق، وتقرر أولاً أن ندعو أطراف المعارضة العراقية ليلتقوا مع بعضهم وينسقوا بمساعدة السفيرين؛ أي أن يشرعوا بمحادثات تمهيدية وبعدها تكون اجتماعات مشتركة تديرها، وإلى الآن لم ينفذ القسم الأول، فإذا كانت هناك مطالب يستحسن أن نطرحها.

والمسألة الثانية: هي الوضع الحالي في العراق وبخاصة بعد التطورات التي نشأت بعد عودة حسين كامل والأحداث التي وقعت بعد عودته، فإذا كانت لديكم معلومات فسنكون سعداء للاستماع إليها وسنُجري المباحثات على أساسها.

والمسألة الثالثة: هي الاتفاق الحاصل في إطار منظمة الأمم المتحدة، وحسب الاتفاق يبدو أن الأمم المتحدة تنظر للأكراد بصورة مستقبلية في ذلك الاتفاق الحاصل، وهذه مسألة مهمة للغاية يجب أن نطرحها في مباحثاتنا، وكذلك الخطورة التي تهدد وحدة التراب العراقي، وهذا يتطلب منا موقفًا جادًّا هنا.

وبعد أن أنهى حديثه، تحدثت قائلاً:

نحن دخلنا للاجتماعات بمشاركة السفيرين وممثلين عن البلدين، في دمشق عُقدت بعض الاجتماعات بين الإسلاميين والقوميين وأعتقد أن السيد السفير شارك فيها ولكن الاجتماعات لم تكن على مستوى أصحاب القرار، ثم طرأ بعد ذلك انفجار الوضع في شمال العراق بين الطالباني والبرزاني وفرار حسين كامل إلى الأردن وبروز مؤامرة جديدة على العراق وراءها إسرائيل والولايات المتحدة. هذه التطورات برأينا اقتضت مراجعة صيغة الاجتماعات التي اتفقنا عليها، فاقترحنا على طهران عبر الأخ السفير أن يتم لقاء تداولي بين أصحاب القرار في المعارضة العراقية وبشكل أساسي التيار الإسلامي والقومي والجبهة الكردية، لوضع صيغة للتعاون داخل العراق وتحديد مستلزمات العمل ودور كل من سورية وإيران في مساندة هذا العمل، وبعد فترة جاءنا الجواب بالموافقة على الاقتراح وأن يسبقه زيارة لوفد من المعارضة القومية إلى طهران لمناقشة الاقتراح مع المعارضة الإسلامية في إيران، ثم بعد ثلاثة أيام تم الاتفاق على زيارة الدكتور حبيبي دمشق فرأينا أن نناقش الموضوع معًا فقد تكون هناك أفكار أفضل، وفي كل الأحوال خطة العمل الأميركية ـ الإسرائيلية ـ الأردنية تسير، وبيريز منذ فترة صرح داعيًا لقيام تحالف إقليمي بقيادة الولايات المتحدة بين إسرائيل والأردن والعراق – طبعًا بعد تغيير النظام – وتركيا. ثم جاء وزير الدفاع الأميركي إلى المنطقة وأعلن ذلك بصراحة وبالتعاون مع أطراف أخرى، ثم جاء رئيس الأركان الأميركي الذي زار إسرائيل والأردن وأطلق التصريح نفسه، ومنذ أسبوعين عاد وزير الدفاع الأميركي وأكد هذا التصريح نفسه، وبالتالي هناك عمل جدي من قِبل إسرائيل والولايات المتحدة وأطراف أخرى قد تكون عربية أو غير عربية لتغيير النظام، بالتأكيد النظام البديل سيكون أداة مباشرة بيد الأميركان والإسرائيليين، ولذلك نرى أن الأمر جدي ويمكن أن نتفق الآن على عقد لقاء لعدد من الشخصيات العراقية بحدود «٣٠ ـ ٤٠» شخصية قيادية ومن شخصيات مقبولة داخل العراق، والمساعدة في وضع برنامج لإسقاط النظام، وعلى الأقل إذا سقط النظام فإن هذه القوة تكون موجودة لمنع الآخرين من الاستيلاء على العراق، طبعًا العراق هو محطة في هذه المؤامرة ولكن المحطات التالية في سورية وإيران، فإذا كانت هناك موافقة على الفكرة – وقد علمت أن السيد محمدي – موجود هنا فممكن أن يجتمع مع العماد علي دوبا ويتفقا على الأشخاص والمكان والزمان والبرنامج. النقطة الأخيرة التي أثارها الدكتور حبيبي هي موضوع حسين كامل، هل لديك معلومات عن أحداث جرت في العراق غير تلك التي نشرت في وسائل الإعلام؟

وجرى الحديث عن خروج حسين كامل من العراق وعودته، وأن هذه العودة خدمة لإعطاء صَدّام حسين معلومات عن المعارضة.

ثم تابعت الحديث حول النقاط التي أثارها الضيف الإيراني وقلت:

أعتقد أن هذا التحليل غير صحيح، أولاً ليس هناك لدى المعارضة أي شيء مخفي لا يعرفه صدام، وبالتالي ليس بحاجة لمثل هذه المعلومات، صدام كان يريده حتى يجعل منه درسًا للآخرين، وجعل منه درسًا.

النقطة الثالثة التي أثارها الدكتور حبيبي حول قرار مجلس الأمن الذي يسمح للعراق بتصدير كمية من النفط لقاء الغذاء والدواء، أنا أشارك الدكتور حبيبي حول الفقرة الواردة في القرار والتي تميز الأكراد، وهذا يعني اعترافًا واقعيًا شبه رسمي من مجلس الأمن بالأكراد ككيان ويشكل هذا اعترافًا، وهذا الأمر قنبلة كبيرة موقوتة في المنطقة وسيكون لها آثارها السلبية بعد فترة قصيرة، ولذلك يجب أن نبحث في كيفية تعطيل هذا الأمر، فهل لدى الإخوة في طهران أفكار معينة لمواجهة هذا الموضوع؟

وقد عقّب الدكتور حسن حبيبي قائلاً: نحن في الواقع نرغب أن نعمل في هذا الإطار بالتنسيق معكم في إطار هذه المسألة والمسألتين اللتين أشرنا إليهما، على أن ندوّن برنامجًا مشتركًا مع بعضنا بعضًا لمواجهة هذا الأمر، يجب علينا أن نُبدي معارضتنا لهذا القرار، ومن جهة أخرى يجب أن نضع الأكراد إلى جانب المعارضة العراقية حتى نكوّن من مجموعهم فرقة وجماعة واحدة.

أجبت الدكتور حبيبي: إن الأكراد بكل فصائلهم مع القرار لأنه سيجلب لهم مبالغ كبيرة، لذلك يجب أن نبحث عن صيغة متوازنة تكون فيها الجبهة الكردية في قلب المعارضة ومع برنامجها، وفي نفس الوقت تحاول إيران ألا تستخدم هذه الصيغة لخلق وضع انفعالي في شمال العراق، لأن مثل هذا الوضع خطير على العراق، وعلى دول الجوار، وعلى الأكراد العراقيين أنفسهم.

وافقني الدكتور حبيبي على ضرورة وجود الجبهة الكردية في قلب المعارضة، وعلى التعاون الثلاثي: السوري-التركي-الإيراني.

وتساءل الدكتور حبيبي عن موقف الدول العربية من قرارات مجلس الأمن المتعلقة بالنفط مقابل الغذاء.

أجبته: معظم الدول ستوافق، إما بسبب الوضع المعاشي في العراق، أو بسبب الضغوط الأميركية عليها للموافقة.

ثم تحدث الدكتور حسن حبيبي حول المعارضة قائلاً:

يجب أن نقول إن الفاصل الزمني الذي مضى قد مضى، لكن حسبما قلتم إننا جئنا وبمقدورنا أن نتباحث ونضع أُطُرًا ونقترح على قيادة المعارضة والمسؤولين الكبار في المعارضة أن يجتمعوا مع بعضهم بعضًا ويحددوا أهدافهم المستقبلية وطرق التنسيق فيما بيننا ومن خلال التنسيق نضع برنامجًا عمليًا في المستقبل.

وبمقدور الأخ محمدي، والعماد علي دوبا، أن يجتمعا ويفكرا بالمسائل التي طرحناها هنا، وفي مباحثاتهم يصلون إلى نتيجة ويحددون موعدًا للقاء المعارضة، وبمقدور الأخ محمدي والأخ دوبا أن يتفقا على الأسماء التي يمكن أن تجتمع من خلالها المعارضة ويحددان المكان، ونحن نقول إن المكان في دمشق لنسرع في الأمر وتجتمع قيادة المعارضة، ولكن الذي يجب وضعه هو الطريقة والبرنامج العملي الذي يجب أن يعملوا في إطاره ومن خلاله ويضعوا الأهداف. ويمكن أن يدونوا في البرنامج هل يكون ذلك من أجل إسقاط النظام أم مواجهة الطرح الأميركي الإسرائيلي الذي أشرتم إليه؟! إن وجهة نظركم حيال هذا الأمر مهمة بالنسبة إلينا، حيث إننا نريد أن نعمل بصورة محورية وجادة لتصبح المعارضة نشطة ولكننا إلى الآن نرى أن المعارضة لم تؤتِ أكلها في كل مباحثاتها.

وقد علقت على حديث الضيف بقولي:

لم تؤت أكلها على اعتبار أن تعدد الفصائل وتعدد الطموحات خلق حالة من الوهم لدى المعارضة، ولكن إذا تعاونا نحن في سورية وإيران نستطيع أن نعطيها زخمًا لتتمكن من التحرك والاجتماع لوضع برنامج، ولكن السؤال الذي يطرحه الدكتور حبيبي هل هدفها إسقاط النظام أم التصدي للمؤامرة الأميركية؟ أقول عليها أن تعمل في الاتجاهين شرط ألا يؤدي عملها إلى فتح الطريق أمام المؤامرة الأميركية. فإذا كانت جهودها ستوظف لصالح المشروع الأميركي فهذا أمر سيئ، لأن المشروع الأميركي برأينا هو الأخطر بعد حرب الخليج الأولى والثانية، هذا المشروع إذا نجح في العراق سيعني خنق إيران وسورية، وبداية تنفيذ ما يسمى بالشرق الأوسط الجديد، بجملة واحدة أختصر الكلام: نحن لا نوافق على سقوط النظام إذا لم يكن البديل شركاءنا في العراق. النظام مهترئ ويكاد يلفظ أنفاسه الأخيرة، فإما أن يرث حلفاؤنا هذا النظام، أو يبقى الوضع كما هو حتى يتمكنوا من

الإرث. ومع ذلك يمكن للأخ محمدي والعماد علي دوبا أن يناقشا أفكارنا ويضعا لنا برنامج عمل وننطلق به.

ورد الدكتور حبيبي قائلاً:

إذن بمقدورنا كما أشرتم أن نلخص ما قلناه على النحو التالي:

أولاً ـ يجتمع السادة معًا في إطار المباحثات التي أجريناها اليوم هنا، ويعينوا الأشخاص لحضور الاجتماع ويعينوا موعد انعقاد الاجتماع ويحددوا المكان المناسب. ومن جانبنا نقبل دمشق، ويدونوا برنامجًا بغية التنسيق مع المعارضة فيما بينها على أساس مقترحاتنا نحن وأنتم حيث يُعطَى للاجتماع أهدافه ويدون برنامجه على أساس مواجهة المشروع الأميركي ـ الإسرائيلي.

ثانيًا ـ أن يدون مشروعه لمستقبل العراق على أن يأخذ قراره بحيث لا يسمح للأميركان وأصدقائهم أن يتربعوا على العراق، وإذا تمكنا أن نأتي بحكومة شعبية للعراق فنساعد جهودهم في هذا الإطار وإلا نرى ما يجب أن نفعله.

فأجبته: سأبلغ العماد علي دوبا من أجل الاتصال بالأخ محمدي للاجتماع وبحث الإجراءات.

وهنا سألت الوفد الضيف: هل انتهينا من بحث الوضع في العراق؟

فأجاب الدكتور ولايتي مازحًا: نستبعد أن نتخلص من الوضع في العراق.

فعلقت مازحًا: قلت من العراق. وتابعت: لا شك الوضع دقيق وخطير، وموقف سورية وإيران أيضًا دقيق ومعقد، مواجهة المشروع الأميركي ـ الإسرائيلي تضعك بشكل أو بآخر وكأنك تدافع عن النظام في الوقت نفسه فإن هذا النظام يحمل من المآسي والدماء ما لم يحمله نظام في التاريخ، من جهة ثانية الشعب العراقي في الواقع يتألم ومحاصر والنظام مرتاح والشعب متعب، ومن جهة ثالثة الشعب العراقي يحاصر ويُجري الانفتاح على إسرائيل، هناك ظروف في الواقع تخلق ارتباكات في التفكير حتى لدى المواطن العادي، والمشكلة أن الله سبحانه وتعالى أخذ قرارًا بعدم التدخل إلى الآن، لو مات صدام، سيرتاح العراق كله، الله لا يريد التدخل بالشؤون العراقية.

وهنا علق الدكتور حبيبي قائلاً:

عندما ننظر إلى مثلث الشعب العراقي والنظام العراقي وأمننا نحن في هذه المنطقة، فإننا

نتفق حول نقطتين: أولاً: الشعب العراقي الذي يجب أن يساعد، وثانيًا: أمننا نحن الذين يجب أن نعيه، ومن خلال ارتباط النقطتين اللتين نتفق عليهما يجب أن ندخل من خلالهما إلى النقطة التي يجب أن تزول من هذا المثلث، وعلى هذا الأساس يجب أن نعمل وهذا هو هدف البرنامج الذي يجب أن يتفق عليه العماد دوبا ومحمدي.

وسألت عن الوضع في شمال العراق. فأجابني الدكتور ولايتي قائلاً:

مؤخرًا قام آغا محمدي بزيارة إلى هناك واستُقبل من كِلا الجناحين، وسعى إلى تقريب الجناحين إلى بعضهما، وربما كان قد نجح إلى حد ما في مساعيه، واستنباطنا واستنباطه أن الخلاف بين الجماعتين؛ البرزاني والطالباني، خلاف عميق ويجب أن نعرف أن دعم تركية لجماعة البرزاني يؤكد هذا، وعليه ربما يجب أن نعمل أكثر مع البرزاني، الذي يتلقى الدعم من تركيا، وبمقدورنا أن نعمل سويًّا، على أن نكون البديل للبرزاني في تلقيه المساعدات مقابل المساعدات التي يأخذها من تركيا، أي نحن نعطيه البديل حيث إن البرزاني تدعمه تركيا وهو يدخل في عراك مع الـ«P K K» من جهة، ومن جهة أخرى أيضًا هو في عراك مع جماعات جديدة وُجدت في شمال العراق، وهي من الجماعات الإسلامية، والجدير بالذكر أن الجماعات الثلاث الكردية، الطالباني، البرزاني والإسلاميين قد استقبلوا الأخ محمدي بحرارة وهذه كانت متزامنة مع زيارة الأخ هاشمي رفسنجاني رئيس الجمهورية إلى المنطقة الكردية الإيرانية.

وفي اللقاء الثاني، بعد أن جرى الحديث عن الوضع في لبنان، طلبت من السيد آغا محمدي إعطاءنا ملخصًا عن زيارته إلى شمال العراق، وبخاصة أننا نستقبل وفد الحزب الديمقراطي الكردستاني بقيادة السيد مسعود البرزاني.

وتحدث السيد محمدي قائلاً:

إن زيارتنا إلى شمال العراق دامت أسبوعًا واحدًا. دخلنا شمال العراق من المنطقة التي تدار من قِبل البرزاني وخرجنا من المنطقة التي بيد الحركة الإسلامية هناك، وبعبارة أخرى دخلنا من منطقة نفوذ البرزاني ومررنا إلى المنطقة التي يسيطر عليها الطالباني ثم دخلنا إلى حلبجة وخرجنا من المنطقة الإسلامية. وفي هذه الزيارة قمنا بشتى الأعمال:

أولاً: التقينا بالناس هناك في إطار اللقاءات الشعبية التي تمت في مدن «دهوك، أربيل، السليمانية، حلبجة»، وكان لنا اجتماعات مع هذه الجماعات الشعبية هناك.

ثانيًا: كان ينطوي برنامج السفر على لقائنا مع العلماء ورؤساء العشائر والقبائل، واللقاء أيضًا مع الجامعيين في كل هذه المدن التي أشرت إليها.

ثالثًا: النقطة الثالثة في زيارتنا إلى هذه المنطقة موضوع لقائنا مع قادة الأحزاب والجماعات برمتها التي تتواجد على الساحة هناك في المنطقة حتى أنه قد التقينا مع الجماعات التي تنتمي إلى العربية السعودية، وإلى تركيا أو تنتسب إليها، حتى اجتمعت مع الجماعة القومية والاشتراكية والشيوعية أيضًا.

وكنا نهدف من خلال زيارتنا هذه إلى شمال العراق بحث شتى المسائل وأهمها، وقد وردتنا معلومات تقول إن أميركا تبرمج على المدى الطويل للتواجد في شمال العراق، وإنما تريد أن تعطي برنامجها هذا صفة قانونية لكي تبقى على المدى الطويل هناك إذ كان من أهداف تواجدنا هناك أن توضع أهداف على البرنامج الأميركي ونبعده عن أذهان الناس هناك حتى يكون المردود الأميركي هناك سلبيًا، وعليه فإن المحور الأساسي لمهمتي هناك هي التكلم مع الناس ومع هذه الفصائل الكردية حول المصالح الأميركية وما تريده أميركا هناك، وكنت أؤكد دائمًا بأن المصالح الأميركية مغايرة تمامًا للمصالح الشعبية هناك، وأنه إذا كنا نتكلم ساعة واحدة في كل اجتماع في كل هذه المدن المشار إليها فقد خصصت حوالي ٤٠ ـ ٤٥ دقيقة لشرح الخطر الداهم الأميركي. تقريبًا حضورنا وكلامنا قد وضح أثره على صعيد المنطقة في حين أن وسائل الإعلام كانت تطبل وتستقبل التواجـد الأميركي وتعبر عنه أنه عمل إيجابي، والإعلام هناك كان فاعلاً ونشطًا لصالح أميركا، وبرأينا وسائل الإعلام هناك تؤكد أنه إذا حدث أي شيء لأميركا فإنه بمقدور أميركا أن تسحب حمايتها عن الأكراد وتذهب وتتركهم منفردين، وأنا تكلمت هناك بالتفصيل حول هذا الأمر وبأن الولايات المتحدة إذا تواجدت هناك فإنها تتواجد من أجل مصالحها ولا تنوي خيرًا أبدًا لمصالح الناس هناك، وقلت لهم إن الولايات المتحدة لن تخرج أبدًا من هنا، فقط كونوا حذرين في أن لا يستغل تواجدكم هنا أمام الآخرين، وحول صدام وما يتعلق بصدام كلامنا كان عن ماضي صدام، وليس عن حاضره ولا مستقبله، أيضًا لم نشر في كلامنا أبدًا للأوضاع الحالية للعراق، وتكلمنا عن ماضي صدام وعن حلبجة والمذابح التي تمت بواسطة صدام في هذه المنطقة وتعامله مع الأميركان – ومع الملك حسين بالذات – وفي الواقع قلنا وعبّرنا أن هذه الجرائم من كبريات جرائم صدام، والموضوع الآخر في إطار الاجتماعات وبخاصة في اجتماعات السليمانية التي كانت بحضور الطالباني الذي خطب ثم تكلمت أنا وأشرت بصراحة إلى هذه النقطة وقلت إنه قد وصلني بأن الفصائل كافة والأحزاب الكردية هنا لا تريد أن تتحرك ضد العراق

وتجزئة العراق، وعبرت بالقول إن الأكراد يريدون عراقًا واحدًا بكامل ترابه، وفي القسم الذي كان يتعلق بمهمتي حول إبعاد أميركا من المنطقة كانت زيارتي ناجحة في هذا الأمر.

سألته عن موقف السيد جلال الطالباني، فأجابني بأنه جيد. ثم سألته عن موقف السيد مسعود البرزاني، فأجاب:

نحن نعتقد أن الأميركان يمكن أن يكونوا قد عملوا كثيرًا مع البرزاني، وربما بحثوا مع جماعته في إطار تواجدهم هناك في المستقبل، واتفقوا معهم على مشاريعهم المستقبلية، كما أن تعاطي الأميركان مع جماعة البرزاني مثلاً حول كلامهم عن تأسيس مطار هناك والقيام ببعض الأعمال لإيجاد شبكات اتصال وغيرها يعبر عن أنهم دخلوا مع البرزاني بمسيرة جدّية، والشيء الذي اطلعنا عليه أن الأميركان كانوا على علم باتصال البرزاني مع صدام ورأينا أن الأميركان على علم بمجمل هذه الأمور وهذا يعبر عن وجود نوع من التنسيق الأميركي ـ البرزاني فيما بينهم.

والهدف الثاني من زيارتي هذه هو قرار اللجنة الثلاثية السورية ـ الإيرانية ـ التركية، وفي الواقع القرار الصادر في الاجتماع بأن السلام في كردستان يجب أن تتحرك آليته على الصعيد الإقليمي وليس على الصعيد الدولي، وكانوا راضين عن مجمل التحركات الخاصة بالجماعات الإسلامية، ووجودنا كان يعبر لهم أننا نريدهم أن ينفذوا عمليًا هذا الاتفاق على الساحة هناك.

نحن نعتقد أننا نجحنا بتوفير أرضية للعمل التنفيذي لهذا القرار وفي المباحثات التي أجريتها مع السيد علي دوبا اتفقنا وتوصلنا إلى أنه يجب ألا نسمح لأميركا بأن يكون لها الكلام الأول هناك في منطقة كردستان، وإذا أعطينا اليد الأولى لأميركا فهذا سينطوي على مخاطر سيئة.. ومن الأجدر بنا أن نتحرك، كما قلنا في حديثنا مع علي دوبا أنه يجب أن تمشي أطروحة سلامنا هناك حتى نقطع دابر الأميركان هناك. كان قد طلب مني السيد علي دوبا شريط فيديو عن زيارتي إلى شمال العراق وها أنا أقدمه لسيادتكم.

ثم جرى الحديث عن التواجد الأميركي في شمال العراق وخطورته على مستقبل العراق، واقترح الدكتور حبيبي عقد لقاء ثلاثي لوزراء خارجية تركيا وإيران وسورية. وتم تأجيل الموضوع لوقت لاحق بسبب استقالة الحكومة التركية.

سألت السيد محمدي عن لائحة الأسماء التي سلمه إياها العماد علي دوبا، وفيما إذا تم الاتفاق في اللقاء التشاوري لقوى المعارضة العراقية أم لا؟ فأجابني:

في أول الحديث الذي جرى بيننا قمنا بتشريح الوضع في العراق وكنا نود أن نرى فيما إذا كانت وجهات النظر متطابقة فيما بيننا، حول الوضع في العراق، وبعد أن تباحثنا وصلنا إلى تفاهمات حول واقع الحال في داخل العراق ورأينا أنه توجد الأرضية المناسبة حاليًا داخل العراق بهدف تغيير النظام هناك وبأن الوضع الحالي يختلف عن سابقه، وإن الأرضيات ممهدة لكل ما هو داخل العراق، يجب أن يتم ترابط المعارضة مع هذا الواقع، ويكون هذا الأمر حيويًا ومُهمًا جدًا، ويجب أن نتصل مع الفصائل المعارِضة التي تقف إلى جانبنا في الداخل العراقي، ويجب أن يطمئن أولئك الذين هم في المعارضة في الداخل تحديدًا أن إيران وسورية دولتان معارِضتان فعلاً للنظام، الشيء الآخر هو أنه إذا كُتب للمشروع الأردني الذي هو في إطاره ومفهومه مشروع أميركي بالذات أن ينفذ على الساحة العراقية فهناك أشخاص وجماعات من المعارضة سوف يطّلعون عليه وهذه الجماعات بالذات تكون مطمئنة من أن إيران وسورية معارضتان للنظام العراقي وتريدان مساعدة المعارضة، ولا شك ستنتقل كل هذه الأخبار لحظة بلحظة، والعامل الثاني هو العقلية العشائرية التي ظهرت في العراق حاليًا بدلاً من العقل السياسي، هذا ممكن أن يأتي بحوادث نحن نجهلها ونكون غافلين عنها، والمسألة الثالثة هي العوامل الخارجية، مثلاً الملك حسين عندما ننظر إلى مشروعه تجاه العراق هو جاد تمامًا في تنفيذ مشروعه ويتابعه ونعلم أنه أعطى أولوية قصوى إلى مشروعه تجاه الوضع في داخل العراق، المسألة الأخرى في هذا الإطار أن الحكومة البريطانية؛ وتحديدًا وزارة الخارجية في بريطانيا، اتصلت حتى بالجماعات الصغيرة من المعارضة وقالت لهم تعاونوا مع مشروع الملك حسين هذا، نعلم أيضًا أن أميركا تباحثت وتكلمت مع فصائل المعارضة العراقية وطلبت منهم أن يكونوا إلى جانب المشروع حتى أنهم طلبوا من أحمد الجلبي أن يتحرك لصالح هذا المشروع ونعلم أن أحمد الجلبي له وجهات نظر أخرى.

إذن نعلم أن هذا المشروع أميركي - بريطاني بدعم خفي من إسرائيل موجود في هذا الإطار ونحسه بالكامل.

والنقطة الأولى تجاه هذه التحركات هو القلق الشديد البادي على وجوه الأوربّيين، أيضًا أقول هذه النقطة من منطلق إيجابي ويكون لصالحنا وبمقدورنا أن نستفيد منه، القلق بادٍ على الأوربّيين تجاه ما تريد أميركا أن تنفذه في العراق.

المسألة الأخرى أيضًا الملاحظات التي تأتي بالدرجة الأولى والتي من الممكن أن تكون لدى سورية وبعدها إيران حول العلاقة مع النظام العراقي؛ لأنه من الممكن أن يصطدم

وجودها مع علاقاتنا بدول المنطقة في الخليج الفارسي وسائر الدول في المنطقة، لكن إذا ظهرنا في إطار المعارضة فإن هذا الاتصال يخلق إيجابية أكثر، وبمقدورنا أن نتفاهم فيما بيننا على إيجاد الموازنة هناك ونحدد زمن إسقاط النظام والوقت الذي نمنع فيه إسقاطه أيضًا، وفي الواقع لخصنا تحليلنا في جملة واحدة، أننا يجب أن نُقر سياسة التوازن الإيجابي فيما بيننا، أي يجب علينا أن نعمل بكل جدية مع فصائل المعارضة، ومن جهة أخرى نعمل مع النظام، وأن التعادل والموازنة هذه نوجدها فيما بيننا في إطار لجنة عملنا المشتركة، وإذا كانت هذه النقاط التي أشرت إليها محط اتفاق قادتنا نكون نحن وأنتم قد شكلنا لبنة جديدة في عملنا المشترك، ومن جهة أخرى ستعطي الاطمئنان لكل فصائل المعارضة بأننا معهم، وإذا عملنا معكم فإن المشروع الأردني بذاته سيلقى هناك جانبًا بدون شك دون أن يقال إننا خربناه، إذن يكون مشروعنا الذي أعددناه مشروعًا إيجابيًا في إطاره ومفهومه ولا يكون له ردة فعل.

أكد السيد حبيبي على وجوب عدم استفزاز الدول العربية المجاورة للعراق، وعلى سورية وإيران أن يتفاهما حول المصالح العامة لحركتنا في العراق وماهية هذه المصالح.

وعلّق السيد محمدي قائلاً:

أيضًا سورية وإيران تتفاهمان فيما بينهما حول من هي المعارضة المطمئنة بالنسبة إلينا حتى نتعامل معها، وبعد ذلك لن نتدخل في أمورهم الإدارية والجزئية، نضع هذه المسؤوليات على عاتقهم دون أن نبرمجها نحن لهم، ونسمح لهم بالتباحث مع بعضهم بعضًا ليقرروا ما يريدون. إذا فعلنا هذا سوف نعطي اطمئنانًا أكثر لتغيير سياسي هناك، والمشروع الأردني سوف يفشل بكامل محتواه؛ عندها كل الرغبة الموجودة عند المعارضة سوف تقترب منا، أنا مطمئن كثيرًا، إذا عملنا بهذه الصورة مع فصائل المعارضة فسوف ترى المعارضة أنها في تعاملها مع سورية وإيران تنطلق من منطلق وطني ولا تنطلق - في تعاوننا هذا - من منطلق أنهم عملاء لنا، على العكس العمالة تكون في تعاملهم مع الأميركان والأردن - المشروع الأردني - الذي يعرفونه جيدًا أنه من منشأ أميركي لا من الأردن، حتى تلك العناصر التي ترتبط - في الواقع - بالجناح الأميركي ترى نفسها إذا تعاونت مع المشروع الأردني أنها في إطار العمالة لأميركا والأردن، وحول تحديد زمان ومكان انعقاد هذا الاجتماع قلنا بعد شهر على الأكثر، ويكون هذا الوقت جيدًا لهذا الاجتماع في دمشق هنا، وحول القائمة التي رأيناها وقدمت لنا من جانبكم فإنه لا توجد أي مشكلة ونرى أنها قائمة إيجابية، وحول تفاصيل هذه القائمة فمن الممكن أن تبدو هناك بعض الفوارق البسيطة جدًا بين بعض الفصائل الإسلامية والقومية من المعارضة؛

نضيف شيئًا أو نحذف شيئًا، يبقى هذا الأمر في نطاق التفاصيل نتركها للفصائل لتحلها فيما بينها، أو مثلاً في فصائل المعارضة يقولون إذا جاءت هذه الشخصية فعندها سيحدث كذا وكذا، ولهذا نترك الأمر لهم في الإطار العام لمشروعنا الثنائي ونحن متفقون عليه ونقول للمعارضة إن الاجتماع المقبل وُجد بهدف العمل السياسي والإعلامي والميداني.

وتساءلت عندئذ عن الجهة التي ستوجه الدعوة للاجتماع، هل هي لجنة تنسيق العمل الإسلامي القومي، مُبديًا استعدادنا لمساعدتهم بالاتصال مع القيادات.

طلب السيد محمدي أن نتصل بقيادات التيار القومي والتيار الديمقراطي للعمل بجدية أفضل.

فوافقته، وأضفت قائلاً:

لماذا نريد بعض الشخصيات المستقلة المحسوبة على التيار القومي؟ لأنها تعطي تطمينًا في الجيش العراقي وفي الحزب في العراق بحيث إذا جرى التغيير فلن يصابوا بأذى بسبب وجود هذه الشخصيات، لأنه في الواقع إذا لم يغير الجيش الوضع فالنظام لن يتغير، وبالتالي فإن مساهمة الجيش مع وجود حركة شعبية عريضة هي التي تشكل الضمانة، التحركات الشعبية وحدها لا تُسقط النظام لأنه جاهز لقمعها لذلك فإن بعض الشخصيات الموجودة في الخارج إذا ظهرت في الصورة، وبدأت توجه خطابًا للجيش العراقي فإن هذا سيساعد كثيرًا كما نعتقد.

واقترحت أن يجتمع السيد محمدي والعماد علي دوبا قبل أسبوع من اجتماع المعارضة، فوافق الدكتور حبيبي وطلب من السيد محمدي البقاء بضعة أيام للتنسيق مع العماد دوبا.

وبناء على هذا الاتفاق عقدت المعارضة العراقية اجتماعًا تداوليًا بتاريخ ٣ ـ ٤ نيسان ١٩٩٦ في دمشق، وسأتحدث عنه عند الحديث عن المعارضة.

وفي التاسع عشر من تشرين الثاني ١٩٩٦ استقبلت السيد محمد محمدي – مسؤول أمني كبير في إيران، وممثل مرشد الثورة في عدد من المؤسسات الأمنية – وذلك بحضور العماد علي دوبـا، وبعد الترحيب وتبادل عبارات المجاملة دار بيننا الحديث التالي:

قلت له: تابعنا الاتهام الألماني لإيران باغتيال عدد من المعارضة الإيرانية في ألمانيا، ومن الملفت للنظر أن الاتهام جاء في الوقت الذي يجري فيه الحديث عن حوار بين إيران والولايات المتحدة ـ كما فهمنا من تصريح بللترو ـ هل لهذا الاتهام علاقة بهذا الاتهام أو الحوار؟

فقال محمدي: نحن من وجهة نظرنا فإن هذه خطوة مؤيدة لهذا العمل، وهذه الخطوة كانت تمثل مشروعًا برمجَته الولايات المتحدة وطرحته بعد الانتخابات على لسان بللترو، وإيران رفضت هذه الخطوة، وبرأينا هذه الخطوة تصب في إطار ممارسة ضغوط أكثر على إيران.

سألته: ما هو المشروع الأميركي المطروح على إيران؟

فأجاب محمدي: المشروع كان يتجسد في شكل حوار نقدي مع إيران على شاكلة الذي تقوم به أوربّا، وفي الحقيقة هذا الشيء كانوا يريدونه على ضوء قراراتهم النهائية.

وسألته: ما علاقة كل ذلك بما يجري في شمال العراق؟ هذا هو الموضوع الذي نريد أن نتحدث به، التطورات التي جرت في شمال العراق كانت مقلقة لنا ومعلوماتنا قد تكون من مصادر متضاربة، ولذلك في الواقع ناقشنا الأمر لدينا ووجدنا من الضروري الاتصال بالإخوة في طهران لمعرفة ما يجري فعلاً ولمعرفة وجهات نظركم وكيفية التعامل مع الوضع في شمال العراق بشكل خاص والوضع بشكل عام، من هنا جاء الاتصال الذي قام به العماد علي من أجل اللقاء مع السيد محمدي.

فقال محمدي: نحن في خدمتكم للاستماع للمعلومات التي سببت لكم القلق.

قلت له: الواقع أن وسائل الإعلام تحدثت عن القتال الذي جرى بين الطالباني والبرزاني من جهة، ودخول الولايات المتحدة وتركيا على الخط، والدور الذي أخذته تركيا على نفسها في شمال العراق بما في ذلك حق التدخل لحماية التركمان، وهذا أمر جديد في المنطقة وفي السياسة التركية، طبعًا الآن التركمان والآشوريون يأخذون دورًا أساسيًا في عملية خرق وقف إطلاق النار.

فقال محمدي: هذه المشكلة الموجودة هناك تنبع من الفراغ الموجود في تلك المنطقة، ومن الطبيعي إذا حصل فراغ سياسي في تلك المنطقة ولم يتخذ بشأنها موقف مشترك فأمر طبيعي أن يقدم الآخرون على ملء هذا الفراغ، في بعض الأحيان تدخل الأردن على الخط، ونرى تركيا تدخل على الخط الآن، وقد يدخل آخرون على الخط، الحوار الذي كان بيننا كان يمثل في الواقع التوصل إلى تفاهم لإملاء مثل هذه الفراغات ولكننا أولينا أهمية أكثر لمسألة ردود الفعل، وبعد انتهاء الخطوات لم يتابَع الأمر، وفي هذه الفترة كان للعراق تحركات وكذلك الأميركان كان لهم تحركات، وتركيا تم إقناعها عن طريق الولايات المتحدة لأن تقوم بدور في المنطقة مع الأخذ بعين الاعتبار التحرك العراقي.

من وجهة نظرنا فإن التحكم بالموضوع والسيطرة عليه ليس بأمر صعب، ولكنه يقتضي وجهة نظر مشتركة، ونحن لا نعتقد أننا سنوفق وننجح إذا ركضنا دائمًا من أجل رفض مشاريع الآخرين؛ ذلك لأن كل فريق يفكر ويبرمج شيئًا خاصًا ويُقدِم على خطوات وهذه الخطوات ستواجَه برد فعل، ونحن نركض ونبحث عن الحلول، وبهذا الأسلوب لن ننجح، فيما يخص الاجتماع الذي حصل في تركيا، نعتقد بأنه قد يواجه مشاكل كبيرة، ونعتقد بأنه يمكن التغلب على هذه المشاكل والعقبات، ولكن برأينا لن يؤثر كثيرًا، ولكن إذا بقيت المشاكل على المدى البعيد فإن ذلك سيسبب المشاكل، لأنهم يريدون أن يثبتوا أن لهم الحق في العراق، وقد يوجدون نقاشات حول مسألة الموصل وأماكن أخرى على المدى البعيد، فإذا ما حصلت حادثة في العراق قد يمهد ذلك السبيل للتدخل في العراق.

سألته: بتقديرك ما هي المشاكل التي تواجه اتفاق إستنبول؟

فقال محمدي: المشاكل هي أن الفصيلين ليسا مقتنعين بالمصالحة حاليًا؛ وعلى هذا الأساس نقول إن هناك مشاكل.

فقلت له: هناك معلومات متضاربة.. هل تم الاتفاق حسب معلومات طهران؟

أجاب محمدي: لم يُوقعوا على الاتفاقية، ولكن على الحد والقدر الموجود. بخصوص المحادثات التي تجري هناك بين تركيا وبريطانيا وأميركا فقد طرح بللترو في الاجتماع السابق ٢٤ فقرة ومادة ولم يقبل منها البرزاني سوى خمس مواد.

سألته: أيهما كان أقرب للموقف الأميركي، الطالباني أم البرزاني؟

فقال محمدي: الطالباني يقبل ولكن ليس من أجل رضى وخاطر الأميركان، ولكن من أجل معارضته للبرزاني، على سبيل المثال في اجتماع دبلن، فيما يخص تسمية حزب «P K K» بفصيل إرهابي، الطالباني قام ورفض هذا البند واختل الاجتماع.

قلت له: على كل حال الوضع لا شك معقد، وأنا معك.. أولاً الفراغ الموجود يُطلق ظروفًا سيئة للجميع، لنا ولكم، ومن جهة أخرى يُمَكّن أي جهة من اللعب في المنطقة.

الأمر الثاني الذي أتفق به معك هو أن التنسيق بين البلدين في هذه القضية كان أقل مما يجب أن يكون، لكن الآن هناك وضع في شمال العراق، ولا شك الأميركان يريدون إقامة حالة في الشمال تُبقي العراق بحالة من التفكك؛ وطبعًا ذلك لأهداف تتعلق بالمنطقة.. تركيا لها مصلحة، لها مصالح قريبة ومصالح بعيدة، المصالح القريبة هي تصفية الـ «P K K»،

والمصالح البعيدة: أولاً كما أشار السيد محمدي هناك مطامع إقليمية لتركيا في العراق، ولها أيضًا مطامع بأن تكون المهيمنة على العراق وهذا من أجل إكمال حلقات المنطقة، تركيا، العراق، الأردن، إسرائيل، والهدف الآخر الذي تسعى تركيا لترسيخه هو حماية كل تركي ينتمي إلى العِرق، هذا الأمر لاحظناه من خلال نشاطات تركيا في جمهوريات آسيا الوسطى، طبعًا والأميركان يشجعون هذا التوجه لدى تركيا لاستخدامه في إطار استراتيجيتهم الدولية، طبعًا ضمن هذه الصورة يجب أن نبحث عن مصالحنا سواء في طهران أو دمشق، كيف ترون التقرب من هذه الأمور والتعامل معها؟

قال محمدي: نحن من وجهة نظرنا إذا استطعنا الوصول إلى نقاط تفاهم ونلتزم بها ونتابعها بكل تأكيد يمكن أن نصل إلى شيء، نحن على أي حال نرى من ناحية وجود وبقاء صدام أن ذلك كان له مشاكل بالنسبة إلى كِلا البلدين، وبطبيعة الحال إذا جاء آخرون إلى هذه المنطقة سيسببون لنا أيضًا المشاكل، ولذلك فإن الشيء المهم هو أن نتوصل إلى نقاط تفاهم، لنتمكن من التعامل مع العراق بشكل يضمن ويؤمن مصالح كل من سورية وإيران، وكذلك يضمن الملاحظات التي يراها كِلا البلدين، وطبعًا هذا الأمر يجب أن نأخذه بعين الاعتبار للإمكانيات الموجودة لكِلا البلدين في العراق، نحن من وجهة نظرنا ليس للبلدين مصالح تنافسية في العراق، بل لدينا مصالح مشتركة، ولكن نوع ونمط التعاون يظهراننا وكأننا بلدان متنافسان.

وقلت له: أنا أعتقد - كما أشرت - ليس هناك تعارض بين مصالح سورية وإيران لا في العراق ولا في المنطقة، كِلا البلدين ينظر إلى المخاطر الخارجية ويريد إبعاد المنطقة عن الهيمنة الخارجية وكِلا البلدين يرى خطورة التدخلات الخارجية في المنطقة والتي تستهدفها، وكِلا البلدين يَريان خطر إسرائيل، وكِلا البلدين مُعرض للضغوط الخارجية بسبب سياسته الاستقلالية؛ ولذلك فإن الضغوط العامة لسياستنا في المنطقة تكاد تكون واحدة، طبعًا كلانا يريد العراق دولة موحدة وكلانا يريد أن يحكم العراق بنظام غير النظام الموجود، نظام يحقق العدالة والمساواة والكرامة لجميع العراقيين، بغض النظر عن انتمائهم الطائفي أو العِرقي، نحن في سورية لا نسعى إلى أن يكون الحكم في العراق مرتبطًا بسورية، ولا إيران تسعى إلى أن يكون الحكم في العراق مرتبطًا بإيران، كلانا يريد العراق قوة في المنطقة إلى جانبنا وليس قوة تُستخدم ضدنا، لكن هناك نقطة في الحقيقة لم نستطع الوصول إلى اتفاق حولها رغم أننا لسنا مختلفين على هذه النقطة، وهي النظام في العراق.. نظام صَدّام حسين نريده أن يتغير، ولكن لم نتفق، ولم نعمل على تغييره لأن المعارضة العراقية الموجودة لدينا ولديكم كانت

في الواقع تشكل ضغطًا علينا وعليكم، وكنا نتأثر بتوجهات المعارضة في سورية وإيران التي كانت تحكمها أمورها الذاتية، نحن لم نناقش مع بعضنا وبشكل واضح وجريء كيفية التعامل مع النظام في العراق، هل نتخذ القرار بالعمل على إسقاطه؟ ما هي متطلبات ذلك؟ وما هي مسؤوليات ذلك؟ أو كيفية عمل ذلك؟ ومن ثَمَّ ماذا ستكون ردود الفعل الإقليمية والدولية في حالة التدخل المباشر أو غير المباشر الواضح من قِبل سورية وإيران؟ وفي الوقت نفسه لم نناقش بصراحة وجرأة إمكانية التعاون مع هذا النظام من خلال الاتصال... إلخ.

طبعًا الوضع بالنسبة إلى إيران مختلف على اعتبار أن هناك لقاءات تتم بين وقت وآخر بين المسؤولين العراقيين والإيرانيين، ورغم الحرب لا تزال العلاقات قائمة، هناك سفارة عراقية في طهران وسفارة إيرانية في بغداد، وأعتقد أن جوهر المشكلة يكمن هنا، هل نريد إسقاط صدام؟ كيف؟ هل نرى أن الإمكانيات غير متوفرة إلى الآن؟ صدام مستمر رغم كل الضغوط الخارجية، فهل هناك إمكانية للتعامل مع هذا النظام؟ وما هي نتائج ذلك، الإقليمية والدولية؟ هنا جوهر الموضوع، وبالنسبة للشمال أعتقد أن علينا مناقشة هذا الموضوع، الوضع خطير، دائمًا الأمور الكبيرة تبدأ بأمور صغيرة قد لا نعطيها أهمية، ولكن سيأتي وقت نشعر فيه بالمرارة إذا لم نعالج هذه الأمور في الوقت المناسب، طبعًا علمنا من رئيس الوزراء الأستاذ الزعبي وقد اجتمع مع الدكتور حبيبي، وجرى بينهما حديث حول العراق وحول العلاقات القائمة مع العراق رغم الشكوك الكبيرة بصدام، وعدم الثقة بوعوده وبما يعطيه من تعهدات.

قال محمدي: نحن من وجهة نظرنا لم نتطرق للحديث معكم حول هذا الموضوع لأن هذا ليس من شأننا بل هو شأن الشعب العراقي، نحن كبلدين نعتقد سوية أن النظام العراقي يجب أن يتغير، ولكن هذا لا يقع على عاتق البلدين بل على عاتق الشعب العراقي نفسه، ولكن إذا أراد الشعب أن يقوم بهذا الأمر فسنكون مسرورين وندعم هذا الأمر.

سألته: هل سيقوم الشعب بهذا الأمر؟

فقال محمدي: نحن أيضًا يجب أن نتباحث حول هذا الموضوع، إلى متى نصبر وننتظر، إذا بقي العراق مع شعبه المعارض والمتنازع مع نظامه فلا مشكلة في الانتظار.

قلت له: أعد الجملة، لم أفهمها.

فقال محمدي: إذا بقي العراق بمعارضته الداخلية، وبقوا في حالة اشتباك وخلاف ذلك أفضل بالنسبة إلينا من أن يبقى الوضع ويسير على ما هو موجود، ولكن إذا أراد الآخرون

استغلال هذه الفرصة ليهيمنوا على العراق فالأمر شيء آخر، والحقيقة أن الفراغ الموجود حاليًا أدى إلى خلق الطمع من قِبل الدول الغربية لكي يدخلوا على الخط، وإذا ازداد الفراغ واتسع فقد يؤدي هذا الطمع إلى شكل قد لا نستطيع أن نتحكم فيه مستقبلاً، ولذلك ينبغي أن نناقش معًا موضوع كيفية التعامل مع العراق، هل يمكن التعامل معه أم لا؟

فأجبته: هذا ما قصدته، لا شك أن خطورة بقاء الوضع الراهن تترك الفرص مفتوحة للتدخلات الخارجية، المشكلة الكبيرة التي قد تجابهنا هي استمرار الوضع الراهن دون أن توفر الإمكانيات لمنع التسللات الخارجية على هذا الوضع بما فيها البدايات التي بدأتها تركيا والولايات المتحدة، لذلك السؤال المطروح هو ما العمل؟ كيف يمكن أن نعالج الوضع في شمال العراق لإغلاق الثغرات التي يمكن أن يتسلل منها الأتراك؟ هل لديكم تصور عن ذلك؟ طبعًا، أضيف سؤالاً آخر: في الماضي كانت أهمية شمال العراق بالنسبة إلى المعارضة أنه قاعدة انطلاق للعمل ضد النظام، ولكن بعد القتال الكردي ـ الكردي فإن هذا الأمر انتهى، ومن ثَمَّ السؤال الآن هو: أيهما أفضل لمستقبل العراق ولنا ولإيران، أن يكون الشمال العراقي تحت الهيمنة التركية أم تحت هيمنة بغداد؟ طبعًا هذا السؤال يحتاج إلى أن نناقشه ونفكر به.

قال محمدي: كون هذه الأشياء تأخذ شكلاً عمليًا فالمهم بالنسبة إلينا هو: هل بإمكان العراق أن يأتي إلى هناك؟

فقلت له: هذا السؤال يجب أن يوجه إلى العراقيين، رقم واحد، لأننا لا نحن نملك الإجابة ولا أنتم، لكن أعتقد أنه يمكن أن يدخل بشكل غير مباشر كما فعل في أربيل.

فقال محمدي: في أربيل كان الدافع للبرزاني هو طرد الطالباني من المنطقة، والعراق استفاد من هذا الأمر، بشكل سياسي أو بلون سياسي، ولكن هل يمكن تحقيق هذا الأمر في كل إقليم كردستان؟ وهل ستمتنع الولايات المتحدة في هذا المجال عن ممارسة بنود قرار التحريم والمقاطعة؟ وإذا كان بمقدور العراق أن يقوم بهذه الخطوة، فهل هناك شك أنه كان يمكن أن يقوم بذلك قبل اليوم؟

فقلت له: ما يهم الحكومة في بغداد هو المحافظة على وجودها، وفي إطار هذا الشعور يمكن أن تندفع جماعة بغداد لتقديم التنازلات، والأقنية مفتوحة مع تركيا. والولايات المتحدة تشجع تركيا على هذه الأقنية من أجل هدف استراتيجي أبعد، ولذلك فإن مصلحتنا الاستراتيجية أن نعمل لقطع الأقنية ما بين تركيا والعراق. في بغداد كما أستنتج هناك إمكانية لمساعدة أحد الأطراف الكردية للسيطرة الشاملة، طبعًا هذا الأمر ليس فيه

مصلحة، أي أن يسيطر أحدهما – جلال أو مسعود – على المنطقة، لكن هل يمكن عمل شيء مع جلال أو مسعود؟ أولاً من أجل إغلاق الباب التركي من جهة، ومن جهة ثانية من أجل ألا يكونوا أداة باللعبة التي تجري سواء لدى الأميركان أو الأتراك؟ طبعًا في أوربّا الجو العام ليس ضد أن تمد بغداد سلطتها على شمال العراق ولا سيما فرنسا ودول أوربّية أخرى، أيضًا روسيا والصين، وطبعًا الدول العربية كلها مع أن يمد العراق سيطرته على الشمال، وهذا ظهر بعد قيام الأميركان بقصف بغداد إثر سقوط أربيل، كان موقف الدول العربية كلها إدانة العملية واعتبرتها تدخلاً في الشؤون الداخلية لأن القرار الأميركي يحد من سيادة الدولة العراقية.

فقال محمدي: على أي حال إذا كان بإمكان الحكومة في بغداد أن تخطو مثل هذه الخطوة ماذا بوسعنا نحن أن نفعل؟

فقلت له: لا شك أن المشكلة هي في بغداد، لا شك أنها قيادة ليس لها مثيل في التاريخ، عمياء، ولكن نحن، بغض النظر عن وضع الحكم في بغداد، سنتأذى كثيرًا من استمرار الوضع، ويبقى السؤال.. هل نستطيع أن نعمل شيئًا أم لا؟

قال محمدي: شرط أن نقوم بشيء ما، بعمل ما في بغداد.

سألته: مثلاً؟

قال محمدي: النظام العراقي يجب أن يكون لدينا تفاهم معه من أجل أن نساعده في هذا المجال، هل هناك طريقة لهذا الأمر؟

أجبته: أعتقد أن الأمر يحتاج إلى مناقشة، يفترض أن تعقد الهيئة العليا اجتماعاتها في وقت قريب، يمكن طرح كل هذه النقاط لتتناقش بها، وأن ندرس سياستنا، وكذلك أنتم، قبل انعقاد الهيئة العليا، من أجل أن نتخذ قرارات ونخطط عمل. نحن عندما ناقشنا الوضع في شمال العراق استنتجنا المخاطر المستقبلية الكبيرة لهذا الوضع، وأخطر ما فيه هو الدور الذي أسند لتركيا في المنطقة.

سأل محمدي: هل هناك حاليًا آفاق يمكن أن نتدارسها بشأن العراق ويمكن أن تشيروا إليها وتتعلق بكيفية التعامل مع العراق؟

قلت له: هناك ثلاث حالات:

ـ **الحالة الأولى**: إما بقاء الوضع كما هو وننتظر القدر وما يمكن أن يحدث من تطورات

نحاول الاستفادة منها أو توظيفها، ولكن في هذه الحالة فإن الطرف القادر على الإمساك بزمام الأمور والتطورات في العراق هو الذي سيوظف النتائج.

ـ **الحالة الثانية**: أن نناقش، هل هناك إمكانيات عملية لتغيير النظام من قِبل حلفائنا في المعارضة العراقية فيما إذا قدمنا لهم المساعدات بالحدود التي لا تؤدي إلى زيادة تعقيد الوضع الدولي والإقليمي؟

بالنسبة لسورية وإيران لا شك أن هناك حدودًا إذا تم تجاوزها ستجري تدخلات خارجية وستكون خسائرنا أكبر بكثير من بقاء الوضع الراهن، ولكن هناك إمكانيات محدودة للمساعدات، وبدراسة جدية للإمكانيات الحقيقية للمعارضة طبعًا وليس كما يجري مع الطالباني أو باقر الحكيم. جلال تتحدث معه فيحدثك عن الفرقة العسكرية الفلانية والفلانية.

ـ **الحالة الثالثة**: دراسة التعامل مع النظام وفتح أقنية لمعرفة مدى استجابته للوفاء بالتعهدات من جهة وللقبول بما نراه مفيدًا للعراق ولسورية وإيران وللمنطقة.

هذه هي الحالات الثلاث التي أمامنا، طبعًا لكل حالة مخاطرها الداخلية والخارجية؛ الداخلية أقصد في المنطقة، والخارجية من حول المنطقة.

سأل محمدي: برأيكم ما هي الأرضية العملية والتنفيذية فيما يتعلق بالمحور الثالث؟

فقلت له: أولاً، تجاربنا مع القيادة العراقية سواء في إيران أو دمشق تجارب مُرة، الحدود الدنيا من الثقة مفقودة ولكن مع ذلك بالمناقشة في دمشق وطهران، إذا اقتنعنا بهذا الطريق، يتطلب الأمر وضع استراتيجية مشتركة وبالتالي إجراء الاتصال مع بغداد في إطار هذه الاستراتيجية، طبعًا نقطة الضعف في هذا الأمر تتمثل في طبيعة القيادة العراقية، قيادة تفتقد المنطق والعقل والرؤية، ولذلك تتصرف بشكل غريزي وليس بتصرف مبني على المنطق والمصلحة والعقل أو المصلحة الوطنية، ومع ذلك إذا رأينا أن هذا الطريق ممكن ولوجه، توضع استراتيجيته وخطة كيفية التقرب من الموضوع ولا بد أن نأخذ بالاعتبار مُجمل ظروف المنطقة، لأنه ليس هناك من طريق إذا أخذنا سلبياته إلا ونراها كبيرة.

قال محمدي: في الزيارة الماضية تحدثتم سيادتكم وقلتم إن القضية المتعلقة بفتح باب الحوار مع العراق قد تشكل مشكلة وتخلق مشاكل لسورية بسبب الضغوط التي يمكن أن تمارسها الولايات المتحدة في مجال محادثات السلام، وكذلك من الممكن أن يستتبع هذه المسألة خفض دعم ومساندة دول الخليج لسورية.

فقلت له: أنا أشرت الآن أن لكل خيار سلبياته الكبيرة، طبعًا من هذه الضغوط سيكون هناك ضغط أميركي واضح، ولكن إذا ناقشنا هذا الأمر في إطار استراتيجي بين البلدين، نحسب الإيجابيات والسلبيات، إذا رأينا الإيجابيات أفضل، نسير بالطريق الذي يوفر لنا أفضل الإيجابيات، الضغوط ستستمر، القوانين التي أصدرها الكونغرس الأميركي ضد إيران جزء من الضغوط، ما يجري في الخليج جزء من الضغوط، ما يجري في السوق النفطية العالمية جزء من الضغوط، مسألة الضغوط ستستمر علينا بشكل أو بآخر، علينا وعليكم وعلى كل القوى التي تريد الحرية والكرامة والتي تريد أن تعيش بعيدًا عن التدخل الأجنبي.

قال محمدي: الملاحظة الثانية هي المدى الذي يتمتع به العراق للتعامل مع مثل هذا المحور، ما هي الأرضية التي لدى العراق منذ ذلك الوقت وحتى الآن، هل تتوقعون أن لديه الأرضية للتعامل والاستجابة لهذا المحور؟

فقلت له: إذا درسنا الموضوع دراسة موضوعية فإن مصلحة العراق هي بفتح الطريق لحوار ناجح مع سورية وإيران، لكن السؤال: هل القيادة في العراق - حسب تجاربنا السابقة - ستتصرف وفق مصالح العراق أو وفق المنطق؟ الأمر يتعلق بأشخاص ليس لهم مثيل في العالم، ومع ذلك في السياسة ليس هناك شيء مطلق، بالإضافة إلى أن هناك اتصالات بينكم، جاءكم مسؤول المخابرات العراقية، وهناك اتصالات تجري، أنتم ما هو تقييمكم للوضع؟

قال محمدي: في الاجتماع السابق عندما رافقنا الدكتور حبيبي كانت وجهة نظركم أن يكون لنا اتصالات مع العراق من أجل طريقين:

الطريق الأول: الدعم الجدي للمعارضة.

الطريق الثاني: العمل والتعامل مع العراق بشكل مشترك.

نحن من خلال اتصالاتنا مع العراق لم نستنتج أن أسلوب التعامل مع العراق جدي وجاد، بل إنه يريد استغلال الفرص، ويريد أكثر من أي شيء آخر أن يلمح للآخرين، هو يهتم بهذا الجانب أكثر من مسألة العلاقة، وعلى هذا الأساس طرحت عليكم وجهة نظركم الخاصة بالموضوع، هل لديكم وجهة نظر منطقية بهذا الشأن؟ مع الأخذ بعين الاعتبار توجيهات السيد الرئيس حافظ الأسد في هذا الخصوص، حيث قال ما معناه إن علاقاتنا موجودة واتصالاتنا باقية على هذا الأساس، ما هو تقييمكم؟ هل نحسب الحساب استنادًا إلى هذا الأمر، لأن هذه الخطوة هي أساس العمل، إذا استطعنا أن نجد الحساب المناسب فممكن أن نباشر التفكير بالطريق الثالث؟

أجبته: كما قلت، تجاربنا مع القيادة الحالية هي تجارب مُرة ولا تدعو إلى الثقة، بالإضافة إلى أن هذه القيادة ليس لديها منطق ولا تتصرف وفق منطق العقل والمصلحة الوطنية، وبالتالي الطريق الثالث ليس الهدف منه إنقاذ القيادة العراقية الحالية بل إغلاق الأبواب أمام الآخرين، إذا نحن رأينا أن هذا الطريق يساعد في تحقيق أهدافنا ومصالحنا، يعني هناك حجم كبير، جبال من المشاكل بيننا وبين القيادة العراقية سواء في دمشق أو في إيران، لكن نحن نتحدث عن خيار سياسي تكتيكي لإغلاق المنافذ أمام الآخرين، وليس عن خيار استراتيجي يؤدي إلى إنقاذ القيادة العراقية الحالية.

طبعًا في إطار سياستنا سيستفيد النظام، مثلاً عندما طرح الملك حسين موضوع تقسيم العراق تصدينا لهذه الخطة وأفشلناها، طبعًا النظام استفاد من هذا الأمر، لكن نحن نأخذ خياراتنا في ضوء أهدافنا، خيارنا منع تقسيم العراق، نقف ضد التقسيم ونعطله، والذي سيستفيد من ذلك الشعب العراقي، وبالتأكيد النظام أيضًا سيستفيد، لذلك لا نمشي بخطة تقسيم العراق لأن النظام العراقي سيستفيد من مقاومة التقسيم؛ لأنه إذا ذهب العراق فقد يذهب النظام معه وقد يبقى، ولكن إذا بقي العراق سيأتي يوم يذهب فيه النظام، هناك أولويات، والأولوية هي الحفاظ على العراق كبلد موحد، وفي إطار عملنا في هذه الأولوية قد يستفيد خصوم لنا، وهذا الأمر قد يكون فيه ضرر تكتيكي، ولكن نعتقد أن هناك فوائد استراتيجية، ولهذا السبب ظهرنا وكأننا ندافع عن النظام في العراق، عندما وقفنا ضد الملك حسين ورفضنا استقبال حسين كامل وأدنّا محاولات تقسيم العراق.

عودة إلى شمال العراق، في المرحلة الأولى من القتال استطاع مسعود أن يسيطر على معظم الشمال، كيف تطورت الأمور واستعاد جلال المناطق التي خسرها؟

قال محمدي: العمل الذي قام به جلال في تلك الفترة كان يتجسد في تخليه عن إمكانياته وقواته، ولم يكن الدفاع استراتيجيته في النضال والتصدي لمسعود. وكان يعلم عدد قوات مسعود، وأنه لا يستطيع أن يغطي كل هذه المناطق، وبما أنه كان على علم بأن السليمانية من المناطق القومية بالنسبة إليهم لم يكن بإمكانهم أن يجندوا قوات أكثر ويغطوا هذه المنطقة التي لم تكن مأمونة ثم يواجهون الخطوة التالية وهي اعتقال الكثير من قواتهم في تلك المنطقة، وبمثل هذا التشتت لقوات البرزاني كانوا سيقعون بشكل عملي في كمين القوات المناوئة ولكن الطالباني لم يخسر قواته الأصلية وكادره ولا أمرائه ولا قواته الأساسية، حيث قام بإبعاد هذه القوات وعمل على استقرارها في المناطق الجبلية، في ساركو وماؤوت ومناطق

قلعة ديزة، مع الأخذ بالاعتبار أن أسر قواته كان قد أخرجها قبل العمليات بصورة لاجئين ومشردين، وبمثل هذه الخطوات قام بالعمل على تكريس قواته في مناطق خاصة مثل المناطق التي ذكرتها منذ قليل، وبعد ذلك استطاع أن يحتل مرتفعات كانت تطل على السليمانية، وفي ذلك الوقت كان مسعود موجودًا في المنطقة وتمت محاصرته، واضطر للذهاب إلى كركوك عن طريق توسط قام به النظام العراقي حيث استطاع الوصول إلى أربيل، وبما أن مسعود كان الآمر الأول في العمليات فقد شعر أن كافة قواته قد شُلت ودُحرت، المشكلة التي واجهت عمليات مسعود أنه عاد إلى الوراء وقام بالالتفاف على المنطقة ليعود إلى ما كان عليه، وهذا هو سبب الوهن في صفوف قواته، ثم إن مجموعة من أمراء جلال رأوا أن يقوم بإخراج أسر قواته من داخل المدن لكي لا يتواجهوا مع بعضهم بعضًا، ولكن جلال مع الأخذ بالاعتبار علاقاته مع الأميركان، فإن الولايات المتحدة قالت له نحن نأتي ونقصف. ثم بعد ذلك قال جلال لعائلات قواته ألا يخرجوا من المناطق، وبعد ذلك تدخل العراق، ورأينا ما حصل، حتى أننا رأينا أن زوجته بقيت في الداخل.

قلت: تدخّل شخصيًّا لإطلاق سراحهم.

قال محمدي: نعم.

قلت: حرب قبائل. نعود إلى الموضوع، هل جرى تقويم في إيران لما جرى من اتفاقيات في تركيا، وبالتالي ما هي نظرة إيران إلى هذه الاتفاقيات وكيفية التعامل معها؟

قال محمدي: نحن من وجهة نظرنا، هناك شكلان للتعامل مع هذا الأمر، إما أن نمسك بزمام الأمر بيدنا أو نتركه بيد بغداد، إذا بقيت زمام الأمور ببغداد فلا نعلم إذا كان بإمكانه أن يأخذ زمام الأمور أم لا، ولكن نحن نعتقد أنه بإمكاننا أن نأخذ بزمام الأمور بيدينا ونخرجها من أيدي الأميركان.

سألته: كيف؟

فقال محمدي: هل توافقون على هذا الرأي؟

قلت له: نحن نوافق على الصيغة التي تُخرج تركيا والولايات المتحدة والتدخل الخارجي، ولكن كيف يتم ذلك؟ من دواعي هذا اللقاء مناقشة الوضع، هل ترى إيران أن ما تم ينطوي على مخاطر أم لا؟ إذا كانت هناك مخاطر، كيف نمسك نحن بزمام المبادرة؟

قال محمدي: بالنسبة للأخطار المحدقة بهذا الأمر، هذه الأخطار مشتركة بيننا وبينكم،

بالنسبة للخيار الموجود لهذا الموضوع، نحن بصفتنا ـ إيران ـ بإمكاننا أن نأخذ بزمام الأمور ولكن يجب أن نواجه هذه الخطوة بالدعم اللازم، في الواقع نعتبر هذه الخطوة هي خطوة لدفع الخطر وليس لشيء آخر ولا سيما ما يتعلق بالبلاد العربية.

سألته: كيف؟ ما هي الأشياء التي يمكن القيام بها؟

قال محمدي: كالسابق، بإمكاننا أن نأتي بهم إلى طهران وتُجرى المناقشات.

سألته: تأتون بالأكراد؟

قال محمدي: نعم، وعمليًّا إذا أتينا بهم إلى طهران سينتهي الأمر.

قلت له: إذا انتهى الأمر بهذا الشكل يكون إنجازًا جيدًا.

قال محمدي: ولكن هذه الخطوة يجب أن تحظى بالدعم، والأجواء العامة يجب أن تتقبلها وتدعمها.

فقلت: بحكم معرفتنا بعلاقة جلال مع الأميركان، هل يمشي جلال مع هذا التوجه؟

قال محمدي: برأينا نعم.

فسألته: إذن أين المشكلة؟

قال محمدي: إذا خطونا الخطوات اللازمة في هذا المجال، قد تشعر البلدان العربية أن إيران تقوم بأخذ زمام المبادرة في داخل العراق، وهذا سيسبب أنماطًا من القلق لهم، يجب أن نُزيل مثل هذا القلق لديهم.

فقلت له: ليكن هذا الموضوع على جدول أعمال الهيئة العليا لمناقشته من جوانبه المختلفة، لا شك أن الأسوأ هو استمرار النفوذ التركي طبعًا، وباعتبار أن هذا النفوذ مدعوم من الأميركان فمن المؤكد أن الأميركان سيمارسون الضغوط على بعض الدول العربية إذا لجأنا إلى خيار المبادرة التي أشار إليها السيد محمدي، هذا واضح، ولذلك الأمر يحتاج إلى مناقشة معمقة وهادئة، التحالف الذي أشير إليه منذ أشهر بين تركيا وإسرائيل والأردن ثم القرار الأميركي بمعاملة الأردن معاملة دول الحلف الأطلسي هي مسائل تحتاج إلى كثير من الدراسة، ومع ذلك، إذا أردنا أن نعمل فهناك الكثير من الأوراق بين يدينا، نحن نخوض صراعًا كبيرًا في المنطقة، هذه زاوية من زوايا هذا الصراع وكل الأمور مترابطة مع بعضها البعض.

سأل محمدي: ما هي وجهة نظركم حول هذا الخيار؟

فأجبته: بالنسبة لخيار أن نأخذ المبادرة؟

قال محمدي: الخيار الذي يتجسد ـ كما عملنا في السابق ـ بأن يعقدوا اجتماعات داخل إيران؟

فقلت: ليس لدينا اعتراض على هذا الخيار، نحن هدفنا إخراج تركيا، لكن السيد محمدي أشار إلى نقطة لفتت نظري، وهي المتعلقة بردود الفعل لدى الدول العربية حول ما يمكن أن يزعجها من تدخل إيران في الشؤون العراقية، وكيف نتعامل مع هذا الأمر، لأن ما نراه من المخاطر التركية المستقبلية قد لا يراه الآخرون، لذلك نناقش كل الخيارات ونضع الإيجابيات والسلبيات، ونختار خيار أقل السلبيات وكثير من الإيجابيات، لكن بالنسبة لسورية، بالتأكيد أي دور تقوم به إيران نشجعه؛ لأنه كما أشرنا نحن متفقون في الأهداف الأساسية حول العراق ووحدته ومستقبل المنطقة.

سأل محمدي: فيما يتعلق بالبلاد العربية مثل السعودية ومصر، هل أظهروا حساسيات، خاصة إلى الآن بشأن التدخل التركي؟

فقلت: مصر أظهرت في وسائل الإعلام، السعودية لم تظهر شيئًا.

سأل محمدي: نائب الأمير عبد الله التويجري عندما جاء إلى سورية، هل أظهر حساسية؟

فقلت له: لم يناقش هذا الموضوع.

قال محمدي: أقل شيء يمكن عمله هو إثارة مثل هذه الحساسيات، ليس في إطار وسائل الإعلام، بل لدى المسؤولين والأوساط السياسية، وأنتم كبلد عربي، هل تعتقدون أنه سيكون هناك تحرك في هذا المجال؟

فقلت له: سورية لها منظار خاص، تنظر للأمور وفق مفاهيمها ومعتقداتها وسياساتها، وبالتالي سورية متحررة من أي ضغط خارجي حول أي موقف ترى أن فيه مصلحة، وكلنا يعلم أن هناك دولاً عربية أخرى قد تمارَس عليها الضغوط الأميركية وقد تخضع لهذه الضغوط. الأمر مرتبط بردود الفعل الأميركية بالنسبة إلى كثير من الدول العربية. ليس تركيا بل الأميركان. هل طرح رئيس المخابرات العسكرية العراقية أشياءً محددة خلال زيارته؟

قال محمدي: انصب الحديث بيننا حول كيفية معالجة المشاكل القائمة حاليًا بيننا، رأي العراق هو ألا تحل المشاكل من خلال تبادل الزيارات وتبادل العلاقات.

فسألته مازحًا: من خلال ماذا إذن؟

قال محمدي: رأي العراق أن يتم تبادل الزيارات لمجرد هذه الخطوة فقط، لمجرد كون الزيارة قائمة، ولذلك هم يتابعون قضية توجيه الدعوة إلى الدكتور ولايتي لزيارتهم، وأخيرًا طرحوا دعوة الدكتور حبيبي لزيارة العراق، وقلنا لهم إذا كنتم تريدون ذلك فيجب أن نتدارس برنامج العمل ونخطو بعد ذلك الخطوة اللاحقة.

سابقًا كانوا يوفِدون نائب وزير الخارجية وكان يتابع هذه الأمور، وبطبيعة الحال كانت هناك زيارات من قِبلنا إلى العراق ولكن لم يتوصل الطرفان إلى شيء، وفي إحدى اجتماعات الجهات الأمنية قالت إن الأمور بين أيدينا والرئيس يعتمد علينا، الجهات الأمنية العراقية قالت حولوا الأمر إلينا ونحن نحل هذه المشكلة، وفي ضوء هذا الحديث تقرر أن يأتوا إلى إيران ويتناقشوا بالموضوع، وأتوا ولكن استنتاجنا من خلال الزيارة أنه لم يحصل شيء، ذلك لأنهم لم يتطرقوا إلى المسائل الأساسية مثل قضية الأسرى وسائر القضايا العالقة والموجودة. لم يكونوا على استعداد للتعاون معنا بل يريدون أن يُظهروا أن الوضع عادي وقائم بين البلدين، ولم نشهد من خلال الزيارة أي تطور خاص ومُلفت.

طبعًا صَدَّام حسين خلال رسالته إلى الرئيس رفسنجاني، في ضوء الرسالة الشفهية التي حملتها إليه الجهات الأمنية وجه رسالة إلى الرئيس رفسنجاني، قال وخاطب إيران بقوله إذا أرسلتم وفدًا عالي المستوى فسوف نتابع الأمر ونحل المشاكل؛ ولذلك قاموا مؤخرًا بدعوة الدكتور حبيبي لزيارة بغداد.

فقلت (مازحًا): سيخطفون الدكتور حبيبي. على كل حال نحن سنناقش الاقتراح الذي طرحه الأخ محمدي وكيفية التعامل معه قريبًا ويكون من الخيارات التي سنناقشها في اجتماعات الهيئة العليا.

قال محمدي: نحن خلال هذه الفترة سنلاحق قضية إعداد وتوفير المقدمات اللازمة والتمهيد لاستقطاب الأكراد نحو إيران بدلاً من أن ينجروا نحو تركيا، وسوف نتخذ الإجراءات اللازمة لكي لا يستمروا بالخطوات التي أخذوها حتى الآن.

فقلت له: جيد، مسعود بحاجة إلى رعاية لأنه على ما يبدو في الفترة الأخيرة كانت الأجواء بينه وبينكم ليست كالسابق.

قال محمدي: قبل أن أقوم بزيارتي هذه كان هناك لي لقاء مع موفد البرزاني، التقيتهم يوم

السبت والأحد، وبرأينا هذه القضايا ليست ذات أهمية ولا تمثل سوى أنماط سوء تفاهم تثار بين العشائر ويمكن إزالتها.

فقلت: جيد.

قال: والتفاهم الذي حصل كان إيجابيًا.

فقال علي دوبا: كان ذلك يوم السبت الماضي.

قال محمدي: نعم، ونحن سنقوم بهذه الخطوة وليس هناك مشكلة بهذا الخصوص، وأنتم بدوركم أي نوع من الدعم والمساندة سيكون أمرًا جيدًا بالنسبة لنا؛ لأنه إذا كانوا بأيدينا ذلك أفضل من أن يكونوا بأيدي غيرنا.

فقلت: أمر طبيعي.

وقال محمدي: ويجب أن لا نُبعدهم عن أيدينا وأعيننا لأنكم تعلمون أن عددًا من عناصر «C I A» كانوا يتجولون في المناطق التي يشرف عليها البرزاني، وكانت تشكيلاتهم في منطقة صلاح الدين، وكان لهم تعاون أمني كبير في المناطق الخاضعة لعناصر «C I A»، ثم إن هناك طوافة أميركية كانت قد أُسقطت بعد أن حصل لقاء بين طاقمها وجماعة البرزاني من قِبل طائرة أميركية أخرى.

قال علي دوبا: حسبتها طائرة مراقبة خرقت الحظر.

قلت: الطرفان ليس لديهما مانع من التعامل مع أي جهة أجنبية، هناك أمران يجب أن نراهما جيدًا:

أولاً: يجب إبعادهما عن النفوذ الأجنبي.

ثانيًا: عدم ترك الفرصة لقيام كيان كردي مستقل، قيام كيان كردي مستقل يعني تفكيك العراق.

قال محمدي: نشاطركم الأمر كما تقولونه.

فقلت: ماذا هناك من أمر يمكن مناقشته؟

قال محمدي: نحن مسرورون لأن العلاقات الاقتصادية بين البلدين تسير بسرعة نحو الأفضل.

فقلت: تسير بشكل جيد وزيارة رئيس الوزراء كانت ناجحة.

قال محمدي: على أي حال نحن برأينا إذا لم نقم بالتعاون فيما بيننا قد نواجه في المنطقة مستقبلاً مشابهًا للكوريتين والألمانيتين؛ وبالتالي فإن البلد الذي يبقى في مؤخرة الركب قد يخسر في التطورات المستقبلية فيما بعد.

الملاحظة المهمة والملفتة للنظر هي إمكانيات التعامل بين البلدين بشكل موفق وناجح، وكل بلد بإمكاناته يُكمل البلد الآخر، ولكن المشكلة الموجودة في البلدين أنهما لم يتعاونا على مر السنين لفترة طويلة، ولذلك نرى أن التاجر والصناعي الموجود في بلدكم يرى الطريق مفتوحًا أكثر للتعامل مع أوربّا، وكذلك الأمر بالنسبة للصناعي الإيراني، والمشكلة التي نواجهها هي أن نعرّف هؤلاء على بعضهم بعضًا، وبرأيي أن الاتفاقيات بين البلدين كانت جيدة جدًّا ولكن ملاحقتها لم تكن بالشكل المطلوب، فإذا لم تكن هناك ملاحقة ومتابعة فلن تحظى بالسرعة المطلوبة.

قلت له: الاتفاقيات التي تمت مهمة جدًّا، وأيضًا هناك متابعات جدية من الطرفين، ولكن المهم أن تنطلق العربة، لا شك أن إمكانيات التعاون بين البلدين كبيرة جدًّا وستصبح أفضل في المستقبل. في حال انضمام العراق يصبح الطريق البري من إيران إلى دمشق أسهل من طريق السويس، طريق الحرير الذي دشّن باتجاه الشرق يمكن أن يوجه باتجاه الغرب.

قال محمدي: نأمل أن تتطور هذه الأرضيات أكثر فأكثر.

قلت: لا بد من الطموح والأمل.

قال محمدي: هل هناك برنامج محدد لزيارة وفد سوري إلى إيران؟

قلت: غدًا أو بعد غد نخبر السيد السفير بموعد الزيارة. أنا سعيد باستقبال الأخ محمدي وسعيد بالمناقشات.. وكانت مفيدة.

فقال محمدي: نحن أيضًا مسرورون لهذا اللقاء، وآمل أن نُوضح مصير الاجتماعات السابقة التي كانت مع القوميين والإسلاميين.

فقلت (ضاحكًا): هذه تناقشها مع العماد علي، على اعتبار أنني فقدت الأمل بالإسلاميين والقوميين.

* * *

وفي الجلسة الثانية للهيئة العليا المشتركة بين البلدين التي انعقدت في طهران بتاريخ ١٣/١/١٩٩٧ كان العراق موضوعًا رئيسيًّا على جدول الأعمال وقد حاولت جس نبض

القيادة الإيرانية حول انفتاح محدود بعلاقاتنا مع العراق؛ فقلت: أما فيما يتعلق بموضوع العراق كنا في الماضي ناقشنا هذا الموضوع وتوصلنا إلى استنتاج مشترك للحيلولة دون وجود نظام يخدم أميركا وإسرائيل، وكلانا يريد تغيير النظام بنظام صديق، وبعد سنوات عدة تبين لنا عجز المعارضة العراقية عن تحقيق تغيير في العراق بسبب ارتباط بعض أطراف هذه المعارضة بقوى أجنبية وعدم الثقة بالبعض منها وكذلك عجزها، وأي تغيير خارج مؤسسة الجيش من المتعذر تحقيقه. تجاربنا سواء في دمشق أو طهران مع النظام العراقي مريرة، أحيانًا يحاول القيام بمناورات غبية بهدف التقرب من أميركا، وبرأينا هو يشكل احتياطيًّا للأميركان لتحريكه إما شرقًا ضد إيران أو غربًا ضد سورية بهدف الضغط على هذين البلدين، لكنه مُقلم الأظافر. الآن وعندما يريدون استخدامه يمكن نفخه وإعادة الحياة إليه، والسؤال المطروح على الرغم من هذه الظروف: هل بالإمكان استخدام هذا النظام بما يخدم أهداف بلدينا؟ نحب أن نعرف وجهة نظر إخواننا في طهران؟

سأل الدكتور حبيبي: هل المقصود النظام الحالي في العراق؟

قلت: نعم، نتحدث عن النظام الحالي.

قال الدكتور حبيبي: إننا لا ندري مدى حجم المشاكل الموجودة لكم مع النظام العراقي وتعقيداتها، ولكن بالنسبة إلينا منذ قبولنا وقف إطلاق النار فإننا أجرينا مباحثات مع النظام، الدكتور ولايتي زار العراق، وكذلك جاء مسؤولون عراقيون إلى طهران، ولكن مع الأسف لم نر أي دلائل إيجابية من هذا النظام، وكذلك لم تتحقق الثقة بهذا النظام التي تساعدنا على الأقل في تحقيق تقدم يتعلق بمخلفات الحرب وقضية الأسرى وغيرها، وقد رأى العراقيون بأم أعينهم مدى تأثير بحث موضوع أسرى الحرب والتفتيش عن رفات القتلى في نفوس أبناء شعبنا، ولكن لم يتعاونوا في موضوع الأسرى، وعندما جاء عزت إبراهيم إلى طهران سلمناه قائمة بأسماء وعدد الأسرى الإيرانيين الموجودين في العراق، وقد وعد بالرد على ذلك، ولكن حتى هذا التاريخ لم ينفذوا شيئًا مما وعدوا به ولم يكونوا صادقين في الكثير من وعودهم التي التزموا بها تجاهنا، وفي نفس الوقت نحاول المحافظة على العلاقة المحدودة الموجودة حاليًا، وكذلك نسعى لاستمرار دعمنا الإنساني للشعب العراقي من حيث إرسال المساعدات الغذائية، ونحن نحاول أن نحل مشاكلنا مع النظام العراقي.

قلت له: أنا أوافق على وجهة نظر الدكتور حبيبي من حيث عدم الثقة بالنظام العراقي، وبممارساته فيها الكثير من أعمال الجنون، ولا يوجد وجوه مشتركة معهم، ولكن لا بد من

اختراق العراق من أجل خدمة أهدافنا القريبة والبعيدة، هم من فترة أرسلوا جماعة جورج حبش للوساطة بيننا وبينهم، وقد طلب جورج حبش الاجتماع معي ومع الأخ فاروق ولكن هذا الاجتماع لم نوافق عليه.

ثم جاءتنا بعض الأحزاب الإسلامية والقومية العربية وطلبت منا القبول بالتواصل مع النظام في محاولة للتخفيف عن معاناة الشعب العراقي بما في ذلك فتح الحدود مع العراق، لكن لم نعطِ جوابًا وإنما استبقينا الأمر في إطار عام، ولذلك نريد معرفة رأي إخواننا، هل إن التواصل مع النظام مفيد؟ علمًا بأنه بمناسبة عيد الجيش هاجَمَنا وهاجم إيران ووضعنا في خانة إسرائيل، المعارضة العراقية والإسلامية والعربية والكردية تطلب إمكانية فتح حدودنا مع العراق، بشأن تخفيف المعاناة عن الشعب العراقي، وفي الحقيقة نحن مترددون باتخاذ مثل هذه الخطوة.

أولاً: بسبب عدم ثقتنا بالنظام.

ثانيًا: لكي لا تكون لهذه الخطوة مضاعفات سلبية على الوضع العربي من جهة، وعلى الوضع العراقي الداخلي من جهة ثانية.

وفي الوقت نفسه هنالك وجهة نظر أخرى بأن فتح الحدود يتيح فرصة للتخفيف من معاناة الشعب العراقي ومن أثر التعبئة المضادة للشعب والجيش التي يقوم بها النظام في سورية.

قال حبيبي: فيما يتعلق بالمساعدات الإنسانية للشعب العراقي فإن حدودنا منذ السابق كانت مفتوحة للتخفيف من معاناة الشعب العراقي، وتم الاتصال بشأن إمكانية إعطاء التسهيلات أمام الشعب الإيراني للقيام بزيارة العتبات المقدسة، ولكن هذا يعتمد على مدى تجاوب النظام العراقي معنا في هذا الاتجاه حيث كان تجاوبه بطيئًا.

وفي نفس الوقت، إضافة إلى هذا الطريق، يجب أن يكون لنا في نهاية الأمر نشاط بين المعارضة العراقية، بحيث نعرف إلى أي مدى نسّقوا فيما بينهم، ومن المستحسن أن تجتمع المعارضة وتُنسّق فيما بينها لنرى إلى أي مدى يمكن لهذه المعارضة أن تنشط وتقوم بالعمل اللازم ضد النظام.

فقلت: بالنسبة للحدود السورية لا يستطيع الطيران أن يمر عبرها، وحتى بالنسبة للمعارضة الكردية فإنها تمر عبر دجلة وضمن مراقبة دقيقة، بالنسبة للمعارضة ليس لها

إمكانية للعمل الداخلي، هناك معارضون موجودون في الخارج سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين فهؤلاء مقطوعو الصلة مع الداخل، حتى بالنسبة إلى العسكريين الذين هربوا إلى خارج العراق فإنه لو افترضنا أن لهم صلات في الجيش فإنهم فقدوا هذه الصلات، وكذلك بالنسبة إلى القطاعات المدنية نعتقد أنه ليس لديهم علاقات تُمكِّنهم من إحداث تغيير في النظام فضلاً عن فقدان الثقة في بعض رموز المعارضة؛ حيث أُعدم عدد من ضباط الجيش العراقي نتيجة اختراق بعض تشكيلات المعارضة، أي فئة لا تجرؤ على الكشف عن بعض التشكيلات المعارضة في داخل الجيش خوفًا من اختراق هذه المعارضة والإفشاء بأسماء هؤلاء وتعريضهم للعقاب الشديد، هناك عدد من القياديين العسكريين والمدنيين قد خسرناهم بسبب تعرضهم للكشف، أكثر مجموعات المعارضة مخترقة من قِبل النظام ومع ذلك لا مانع لدينا من قيام لقاء على نطاق محدود بين بعض قيادات المعارضة، حيث إن اجتماعهم بشكل موسع على شكل مؤتمر قد يهيئ الأجواء لوجود خلافات فيما بينهم، وقد تساعد وتخدم النظام العراقي.

فقال محمدي: السنة الماضية عندما زرت سورية برفقة الدكتور حبيبي تم التوصل إلى إمكانية جمع المعارضة وإمكانية التحرك ضد النظام العراقي، الذي لا ينفع معه سوى العنف، ولكن يمكن بنفس الوقت الدخول مع النظام بعملية حوار، لنفترض أن الجانب السوري فتح الحدود مع العراق، هذا يتطلب فترة زمنية، عندما فتحنا حدودنا مع العراق، كانت النتيجة سلبية حيث فسرها النظام أن فتح الحدود كان ضعفًا منا، ولذلك ما الفائدة من فتح الحدود السورية مع العراق؟

النقطة الثانية: تتعلق بتوجيه المعارضة العراقية تجاه العراق وفتح الحوار مع النظام العراقي.

إذا كان النظام يحاول خلق خلل أمني في سورية يمكن من هذا الجانب الاستفادة من حوار المعارضة مع النظام، ونحن نمشي مع النظام من منطلق القوة وننشط مع المعارضة بما يساعدها.

قلت: إن فتح الحوار بين المعارضة والنظام العراقي مستحيل، حيث يوجد دم غزير بين الطرفين وليس لنا ثقة سواء في طهران أو في دمشق بالنظام العراقي، ولكن وضع الشعب العراقي في حالة سيئة ويائس، والخوف أن يتحول هذا اليأس إلى تعلق الأمل بالأميركيين والملك حسين لإنقاذهم من هذا اليأس الذي يعيشونه، على فرض أن سورية وإيران أقامتا علاقات حسنة مع النظام في العراق، لا أحد يضمن أن النظام العراقي لا يغدر بسورية

وإيران، هل فتح الحدود مع العراق يساعد الشعب العراقي على التخلص من مشاكله المزمنة والمستعصية؟ هذا هو السؤال.

قال الدكتور حبيبي: ربما علمتم وجهة النظر، حيث قلت إن من جملة الاتصالات التي أجريناها مع الجانب العراقي - أنا قلت - أن النظام العراقي لا يمكن الوثوق به، ونحن نشاطركم الرأي ونعتقد مثلكم أنه يجب على المعارضة العراقية عدم فتح حوار مع النظام العراقي، ومن جراء حديثنا الوصول إلى النقطة الأخيرة أن نجد - لحدٍّ ما - صيغة للتعامل مع النظام العراقي على الرغم من عدم جدوى هذه العلاقة، وإذا كان النظام العراقي غير مستعد لإمكانية وجود مثل هذه العلاقة فإنه يجب ألاّ يتحقق إطلاقًا، وإن الشيء المتعلق بالحدود فيما بيننا وبينكم من جهة العراق من جهة أخرى، نحن حدودنا طويلة وبالنسبة لحدودكم كما أشرتم سيطرتم عليها جيدًا وربما أن الجانب العراقي ليس مستعدًا لاستقبال هذه الخطوة لفتح الحدود، كما واجهنا نحن مثل هذه الصعوبات مثل عدم استعداد النظام العراقي لمثل هذه الخطوة، ولذلك يجب أن تطرحوا هذه المسألة أولاً مع النظام العراقي، لتعرفوا مدى استعداده لتقبل مثل هذه الخطوة، يجب أن ننفتح على المعارضة العراقية لنرى مدى فاعلية هذه المعارضة ومدى تمكنها من ممارسة ضغوط على النظام العراقي.

فقلت: إما أن نفتح الحدود من جانبنا ونفترض أن حكومة بغداد رفضت فإنها ستتحمل النتائج أمام الشعب العراقي وضغط هذا الشعب الراغب في تحقيق هذه الخطوة، وإما أن تقبل الحكومة العراقية وعندئذٍ فإنه ستجري مفاوضات حول كيفية فتح الحدود، وهنا يمكن الحديث مع الجانب العراقي عن الأمور التي أشار إليها الدكتور حبيبي حول مدى جدية الحكومة العراقية في تنفيذ التزاماتها، وإما أن نقبل الوساطة فيما بيننا وبين العراق، ونُجري مباحثات حول فتح الحدود، بين مسؤولي البلدين. من الصعب الحسم أن هذه الخطوة تتضمن كل الإيجابيات وكل السلبيات، لا توجد مشكلة بالنسبة إلى المعارضة، ولكن أي معارضة؟! معارضة الشلبي، إياد علاوي... وآخرين، يجب الاعتراف بأن المشكلة الكردية لعبت دورًا رئيسيًا في إضعاف دور المعارضة العراقية.

قال الدكتور حبيبي: قبل أن يتفضل السيد الشرع بالإدلاء بحديثه فإننا كما قال السيد محمدي يمكن السماح للمعارضة والذين سبق لهم أن اجتمعوا في دمشق بالاجتماع، ولكن يمكن إفهامهم أن اتصالاتنا مع النظام كانت صفرًا وإذا أردنا عملاً جديدًا يجب أن نعرف مدى النتائج التي تترتب عليه، ومع الأسف في هذه الظروف لا فائدة من الاتصال مع النظام العراقي.

وفي اللقاء مع الرئيس رفسنجاني يوم الاثنين في ١٣/ ١/ ١٩٩٧ جرى عرض للمواضيع التي تناولتها الهيئة العليا في اجتماعيها، ومنها موضوع العراق:

قلت للسيد رفسنجاني: ناقشنا الوضع في العراق وتوصلنا إلى أن هذا النظام لا يمكن الوثوق به، ولكن طرحنا السؤال التالي: هل يمكن الاستفادة من الوضع الحالي في العراق؟ إذا استنتجنا أنه يمكن الاستفادة من هذه الورقة يمكن مناقشة ذلك، وفي حال استنتجنا أنه لا فائدة نناقش ما العمل؟ تأتينا منظمات إسلامية وقومية وكردية وتطالبنا بالعمل على تخفيف معاناة الشعب العراقي وتطلب منا فتح الحدود مع العراق.

قال رفسنجاني: بالضبط ما هي هذه الجهات التي تطلب منكم فتح الحدود؟

قلت له: عدا أطراف المعارضة العراقية.. الجبهة الإسلامية في الأردن، والجماعات الإسلامية في مصر، وكذلك الناصريون والمنظمات الفلسطينية، بالإضافة إلى أن المعارضة العراقية تريد الاتصال بالعراق عبر سورية وليس عبر الأردن.

سأل رفسنجاني: هل طلبت دول منكم؟

فقلت: السودان واليمن والجزائر جميعها جرى حديث معها وهي ليست مع محاصرة العراق، ناقشنا هذا الموضوع مع ولي عهد السعودية الأمير عبد الله، وكذلك مع ولي عهد الكويت، وفي رأيهما الموافقة على فتح الحدود على ألا يكون هناك تعاون سياسي مع النظام، وطالما كان فتح الحدود كما هو مع الأرمن وتركيا فليست هناك مشكلة، كذلك الحكومة اللبنانية تطلب فتح الحدود لتسهيل انتقال البضائع اللبنانية. لم نأخذ توجهًا بشأن هذا الموضوع لأن تجاربنا مع النظام لم توفر حدودًا للثقة، ولكن يبقى هذا الأمر مطروحًا من الناحية السياسية، ويجب ألا يشعر الأميركان أن من المستحيل إقامة علاقات مع العراق.

وفي تعليقه على المواضيع التي تناولناها في الاجتماعات والتي لخصت نتائج المناقشات أمام الرئيس الإيراني قال رفسنجاني فيما يتعلق بالعراق:

في هذا الإطار عندما نتكلم عن العراق يجب أن نحافظ على الاجتماعات القديمة السورية ـ الإيرانية ـ التركية حول العراق، إن مسألة العراق، بالنظر إلى ظروف إسرائيل وظروفنا في المنطقة والظروف السيئة التي تواجهها دول مجلس التعاون الخليجي، مسألة مهمة بالنسبة إلينا حتى لا يتحول العراق إلى موقع يشكل خطرًا علينا، إذا أرادت أميركا الضغط على سورية فيمكن أن يرى صدام إمكانية نجاحه عبر هذه الحالة فيتعاون مع أميركا لإضعاف سورية وإيران.

فقلت له: هل هناك إمكانية لإبعاده حتى لا يكون تلك الأداة؟

فقال رفسنجاني: نعم، وعدا وزيرا الخارجية أن يعملا كي يَحولا دون حدوث هذا الأمر. أنا واعٍ لهذه النقطة ولا بد من دراسة لوضع تصور لذلك.

وفي الثامن عشر من حزيران ١٩٩٧ توجهت إلى طهران يرافقني وزير الخارجية لوضع القيادة الإيرانية بصورة توجهنا لفتح الحدود مع العراق لغايات تجارية بعد الاتصالات التي أجراها اتحاد غرف التجارة السوري مع نظيره العراقي.

وفي الساعة السادسة والنصف من مساء ذلك اليوم ١٨/ ٦/ ١٩٩٧ استقبلني الرئيس رفسنجاني بعد لقاء أجريناه مع نائبه الدكتور حسن حبيبي ووزير خارجيته الدكتور علي ولايتي، وقد حضر اللقاء السيد فاروق الشرع وزير الخارجية، والدكتور حسن حبيبي نائب الرئيس الإيراني، والدكتور علي أكبر ولايتي وزير الخارجية وجرى الحديث التالي:

قلت للرئيس رفسنجاني: أولاً شكرًا على الاستقبال والسيد الرئيس يسلم عليكم كثيرًا وهو مشتاق لكم، وفي الواقع كان يريد أن تتحقق الزيارة في ظل رئاستكم لكن ظروف المنطقة والتعقيدات والاحتمالات المفتوحة أرجأتها، لكن الزيارة ستتم وستتاح فرصة اللقاء معكم، والاتصالات ستستمر معكم لأن لكم دورًا كبيرًا في العلاقات بين سورية وإيران، وعندما يجري الحديث عن العلاقات بين البلدين لا بد من ذكر الرئيس رفسنجاني سواء في ظل رئاسته للجمهورية أو في ظل موقعه القيادي.

قال رفسنجاني: أشكر سيادة الرئيس على ما تفضل به وأتمنى أن تكون صحته جيدة بعد العملية. ونتمنى أن تكون الأمور في سورية على ما يرام، وآمل أن نلتقي. نحن في إيران كلنا يعرف الدور الذي تقوم به سورية والظروف التي تعيشها في الشرق الأوسط، ودور الرئيس حافظ الأسد واضح بين البلدان العربية وحتى البلدان الإسلامية، نحن لا نعرف صديقًا مسايرًا لنا مثل الرئيس حافظ الأسد.

فقلت له: هذا أمر طبيعي، نحن وإيران هناك قضايا جوهرية متفقون عليها منذ قيام الثورة الإسلامية، بالإضافة إلى أن البلدين فعلاً مستهدفان سواء من قِبل الصهيونية أو من قِبل الولايات المتحدة الأميركية، وكل ما يجري في المنطقة يدور بالأساس لإرباك كل من إيران وسورية، قد تكون هناك بعض الأمور لها أهداف قريبة، لكن الأهداف القريبة والبعيدة في النهاية تستهدف البلدين.

الرئيس كلفنا أن نأتي إلى طهران ونقابلكم من أجل عدد من القضايا لعرضها عليكم ومعرفة وجهة نظركم، كان من المفترض أن نأتي قبل ذلك إلا أن الانتخابات الرئاسية عندكم أخرت ذلك.

الموضوع الأول: يتعلق بالعراق، تعرفون في كل اللقاءات بيننا وبينكم يكون العراق مادة أساسية في النقاش، وفي إسلام آباد عندما استقبلتني أشرت إلى احتمال القيام بإجراء لكن ذلك تأخر لأننا كنا مترددين في الموضوع، وبعد التحالف التركي ـ الإسرائيلي الذي نعتبره من أخطر الاتفاقات التي شهدتها المنطقة لأنه عبارة عن شراكة لاقتسام المنطقة، هذا الموضوع يستهدفنا مباشرة. ثم جاء الاجتياح التركي لشمال العراق، بمناقشة الموضوع عندما اتخذ السيد الرئيس قرارًا بفتح الحدود للتجارة بين البلدين، حقيقة الأمر لا علاقة له بالمصالح التجارية، لكن بعد تحليلنا للوضع رأينا أن من أهداف الخطة الأمريكية إلحاق العراق بتركيا عبر الاقتصاد، القسم الأكبر من تجارة العراق يمر عبر تركيا ومع تركيا، النفط عبر تركيا، هناك اتفاق لمد أنبوب غاز أيضًا بالإضافة إلى مطامع تركيا في العراق كما هو معروف، هذا الوضع تطلب أن نأخذ مثل هذه الخطوة لكي تكون رسالة للأتراك حتى يدركوا أن الأمر يعنينا، لا سيما أنهم اتهموا سورية وإيران بإعطاء الأسلحة للأكراد.

أخذنا الإجراء، ولم يجر أي لقاء بين مسؤولين سياسيين. سمحنا لوفد غرفة التجارة في سورية بإجراء اتصال بغرفة التجارة في العراق لأن رئيس غرفة التجارة في سورية التقى مع رئيس غرفة التجارة العراقية في القاهرة، ورأينا أن يكون هذا هو المدخل، طبعًا نحن سنحاول أن تُنقل كل تجارة العراق عبر سورية ترانزيت وغير ترانزيت، هذا الآن يشكل خطوة ضاغطة على تركيا من جهة، ويشكل خطوة ضاغطة على الأردن من جهة ثانية، الأردن وتركيا يعملان معًا تحت مظلة أمريكية ـ إسرائيلية.

أراد السيد الرئيس أن يضعكم بالصورة وإذا تطورت الأوضاع في المنطقة واقتضى الأمر البحث عن إجراءات أو خطوات جديدة هذا الأمر يجري النقاش فيه بين سورية وإيران، ولن تكون هناك خطوة ذات مغزى سياسي إلا بالاتفاق بين طهران ودمشق، هذا هو الموضوع الأول.

فقال رفسنجاني: إذن دعونا نتحدث عن هذا الموضوع أولاً وبعدها ننتقل للموضوع الثاني، في هذا الموضوع أذكر أنكم ذكرتم لي هذا الأمر في إسلام آباد، نحن لم نخالفكم نحن موافقون على هذا.

نحن خلال هذه المدة كانت لدينا تجارة مع العراق في المناطق الجنوبية والشمالية، طبعًا هناك ملاحظة.. مجلس الأمن الدولي سوف يرى أن هذه المبادلات - إذا أصبحت رسمية وعلنية - فإنها تتعارض مع قرارات مجلس الأمن وسوف يخالفها.

على أي حال فلن يسمحوا بمستوى التبادل التجاري، لكن في مجالات الأدوية والأغذية فهذا مسموح.

كانت لدينا مشكلة في هذا الصدد عندما كانت تتم المبادلات التجارية مع العراقيين إذ كانوا يفشون ذلك، وهذا سبّب لنا ضغطًا من مجلس الأمن الدولي، والأمر يعود لكم أن تحلوا المشكلة مع مجلس الأمن.

قال الشرع: المبادلات التجارية، هناك فرق.

فقلت: المبادلات التجارية في إطار قرارات مجلس الأمن.

قال رفسنجاني: يعود لكم مناقشتها في ضوء قرارات مجلس الأمن الدولي.

فقلت: فتح الحدود هذا قرار دولة، سورية، أصلاً الحدود أغلقتها مع العراق ليس من أجل الحرب وإنما لأسباب أخرى بيننا وبين العراق.

قال رفسنجاني: لا أقصد فتح الحدود بل التجارة.

قلت: في إطار قرارات مجلس الأمن.

قال: وجهة نظركم أن تخففوا من حجم العلاقات التركية ـ العراقية هذه جيدة إن استطعتم، لا شك أن الأميركان لن يسمحوا أن يكون هذا العمل على مستوى انتقال النفط من تركيا إلى سورية، ذلك لأن الحجم الذي يباع من النفط يتم تحت إشراف الولايات المتحدة ومجلس الأمن الدولي.

فقلت له: في هذه المرحلة، نحن لا نتحدث عن النفط، أنبوب النفط الذي يأتي من العراق ويمر إلى سورية تستخدمه سورية، نحن نتحدث عن المستقبل في إطار إنشاء أنابيب جديدة.

قال رفسنجاني: على أي حال نحن موافقون على أي قدر تحققونه لتخفيف حجم الارتباط مع تركيا، نحن موافقون.

بالنسبة لهذا الموضوع أيضًا الأتراك تحسسوا من الأمر وهم سألوني ماذا يعني العمل الذي

أقدم عليه السوريون؟ أنا قلت لهم عندما كنا في إسلام آباد أعلَمونا منذ فترة بأنهم كانوا يفكرون بالأمر، وأبلغناهم بموافقتنا على فتح الحدود وأن يكون هناك نوع من الارتباط، هذا وارد في خاطرهم وكانوا يريدون تصوير الأمر لنا أن إقدام سورية على هذه الخطوة جاء بسبب الاختلاف بينهم وبيننا، قلت لهم: لا، الأمر ليس هكذا، من جانبنا صباح الغد سوف يذهب وزير الصحة الإيراني إلى بغداد ليُسلم الدعوة للرئيس صَدَّام حسين لحضور مؤتمر القمة الإسلامي في طهران، قلنا له إذا تطرقوا بالحديث قل لهم إن قضية الأسرى هي التي تمنع الاستمرار والتقدم، قلت للوزير أن يتطرق إلى هذا الموضوع أيضًا.

هذه النقطة التي أشرتم إليها على أن تقدم العمل مع العراق سوف يكون بتنسيق مسبق، هذا أمر جيد، هذه اللقاءات الدورية بيننا وبينكم تحدد مدى التقدم وإلى أي مستوى سيكون.

* * *

واستمرت الاتصالات بين دمشق وطهران لتنسيق المواقف. وبتاريخ ٢٥/ ٤/ ١٩٩٨ توجهت إلى طهران يرافقني وزير الخارجية، وكانت الرحلة الأولى بعد انتخاب الرئيس محمد خاتمي.

وفي اللقاء مع نائب الرئيس الدكتور حسن حبيبي، تعرضنا لجميع القضايا الإقليمية والدولية لا سيما لبنان وفلسطين والعراق.

وفيما يتعلق بالعراق بادر الدكتور حبيبي قائلاً:

فيما يتعلق بالعراق، وحيث إن هذا الأمر طُرح في اجتماعاتنا الماضية، وكنا دائمًا نؤكد ومتفقين على أفكار واحدة حول عدة نقاط:

النقطة الأولى: مهمة، هي أن الجانبين يعتقدان أنه يجب التأكيد على السلامة الترابية لكامل الأرض العراقية، وفي الوقت الحاضر فإن شمال العراق ليس تحت سيطرة الحكومة المركزية للعراق، ولكن طرح موضوع السلامة الترابية لكامل الأرض العراقية أدى إلى أن لا تكون هذه المسألة حادة أكثر مما هي عليه.

النقطة الثانية: التي يجب الالتفات إليها: إذا كان من المفروض أن يكون هناك تغيير في الحكم العراقي، أن يكون هذا التغيير نحو إيجاد حكومة وطنية في العراق، وعلى الشعب العراقي الذي يجب عليه القيام بالتغيير أن يأتي بهذه الحكومة الوطنية في العراق، والتدخل

الأجنبي، وبخاصة الأميركي، سيؤدي إلى مجيء حكومة تُعرض أمن المنطقة للخطر. وفيما يتعلق بنا فإننا لا نقبل أبدًا أن تأتي حكومة لا وطنية أو حكومة أسوأ من الحكومة الموجودة حاليًا في العراق. وعلى هذا الأساس، فإن وجهة نظرنا كانت وستكون السعي في أن نزيل الخلافات الموجودة فيما بيننا وبين العراق، وأن نصل إلى طريقة مقبولة. إن اجتماع القمة في طهران الذي حضره نائب رئيس الجمهورية العراقية ووزير الخارجية العراقية، دارت خلال إقامتهما في طهران مباحثات مطولة ومفصلة، وخلال هذه المباحثات أشرنا إلى كل النقاط والأخطاء التي حصلت من جانب العراق طيلة المدة التي قبلنا من خلالها قرار مجلس الأمم المتحدة، وفيما بعده، وسعينا من أجل إزالة هذه الأخطاء. وأنا لا أريد القول إن الجانب العراقي قَبِل كل الأخطاء التي طرحناها عليه، ولكن الطرف العراقي قَبِل الكثير من هذه الأخطاء، وأحد هذه القضايا هو المسألة المتعلقة بالأسرى، ومنذ أن جاء عزت إبراهيم إلى طهران طلبنا منه أن يقدم العراق قائمة بأسماء الأسرى الإيرانيين، ولم تُقدَّم مثل هذه الأسماء ولم نعرف مصيرهم، وقلنا لهم، إننا منذ ذلك الزمن إلى الآن لم نحصل على أي معلومات حول الأسرى ولا نقبل أي عذر منكم، وعلى كل حال قررنا فيما بيننا أن ننظم المواضيع ونقسمها إلى مواضيع مختلفة ونتدارسها فيما بيننا. وفي مجال الأسرى حصل تقدم ولكن ليس بشكل كامل وليس بالصورة التي نتوقعها من السرعة.

وبالنسبة إلى زيارات الشعبين أو رعايا البلدين لكِلا البلدين، حصلت اتفاقات، وممكن تحقيق هذا الشيء خلال الأشهر القادمة. وبالنسبة إلى العلاقات التجارية وحسبما يسمح القرار الدولي، سنسعى للعمل في ذلك الإطار.

وفي المجموع نحن نشعر أن العراقيين يُجيدون العرقلة، ونشعر أنه بإمكاننا القيام بمثل هذه الأعمال بشكل أسرع وأفضل، ونظرًا إلى الوضع الموجود في المنطقة فإننا نأمل أن يستمر العراق بصدقه للتقدم في هذه القضايا الموجودة ويسرعها، وبرأينا فإنه مهما كان الوضع الموجود في العراق، فإنه لمصلحة الشعبين أن تُحل القضايا الموجودة بين البلدين، وطبعًا نحن في الماضي كانت لنا ـ قبلكم ـ مثل هذه الاتصالات والارتباطات نظرًا للوضع الموجود ولطول الحدود فيما بيننا. وعمليًّا كان من المفترض أن يكون هذا الارتباط، وعرفنا منهم بإجراء هذا الارتباط بينكم، لذلك أردنا أن نسمع ما هو مستوى هذه الارتباطات، وطبعًا فيما يتعلق بنقطة شمال العراق نحن نعتقد أنه يجب أن يكون الارتباط بيننا وبينكم وتركيا، أي علينا نحن وأنتم أن نسعى في هذا المجال، ونظرًا للوضع التركي الخاص في إطار العلاقات التركية ـ الإسرائيلية فإنه علينا أن نأتي بتركيا ونستمع لوجهة نظركم في هذا المضمار.

وقد عقّبت قائلاً: في الواقع علاقاتنا مع العراق تقوم على نفس القاعدة التي تحدث بها الدكتور حبيبي تمامًا:

أولاً ـ حرصنا القوي على وحدة الدولة العراقية والتراب العراقي.

ثانيًا ـ سعينا لتخفيف معاناة الشعب العراقي، ونعتقد أن هذا الحصار لم يكن الهدف منه إضعاف النظام، ولكن كان الهدف منه إضعاف العراق كبلد، كشعب، كمجتمع. عندما اشتدت الحملة على العراق ورأينا أن الهدف ليس النظام إنما البلد كبلد، كان لا بد من تحرك ما، بصورة خاصة بعد فرار حسين كامل إلى الأردن والمخطط الذي كان يشرف عليه الملك حسين لتنفيذه في العراق، وفتحنا الحدود بقرار من عندنا دون أي اتصال سياسي بين الحكومتين، أول اتصال سياسي تم في الخريف الماضي عندما زارنا طارق عزيز بهدف وضعنا في صورة الخلاف بينهم وبين الولايات المتحدة والمراقبين الدوليين. طرح طارق عزيز موضوع العلاقات الثنائية، وإعادة التمثيل الدبلوماسي بين البلدين. كانت وجهة نظرنا أننا نريد أن نساعد العراق وأن نسعى لإيجاد مناخ أفضل في الساحة العربية بين الدول العربية وبين العراق.

ثالثًا ـ لا نريد أي علاقة مع العراق أن تؤدي إلى زيادة تعقيد الوضع في العلاقات العربية؛ لأن أي علاقة ستؤدي إلى تعقيد العلاقات العربية، وستفتح الطريق أمام إسرائيل في هذه الدول، يجب أن تعلموا أن ما يهمكم هو العمل على إزالة الحصار وإزالة الضغط عنكم، وعلى إجراء مصالحات عربية تشملكم، ولكن فتح سفارة ماذا يضيف لكم؟ هو لا يضيف لكم شيئًا، وسنخسر نحن وأنتم أشياء كثيرة، الحدود فتحناها بيننا وبينكم وسنقف إلى جانبكم ضد أي حملة تستهدف العراق، ولذلك يجب ألاّ تتخذوا خطوات لا يربح منها أي البلدين. وقال لي، الواقع نحن لا نريد أن نُحرجكم في أي خطوة ولكن نريد أن نعتبر أن هذا الاتصال هو تقدم في العلاقات بين البلدين.

وفي الاتصال الثاني جاء وزير الخارجية العراقي ليضعنا في صورة الخلافات مع الولايات المتحدة أثناء التعبئة العسكرية ضد العراق، وليشكر سورية على موقفها ضد هذه التعبئة، وحَمَّلناه نصيحة بأن على العراق تجنب الضربة العسكرية؛ لأن الأميركان يريدون جره إلى فخ توجيه ضربة عسكرية، فتجنب الضربة العسكرية هو الذي يجب أن يكون الهدف، هذا الموقف كنا أيضًا متفقين عليه مع مصر والسعودية ومع بلدان عربية أخرى، وزير الصحة العراقي وجّه دعوة لوزير الصحة السوري لزيارة العراق، ووزير الصحة السوري أخذ

معه مساعدات دوائية بكميات كبيرة مع فريق طبي مختص وكبير، كان لذلك صدى كبير في أوساط الشعب العراقي، لم يجر حديث سياسي خلال زيارة الوزير، واستقبل بعواطف كبيرة من الناس ومن زملائه في وزارة الصحة العراقية، يعني موقفنا هو تمامًا كموقف إيران، ونحن أصلاً متفقون على هذا الموقف.

وما أود أن أشير إليه بالنسبة إلى العراق أن الحملة الأميركية لم يكن سببها أن العراق يعرقل أعمال المفتشين، الهدف له أبعاد استراتيجية بالنسبة إلى الأميركان في المنطقة، وبالنسبة إلى إسرائيل، ولذلك أخذنا موقفًا حازمًا ضد الحملة الأميركية، ووجهة نظرنا أن المشكلة لم تنته، وسيعمل الأميركان على إعادة توتير الوضع، يعني الحدة خفت على العراق ولذلك أرادوا أن يُصعّدوا في مكان آخر عبر المبادرة الإسرائيلية فيما يتعلق بالقرار ٤٢٥، وبدؤوا الآن بإعادة التوتر مع العراق.

بقناعتنا أن المنطقة لا تزال تعيش في وضع دقيق، التعاون التركي ـ الإسرائيلي ـ الأميركي والملحق به الملك حسين، يجب أن نرى بوضوح أبعاد هذا التعاون وأهدافه، وذلك الأمر يتطلب الكثير من الحذر والوعي والتعاون وتنسيق المواقف فيما بيننا وفيما بين الأطراف الأخرى في المنطقة التي تلتقي معنا في رؤية حجم المخاطر.

* * *

بتاريخ ١٠-١٢-١٩٩٨ عقدت الهيئة العليا السورية - الإيرانية دورة اجتماعات في دمشق، في بدء الجلسة تم الاتفاق على جدول الأعمال والذي تضمن قضايا المنطقة والوضع في لبنان والقضية الفلسطينية والمفاوضات الجارية مع إسرائيل وكذلك الوضع في العراق وفي هذا الجزء من المذكرات سأتحدث عن المناقشات التي دارت.

في اليوم الأول ناقشنا القضية الفلسطينية ومسألة المفاوضات مع إسرائيل والمواقف العربية والدولية من الوضع في الشرق الأوسط، كما ناقشنا الوضع في لبنان ومسألة العلاقات التركية الإسرائيلية، وفي اليوم الثاني استعدنا مناقشة العلاقات مع تركيا واتفقنا على وجوب العمل لسحب تركيا باتجاه العالم الإسلامي، كما جرت مناقشة الاجتماع الوزاري الثلاثي السوري الإيراني التركي الذي انعقد حول المسألة الكردية في شمال العراق.

تحدث السيد حبيبي عن المسألة الكردية في شمال العراق وأبدى تخوفًا من أن يؤدي الوضع إلى قيام دولة كردية مما سيفكك العراق.

تحدثت مبديًا وجهة نظري قائلاً: إن الحزبين الكرديين أعلنا أنهما لا يريدان الانفصال وإنما يريدان عراقًا ديمقراطيًا، كما أن هناك اتصالات قائمة بين النظام في العراق والحزبين الكرديين الرئيسيين وفقًا لما أبلغنا به السيد جلال طالباني. وهنا سألني الدكتور حبيبي عن الاتفاقية التي تمت بين الحزبين في واشنطن وأسفرت عن المصالحة بينهما بعد نزاع استمر عدة سنوات، وسأل هل هي اتفاقية عادية أم مهمة؟ أجبته أنها حدث مهم؛ لأنها أنهت نزاعًا سياسيًا ومسلحًا بين حزبين، لكن ليس الغاية منها إقامة دولة في شمال العراق... قاطعني الدكتور كمال خرازي وزير الخارجية الإيراني قائلاً: الأميركيون موجودون في شمال العراق؟ أجبته: نعم موجودون، لكن عدد الأكراد في تركيا أكثر من ثلاثة أضعاف عددهم في العراق، وتركيا أزالت من الوجود ٣٥٠٠ قرية كردية منذ نشأت المشكلة الكردية هناك، ومع ذلك لم تُدِن الولايات المتحدة الأميركية تركيا على عملها، وأنا سألت جلال الطالباني عن سبب التعاطف الأميركي مع أكراد العراق وتجاهلهم لأكراد تركيا؟ أجاب أن أميركا لها مخطط في العراق وليس في تركيا، المصالح الكردية في واشنطن التي دفعت إليها الاميركان لتنفيذ المخطط الأميركي في العراق، وعندما سئل الطالباني في مؤتمر صحفي عقده في تركيا هل يعتزم الأكراد إقامة دولة في شمال العراق؟ أجاب بالنفي لأن؛ إقامة مثل هذه الدولة غير ممكن لأنه ليس لها مقومات الحياة والاستمرار؛ لأنها محاصرة من تركيا وإيران والعراق وسورية، ونحن لا نهدف إلى إقامة دولة كردية بل نريد حكومة مركزية لها سيادة واحدة ورئيس واحد وثرواتها تحت الحكم المركزي. نحن نسعى لإقامة حكم ذاتي يعطينا استقلالاً ثقافيًا.

سألني الدكتور حبيبي كيف تُقيّمون الحضور أو التواجد الأميركي في شمال العراق؟ أجبته الإدارة الأميركية أعلنت بكل صراحة أنها تريد تغيير نظام الحكم في العراق. وأول مرة في تاريخ الدول تتخذ دولة مثل هذا القرار وبهذا الشكل، ولو كان الهدف تغيير النظام لكان ذلك سهلاً. أثناء حرب الخليج أثناء تحرير الكويت عندما قامت الانتفاضة الشعبية ضد النظام في مطلع آذار ١٩٩١، الأميركيون هم الذين ساعدوا النظام على قمع الانتفاضة بسماحهم للنظام باستخدام الطائرات المروحية والمدفعية الثقيلة، فهدف أميركا هو إيجاد وضع في العراق يخدم مصالحها، وبرأيي لو كان الهدف تغيير النظام لكان ذلك قد حدث، وفي رأيي المطروح الآن ليس تغيير النظام. وإنما مصير العراق.

خلال وجود الأكراد في واشنطن تحدثت مادلين أولبيرت عن إسقاط النظام، وعندما سألوها كيف أجابت؟ حتى الآن لم تتوفر لدينا الخطة، وفي الوقت نفسه طلبت واشنطن من

الأكراد عدم استفزاز النظام العراقي أو إثارته، وطلبوا منهم دعوة فصائل المعارضة العراقية القدوم إلى شمال العراق.

وفي ذات الوقت تحرك الأردن وأجرى اتصالات مع بعض الضباط العراقيين الفارين ومع بعض العشائر العراقية ومع بعض أطراف المعارضة العراقية التي لها علاقة مع سورية وإيران، ووجّه الأمير حسن دعوة إلى السيد محمد باقر الحكيم لزيارة الأردن لجس نبضه في إمكانية المشاركة في عمل مُقبل ضد النظام العراقي.

تصورنا ما حصلنا عليه من معلومات من أوساط عراقية لها صلات بقوات أمنية غربية، وما كان مقررًا منذ وقت خروج حسين كامل من العراق وتوجيه ضربات متتالية للعراق لتفكيك مؤسسات الدولة لا سيما أن المؤسسة العسكرية بتدميرها بما يسمح لقوة المعارضة العراقية المدعومة من الولايات المتحدة الأميركية بالتحرك من الأردن أو من شمال العراق، ويأملون أن يتورط السيد الحكيم ويشارك بالتحرك من جنوب العراق، وعند ذلك تنشأ حالة في العراق لا أحد يستطيع السيطرة عليها: الجيش مفكك والدولة مفككة أو منهارة؛ لأن في مثل هذا الجو تبرز كل الأمراض المختلفة، وتنشأ صراعات من بين الأطراف العربية قد تأخذ شكلاً طائفيًا بين السنة والشيعة وصراع بين العرب والأكراد، وفي هذه الحالة لا يمكن لأحد أن يحسم المسألة على غرار ما يجري في الصومال وأفغانستان، هذا هو تصورنا للوضع في شمال العراق.

وقد تابعت حديثي قائلاً: في لقائي مع الأطراف العراقية تبين أن ليس بينهم مَن يستطيع أن يحسم الوضع في العراق؛ أي مجموعة تحسم الوضع لصالحها ستدفع البلاد إلى حالة حرب وإلى صراع مذهبي داخل البلد، وهذا سينعكس على كل المنطقة، وإن خطورة الموضوع تأتي من هذا التصور بحال حدوثه.

ونتمنى أن نسمع من الأخ حبيبي وجهة نظره لننتقل بعد ذلك لوضع تصور عن كيفية التعاون. أجابني السيد حبيبي قائلاً: اتفاقية واشنطن عززت التواجد الأميركي في شمال العراق أكثر من ذي قبل، وبموافقة كردية قضية الأكراد أخذت بُعدًا متطورًا بعد قضية عبد الله أوجلان، وبالرغم من إعلان السيد جلال طالباني بعدم وجود نية لإقامة دولة كردية، لكن عندما تأخذ المسألة بُعد الدولة فستكون قضية الدولة مطروحة خطورة على كافة الدول المعنية بهذه المسألة، خصوصًا أن اتفاقية واشنطن أشارت إلى مسألة الفيدرالية في العراق؛ لأن طرح الفيدرالية سيكون مقدمة لمطالبة الأكراد بأشياء أكبر في الدول التي يتواجدون فيها،

وهذا يؤدي إلى تفكيك العراق ونحن نعارض هذا الموضوع، وكنا دائمًا نؤكد على سلامة ووحدة أراضي العراق في كل محادثاتنا التي أجريناها فيما بيننا سابقًا، وكنا ننبه إلى خطورة الفيدرالية ومعارضتنا لها لما تُشكله من خطر على دول المنطقة بشكل عام، وعلى تفكيك العراق بشكل خاص، وكنا دائمًا في بياناتنا التي نصدرها مع الذين كنا نُجري لقاءات معهم نؤكد على سلامة ووحدة أراضي العراق، ولذلك فإن التواجد الأميركي المكثف يجعلنا نفكر جديًّا بكيفية الحيلولة دون تعرض العراق لأخطار تهدد سلامته؛ ولهذه الأسباب وعلى الرغم من المرارة التي تجرعناها من النظام العراقي قلنا بأن وجودهم أفضل من أي نظام يأتي به الأميركان، ولا بد من الاعتراف أن استمرار الوضع الحالي سيؤدي إلى تفكيك العراق، وأن ما يعانيه الشعب بكافة فئاته يسير به إلى الانهيار.

العراق بين خيارين إما أن يُدمَّر الشعب وينتهي، وإما أن يأتي بنظام أميركي، وإن وجود نظام أميركي في العراق لن يكون في مصلحتنا ومصلحتكم، ولكن من جانب آخر لا بد من إيجاد حل إنساني مما يعانيه الشعب العراقي، وبعد أن أنهى الدكتور حبيبي حديثه عقّبت قائلاً: أرجو أن لا يُفهم من كلامي أني أؤيد الأحزاب الكردية في مجمل عملها لكني أنطلق من نقطة أن الولايات المتحدة في هذه الظروف لا تؤيد إقامة دولة كردية مستقلة؛ لأن هذا الأمر يهدد وحدة تركيا، وهي تريد أن تكون تركيا دولة قوية وموحدة تخدم مصالحها في آسيا الوسطى، وكذلك للوقوف في وجه روسيا مستقبلاً، لدينا عشرات الرسائل من الأميركان تتهمنا بدعم حزب العمال الكردي وزعيمه عبد الله أوجلان، ودعم سورية للإرهاب الكردي، وفي الوقت نفسه تظهر الولايات المتحدة كأنها حامية للأكراد في شمال العراق.

ومن المؤلم أن نجد أنفسنا أن ندافع عن النظام الذي بيننا وبينه دماء؛ عندما ندافع عن وحدة العراق وسلامة أراضيه. في تصوري أن من أهداف الولايات المتحدة إقامة نظام في العراق مرتبط بها ليكمل خط إسرائيل - الأردن - تركيا، وقد يكون في تفكير الولايات المتحدة حل القضية الفلسطينية بنقل الفلسطينيين إلى العراق بحجة تحقيق توازن بين الشيعة والسنة. الاتفاق الذي تم بين سوريا وإيران سابقًا حول العمل في الساحة العراقية لا يزال صالحًا ولكني أضيف اقتراحين عمليين:

١ - أن نطلب من أصدقائنا في المعارضة العراقية أن لا يتورطوا في المخطط الأميركي، وكذلك أن نضغط على تركيا بالسير في هذا الاتجاه.

٢ - أن نكلف مسؤولاً أمنيًّا كبيرًا في إيران وآخر في سورية للاجتماع ومتابعة التطورات

لوضع القيادتين السياسيتين في البلدين في صورة التطورات لاتخاذ القرار السياسي المناسب.

وفي الوقت نفسه نواصل سياستنا مع الدول العربية والإسلامية للتعاون من أجل تخفيف معاناة الشعب العراقي.

أن نقطة الضعف التي تواجهنا هي حماقة النظام هذا، والتصور العملي الممكن؛ لأننا قد نفاجأ بضرب العراق وقيام تمرد داخلي.. فكيف نتصرف في هذه الحالة؟

لأن وجود حلقة أمنية سورية إيرانية مشتركة عامل مساعد ومفيد.

عقّب السيد حبيبي قائلاً: لديّ ملاحظة أضيفها إلى ما تحدثت به حول المشروع الأميركي في العراق: ربما يكون الهدف الأميركي بالنسبة لشمال العراق محصورًا في هذه المنطقة بالذات ولكن السيطرة الأميركية على شمال العراق قد تتلاشى ويصبح للأكراد سيطرة وحرية في الحركة، وإن طرح موضوع الحكومة الفيدرالية في شمال العراق قد أثار قلق ومخاوف الأتراك، ويمكن توظيف هذا، القلق لمصلحتنا، إنما ما قاله الطالباني أنهم لا يريدون إقامة دولة مستقلة في شمال العراق قد جاء نتيجة ضغط الأتراك عليه. أجبته: هم قالوا إنهم يريدون الفيدرالية في إطار دولة مركزية واحدة لها رئيس واحد وحكومة واحدة وسياسة خارجية ودفاعية واحدة واقتصاد موحد.

علّق الدكتور حبيبي: إن الطالباني قد يكون طرح هذا الموضوع حتى لا يقلق الأتراك، وإن قلق تركيا دَفَع أميركا لإرسال معاون وزير الخارجية كي يشرح للأتراك ويخفف من قلقهم حول مشروع الفيدرالية.

أجبته قائلاً: أنا لا أستبعد إطلاقا أن يكون في طموحات كل كردي إقامة دولة كردية تجمع الأكراد في العالم، فالطرح شيء والواقع شيء آخر، صحيح هناك انتعاش للحركة الكردية وهذا ليس شديدًا حيث بدأت هذه الحركة بعد الحرب العالمية الأولى ووعدوا في دولة في معاهدة سيفر، كما أنهم بعد الحرب العالمية الثانية أقاموا جمهورية مهرباد التي سقطت بعد وقت قصير، ونحن لا نستطيع إلغاء هذه الطموحات ولكن يمكننا أن نُحوِّل هذه الطموحات إلى ما يتلاءم مع الأوضاع السياسية والأمنية في المنطقة، الضغط التركي على الأكراد زاد القومية عندهم، ونحن في سورية وأنتم في إيران وكذلك الحكومات العراقية المتعاقبة لم تتعامل مع الأكراد بمسؤولية وطنية وإنما بنوع من التمييز، وآخر مواقفنا كانت محاربة المؤتمر الوطني العراقي لأنه طرح مبدأ الفيدرالية، وكذلك كان موقفنا من مؤتمر فيينا

ومؤتمر صلاح الدين، طبيعي نحن قلقون من أن يؤثر ذلك على الوحدة الوطنية في بلداننا، ولذلك يكون الوضع مُقلقًا وتكون الفيدرالية خطرًا في المنطقة، ولكن عندما يُنظر إلى الأمر بشكل آخر في إطار وطني وتعالج القضايا الأساسية التي يشكو منها الأكراد ويؤخذ بالاعتبار وضعهم، عندئذ تصبح الصورة مختلفة، وما يطرحه الأكراد في العراق يأتي في إطار اتفاقية آذار عام ١٩٧٠ التي عقدوها مع النظام العراقي. الشيء المهم الذي يجب أن نقف عنده هو المشروع الأميركي للمنطقة، وعلينا أن نُقنع السيدين مسعود البرزاني وجلال الطالباني عدم الاشتراك في هذا المشروع.

جلال له علاقة جيدة مع طهران ومع دمشق ويُنسق مع السيد محمد باقر الحكيم، وكذلك لنا علاقات جيدة مع السيد مسعود البرزاني وهو سيتوجه قريبًا إلى طهران، كلاهما صديقان ودائمًا يسألنا السيد جلال الطالباني في حال حدوث شيء في العراق: ماذا يجب أن نعمل؟ هل نترك الأمر إلى أصدقاء أميركا يسيطروا أم يجب أن نتخذ إجراءات لما فيه ضمانات لمصلحة سورية وإيران؟ وهذا السؤال ترك لديّ انطباعًا بأن لديه معلومات عما سيجري وأراد أن يطلعنا عليه، علينا متابعة الموضوع والحيلولة دون نجاح ذلك ولذلك أقترح تشكيل لجنة أمنية لمتابعة الأحداث والمستجدات اليومية.

عقّب الدكتور حبيبي قائلاً: نحن متفقون في تحليلنا المبدئي للوضع وبرأينا أن اتفاقية واشنطن قد زادت من الوجود الأميركي في المنطقة، وأن الفيدرالية بحالة استمرارها يكمن فيها الخطر، والنقطة الثانية التي تكمن في هذه الاتفاقية هي فكرة تجزئة العراق وتفكيكه، كما أننا متفقون على معارضتنا الثنائية لما يجري من مخططات للعراق، ومن الطبيعي أن تستمر المشاورات فيما بيننا، وأننا موافقون على اقتراحكم تشكيل لجنة أمنية لمتابعة هذه التطورات والمستجدات، بالإضافة إلى هذا يمكن إجراء اتصالات مع بعض الدول المهتمة بهذا الموضوع وفقًا لتحليلكم؛ أن تكون تركيا دولة قوية مواجهة لروسيا؛ لذلك يمكن التحدث لروسيا في هذا الأمر حيث إن نظرتها لهذا تتعارض مع أميركا، لا بد من التشاور مع روسيا والعراق، في هذا المجال قد نكون بحاجة إلى المفاوضات مع الأكراد لأنهم لهم مصلحة بذلك ويبقى التنسيق بين سورية له خصوصية، وفي الوقت نفسه ننسق مع الأتراك ومع الدول المعنية الأخرى، على كل حال يجب الاتصال أيضًا مع السادة مسعود البرزاني وجلال الطالباني ومحمد باقر الحكيم من الخطوة الكاملة في المشروع الأميركي، وأخص بأننا اتفقنا على اللجنة الأمنية ولكن ما هو رأيكم بالنسبة للاتصال مع الأتراك؟

أجبته: المشكلة في تركيا هو أن الجيش له دور رئيسي في القرار وهو مرتبط إلى حد كبير

على الأميركان، نجم الدين أربكان كان ضد التحالف الإسرائيلي التركي مع ذلك أرغمه الجيش على توقيع الاتفاق العسكري مع تركيا وعلى استقبال وزير الدفاع العسكري، لو أن المسألة متعلقة بالسياسيين كان يمكن أن تجري اتصالات مع أجاويد ويمكن التوصل معه إلى اتفاق.

لهذا يجب البحث مع السعودية ومع بعض الدول الأخرى ومع تركيا لأن المهم أن لا يتمكن الطامعون في العراق من اقتناص أصدقائنا من المعارضة العراقية، والسؤال: كيف يمكن المحافظة على وحدة العراق ومنع تفكيكه؟ وهذا يجب أن نناقشه باتصالاتنا.

أجاب الدكتور الحبيبي قائلاً: لدينا ثلاث نقاط:

١ - تكثيف اتصالاتنا مع أصدقائنا في المعارضة العراقية؛ لمنعهم من المشاركة في ذلك المخطط.

٢ - تشكيل لجنة أمنية للاتصال.

٣ - الاتصال مع تركيا، وتوعية دول المنطقة بخطورة هذا المخطط الذي يخطط للمنطقة.

ماذا بالنسبة للاتصال مع سورية؟

أجبته: يجب الاتصال مع جميع الدول، ولكن يجب أن نأخذ بالحسبان أن الكثير من محاضر الاجتماعات ستصل إلى الأميركان، وهذا لا يعني عدم التواصل مع روسيا وتشجيعها ومع جميع المعنيين في هذا الأمر.

اتفقنا على إجراء الاتصالات وتنفيذ النقاط التي تم الاتفاق حولها.

* * *

وبتاريخ ٢٦ ـ ٢٧/ ١٢/ ١٩٩٨ قام وفد أمني سوري في إطار التعاون والتنسيق بين البلدين بزيارة إلى طهران.

جرت المحادثات مع الشيخ مصطفى بور محمدي الذي أشار إلى أن المحادثات تجري تنفيذًا لرغبة القيادة السياسية في البلدين، وتمنى أن تُسفر عن النجاح وبخاصة لأهميتها في هذه المرحلة، وأهمية ما يجري في العراق.

بدأ الحديث عن زيارة اللواء العراقي رافع التكريتي «رئيس المخابرات العراقية» لإيران قبل بدء الهجوم الأميركي على العراق، ويوم مغادرة هيئة المفتشين للعراق، وأنه بحث معه

في احتمال هجوم أميركي مرتقب على العراق، وبأنه لن يكون إلا بعد نهاية شهر رمضان، لأنهم توقعوا أن تجري مفاوضات مع الأمم المتحدة قبل الهجوم... وأبلغهم اللواء التكريتي بأن العراق قد اتخذ إجراءاته استعدادًا للهجوم، وأفرغ المؤسسات العسكرية والأمنية من الوثائق والأشخاص، كما أفرغ منشآت التصنيع والأبنية المهمة من المواد التي كانت محط اهتمام المفتشين، حيث نقلوها إلى أماكن جديدة. وفوجئ اللواء التكريتي - كما فوجئ الجميع - ببدء الهجوم، مما اضطر إلى قطع زيارته بعد أن اطمأن إلى أن إيران لن يكون لها دور ضاغط على النظام العراقي خلال الضربة الأميركية - البريطانية على العراق.

«تجدر الإشارة هنا إلى أن بور محمدي زار العراق مرتين: مرة قبل سنتين، ومرة قبل العدوان الأميركي الأخير على العراق. وهذا يعني أن التعاون قائم بين النظام العراقي والإيرانيين».

وأضاف الشيخ محمدي أن توقعات الإيرانيين هي أن تكون الضربة الأميركية بداية لعمليات أوسع في المستقبل ضد العراق، بالرغم من أن الموقف الدولي لم يكن مؤيدًا للعدوان. كما يرى الإيرانيون أن الضربة الأميركية - البريطانية للعراق إشارة إلى وجود نوايا جادة هذه المرة لإسقاط النظام العراقي وتنشيط المعارضة العراقية وبعث الأمل للشعب العراقي، وإذا توصلت الولايات المتحدة إلى تحديد البديل لصدام فسوف تستمر في العمليات متجاوزة القوانين الدولية ومؤسسات الأمم المتحدة؛ لأنهم قانعون بأن أحدًا لن يخلق لهم أي مشكلة بالرغم من الموقف الروسي والصيني والفرنسي الحازم وشجب دول وشعوب المنطقة للعدوان. وتنوي الولايات المتحدة حسم مشكلة العراق والإتيان ببديل للنظام العراقي موالٍ للولايات المتحدة ولصالحها.

وأشار الشيخ محمدي إلى أن الولايات المتحدة وبريطانية اتصلتا مع الإيرانيين عن طريق السفارة السويسرية في إيران وأبلغوهم أنهم خلال هذه الضربة جادّون في تغيير النظام العراقي، ولكنهم سيوقفون الضربة العسكرية على العراق من أجل الإيرانيين، وأنهم لن يزيدوا حاليًا الضغط على العراق، ويرغبون بالتعاون مع الآخرين - وبخاصة الإيرانيون - في تغيير النظام، ولكن لم يذكروا لهم الخطوات لتحقيق ذلك. وعندما استفسر الإيرانيون عن الخطوات والبديل، أجابوا بأنهم ليس لديهم حاليًا أي تصور عن ذلك. وطلب الشيخ محمدي من الوفد السوري وجهة نظره من النوايا الأميركية الجادة بتبديل النظام العراقي أو الإبقاء على نظام صَدَّام حسين والحفاظ على الوضع العراقي على حالته من الضعف، وما هو رأي الوفد السوري بذلك، وكيف سيكون العمل في الوقت الراهن؟

أجاب الوفد السوري مؤكدًا على أهمية ما يجري وخطر الضربة الأميركية - البريطانية على العراق ودول المنطقة؛ وبخاصة الدول المجاورة للعراق، وأكد على متابعة الجهازين لما يجري، وتبادل المعلومات ووجهات النظر باستمرار لاتخاذ الإجراءات المناسبة في حينها إذا استمر الهجوم الأميركي - البريطاني على العراق، كي نكون فاعلين في الأحداث ويكون لنا دورنا الفعال لمنع أي تطورات لصالح الولايات المتحدة في موضوع التغيير، لأن التغيير - إذا حصل - يجب أن يكون لصالح سورية وإيران والشعب العراقي، وليس لصالح الولايات المتحدة، وتدخلنا سيكون في الوقت المناسب.

وأضفنا أن العدوان الأميركي الأخير على العراق كان بغاية إضعاف العراق كدولة، ولم يكن من أجل تغيير النظام، لأن البديل أصلاً غير جاهز لدى الأميركان. وقد توقف هذا العدوان نتيجة تصاعد معارضة الرأي العام العربي والدولي.

أكد الشيخ محمدي أن العراقيين - قبل العدوان - أبلغوه قلقهم من العدوان المنتظر وتصورهم بأن الضربة المحتملة لن تكون تأديبية كما في السابق، ويتوقعون من دول المنطقة أن تساندهم وتقف إلى جانبهم في الضربة الجديدة، وأن إحساسهم بالتحركات الأخيرة واجتماعات المعارضة العراقية في لندن، ومجيء أحمد الجلبي إلى طهران، وسفر الطالباني والبرزاني إلى الولايات المتحدة، يشير إلى أن المرحلة القادمة ستكون مختلفة تمامًا عن السابق. ويرى الشيخ محمدي أن الولايات المتحدة حاليًا لا تشعر بخطر وجود واستمرارية صدام ونظامه، لأن العراق ضعيف، وقامت الولايات المتحدة في السنوات السبع الماضية بتثبيت وتعزيز مواقعها في المنطقة.. ويرى أن العراق على وضعه الحالي الضعيف لن يستمر؛ لأن الوضع الدولي لا يسمح بذلك، كما أن صدام ونظامه يتحسن كل يوم ويصبح أفضل من السابق، والوضع الدولي للعراق اليوم أفضل من السابق. وأن الشيخ بور محمدي قد زار العراق مؤخرًا وشاهد عن كثب أنه قد أصبح أفضل لأن العراقيين قد طوروا في محاصيلهم الزراعية، وساعدت معادلة النفط مقابل الغذاء، في تحسين الوضع المعاشي للمواطن العراقي، ولو كانت هناك بعض المشاكل التي ما زالت عالقة ويعاني منها الشعب العراقي، إلا أن وجهة نظره (أي محمدي) في تبديل النظام قد اختلفت عن السابق، ومن جهة أخرى، أصبحت المعارضة العراقية في حالة يأس أكثر مما كانت عليه. وخلال سنتين قام الشيخ محمدي بزيارتين للعراق، والتقى مع العديد من المسؤولين على أعلى مستوى، ولاحظ أن معنوياتهم أصبحت أفضل من السابق، حتى أن الأكراد لم يعد لديهم الحافز السابق في تغيير النظام.

نوّه الوفد السوري بأن فتح الحدود العراقية مع سورية وإيران، والعلاقات الاقتصادية التي نشأت بين البلدين ـ بالرغم من كونها محدودة ـ كان لها الأثر في تبديل الوضع نحو الإيجابية في العراق.

وأردف الشيخ محمدي أن لديهم ٣٠٠٠ حاجٍّ إيرانيٍّ أسبوعيًّا يزورون العتبات المقدسة في العراق، وأن الولايات المتحدة ـ كما تدّعي ـ غير مرتاحة لهذا التحسن في الوضع العراقي خوفًا من أن يعود إلى قواه السابقة، ولهذا أصبح الأميركان في قلق من هذا، وبدأوا بالتعاون مع المعارضة بأكثر جدية، حتى أنهم أبدوا استعدادهم للتعاون مع المعارضة الشيعية، واتصلوا مع بعض قادتها وأبلغهم الأميركان بأنهم على استعداد للمشاركة مع إيران لتبديل النظام العراقي، وأنها أصبحت مضطرة للبحث عن البديل. وآخر المعلومات أن الحكومة الأميركية عينت مسؤولين لمتابعة قضايا المعارضة العراقية وتطوراتها، ويتابع ذلك حاليًا السيدان: دافيد بيرج ومارتن، ورصدت ميزانية «٩٧» مليون دولار للمعارضة و«٢» مليون دولار للإعلام ضد العراق، وهذا تحوُّل مهم في الاهتمامات الأميركية في العراق، ويدل على أن لديها برنامجًا جديدًا في المنطقة، وهناك قلق في روسيا والصين بشأن هذه التطورات.

ثم تحدث الوفد السوري بأنه يشك في مصداقية الولايات المتحدة بشأن التعاون مع المعارضة الشيعية، ولكنها تتخوف من أن تفلت الأمور من يديها، وبما أن البديل غير متوفر لديها، فهي تريد أن تحتوي المعارضة الإسلامية وإيران، لأن الأوضاع الراهنة غير مضمونة لصالحها. ونريد أن نستمع إلى رأيكم في الدور الذي يجب أن نقوم به معًا.

أجاب الشيخ محمدي أن التحرك السوري ـ الإيراني يجب أن يُبدأ به على مستوى المنطقة ودوليًّا، بشرط أن تكون الحكومة العراقية متجاوبة معنا، وأما إذا استمرت العلاقة الإيرانية متشنجة مع العراق لوجود المنافقين (منظمة مجاهدي خلق) داخل العراق حيث لديهم الإذاعة والتلفاز ويقومون باستمرار بعمليات داخل إيران، يبقى كبار المسؤولين في إيران ضد أي قرار للتعاون مع العراق.

نوّه الوفد السوري بأن لسورية أيضًا حالة مشابهة، حيث إن الهدنة الحالية مع صدام لا تجعلنا نطمئن له، وقد يستغل أي خطوات إيجابية من طرفنا ويجيرها لخصومنا وخصومكم، وبخاصة قناعاته بأنه مستعد أن يعمل أي شيء للولايات المتحدة كي تُبقي وتحافظ عليه. ونؤكد على طلب الاستماع إلى رأيكم بالدور الذي يجب أن نقوم به معًا.

أجاب الشيخ محمدي أنه يرى أن يكون العمل كالتالي:

١ ـ تعزيز علاقات سورية وإيران مع النظام العراقي والشعب العراقي لتقويته في مواجهة الولايات المتحدة.

٢ ـ إجراء اتصالات مع دول المنطقة والعالم لاتخاذ مواقف إيجابية معنا ضد الولايات المتحدة.

٣ ـ عدم المشاركة في أي مشروع ضد النظام العراقي.

٤ ـ منع المعارضة العراقية من افتعال أي أزمات داخل العراق.

اعترض الوفد السوري على هذا المشروع الإيراني وعلى فقراته كافة، وأوضح بأن مثل هذا المشروع يضع السوريين والإيرانيين في مواقف محرجة، ويُبرر للأميركان القيام بعمل عسكري ضد بلدينا في ظل عدم التوازن الدولي. واقترح الجانب السوري ما يلي:

العمل على إقامة نظام عراقي ديمقراطي في العراق، وسَبْق الولايات المتحدة في إنقاذ الشعب العراقي، معتمدين على التالي:

١ ـ التحرك إقليميًّا ودوليًّا لتعبئة الجميع على إقامة النظام الديمقراطي في العراق.

٢ ـ تطوير العلاقات السورية ـ الإيرانية مع الشعب العراقي نحو الأفضل بدون إشارة للنظام العراقي.

٣ ـ تطوير العلاقات السورية ـ الإيرانية مع المعارضة العراقية.

٤ ـ تطوير الإعلام السوري ـ الإيراني ليكون أكثر عداءً لمصالح الولايات المتحدة وتحركاتها في المنطقة.

تحدث الشيخ محمدي بعد نقاش مطوّل حول الاحتمالات التي تواجهنا في العمل لإقامة نظام عراقي ديمقراطي وعدم إمكانية التغلب عليه بالإذعان إلى طرح الجانب السوري. ووافق بعد ذلك على تثبيت المقترح السوري، بعد تفصيل فقراته، وتم التوصل إلى التالي:

١ ـ عدم مسايرة التوجهات الأميركية في المنطقة، وتوجيه الإعلام السوري والإيراني ضد مصالح الولايات المتحدة، وتعبئة العرب والمسلمين ضد الأعمال والتدخلات العسكرية ضد العراق.

٢ ـ عدم القيام بأي أعمال استفزازية ضد النظام العراقي، وبنفس الوقت عدم القيام بأي عمل من شأنه دعم وتقوية النظام العراقي، والإبقاء على علاقات حسنة معه.

٣ ـ السعي لتعزيز علاقاتنا مع الشعب العراقي داخل العراق وفق التالي:

* تأكيد حُسن نوايانا للشعب العراقي.
* توظيف الإعلام السوري والإيراني لخدمة مصالح الشعب العراقي.
* تسهيل التعامل التجاري مع الشعب العراقي.
* فتح الحدود وتسهيل مرور المواطنين العراقيين وحُسن التعامل معهم.
* تعزيز الاتصالات مع وجهاء العشائر والفعاليات العراقية الشعبية.
* تطمين الأشخاص حتى المؤيدين لصدام بأن سقوط النظام العراقي لن يعرضهم لأي عمل انتقامي.

٤ ـ السعي لتقوية العلاقات مع القوى السياسية والفعاليات داخل العراق، وهذا عمل من اختصاص الأجهزة الأمنية، ووفق التالي:

* تقييم الإمكانيات الحالية لجهازَيْنا داخل العراق وكيف نوجهه للأفضل.
* يجب أن نوسع اهتمامنا وننشطه لمعرفة التطورات على مستوى الجيش العراقي والمؤسسات الحكومية.
* يجب تحديد المهام في الداخل العراقي بالاتفاق بين الجهازين، وتوزيع المهام على الجهازين لمتابعة جمع المعلومات داخل العراق، وتبادل المعلومات.

٥ ـ السعي لإقامة عمل جديد مع المعارضة العراقية وبأسلوب جدي وسري للغاية كي لا نستفز النظام العراقي ووفق التالي:

* الاتفاق على إعادة تقييم المعارضة العراقية من جديد والوصول إلى وجهات نظر موحدة ومواقف واضحة من أطراف المعارضة.
* توجيه المعارضة العراقية بطريقة غير مباشرة وسرية - أي بدون تدخل مباشر ومكشوف - كي تبدو المعارضة العراقية بهوية عراقية، وإرشادها لتبديل الخطاب السياسي الموجه إلى الداخل بقصد استمالة وتطمين الشريحة الواسعة التي ما زالت تحمي النظام خوفاً من مستقبل مجهول.

- يجب توجيه المعارضة حاليًا لاستثمار العدوان الأميركي بطريقة علمية ونفسية لصالحها وليس لصالح نظام صدام، وإعادة ترتيب خطابها السياسي والعسكري مع الشعب العراقي ومع الولايات المتحدة ومختلف الدول.

٦ ـ تنظيم اتصالات سورية وإيرانية بشكل منفرد مع مختلف الدول في المنطقة وخارج المنطقة لصالح أهدافنا، ومعرفة ما لديها من معلومات مفيدة لنا، وتوظيف مواقف هذه الدول لصالح قضية الشعب العراقي، وإقامة نظام ديمقراطي جديد.

٧ ـ طرح هذا المشروع ومناقشته من قِبل كل طرف مع قيادته السياسية، والاجتماع مجددًا في دمشق أو طهران بعد أسبوعين لمعاودة نقاش هذا المشروع وما يستجد عليه من أفكار لتحسينه بعد مناقشته مع القيادات السياسية في البلدين لصالح تحقيق الهدف المشترك ومصلحة بلدَيْنا.

وطرَح الشيخ بور محمدي ضرورة أخذ رأي المعارضة العراقية في كِلا البلدين، وبشكل سري، لمعرفة ما يمكن تنفيذه وما لا يمكن تنفيذه.

وفي نهاية اللقاءات، تم التأكيد على عرض ما توصل إليه الجانبان على القيادات السياسية، والاتفاق على لقاء مشترك لمناقشته وإقراره وبدء العمل به.

استمرت الاتصالات بين البلدين عبر الوفود المتبادلة، ولكن الملفت أن إيران جمّدت الهيئة العليا المشتركة بين البلدين، مما كان له تأثير كبير على تنسيق المواقف وتبادل المعلومات حول القضايا المختلفة الإقليمية والدولية.

ورغم ذلك فقد كانت كل من دمشق وطهران حريصة على بقاء العلاقات الجيدة رغم الفجوة التي حصلت بسبب الاختلاف في قراءة التطورات وانعكاساتها على كل منهما.

كان التطور المهم في تلك المرحلة القرار الذي اتخذته الحكومة السورية بفتح الحدود مع العراق بتاريخ ٢/ ٦/ ١٩٩٧ فاتسعت دائرة العلاقات وتم تدفق البضائع السورية إلى العراق والأموال العراقية إلى سورية.

بعد تولي الرئيس محمد خاتمي رئاسة الجمهورية توقفت اجتماعات الهيئة العليا المشتركة ولكن الاتصالات بين العاصمتين استمرت عبر زيارات المسؤولين وعبر السفارات، وتراجع الحديث عن العمل المشترك للتغيير في العراق وتركز على الحملات الأميركية السياسية والعسكرية على العراق واحتمالاتها، وموقف الدولتين في حالة حدوث تطورات عسكرية بهدف إسقاط النظام العراقي.

* * *

الفصل الثامن

التطور النوعي في العلاقات السورية الإيرانية

ارتكز التحالف السوري الإيراني في مرحلة الرئيس الراحل حافظ الأسد على المحاور التالية:

(أ) مقاومة المشروع الإسرائيلي، ودعم الشعب الفلسطيني في كفاحه من أجل استعادة حقوقه الوطنية بما فيها بناء الدولة الوطنية المستقلة ذات السيادة وعاصمتها القدس وتحقيق عودة اللاجئين بالإضافة إلى تحرير الأراضي المحتلة في سورية ولبنان.

(ب) إسقاط نظام صدام حسين والعمل على إقامة نظام صديق لسورية وإيران ومقبول من دول المنطقة.

(جـ) معارضة السياسة الأميركية في المنطقة.

(د) عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى في المنطقة وعدم توسيع الحرب في منطقة الخليج.

تعززت مسيرة التحالف غير المكتوب بين الدولتين خلال الأحداث الكبرى التي شهدتها المنطقة سواء في الحرب العراقية الإيرانية أو في لبنان وفلسطين أو في العراق، وفي الوقت نفسه حافظت كل دولة على علاقاتها مع الدول الأخرى، بغض النظر عن طبيعة العلاقات بين إحدى الدولتين الحليفتين وبين الدولة الأخرى، ومثال ذلك في الوقت الذي كان الإيرانيون يهاجمون بشدة الاتحاد السوفيتي وقّعنا معاهدة الصداقة مع السوفييت، وفي الوقت الذي كانوا يهاجمون بشدة الولايات المتحدة الأميركية ويصفونها بالشيطان الأكبر كانت الاتصالات قائمة بيننا وبين الأميركان سواء من أجل لبنان أو من أجل عملية السلام، كما لم تحاول أي من الدولتين الانزلاق في الشؤون الداخلية للدولة الأخرى.

بعد وفاة الرئيس حافظ الأسد وتسلّم ولده بشار الأسد مقاليد الحكم، ركّز على العلاقات

مع العراق، وقامت سورية بنشاطات عربية ودولية للدفاع عن النظام العراقي ضد الأعمال العدوانية التي كانت تمارسها الولايات المتحدة الأميركية ضد العراق، كما اتخذت مواقف قوية ضد توجهات الولايات المتحدة الأميركية في شن الحرب على العراق، وفي تلك المرحلة استقبل بشار الأسد عددًا من القياديين العراقيين وبينهم الذين كانوا الأكثر عداءً للنظام في سورية ولإيران، ومن هؤلاء علي حسن المجيد وطه ياسين رمضان، وبذلك فقد انتقل النظام من مرحلة العمل لإسقاط النظام العراقي إلى مرحلة الدفاع عنه في المحافل العربية والدولية، وفي الوقت ذاته كانت إيران عبر حلفائها في المعارضة العراقية تعمل على الخلاص من صدام حسين ومن نظامه.

كانت الوفود العراقية والسورية لا تنقطع عن القيام بزيارات متبادلة والعمل على عقد اتفاقات ثنائية بين الدولتين، ولعل أبلغ ما يعبر عن تلك الحالة زيارة رئيس الوزراء السوري محمد مصطفى ميرو إلى بغداد قبل الحرب بفترة قصيرة، والذي اجتمع إلى الرئيس العراقي وقدّم له سيفًا دمشقيًا وألقى كلمة جاء فيها: أقدم لكم هذا السيف الدمشقي مؤكدًا لكم أننا معكم وأن العدوان على العراق هو عدوان على سورية.

في تلك المرحلة عُقد مؤتمر المعارضة العراقية في لندن برعاية إيرانية وأميركية، ومثّل الجانب الإيراني أحد كبار مسؤولي الاستخبارات ومعه وفد، ومثّل الجانب الأميركي ثلاثة أعضاء من المخابرات المركزية، وأشرف الوفدان على نجاح المؤتمر الذي اتخذ مجموعة من القرارات استخدمها الأميركان في تغطية الحرب.

مع اشتداد الحملة الأميركية على العراق وحشد القوات في المنطقة وعجز الولايات المتحدة الأميركية في إقناع مجلس الأمن باتخاذ قرار يغطي الحرب على العراق، أصبح واضحًا أن الحرب باتت وشيكة خلال أيام، مما أثار القلق في سورية من امتداد الحرب إلى أراضيها لا سيما أن الموقف السوري كان قويًا إلى جانب العراق، كما أن حالة من الإجماع الوطني آنذاك قامت في سورية إلى جانب العراق.

في ضوء ذلك الواقع توجه الرئيس السوري إلى طهران وقد رافقته لمناقشة الوضع مع القيادة الإيرانية والعمل على توحيد الموقف في مواجهة التطورات الجديدة المقلقة والمقبلة في المنطقة.

توجهنا إلى طهران في السادس عشر من آذار عام ٢٠٠٣ وأجرينا فور وصولنا مباحثات مع الرئيس محمد خاتمي، وهذا أبرز ما ورد في تلك المحادثات:

بعد تبادل عبارات المجاملة أخذ الحديث الرئيس السوري متسائلاً: ماذا نستطيع أن نفعل قبل الحرب بوقت قصير؟ وماذا سنفعل في حال حصول الحرب، والتي ستدوم لفترة طويلة، وربما لسنوات، ولا أقصد أنها ستستقر وإن استقرت الولايات المتحدة الأميركية وحققت الأمن فستنتقل إلى إيران وسورية؟

أجابه الرئيس خاتمي: هذه أسئلة صحيحة وبوقتها. نحن في إيران نفكر دومًا بهذه النقاط، ودائمًا مبعوثي، وخاصةً السيد خرازي، خلال اتصالاته مع الأصدقاء، وخاصةً السيد خدام، نأتي على ذكر ذلك. اسمحوا لي أن أشرح لكم، حول الموضوعين كان لي لقاءان:

الأول: مع إيفانوف. والثاني: اتصال مع شيراك. السيد شيراك هو الذي بادر، ودام الاتصال نصف ساعة، والملاحظ من كِلا الرجلين أن لديهما قلقًا بأن يتم الاعتداء على العراق، ولكن قلقهم كان أكبر من ذلك، وكِلا الرجلين كان يعبر أن الحرب واقعة قريبًا.

وكان ذلك يوم الثلاثاء أو الأربعاء، حيث قال: علينا أن نسعى ألا ينتشر الاعتداء إلى ما وراء العراق، وكان يساور الرجلين قلق بأن مهاجمة العراق هي الخطوة الأولى، وأنا أريد أن أستنتج وأضيف هذا القلق إلى الرأي العام العالمي، هذا القلق يعتبر من قِبل الرأي العام العالمي إيجابيًا لنا، وهو يتلخص في معارضة عميقة وأساسية تجاه الاتجاه الأحادي الذي تقوم به أميركا وتمارسه، ولهذا السبب طلبت أنا خلال اجتماعي غير الرسمي بالقمة الإسلامية أن يقوم ممثلنا بالاتصال مع شيراك والجميع باعتبار هذا التأييد مطلبا عالميًا.

كِلا الرجلين شيراك وإيفانوف قد توصل إلى الحسم بالحرب، ولكن شيراك قال إننا مستعدون لاستخدام الفيتو، ولكن أميركا استعدت للحرب وموقفهم أن هذا الاتجاه المعارض لأميركا كل ذلك يجعل الحرب إذا حصلت أن يكون الاعتداء غير مشروع ولنا الحق بالتصرف بعد ذلك، فقد استذكر شيراك برأيي الذي أدليته، قلت إن الغارات الجوية قد تكبد العراق وشعبه خسائر جسيمة، ولكن لا تؤدي إلى سقوط صدام، لذلك سيكونون مرغمين على خوض حرب ذرية، وأنا أخمن وأقدر أن الجيش العراقي والحرس سيقومان بالدفاع بالمدن. الانتصار الحاسم الذي تحصل عليه أميركا: تقصّر فترة الحرب وتصل للانتصار بفترة قصيرة، وإذا طالت المدة ستخسر أميركا، يكفي أن يعود إلى أميركا الجنود الأميركيون وينقلب الرأي العام الأميركي ضد بوش وسياسته، لذلك أنا لا أعتقد أن هذه الحرب ستتمكن من إنهائها، لكن هناك نقطة غموض: لا أعرف مدى استعداد العراقيين للمقاومة والصمود. أنا لا أريد أن نسمح بوقوع الحرب، لكن إن وقعت الحرب لا بد أن لا

تكون أميركا منتصرة بسهولة. النقطة الثالثة إن وقعت الحرب ماذا يجب علينا أن نفعل؟

الموضوع الآخر الذي طرحته مع شيراك: إن المعركة تؤدي إلى تشديد وزيادة موجة العنف في العالم. أميركا في أفغانستان لم تحقق هدفها بالقضاء على بن لادن بل جعلته بطلاً، والآن تُنتج بطلاً آخر اسمه صدام، وستزداد موجة التطرف. أيدني شيراك لكنه قال إن الأميركان ليسوا من أهل هذه المنطقة.

قبل أن ندخل في المرحلة الثالثة مرحلة ما بعد وقوع الحرب، أكرر سؤال: كيف ترون الوضع في حال وقوع الحرب بالنسبة لصمود الشعب العراقي، وبخاصة حرب المدن لأنه إن طالت المدة ستكون الأضرار أكثر؟

عقّب الرئيس السوري: لو كان من يحارب غير الأميركان لكان سقوط صدام أسرع، لكن تحكم الأميركان الحماقة، قالوا بأنهم سيحسمون الحرب خلال أيام أو أسابيع، لقد حصروا أنفسهم بهذا الزمن دون داعٍ.

إذا سألنا العراقي من تكره أميركا أم صدام؟ هناك من يقول صدام ولكن الإحساس أن الشعب العراقي سيقاتل مع صدام، لذلك أعتقد أن مجموعة من العراقيين يهتمون بجانب وآخرين في جانب آخر.

شيء آخر: سيقتل الأميركان أعدادًا كبيرة من العراقيين، عندها سينسى الشعب أن هناك صدام حسين. بالنسبة للحرس الجمهوري والحزبيين المحيطين بالنظام، وأنا أتكلم هنا عن الحرس الجمهوري القريب، يوجد عدد كبير من القيادات السياسية والعسكريين يمكن تقسيمهم إلى نوعين: الأول مستفيد من النظام، والثاني مرتكب لجرائم وإعدامات ستبدأ حماقة أميركا.. لم تترك منفذًا لأحد من هؤلاء، أصدرت لائحة تضم ١٧٠٠ معارض يُمنع دخولهم العراق، وتكلمت عن حاكم عسكري للعراق في الواقع..... المعركة، ولكن بعد أيام سيكون الجميع ضد أميركا.

قال خاتمي: كل المعارضة اليوم تقف ضد أميركا، علينا أن نحاول دفع الشيعة والسنّة إلى تجاوز الخلافات.

عاد الرئيس السوري إلى الحديث قائلاً: نحن أكثر دولة نقف مع صدام، وهو أقل دولة تنسق معنا، وهو نظام غريب يعيش في عالم آخر، كنت أتحدث مع السيد الوزير، من المفترض أن أوسّع المشاركة الداخلية، لدينا الآن في سورية انتخابات بلدية، وكنا نتحدث في

الطائرة كيف يمكن أن نوسّع هذه المشاركة، صدام حسين يفعل العكس، لقد قسّم العراق بالأمس إلى أربع مناطق وأنا أعرف منهم علي حسن المجيد الملقب بالكيميائي لقد سلّمه إحدى المناطق، وهذا سيقلب الصورة ضد صدام، نحن كسوريين وإيرانيين كيف نتعامل مع المعارضة؟ من الضروري استيعاب المعارضة في الخارج، ولكن لا تستطيع أن يكون لها دور، نحن بحاجة لعلاقات أوسع في داخل العراق، بالنسبة لنا في سورية العلاقة ضعيفة بسبب عدم وجود الثقة بين نظامينا ولكن هناك في المعارضة.

هذا الموضوع بحاجة لدراسة تفصيلية بالاسم، لأن أي مجلس أو شخص يأتي لحكم العراق يكون هؤلاء الأشخاص. أميركا لم تقبل فكرة الإمارات استبدال صدام بشخص آخر، عزت الدوري، هذا تصوّري لهذه النقطة.

علّق الرئيس خاتمي قائلاً: نحن أيضًا لا نعرف ماذا يجري داخل العراق، أنا أقتنع بمثل هذا الشعور المتناقض تجاه صدام وأميركا، وأعتقد إن طالت الحرب ورأى الشعب الخسائر واستطاع الجيش والحرس الجمهوري المقاومة سيكون الزمن على حساب الجانب الأميركي.

في إطار العمل لمستقبل العراق لا بد من إبعاد أي توجه يهدد الموقف وإبعاد الأخطار المهمة التي تتمثل في الطائفية والتناحر بين الفصائل لأن هذا يسهّل عمل أميركا، كأن يطالب الشيعي بحصة والكردي وشخص واحد، وهذا سيكون سُمًّا لمستقبل العراق، أنا أرى أنه لا بد من التفكير بمستقبل عراقي ديمقراطي بحيث لا يكون العراق بيد الأميركان حتى إذا لم يكن عدوًّا لأميركا.

موقف المعارضة الآن متصف بالرعونة، في حين أن التصرف الأميركي متصف بالعنجهية، إن أكبر رهان على المعارضة الآن هو أن أميركا عاملتهم بطريقة سيئة، والكل أبدى انزعاجه من تصرفاتها بمن فيهم شلبي؛ القريب جدًّا من أميركا، هذا الأمر ساعد في عودة الجميع إلى رشدهم والتقليل من العمل في الاتجاه الطائفي. إن لتركيا دورًا كبيرًا في هذه المرحلة، رغم التزامات تركيا تجاه أميركا، إلا أنني ألاحظ من الجماعة التي تحكم تميل للعمل معنا ومع العالم الإسلامي، يجب علينا أن نكون حذرين من قيام دولة كردية ولا بد من تكريس الفكرة القائلة بأن أكراد إيران هم إيرانيون، وأكراد العراق عراقيون، وأكراد تركيا أتراك، وفي هذا المجال لا بد من طمأنة الأتراك وتبديد مخاوفهم.

على كل حال يجب التنسيق بيننا وبينكم وبين المعارضة العراقية في هذه العناصر.

عقّب الرئيس السوري: في المعارضة حالتان: الأولى وصلت لمرحلة النضج ولن تتعامل مع أميركا، والثانية هرولت باتجاه أميركا عندما أشـارت لها.

هؤلاء إن وصلوا إلى الحكم لن يعملوا مع سـورية وإيران، بل سـيكونوا في الجانب الأميركي، لذلك لا بد من توسـيع العلاقات وخلق عناصر أخرى للتنسيق.

العنصر الأكبر هو الأكراد، يوجد خوف ووطن يفكرون بإقامته، هذه النقطة هي الأهم، لقد بحثت هذا الأمر مع عبد الله غول، ومنذ أيام ذهب وفد أمني سـوري إلى تركيـا. المحور الأساسي للتعاون بين سـورية وتركيـا الآن هو موضوع الدولة الكردية، وهذا يجمع كل التيارات في تركيا، العسكر وغيرهم، لأن هذا يقلق تركيا وسورية وإيران والعراق، ويجب التنسيق بيننا في هذا الموضوع.

ننتقل إلى نقطة أخرى:

أخذ الحديث الرئيس خاتمي: الآن تركيا مهمة جدًّا لمرحلتي ما قبل الحرب وما بعدها.

تركيا تأخذ أوامرها من أميركا؛ ولقد ظهر بشكل واضح في مؤتمر القمة الإسلامية، يجب أن لا نحصر أنفسنا في اللقاء السـداسـي في إسـتانبول، أعتقد أننا نستطيع بمرحلة الحرب كون تركيا متضررة مثلنا، وما بعد الحرب لنكون قوة إقليمية في المنطقـة (سورية - إيران - تركيا). حتى نهاية نيسان ستظهر الأمور بالنسبة للحرب وسـتتوضح صورة حكومة أردوغان الجديدة، وربما تصبح الأمور أسوأ في الساحة العراقية، أقترح عقد لقاء قمة ثلاثي أو على مستوى الوزراء لبحث ما يمكن تحقيقـه.

برأيكم ماذا سـتفعل السـعودية؟

علّق الرئيس السوري: الأمير عبد الله قبل قمة شرم الشيخ وقبل انعقاد الاجتماع أرسل مبعوثًا قال إن السعودية لا ترغب بعقد القمة لأن الوقت غير مناسـب.

وعندما طلبت أميركا من مصر الدعوة للقمة ذهبت وكان اسم الأمير عبد الله على جدول الكلمات ولكنه لم يُلقِ كلمته لأنه لا يريد أن يتحدث، أراد الحضور فقط.

وتابع الرئيس خاتمي: نعم، قبل ثمانية أشهر كان هناك اجتماع رفضته السـعودية.

أرى أن عقد اجتماع ثلاثي على مستوى وزاري وبعده قمة سيكون له أثر كبير سواء وقعت الحرب أم لا، وسواء انتصرت أميركا أم لا، وعلينا التفكير بالموضوع من الآن.

سـبق لنا واقترحنا موضوع ٥+٦، أي اجتماع يضم خمسة أعضاء من مجلس الأمن وست دول مجاورة للعراق، وقد رحّب الأمين العام بهذه الفكرة ولكنها لم تتحقق، هل يمكن طرح الفكرة اليوم خاصة بعد المواقف التي تتخذها كل من فرنسا وروسـيا والصـين؟

تدخّل في الحديث السيد خرازاني: الرئيس خاتمي طرح فكرة الوفاق الوطني.

فأجابه الرئيس خاتمي: المشكلة أن هذه الفكرة لم تُعجب أحدًا.

فتساءل السيد خرازي: إن طرحت هذه الفكرة ثانية هل يمكن أن تبصر النـور؟

أجابه الرئيس السوري: إن كان الطرح هو المفاوضات بين الأطراف فالوقت غير مناسـب، لأن الطرح سـيكون مَن يأخذ أكثر؟ وسـيتم التناحر بين القوميات، وسيظهر للعالم أن الموضوع داخلي وليس موضوع عدوان، نحن نريد التركيز على العدوان.

الجانب الآخر الذي أراه مناسبًا هو تحقيق التطور. لقد تحدثنا مع العراقيين كثيرًا، هم لا يُنسـقون معنا، لا في اللجنة الخماسية ولا في أي شيء آخر، وعندما نتحدث معهم عن المعارضة، يقولون نحن لا نخاف من أحد.

علّق الرئيس خاتمي: المعارضة لا تروق لأحـد.

أجابه الرئيس السوري: نستطيع إعطاءها وعودًا وهمية على الطريقة الأميركيـة ومع ذلك يمكن طرح الموضوع مع وزير الخارجية العراقي.

المشكلة الأولى في الحرب هي صدّام نفسـه.

علّق الرئيس خاتمي: بالنسبة للحرب أميركا تتعامل بقوة، وربما لديها مشاريع وخطط، هل أنتم مطمئنون من إمكانية قيام الجيش بعمل ما في الداخل؟ إن انتصرت أميركا بسرعة سـيكون الأمر صعبًا.

أجابه الرئيس السوري: الحل في المقاومة.

فتابع الرئيس خاتمي: إذا وقعت الحرب؟

أجابه الرئيس السوري: يجب الإعداد للمقاومة قبل الحرب.

علّق الرئيس خاتمي: لا بد من وجود عدة أهداف: أولاً لا نريد وقوع الحرب، وثانيًا إن قامت لا نريد أن تنتهي بسرعة، وثالثًا مستقبل العراق، يجب العمل والتنسيق لتحقيق هذه الأهداف، ولا بد من التباحث حول كيفية التعامل مع المعارضة.

النقطة الأخرى هي أنه يجب معرفة ما يجري داخل العراق وكيفية التأثير فيه، وكذلك الأمر بالنسبة لمستقبل العراق، يجب أن تنصبّ جهودنا لتجنب الطائفية، ويجب أن يكون شرطُنا للعمل مع المعارضة هو التزامها بعدم إثارة المشاكل، نحن لا نفرّق بين سُنّي وشيعي، إن حدث أمر كهذا، وهذا ما يقلقني، فإن المعارضة ستسقط وهذا يسبب خسارة.

عقّب الرئيس السوري: للطرح الطائفي في العراق نتائج سلبية. قبل طرح أي أمر يجب أن يكون له هدف، التركيز على المعارضة يخيف الأميركان، لكن هذا يتطلب بحث العلاقات مع العشائر، اليوم يوزع الأميركان الأموال والهواتف على رؤساء العشائر، لا أعرف إن كان هؤلاء سيلتزمون مع أميركا ولكنهم في الوقت الحالي سعداء بالأموال.

ما هي علاقتكم بالعشائر؟

أجابه الرئيس خاتمي: لا توجد علاقات بيننا، لكني أعتقد أن للمعارضة اتصالات مع العشائر ولها ارتباطات أخرى.

رد الرئيس السوري: سيكون التعامل صعبًا إلى حد ما.

تدخلتُ بالحديث قائلاً: لديّ اقتراح: إن وجهتيْ نظر سورية وإيران متطابقتان، لا بد من إيجاد منهجية للعمل، هناك عدة أطراف للمعارضة مخترَقة من قِبل الأميركان، أقترح تشكيل مجموعة عمل تدرس المعارضة العراقية، هناك الكثير من أطراف المعارضة رفضت العمل تحت المظلة الأميركية وهناك من يعتقد أن الحرب فرصة مناسبة للانقضاض على النظام.

أجاب الرئيس خاتمي: أنا لستُ معكم، لكن معكم بأن هناك بعض المخترَقين من قِبل أميركا، لكن في الوقت نفسه البعض لم يعارض.

أجبته قائلاً: بعض المشاركين يقولون إنهم يعملون مع المخابرات الأميركية والبريطانية، وبالفعل فقد حضر المؤتمر أعضاء من المخابرات المركزية الأميركية كمراقبين، كما حضره أعضاء من المخابرات الإيرانية كمراقبين أيضًا، وبالتالي لا بد من تدقيق وضع المعارضة العراقية وتصحيح أوضاع من نستطيع التأثير عليهم.

أجاب الرئيس خاتمي: لا شك أنهم فضّلوا التعامل مع أميركا، لكنّ تعامل أميركا السيئ معهم جعلهم يرون في المعارضة وكأن للمعارضة موقفًا موحّدًا ضد أميركا. ولهذا السبب تراجعت المعارضة في أربيل، وأميركا لا تقبل بهذه المعارضة إلا أناسًا يقفون معها ١٠٠٪.

قال خليل زاد للمعارضة: «نحن لا نقبل بالمعارضة وسنزرع حاكمًا عسكريًّا في العراق، وبعد الهدوء سنضع حاكمًا سياسيًّا، وسننشئ دستورًا عراقيًّا، وأقصى شيء يمكننا عمله معكم هو التشاور». عندما تقوم أميركا بالعمل العسكري لن يكون للمعارضة أي نشاط.

أميركا خططت لتحقيق ما تريده في العراق، وجميع أطراف المعارضة كانت منزعجة من أميركا وقرروا في أربيل إصدار بيان معارض لأميركا، وهذا شيء جيد وكان له أثر في تغيير اللهجة الأميركية.

لذلك أنا لست معك بوجود أطراف معارضة تعمل مع أميركا وأخرى مستقلة تمامًا، لكن في الوقت ذاته أي طرف من المعارضة سيرى مصلحته مع أميركا سيقترب منها، بالإضافة إلى بعض الأطراف التي تعتمد على أميركا منذ البداية، الجانب الأميركي يصر على من يتبعون لها. ولكن في الوقت ذاته أنا أؤيد وجهة نظركم أن هناك خارج المعارضة أكثر مقاومة وجديّة ولكن يجب أن نكون واقعيين.

هذا الاقتراح من الرئيس بشار؛ أن نجلس مع تركيا، اقتراح حكيم، ولا بد من أن ننظر للمعارضة بإطار واسع لنَحول دون اتساع الخلافات ونَحول دون وقوع المعارضة في أحضان أميركا، وسنكون سعداء جدًّا بأن يكون لنا نوع من التواجد.

أنا أوافق مجموعة العمل؛ فالإنسان لا يُخيَّر دائمًا بين الجيد والسيئ، ولكن يجب التمييز بين السيئ والأسوأ.

وبعد أن أنهينا اللقاء مع الرئيس محمد خاتمي توجّهنا للقاء المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية آية الله خامنئي الذي بدأ الحديث مُرحبًا بنا متمنيًا أن تكون الزيارة مفيدة لكِلا البلدين. بعد ذلك تحدث الرئيس السوري قائلاً: التنسيق بين بلدينا عالٍ وبكل تأكيد ستحقق زيارتنا النجاح، وسوف تضفي هذه الزيارة بعض «الرتوش» على التنسيق بين بلدينا، عكَس نقاشنا اليوم تطابق وجهات النظر بين بلدينا. لقد ناقشنا موضوع العراق بشكل موسّع، يوجد تحليلات كثيرة حول هذا الموضوع، الرؤية سوداوية حول هذا الموضوع، والنقاط البيضاء فيه هي تحالفنا ومواقفنا وتاريخنا، لقد سقطت الأقنعة وكل شيء اتضح، أميركا عبّرت عن موقفها وقالت إنها تريد احتلال العراق وتنصيب حاكم عسكري، وقالت إنها ستحارب بعد ذلك سورية وإيران وأي دولة لا تعجبها، نحن ندرك قوة أميركا العسكرية وإمكانات سورية وإيران.. ولكن نحن أصحاب الأرض.

قلنا في البداية إننا لا نريد حدوث الحرب لأنها ضارة للجميع، لكن من غير المعقول أن نجلس وننتظر مجيئها إلينا لاحقًا، لا يوجد دولة جارة للعراق تملك قرارها سوى سورية وإيران، لكن أعتقد أن أهم شيء يمكن أن يحدث في حال حصول الحرب هو امتدادها حتى تتعب أميركا، الشعب العراقي لا يقبل الاحتلال الأميركي وبغض النظر عن صدام ستبدأ المقاومة المسلحة، ولا بد من البدء بالتنسيق قبل بدء الحرب، لأن نجاح أميركا في العراق يعني انتقالها إلى فلسطين والقضاء على المقاومة هناك، وهذا يعني أن إسرائيل هي التي ستقرر مصير جميع دول المنطقة بما فيها إيران وسورية. هذه هي الخطوط العامة، اتفقنا على التنسيق بين وزارتينا، وسيُطلعنا موفدوكم على التفاصيل.

تحدث السيد خامنئي قائلاً: شكرًا جزيلاً على هذا التحليل الجيد حول ما يجري في المنطقة، الحقيقة هي أن دولتينا شقيقتان، تجمعنا أمور كثيرة ومخاطر مشتركة، وهذا بحد ذاته عامل تشجيع لزيادة التعاون بيننا. تواجه المنطقة وضعًا خطرًا. تتميز القضية العراقية بأقصى درجات الأهمية، هذا بالإضافة إلى القضية الفلسطينية التي احتجبت للأسف أمام الرأي العام العالمي تحت الغبار الناتج عن المسألة العراقية، رغم أنها المسألة الأكثر أهمية.

ما يجري في فلسطين لم يسبق له مثيل في التاريخ، إن الهجمة الوحشية والهمجية ضد الشعب الفلسطيني والعمليات الاستشهادية تبعث على الحيرة والإعجاب.

لا يملك الفلسطينيون سوى العمليات الاستشهادية، وتمارس عليهم ضغوط وهجمات دعائية وإعلامية من قِبل أميركا والصهيونية وكثير من دول العالم بما فيها الدول الإسلامية. هناك بعض مراكز الفكر أصبحت تدين العمليات الاستشهادية، وبعض الدول الجارة أيضًا تدين هذه العمليات، وكما تفضلتم فإن سورية وإيران هما الدولتان الوحيدتان اللتان أصدرتا قرارًا مستقلاً، وهذا القرار تمثّل في دعمكم العمليات الاستشهادية بوقت واضح وصريح، وكان هذا موقفًا جيدًا جدًّا وشجاعًا، وكان له تأثير واضح في استمرار المقاومة والصمود، لأن المقاومة الفلسطينية والقوى الجهادية في لبنان كوّنتا مكانة جيدة. متى كانت إسرائيل تحارب دولة عربية وتطول هذه الحرب لمدة سنتين دون أن تسجل نصرًا، تحارب الفلسطينيين منذ سنتين ونصف ولم تتمكن من احتوائهم، وإن لم يفقد هذا الشعب صموده فإن هذا سيؤدي إلى سقوط النظام الصهيوني. وطبعًا هذا يأتي بشكل تدريجي خلال مراحل يمكن التنبؤ بها سياسيًّا، لقد أشرت لهذه النقطة تأييدًا لما تفضلتم به عندما قلتم: إن طالت الحرب ستكون الهزيمة لأميركا، لكن يجب إيجاد وسيلة لذلك، أول ما يجب علينا القيام به والاجتهاد من

أجله ومتابعته هو الحيلولة دون وقوع الحرب، وقد بذلتم جهودًا كبيرة في هذا المجال، الرئيس خاتمي وحكومته بذلوا جهودًا كبيرةً بهذا المجال، ولا شك أنها لم تكن دون جدوى، لقد تأخرت الحرب وإن استمر التأخير لن تقع، الحرب تقع على عاتق القوى البشرية، والسلاح هو ما تستهدفه القوى البشرية، فإذا ضعفت معنويات القوى البشرية فلن يكون السلاح مجديًا، لذلك رغم أنه لم يبقَ من المهلة الأميركية إلا أيام فأنا على قناعة أن هذه الجهود لن تثمر في اللحظة الأخيرة، وإن حصلت الحرب فيجب علينا اتباع السياسة العامة التي ستمنع هذا التمساح من ابتلاع اللقمة بسهولة، ويأتي هذا من خلال العمل الإعلامي والاتصالات السياسية والمعارضة العراقية نفسها، أنا لا أعلّق أي أمل على جيش صدام والقوات الموالية له، إن كان الطرف الثاني هؤلاء فإنهم ليسوا من أهل الصمود وقد جرّبنا هذه الحقيقة في الماضي، لكن بالنسبة للشعب العراقي والعشائر من العراقيين فهم لاجئون، إن علّقنا الآمال على هؤلاء فيجب بذل الجهود فهم قوى فاعلة ومؤثرة. بالنسبة للأميركان فإن المحرك الذي يوجِّه القوة الفكرية التي تدفع الأميركان نحو هذه الحركة ليس مستمرًّا ودائمًا؛ فهؤلاء يريدون أن يقوموا بما قاموا به في القرن الثامن عشر وهذا غير ممكن، أن يأتوا ويحتلوا الأرض العراقية ويسيطروا على آبار النفط، لأن هذا لا يتناسب مع عالمنا المعاصر، يعني بالإمكان تحقيق عدم النجاح، يمكنهم السيطرة وغرس حاكم عسكري ولكن لا يمكن الاستمرار بذلك، الخطة الأميركية أوسع من العراق بكثير، وهذه الخطة قد وضعت بعد ١١ أيلول وبعد وصول بوش للإدارة، وربما بعد هذه الأحداث والأمور تم تمهيد الأرضية لمثل هذه الخطة، لكنها خطة قديمة ومدروسة مسبقًا، والهدف هو ما ينطقون به حاليًا، يقولون إنهم يريدون تغيير الجغرافيا السياسية في المنطقة، وما أُدركه أن مثل هذه العملية أكبر بكثير من إمكانات وقوة أميركا رغم قدرتها العسكرية، هؤلاء لا يستطيعون الصمود في وجه شعوب المنطقة، طبعًا يستطيعون تكبيدنا الخسائر وإنزال الضربات وتحقيق النجاح في البداية لكن في النهاية ستكون الخسارة لهم. علينا تفادي الحرب قدر استطاعتنا، فإن أصبحنا فيما يتمثل بالتعميم الأميركي أو الخطة لن يكون أمامنا من خيار سوى الصمود والمقاومة، وكل المؤشرات تُشير إلى أن المقاومة ستكلل بنجاح شعوب المنطقة وانهيار الكيان الأميركي كقوة عظمى. نحن نعلم أن ما قام به الأميركان وما سيقومون به سيؤدي إلى تقارب شعوب المنطقة، لقد أشرتم إلى تعرض سورية وإيران للتهديد الأميركي، وحسب رؤيتي فالسعوديون يواجهون تهديدًا ليس بأقل من الذي تواجهه إيران وسورية، وأنا لا أعلم هل يدرك السعوديون هذا الأمر أم لا؟ إن أي مساعدة سيقدمونها الأميركان ستساعدهم على الزوال.

أجاب الرئيس السوري قائلاً: هل يعرفون ذلك؟ هناك الكثير من الأشياء يفعلونها ويندمون عليها ويصعب العودة للماضي. القوات الأميركية موجودة في الخليج، إن اجتياح العراق أمر سهل ولكن الصعب هو تحقيق الاستقرار، ومهما كانت القوة متطورة فإنها ستصبح ضعيفة عندما تتوقف عن التقدم، لدينا تجربتان مهمتان للمقاومة: فلسطين ولبنان. سورية وإيران عملتا على احتواء المقاومة اللبنانية في وقت كانت سورية تعاني الحصار، الوضع الفلسطيني اليوم أصعب لكن نستطيع إعطاءهم المعنويات وهذا ما نفعله، طالما بقينا صامدين سيصمد الآخرون، وإن سقطت المقاومة في لبنان وفلسطين وسورية وإيران ستسقط المقاومة في العراق، المواطن العادي يكره صدّام، لذلك نقول اليوم بوجوب التركيز على المواطن الذي لا ينتمي إلى أميركا ولا لأي جهة أخرى، عدم نجاح أميركا هو هزيمة لها، وإن لم نستطع هزمها يجب أن يبقى الوضع متفجرًا ويجب أن تكون هناك عمليات استشهادية، أكثر شيء يخيف الأميركان هو أن نقول لهم سيموت أبناؤكم في العراق، في كل الأحوال نحن لسنا مطمئنين، يجب أن نُبقي القنوات كما هي، خاصة في هذه الأيام، وإن ظهرت اليوم بعد لقاء «بوش، بلير، أزنار» بوادر حرب يجب أن تكون هناك غرفة عمليات يشارك فيها القائم بالأعمال السوري مع الخارجية.

نحن موجودون هنا وهم غرباء والوقت لصالحنا، ورغم الظروف السيئة فأنا أميل للتفاؤل وأعتقد أنكم تشاركوننا هذا الشعور.

عقّب السيد خامنئي قائلاً: لقد سمعت من سيادة الرئيس بشار الأسد ما كنت أتوخّاه، المسألة كلها تتلخص في الصمود والمقاومة، الأميركان يحاولون إضافة الآخرين كي لا يقاوموا، ولكن السبيل الوحيد هو المقاومة، وتصوري أن هذه المقاومة ستكون طويلة الأمد كما حصل في فيتنام: إبان حرب فيتنام كان الوضع الداخلي في أميركا أفضل مما هو عليه الآن سواء من الناحية الاقتصادية أو الاجتماعية أو المصداقية. أميركا اليوم تعاني اقتصاديًا واجتماعيًا وقد خسرت مصداقيتها العالمية في عيون الكثير من الشعوب والدول. أنا أشارككم التفاؤل ونحن موافقون على التعاون الذي أشرتم إليه، نحن بحاجة إلى هذا التعاون كي نستطيع إبعاد المخاطر وإجبار العدو على التوقف، ويجب علينا أن لا نهمل القضية الفلسطينية.

يجب التفكير بما يمكن عمله لعرقلة طريق أميركا بهدف تحقيق أهدافها، عن طريق المقاومة الفلسطينية ولا بد من مساعدتها لأقصى حد ممكن سواء كانت المساعدة معنوية أو

أي نوع آخر، ونحن نبتهل إلى الله أن يشمل سيادتكم والشعب السوري بعنايته، ونرجو الله أن يتسنى لنا لقاء سيادتكم ليتحقق الكثير من التفاؤل الذي تكلمنا عنه، ويسعدنا لقاء السيد نائب الرئيس عبد الحليم خدام والسيد وزير الخارجية فاروق الشرع.

تم الاتفاق خلال هذه الزيارة على الاستمرار بتبادل وجهات النظر والعمل على توحيد المواقف، وتم تشكيل لجنة أمنية لمتابعة الوضع العراقي من اللواء محمد ناصيف من سورية والعقيد قاسم سليماني من المخابرات الإيرانية، شكلت هذه الزيارة تطورًا واضحًا باتجاه إعادة الحرارة إلى العلاقات السورية الإيرانية.

بعد أيام شنّت القوات الأميركية الحرب على العراق، وخلافًا لما تُوقع فإن الشعب العراقي لم يقاتل وحقق الأميركان نصرًا سريعًا غير متوقع.

بعد فترة وجيزة شكّل الحاكم الأميركي بريمر مجلس الحكم الذي ضم بين أعضائه عددًا من حلفاء إيران من الأحزاب والشخصيات الإسلامية والذين شكلوا أكثرية أعضاء المجلس.

كان للقرار الذي اتخذه الحاكم الأميركي لحل الجيش وأجهزة الأمن واجتثاث حزب البعث دور كبير في نشوء المقاومة في العراق.

لقد أدى تشكيل مجلس الحكم والقرارات التي صدرت عنه وأخذت طابعًا انتقاميًا دورًا في تأجيج الصراع المذهبي في العراق بالإضافة إلى أن المقاومة ضد الاحتلال كانت في غرب العراق بينما كانت القوات المحتلة مرتاحة آنذاك في بغداد وفي جنوب العراق.

في تلك المرحلة في الخامس من أيار ٢٠٠٥ زار سورية وزيرُ الخارجية الأميركي كولن باول، وكان الهدف من الزيارة بحث إمكانية التعاون مع سورية في قضايا المنطقة لا سيما في لبنان والعراق وفلسطين، وطلب من الرئيس السوري إخراج حركتي حماس والجهاد الإسلامي من سورية وقطع العلاقات مع حزب الله ووقف تسلل المقاتلين من سورية إلى العراق.

ولا شك فقد كانت هذه المطالب في أجواء من الضغوط، وأعطاه الرئيس بشار الأسد انطباعًا بدراسة هذه المطالب، وبالفعل تم الإيعاز للمنظمات الفلسطينية بوقف نشاطها الإعلامي في سورية كما تم وضع قوات على الحدود السورية العراقية لوقف التسلل والذي كان من الصعب إيقافه بسبب طول الحدود السورية العراقية.

في تلك المرحلة عمل النظام في سورية باتجاهين: الأول دعوة وفود عراقية إلى سورية وخاصة من العشائر وذلك للحض على الوحدة الوطنية وتجنب الصراعات بين الأطراف العراقية نظرًا لخطورتها على وحدة العراق وعلى استقراره ومستقبله. والاتجاه الآخر الاعتراف الواقعي بمجلس الحكم، وتم استقبال معظم أعضائه.

مع تصاعد حملات الملاحقة للبعثيين في العراق من قِبل القوى الممسكة بمجلس الحكم والتي أخذت طابعًا مذهبيًّا، تصاعدت حدة التوترات المذهبية الدموية وبدأت أعمال القتل والتدمير في كِلا الجانبين من العراقيين المسلمين السُّنة والمسلمين الشيعة من العرب، وراح ضحية تلك الأعمال أعداد كبيرة من العراقيين بالإضافة إلى تعميق هوة الانقسام الوطني بين الجانبين، وقد شكّل هذا الوضع قلقًا كبيرًا في سورية كما في البلدان العربية الأخرى، ولدى مناقشة هذه الحالة في العراق وخطورتها اتفقنا على سفري إلى طهران لمناقشة هذا الوضع وخطورته وبحث إمكانية وقفه واستعادة الحوار الوطني بين مكونات الشعب العراقي.

وبتاريخ ٢٩ أيلول ٢٠٠٣ توجهت إلى طهران وقد استقبلني الرئيس محمد خاتمي بعد وصولي وأجرينا جولة من المباحثات التي تركّزت حول الوضع في العراق.

بعد ترحيب الرئيس محمد خاتمي بزيارتي بدأت الحديث قائلاً: سيادة الرئيس، الوضع صعب، والتطورات المتلاحقة والسريعة جعلت من الضروري الاتصال بكم وبحث الأوضاع والتفكير بعمق لدرء الأخطار، والتقليل ما أمكن من الأذى الذي يلحق بالجميع؛ مسلمين وعربًا.

أجابني الرئيس خاتمي: لا شك أن إيران وسورية يجب أن يبقيا على اتصال دائم. كنا دائمًا مع بعضنا في أيام الضيق. وفي هذه المرحلة الصعبة نحن بحاجة إلى أن نكون معًا. أنتم الخط الأول في مواجهة الصهاينة على حدود فلسطين. أميركا موجودة في المنطقة منذ فترة، وذلك بسبب سياسات صدام حسين الخاطئة. وعلى كل حال هذا الوجود خطر علينا وعليكم وعلى المنطقة كلها. لا بد من أن يقرر أبناء الدول مصيرهم الذاتي، ونحن أبناء المنطقة ودولها، لا نسمح بأن تكون هذه الدولة ركيزة للأجنبي ولأعداء العرب والمسلمين، ولا شك أن سورية وإيران تتحملان في هذه الحالة ضغوطًا أكبر. يجب أن نعمل معًا ونتبادل الآراء مع دول المنطقة.

هدفنا هو حرية العراق، واستقرار حكم شعبي فيه، واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وتحرير الأراضي المحتلة.. ومن ضمنها الجولان الغالي.

عقبتُ قائلاً: شكرًا سيادة الرئيس على هذه الكلمات الطيبة. إن إيران وسورية هما واحد. نحن نعيش في منطقة واحدة، ظروفها معقدة، سواء في العراق أو فلسطين. يوجد احتلال أميركي لعدة دول في المنطقة. لا أخص هنا الاحتلال العسكري فقط، يوجد ثلاثة أنواع من الاحتلال: الاحتلال العسكري، واحتلال الموارد الاقتصادية، واحتلال الإرادة. ومع الأسف، يوجد عدد من الدول العربية والإسلامية احتُلت إرادتها، وهذا يحمّل إيران وسورية عبئًا أكبر. الوضع في فلسطين مظلم. ولدى الأميركان في المنطقة مخطط. وخارطة الطريق جزء من هذا المخطط، وقد سقطت كما سقطت اتفاقات أوسلو. هذا يعطي مؤشرًا بأن أي دولة كبرى إذا وضعت مخططًا ليس بالضرورة أن تنجح في تنفيذه. احتمال فشلها وارد. فشلت إسرائيل في لبنان، رغم أن قوة إسرائيل تعادل بالنسبة إلى المقاومة «١٠٠٠٠ إلى ١» ومع ذلك هُزمت. إسرائيل الآن مهزومة في فلسطين، خسائرها كبيرة: انعدام الأمن، والهجرة المعاكسة، والخسائر الاقتصادية. إسرائيل الآن تعيش في مأزق، والمنطقة كلها في مأزق، والولايات المتحدة في مأزق، والموضوعان؛ فلسطين والعراق، مترابطان.

أميركا تسعى لكي تربح إسرائيل لاستخدامها في مرحلة مقبلة. وبالتالي، فإن فشل المشروع الصهيوني سيؤدي إلى فشل الأميركان. لأن أميركا تعتمد على إسرائيل في المنطقة، وتعتمد على القوى اليهودية داخل الولايات المتحدة. صدّام يتحمل جزءًا كبيرًا من مصائب العراق، هو الذي تسبب في استنزاف العراق وإيران من خلال الحرب ضدها، وسبب باجتياحه للكويت تواجد القواعد العسكرية الأميركية في المنطقة، وتسبب بإحداث حالة من الانشقاق في العالَمين العربي والإسلامي، كان العراق في أسوأ حالة أيام صدام.

سيادة الرئيس.. كلنا كنا ضد الحرب على العراق، وهذا ليس بدافع الحرص على صدام، نحن وإيران عملنا كثيرًا من أجل إسقاط صدام. ولكن كنا ثلاث دول تعمل لهذا الهدف؛ إيران وسورية والسعودية. انسحبت السعودية، وكنا نحن بحاجة إلى الغطاء السعودي. وانسحبت مع السعودية بعض أطراف المعارضة العراقية، وتطورت الأمور. هدف تغيير النظام كان هدفًا ثابتًا في إيران وسورية. عام ١٩٩٥ بدأت تحركات أميركية لتغيير نظام صدام وإقامة حكومة في العراق موالية للولايات المتحدة، وكان ذلك بمساعدة الملك حسين. جاء الرئيس حافظ رحمه الله إلى طهران، وحصل اتفاق على أن تمنع سورية وإيران مجيء أي حكومة موالية للولايات المتحدة، لأنها إن نجحت تتشكل سلسلة من تركيا والعراق والأردن وإسرائيل. الآن لا يوجد في العراق حكومة موالية للولايات المتحدة، أميركا ذاتها موجودة في العراق.

أميركا لم تقم بالحرب لاقتلاع صدام، لقد قدم صدام للأميركان خدمات لا حدود لها من خلال حرب ضد إيران استمرت ثماني سنوات.

لو حلّلنا الحرب ضد إيران لوجدنا أنها استنزفت وبددت طاقات كبيرة من طاقات الثورة الإسلامية، وكلنا نعلم أن طائرات الأواكس الأميركية كانت تنقل للعراق تحركات الجيش الإيراني. الخيوط لم تكن مقطوعة بين صدام والولايات المتحدة. ورط أصدقاء أميركا صدام حسين باجتياح الكويت، عندما أدرك الأميركان أن لهذا الرجل طموحات كبيرة قد تربكهم في المستقبل. الولايات المتحدة قامت بالحرب ضد العراق لأسباب تتعلق باستراتيجيتها الكونية الجديدة. لو نظرنا إلى حدود العراق وجدنا: تركيا وإيران وسورية والأردن والسعودية والكويت، والعراق يطل أيضًا على الخليج وعلى فلسطين، ولديه احتياطي نفطي كبير. هذا البلد مهم للاستراتيجية الأميركية ولتصفية القضية الفلسطينية. يوجد للمشكلة الفلسطينية مشكلتان كبيرتان: الحدود واللاجئون. قضية الحدود لن تُحل حتى ولو أعطت إسرائيل كامل الضفة وغزة للفلسطينيين، أما قضية اللاجئين فيوجد أربعة ملايين لاجئ فلسطيني، ماذا سيفعلون بهم؟ ينقلونهم إلى العراق تحت عنوان «إحداث توازن بين السنة والشيعة في العراق»، بهذا يكونون قد صفوا القضية الفلسطينية وخلقوا حالة مستديمة من الفرقة في العراق، وبقوا يسيطرون على النفط، وبعدها يتوجهون إلى بلاد أخرى.

صحيح أن الأميركان موجودون في الخليج، ولكن أهمية العراق الاستراتيجية أكبر، يريدون إقامة كيان في العراق يدوم لعدة سنوات، يستطيعون من خلاله إقامة خريطة جديدة للمنطقة. الولايات المتحدة موجودة بقواتها الآن في العراق، وهذا الوجود يُشكل تهديدًا لكل دول المنطقة، وبخاصة إيران وسورية، لذلك نلاحظ حملات التهديد التي توجه ضدنا، رغم أن إيران لم تتخذ مواقف أو حملة شديدة ضد أميركا، بل أبقت الباب للحوار مفتوحًا. ولكن، مع ذلك تشتد الحملات ضدنا.

في مسألة محاربة الإرهاب، قدمت سورية للأميركان خدمات كثيرة، وإيران كذلك، ومع هذا وضعوا إيران بين دول محور الشر، وسورية في ظل محور الشر. يوجد خطر راهن ومستقبلي. ليست لدينا مخاوف من مسألة العمل العسكري، لأن الولايات المتحدة وقعت في مأزق داخل الولايات المتحدة، وهذا لا يساعدهم على التفكير بالقيام بعمل عسكري. الخطر ليس في العمل العسكري، وإنما في السياسات التي تؤدي إلى إضعاف سورية وإحداث تغيير في المنطقة.

نقطة الخطر هي في البنية السكانية للشعب العراقي، هذه البنية يمكن أن تكون مصدر قوة، ويمكن أن تكون مصدر ضعف، سواء البنية المذهبية ما بين سنة وشيعة، أو العرقية ما بين عرب وكرد وتركمان. قلقنا ينبع من أن يتوصل الأميركان إلى شكل من أشكال الفتنة داخل العراق. إن اشتعلت هذه الفتنة لن يبقى العراق كما هو، ولن تبقى المنطقة كما هي. نحن نعرف أن لإيران تقييمًا مطابقًا لتقييمنا، ولكن ماذا بعد ذلك؟ وكيف سنواجه هذه الحالة؟ ليس المطلوب خطوات غير مدروسة، ولكن نزع فتيل الفتنة. ويجب أن نركز على مفهوم الوحدة الوطنية للعراقيين، ورفضه الاحتلال، والوصول إلى دولة عراقية ديمقراطية بعيدًا عن السيطرة الأميركية.

نحن أعدنا اتصالاتنا مع أطراف المعارضة العراقية كافة. ونركز بشكل أساسي على الوحدة الوطنية، ونقول للعراقيين إن لم تحافظوا على الوحدة الوطنية لن تحصلوا على الاستقلال. والسؤال المطروح هو: كيف نعمل لتحقيق هذا المفهوم؟ كان العراق يعيش في سجن مظلم، وفجأة انهار السجن. يوجد حالة من فقدان التوازن عند العراقيين، وفي هذه الحالة يكون السهل الخطأ.

نقترح فكرة عقد مؤتمر وطني عراقي يضم كل أطراف وشرائح الشعب العراقي، يخرج بميثاق للوحدة الوطنية وللدولة المقبلة، وإنهاء الاحتلال. وهذه الفكرة طرحت علينا من بعض المجموعات العراقية.

عقّب الرئيس خاتمي: أشكركم على هذا التحليل الصادق والعميق. لقد استفدت منه، دائمًا آراؤكم صادقة وموضوعية، وأنا لا أرى أنه توجد خلافات جوهرية بين رؤيتنا ورؤيتكم. أميركا تُشكل دائمًا خطرًا علينا، ويتزايد هذا الخطر عندما تتواجد في المنطقة، ولا سيما أن أيادي الصهاينة وإسرائيل موجودة بوضوح، بوجود حملة أميركية صهيونية على سورية وإيران، وإلى حدٍّ ما على السعودية. هناك عملان مهمان يجب القيام بهما:

١ ـ إنهاء الاحتلال.

٢ ـ إقامة نظام حرٍّ في العراق.

لا شك أن أميركا تحاول تبرير وجودها في العراق، ولدينا من الأدلة والبراهين على أن هؤلاء يعملون على إثارة الفرقة بين الشرائح الدينية والمذهبية في العراق.

مجمل المؤشرات كانت تدل على أن اغتيال الحكيم لم يكن عملاً إرهابيًا بسيطًا وساذجًا، بل

كان واضحًا أن وراءه جماعة أو حكومة تعمل بشكل قوي. النجف مطوقة بقوات أميركية، وليس من السهل تجاوز هذا الطوق. كيف دخلت هذه الكمية من المتفجرات التي قُدّر وزنها بـ ٧٠٠ ـ ١٠٠٠ كغ إلى النجف؟ لقد وضعت الكمية في عدة سيارات، ونفذت بشكل دقيق وذكي، وربما تكون من عمل أميركا أو إسرائيل، أو من عمل بعض أطراف المعارضة داخل العراق، ولكن من المستبعد أن يكون العمل تم دون علم الأميركان.

قبل أسبوع تم اكتشاف محاولة لإحداث تفجير في الكاظمية، ومن جانب آخر لدينا معلومات موثقة عن إفشال محاولة لاغتيال جلال الطالباني، حتى عملية اغتيال دي ميلو تمت من أجل الضغط على الأمم المتحدة للانسحاب من العراق، وقد انسحبت فعلاً. ولكن كما تفضلتم، أميركا في مأزق داخل العراق وداخل أميركا، وفي الساحة الدولية، وفي الأمم المتحدة. يوجد أشخاص مثل شيراك وشرويدر اتخذوا مواقف ضد حالة الاحتلال الأميركي للعراق، وضد سياسات الاحتلال. بالأمس خرجت مظاهرات كبيرة في نيويورك شارك فيها أهالي الجنود الأميركيين الموجودين في العراق. هذه أجواء إيجابية رغم عمليات القتل والتهديد التي تتم في هذه المرحلة، سواء كان ضحيتها العرب أو الأكراد أو السنة أو الشيعة. يوجد مشكلة في العراق، لذلك لا بد من أن تندم أميركا على دخولها العراق. ومن حُسن الحظ أن هذا المأزق سيجعلها تفكر كثيرًا قبل أن تُقدم على القيام بعملية عسكرية ضد إيران وسورية في المستقبل القريب. لكن يجب أن يساورنا القلق حول من سيَحكم العراق، وكيف سيكون مستقبله؟ صحيح أن من يربح أو يخسر في الدرجة الأولى سورية وإيران، ولكن يجب على دول المنطقة أن تنتبه لأنها ستكون مُعرضة للربح والخسارة. لهذا يجب أن نزيد من تعاوننا الإقليمي ونُعزز التعاون بين سورية وإيران والسعودية، وحتى تركيا والأردن.

قبل استشهاد الحكيم عرضنا عليه فكرة القيام بجولة في دول المنطقة، ولكن هذا لم يتم، لأن الرجل واجه مصيره. يوجد خلفيات للخلاف بين السنة والشيعة، والعرب والأكراد، ولكنها طبيعية. الشيعة يرون أنهم أغلبية وكانوا ضحية القمع والاضطهاد خلال العقود الماضية. والسنة قلقون من مجيء حكم شيعي يُضيّق المساحة عليهم. لذلك يجب على الجانبين أن يعرفا أن الاعتماد على السنية والشيعية والقومية خطر كبير، ويجب الابتعاد عنه، ويجب علينا محاربة هذا، وأن نبرهن للجميع أن لا مكان لأي حكومة تعتمد على أميركا، وأن نتصرف بشكل يجعل الأميركان على قناعة بأنهم لن يستطيعوا السير بغاياتهم إلى الأمام وكما يشاؤون من خلال عملائهم، وإن لم تقبل أميركا المنطقة، فإن الواقع سيفرض نفسه عليها. قبل احتلال العراق اجتمعت المعارضة في لندن وصلاح الدين، وقد رحّب الأميركان بالاجتماع الأول،

ولكن فيما بعد غيروا رأيهم، لأنهم كانوا يخافون من تحول هذا الاجتماع إلى حركة عراقية. وبعد الاحتلال قرروا غرس حاكم عسكري، ولكنهم فشلوا بذلك، ثم جاؤوا بحاكم مدني (بريمر). وفي البداية قالوا بقوةٍ وعنفٍ ليس لأعضاء المجلس الحق في التدخل بالأمور، ولكن فيما بعد شعروا أنه لا بد لهم من مشاركة أعضاء المجلس لأنهم اقتنعوا بأنه لا يمكن الاستمرار بدون مساعدة مجلس الحكم. نحن لا نشك في أعضاء المجلس، صحيح أن بينهم عناصر أميركية ولكن في الوقت ذاته نحن على قناعة بوجود عناصر حريصة على العراق، ولا ترغب بوجود أميركا في العراق. ونحن لم نعترف بالمجلس كنظام حكم في العراق، بل اعترفنا به كمرحلة انتقالية، وسوف يحل محله حكم عراقي شعبي ووطني. المجلس مقيد بهذه الحالة، ولكنْ إن قرر أن يترسخ ويبقى فهذا غير مفيد، أنا على قناعة بأنه يجب أن نزيد من اتصالاتنا مع الأطراف داخل العراق، ولكن دون خلق حساسيات أميركية، لا بد من العمل داخل العراق، والاتصال بالأطراف التي لها تأثير ونفوذ واسع على الساحة العراقية. أما بالنسبة لاقتراح عقد مؤتمر وطني عراقي أقول: إن هذه فكرة رائعة، ويمكن أن تدرَّس في وزارة الخارجية، ولكن لي بعض الملاحظات:

١ ـ مكان عقد المؤتمر. أعتقد أنه يجب أن يُعقد داخل العراق.

٢ ـ من سيُمثل الشعب داخل العراق؟

وبالتالي لا بد من ترتيب المؤتمر بحيث يضم الأغلبية الساحقة من أبناء الشعب العراقي من مختلف التيارات.

يوجد مسألة مهمة وهي مسألة الدستور. هل يريدون دستورًا أميركيًا؟ أم كرديًا؟ أم شيعيًا؟ أم سُنيًا؟ لا بد أن يكون الدستور عراقيًا بالمعنى الكامل للكلمة، وأنا واثق أنه إن تصرفنا بشكل صحيح نستطيع إقناع العراقيين بهذا الأمر، ونكون قد قمنا بفعل شيء يفرض نفسه على الأميركان. اتخذوا موقفًا. هم يريدون دستورًا عراقيًا لا مغزى له ولا طعم، وقد واجه هذا الموقف استنكارًا من قِبل السُّنة والشيعة. لقد اضطر بريمر قبل أيام لاتخاذ موقف وقال: لا نمانع أن يكون الدستور إسلاميًا، ولكن يجب أن يتضمن بعض الحريات.

الظروف صعبة، ولكن ليس كل الظروف ضدنا. الأمر يتطلب منا التدبير والتعاون. لا مصلحة لأحد منا في خلق صراع للآخر. نتزاحم مع أميركا دون صراع ونُفشل مخططها. بإمكاننا عمل شيء ومنع تشكيل العراق بالشكل الذي يريده الأميركان، ويمكن وضعه بشكل معادٍ لإسرائيل، وبهذا نكون قد وضعنا إسرائيل في مأزق. سأطلب من الإخوة في

الخارجية دراسة اقتراحكم حول عقد مؤتمر وطني. نحتاج تفاصيل أكثر لدراستها من جميع الجوانب. يجب أن نكثف اتصالاتنا. لقد أرسلت منذ فترة الوزير كمال خرازي إلى دمشق والرياض وكنا على اتصال مع الأتراك، ومن المحتمل أن يزورنا أردوغان. وإن أردتم، يمكننا إنعاش الاجتماعات الرباعية أو السداسية. أعتقد أن الجانب السعودي اليوم أكثر ميلاً للاجتماع من الفترة السابقة منذ ٣ ـ ٤ أشهر.

عقبتُ قائلاً: بالنسبة للمؤتمر نحن نوافق على ملاحظاتكم ويمكن أن تُجري الخارجية الاتصالات وتضع ترتيبات انعقاده.

تساءل الرئيس خاتمي: هل ترغبون في إدخال السعودية؟

أجبته قائلاً: يمكن مشاركتها في مرحلة لاحقة، ويجب الأخذ بعين الاعتبار الضغوط على السعودية. وهي في ظل ظروفها الحالية لا تستطيع أن تخطو أي خطوة. يمكن أن نضعهم بالصورة، ولكن في المستقبل سيجدون أن من مصلحتهم الوقوف معنا. المؤتمر يعقد داخل العراق. بالنسبة للدستور، إن أي دستور يوضع في ظل الاحتلال سيكون من صنع أميركا. وبعد أن جاءت إلى العراق وتكبدت هذه الخسائر هل يمكن أن تنسحب دون تأسيس شيء؟ الأميركان في مأزق، ولكنهم لم ينهزموا. إن هزم بوش في الانتخابات وجاء رئيس ديمقراطي قد يكون أكثر مرونة، وبالتالي يمكن إيجاد مخرج.

سألني خاتمي: هل ترون من المناسب تأجيل عقد المؤتمر إلى ما بعد الانتخابات الأميركيـة؟

أجبته قائلاً: يجب عمل شيء يضغط على الولايات المتحدة، وبالتالي الضغط داخل الولايات المتحدة. بوش لن يتأثر إن مات ألف جندي أميركي، ولكنه يتأثر من خسارة ناخب واحد. يجب أن يكون الضغط عليهم من خلال تماسك الشعب العراقي.

تساءل الرئيس خاتمي: العراقيون الآن يقتلون أنفسهم بأنفسهم!

أجبته قائلاً: إن تم وضع الدستور ستتم صفقة بين جلال والأميركان، وإلى حد ما مسعود، وسيتم وضع الدستور على أساس فيدرالي.

قاطعني الرئيس خاتمي: هل لكم اتصالات مع الأكراد؟

أجبته قائلاً: نعم سيادة الرئيس، مسعود سيزورنا قريبًا، وهو أكثر فهمًا وأقل مناورة من جلال. جلال مثل عرفات. لذلك فإن وضع دستور الآن، سيُعرض على الاستفتاء، وستملأ

صناديق الاقتراع بأوراق مؤيدة، وإن حصل هذا سيأتي بعد ذلك من يقول إن هذا الدستور وُضع من قِبل الاحتلال، وبالتالي ستعود المشاكل، وقد يحدث انقلاب تحت عنوان الحفاظ على وحدة العراق. يجب عدم التسرع في وضع الدستور، يمكن أن نضع الآن قواعد لإدارة مؤقتة، وليس دستورًا. هل يوجد شعب يقبل وضع دستور في ظل الاحتلال. قرارات المجلس كلها خاضعة لتصديق بريمر، نحن لنا أصدقاء في المجلس لا نشك بوطنيتهم، ويوجد قسم يتعامل مع الأميركان وهو جزء من اللعبة. نحن لنا اتصالاتنا مع الأصدقاء في العراق وسنستمر بها. المهم هو الضغط على أصدقائنا في مجلس الحكم لتأجيل إقرار الدستور.

تحدث الرئيس خاتمي: أصدر الشيخ السيستاني فتوى قال فيها يجب وضع الدستور من قِبل مجلس منتخب. وهذا مفيد. يجب استمرار الضغط على الأميركان لإعطاء دور للأمم المتحدة.

عقبتُ قائلاً: بقدر ما نتماسك نحن في المنطقة، بقدر ما يتماسك الأوربيون، وإنْ ضعفنا أمام الأميركان فإنهم سيستسلمون. وبالنسبة للدول المحيطة يمكن التنسيق مع تركيا وعقد اجتماع ثلاثي. وبالنسبة للأردن، أحيانًا تجرى اتفاقات نرغب بإبقائها سرًّا بين الأطراف المتفقة، لا يوجد ضمانة في هذه الحالة في ظل وجود البعض، لأن الأمور ستصل فورًا إلى الأميركان.

تابع الحديث الرئيس خاتمي: هناك أمران:

١ ـ يجب القيام فيما بيننا بأعمال أكثر جدية.

٢ ـ وبنفس الوقت نتعامل مع تركيا والأردن والسعودية والكويت بشكل لا يثير حساسيات. ولكن يجب أن نتجمع وننسق قبل كل اجتماع وبشكل دائم.

عقّبت قائلاً: علاقاتنا جيدة مع الأردن والكويت والسعودية.

وفي صباح اليوم الثاني قمت بزيارة الرئيس هاشمي رفسنجاني رئيس مجلس تشخيص مصلحة النظام، وبعد تبادل عبارات المجاملة أخذت الحديث قائلاً: تمر المنطقة في ظروف صعبة ومعقدة وفي ظل هذه الظروف يجب أن يكون التنسيق بيننا جيدًا.

عقّب الرئيس رفسنجاني: نحن دائمًا ننتهز فرصة زيارتكم إلى إيران، وبخاصة اليوم، لأن المنطقة تمر بظروف هي الأخطر، يجب أن نهتم بهذه الظروف ونتعامل معها ولا نستسلم.

تحدثت قائلاً: الاستسلام معناه الموت. نحن نعلم أن لدى الولايات المتحدة مخططات

في المنطقة، ولكن هذه المخططات لا يجب بالضرورة أن تنجح وتحقق أهدافها. لقد اتخذ الأميركان قرار الحرب على العراق وانتصروا على صدام، ووضعوا مخططات، ولكنهم اليوم في مأزق، وبالتالي فإن القوة ليست كل شيء، ويجب أن نعمل لدرء الأخطار. الأميركان في مأزق. والمهم هو استخدام المأزق من أجل الخلاص. بعض الدول لا تزال مرعوبة. إن استمر المأزق الأميركي لفترة مقبلة ستجرى تغيرات كثيرة. يوجد انشقاق في الغرب، وهذا الانشقاق سيزيد إن استطعنا الصمود وعدم إتاحة فرص النجاح للأميركان في العراق. إن شعر الشعب العراقي بالهزيمة وسلّم وغطينا نحن الهزيمة، سيعود الغرب ويتحد، وسيستسلم الفرنسيون والألمان والروس لإرادة أميركا. يجب ألا تستقر أميركا في العراق؛ لأنه يوجد داخل الولايات المتحدة حملة ضد بوش، وسقوط بوش في الانتخابات المقبلة سيؤدي إلى إحداث تغيير في السياسة الأميركية. إن تسببت الحرب على العراق في إسقاط بوش ستكون درسًا لكل الرؤساء اللاحقين.

سيادة الرئيس. ما يهمنا هو الوضع الداخلي في العراق، المجتمع العراقي يتكون من شرائح مذهبية وقومية متعددة، وسيحاول الأميركان إشعال الفتنة المذهبية بين المسلمين، وعندها تبرز الولايات المتحدة كمنقذ للعراق لإحلال الأمن فيه. لذلك فقد تركزت مباحثاتنا في الأمس على الوحدة الوطنية، وعدم الانزلاق إلى فخ النزاعات العِرقية أو المذهبية، وتشجيع الناس على رفض الاحتلال، يجب أن يكون هناك إجماع وطني رافض للاحتلال، لقد تحدثنا في الأمس عن فكرة إمكانية عقد مؤتمر وطني عراقي يضم كل شرائح المجتمع العراقي، وتعزيز الوحدة الوطنية. من وجهة نظرنا، الوحدة الوطنية هي الطريق لإخراج الأميركان من العراق.

علق السيد رفسنجاني: من سيضم المؤتمر؟

علقتُ قائلاً: اتفقنا على تشكيل لجنة سورية ـ إيرانية تدرس الموضوع وتحدد الأشخاص الذين سيحضرون المؤتمر، ثم من خلال اتصالاتنا مع أصدقائنا في العراق، فإنهم يعملون على تشكيل لجنة تحضيرية تُعد للمؤتمر وتُحضر له. والمطلوب من المؤتمر أن يخرج بعدة رؤى سياسية:

١ ـ تعزيز الوحدة الوطنية.

٢ ـ الدعوة إلى خروج قوات الاحتلال من العراق.

٣ ـ الدعوة إلى تسلم الأمم المتحدة إدارة العراق، والإشراف عليه مؤقتًا، ومن ثم إجراء

انتخابات وتشكيل مجلس تشريعي يَنتخِب حكومة شرعية. يجب عدم التورط في المنافسة الداخلية حول المكاسب في ظل الاحتلال. نحن متفقون على أن أميركا لم تشن الحرب على العراق من أجل أسلحة الدمار الشامل، ولا من أجل تغيير النظام. صدام كان صديقهم، وكلنا نذكر تعاونه مع أميركا خلال الحرب العراقية ـ الإيرانية، وأميركا كانت تزود الجيش العراقي بمعلومات عسكرية. يوجد أهداف أميركية أخرى وراء قيامها بالحرب. بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، بدت الولايات المتحدة قوة عظمى وحيدة في العالم. استراتيجية كلينتون كانت قيادة العالم عبر العولمة الاقتصادية والثقافية، وعبر تعزيز حلف الأطلسي. الإدارة الجديدة مختلفة، استراتيجيتها مبنية على أساس السيطرة على العالم عبر استخدام القوة، وتستقي نظرياتها من بعض المفكرين الأميركيين المتطرفين.

أحداث ١١ أيلول أعطت المبرر العملي لهذه الاستراتيجية وشُنت الحملات على الإسلام، وشاهدنا ما حصل في أفغانستان والعراق. لقد جاء الأميركان إلى العراق طمعًا في موقع العراق الاستراتيجي، ونفطه وموارده. لذلك، إن لم يتعب الأميركان في العراق، ولم يتعرضوا للضغوط التي تؤثر على الوضع الداخلي في الولايات المتحدة، لن ينسحبوا من العراق، وبالعكس سيوسعون نشاطاتهم في المنطقة. وفي إطار هذا المخطط التوسعي، يوجد دولتان مستهدفتان بشكل مباشر، هما سورية وإيران، إيران كونها من دول «محور الشر»، وسورية كونها «محور شر آخر» في وجه إسرائيل، وهذا يضع مسؤوليات كبيرة على سورية وإيران تجاه الوضع. ليس المطلوب الانزلاق إلى خطوات غير مدروسة، وليس المطلوب أيضًا عدم استخدام القوى السياسية المتاحة في أيدينا. علينا خلق مناخ متصاعد ورافض للاحتلال، ومرتبط بتعزيز الوحدة الوطنية. وللمقاومة أشكال متعددة: مقاومة مسلحة، وهذا شأن عراقي. ومقاومة عن طريق البيانات والمظاهرات. حديث الرسول يقول: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». يجب الاستفادة من القوى الموجودة في المنطقة، ولكن يجب ألا نعلق عليها آمالاً كبيرة.

للاحتلال ثلاثة أنواع: الاحتلال العسكري، الاحتلال الاقتصادي، احتلال الإرادة. ومع الأسف حالة احتلال الإرادة تصيب معظم دول المنطقة. ونستطيع أن نوسع هامش هذه الدول من خلال الاتصال معها، ولكن الخائف والمرعوب لا يملك القرار. نحن نُعلق أملاً كبيرًا على التنسيق مع إيران، ووجهات نظرنا متفقة، ودائمًا نتحدث كفريق واحد.

آمل أن نسمع توجهات الرئيس رفسنجاني لأنها ستكون مفيدة.

عقب رفسنجاني: شكرًا على هذا الشرح. نحن دائمًا نستفيد من تحليلاتكم، وقد سُررنا عندما علمنا بنبأ زيارتك لنا. من المهم أن نتشاور مع شخصك في هذا الظرف الحساس، وتشاورنا مع سيادتك مفيد. نحن نوافقك الرأي فيما طرحت. لكن، سأذكر بعض الجوانب، ولي بعض الملاحظات. أنا مطمئن إلى أن الأميركان لن يستطيعوا البقاء طويلاً في العراق، وبالتأكيد القضايا المطروحة ضد بوش في أميركا، قضايا جادة. وبالنسبة لبريطانية، فإن إدارة بلير تواجه مشكلة حتى داخل حزب العمل. ولديّ قليل من المخاوف تجاه أوربّا، من خطر استسلام الأوربّيين للإدارة الأميركية، هذا الخطر قائم، ولهذا لا بد من مساعدة الأوربّيين على الاستمرار في موقفهم، وبالتأكيد هذه المسألة تحتاج إلى سبل وطرق. ولا بد من أن نتعاون في هذا المجال مع الدول العربية ليبقى الخلاف الأوربّي - الأميركي قائمًا، والأمر ذاته بالنسبة لروسيا، هذا هو الأمر الذي يجب القيام به خارج العراق. أما داخل العراق فلقد أعطى الأميركان وعودًا كثيرة، إن نفّذوها وأعطوا للشعب حق إدارة شؤونه لن يبقى لهم وجود، وإن أرادوا ألا يعطوا أي شيء، ستنشأ معارضة ضدهم، والأميركان على ما يبدو قرروا إدارة شؤون العراق عبر أصدقائهم من المرتزقة، مثل بعض أعضاء حزب البعث، وكان صدام أحسنهم. والخطأ الأميركي الكبير هو حل حزب البعث والاستخبارات، لقد كان هذا الحل لصالح الشعب العراقي، ولكنه خطأ ليس من السهل تفاديه. لهذه المجموعة من الناس، سواء جماعة الاستخبارات أو الحزب، حضورها وتواجدها، وليس من السهل وضعها في الهامش. أميركا بحاجة لفترة طويلة كي تَهزم هؤلاء، وستدفع تكاليف غالية، فالوقت ليس معهم. خلال هذه الفترة ستتشكل قوى جديدة ومجموعات أخرى، مثل الشيعة، وستعارض أميركا فيما بعد. يوجد تصعيد ضد الأميركان في أفغانستان، وفي لبنان كان للأميركان أهداف، الآن لا يوجد للأميركان أرضية للعمل، وفي فلسطين لم يتوصلوا إلى أي نتيجة، يأتون بأشخاص لا يملكون الحلول والسبل لتنفيذها. يمكن القول إن أميركا فشلت في كل ما قامت به بعد أحداث الحادي عشر من أيلول.

في الظروف الحالية يجب ألا نقوم بأي عمل ينقذ الأميركان من المأزق الذي يعيشونه في فلسطين ولبنان وأفغانستان والعراق، ويكلفهم تمويلاً كبيرًا. يجب دفع الأميركان في المواطن الأربعة إلى مزيد من الضيق. وحسب التحليلات، فإن الأميركان لا يستطيعون في مثل هذه الظروف فتح ساحة جديدة، سواء في إيران أو سورية، وإن فعلوا هذا سيواجهون مشاكل أكبر، ويعطون الحجة لندخل إلى الساحة بكل قوانا. على هذا الأساس يجب ألا نخاف أبدًا.

أجبته قائلاً: نحن لسنا خائفين، لأننا نرى الصورة كما سبق وشرحتها لكم. نعرف تمامًا العقلية الأميركية. الموروث الأميركي هو الاستيلاء بالقوة، ولكن ماذا بعد ذلك؟ لا يفكرون. لقد قتلوا الهنود الحمر، واستولوا على أراضيهم، ثم نشأت بينهم صراعات على المزارع والمواشي. لقد استخدموا القوة في سياساتهم الخارجية، ولكن لا يعرفون كيف سيتصرفون بعد ذلك. دمروا أفغانستان خلال الحرب، ولم يكن لديهم برنامج لما بعد الحرب. احتلوا العراق، ولا يزالون فيه، ولكن لا يوجد لديهم برنامج لما بعد الاحتلال. أخرجوا خارطة الطريق، وهذه الخطة كانت عبارة عن فشل ذريع لبوش، وبالتالي فشلت كل هذه السياسات. نحن لا نستطيع مجابهة الأميركان عسكريًّا، لكن نجابههم بعد الأعمال العسكرية. اليوم من السهل هزيمة الأميركان في فلسطين ولبنان والعراق. في لبنان قوة المقاومة لا تعادل ١ إلى ١٠٠٠٠، من القوة العسكرية الإسرائيلية، ولكن المقاومة هزمت إسرائيل، بإمكاننا انتزاع النصر من فم الوحش. نحن متفائلون وعلى هذا الأساس نتحرك. نحن لا نبحث عن مواجهة مباشرة، بل نبحث عن الاستفادة من الأخطاء الأميركية، يقلقنا فقط تفجير الوضع الداخلي في العراق إن استطعنا الحفاظ على الوحدة الوطنية في العراق ستكون هزيمة أميركا مضمونة ١٠٠٪ وهنا تأتي مسؤولية إيران وسورية، وللدولتين أصدقاء في العراق. لقد زارنا وفد من مجلس عشائر العراق. نحن نركز على مسألة الوحدة الوطنية، ورفض الاحتلال ودعوة الأمم المتحدة للإشراف مؤقتًا على العراق، وإجراء انتخابات حرة، ثم مجلس منتخب يُعِدُّ الدستور. أما الخلافات والمنافسات الحزبية فتؤجل إلى حين قيام دولة. من الخطأ قيام التنافس في ظل الاحتلال، لأن الاحتلال سيوظف هذا التنافس لضرب الاستقرار في البلد. وبالنسبة للموقف الأوربّي، فإن قبول مجلس الحكم في الجامعة العربية أعطاهم إشارات غير إيجابية، الأوربّيون يعتقدون أن أميركا ستُهزم، وبالتالي ستكون هناك شماتة أوربّية بأميركا، وخاصة من قِبل فرنسا وألمانيا. صعوبة وضع الأميركان يساعد الأوربّيين على طلب خروجهم، ولكن التعاون مع الأميركان والصمت لا يساعد الأوربّيين. نحن لسنا قلقين من احتمال قيام الأميركان بعمل عسكري، على الأقل في هذه الأيام، إذ يوجد هامش يجب الاستفادة منه.

أجابني رفسنجاني: على الأميركان أن يشعروا بالقلق، لأنهم مستهدفون في العراق، وكل واحد منزعج من الأميركان يجد في العراق ساحة لتصفية حسابه معهم، ويجب ألا نخسر هذه الفرصة، وكل قتيل أو جريح أميركي في العراق هو قنبلة داخل الولايات المتحدة.

عقّبت قائلاً: كان بوش يهاجم فرنسا وألمانيا، ورامسفيلد أعلن في خطاب له رفض أي

مساعدة ألمانية أو فرنسية. اليوم بوش يطلب مساعدة أوربّا والعالم، يطلب المساعدة العسكرية والمالية، وهذا يدل على حجم انكساره.

تحدث السيد رفسنجاني: إن قارنّا بين كلمة بوش الآن، وكلمته قبل سنتين، ندرك فشل سياسته. نوافقك الرأي بالنسبة لما تفضّلت به حول ضرورة تعزيز الوحدة الوطنية، وسنبذل قصارى جهدنا لمنع حدوث صراعات داخل العراق.

أجبته قائلاً: نحن نستقبل وفودًا كثيرة من العراق، يوجد في مجلس الحكم قسم كبير من أصدقائنا، وهؤلاء يعتقدون أنهم عجزوا عن إسقاط صدام، ولذلك اعتقدوا أن أميركا ستأتي لتسقطه وترحل. هذا التفكير فيه سذاجة. ومع ذلك خاضوا هذه التجربة، ويجب الضغط عليهم ليضغطوا على الأميركان في مسألة الانسحاب من العراق، ونقل السلطة إلى العراقيين.

أريد لفت النظر إلى محاولة الأميركان وضع الدستور في العراق. هذا الدستور إن وضع في ظل الاحتلال سيضمن استمرارية الهيمنة الأميركية على العراق، وسيشرف على إنشاء هذا الدستور بعض الأطراف التي تنادي بالفيدرالية. هذه النظرة فيها تفكيك للعراق، وبعض الأطراف غير الكردية تساير الأكراد لأسباب ذاتية، وبالتالي صدور الدستور في ظل الاحتلال سيؤدي إلى الاقتراع بأوراق تؤيده، صدام نجح في الانتخابات بنسبة ١٠٠٪، ودستور أميركا سينجح ١٠٠٪، وفي حال وضع هذا الدستور، سينشأ تيار لتغييره، ويقول: هذا الدستور غير شرعي لأنه من صنع الاحتلال. وستنمو اتجاهات قد تؤدي إلى انقلاب عسكري، وبالتالي مجيء حكم عسكري جديد، يعني مجيء صدام جديد في العراق. لذلك نحن نسعى مع الأطراف لتأجيل صدور هذا الدستور إلى ما بعد الانتخابات، حينها يأتي مجلس منتخب ويضع الدستور، ويتحمل المسؤولية الممثلون المنتخَبون العراقيون، وليس مَن عيّنهم بريمر. يجب الضغط على المجلس الأعلى وحزب الدعوة، وسنتحدث نحن معهم في هذا الاتجاه. سيزورنا مسعود. سنقول له: يجب عليك أن تختار بين أن تكون زعيم ميليشيا، أو زعيماً عراقيًّا، كلما وسّعت دورك الوطني سيزداد وزنك، وإن كنت زعيم ميليشيا فستظهر مستقبلاً مئة ميليشيا وستعمل ضدك.

عقّب السيد رفسنجاني: بالنسبة للعراق موقفنا واحد، وهو أننا لا نرغب بوجود الأميركان في العراق. بالنسبة للدستور، لقد صدرت عن الشيخ السيستاني فتوى بأن الدستور يجب أن يضعه الشعب العراقي، وكان لنا تأثير في هذه الفتوى، وما زلنا على الموقف ذاته. وبالنسبة للأكراد فإن علاقاتهم مع الأميركان حميمة جدًّا، والأكراد لا ينسقون معنا.

بالنسبة للمؤتمر، يجب أن يتم إعداد دراسة له، وننسق معًا. قرارات المؤتمر يجب أن تخرج بالاتجاه الذي تحدثت عنه، وسيكون مفيدًا.

علقت قائلاً: المهم هو ألا ينجرّ أصدقاؤنا وراء الأميركان. يوجد في العراق نفس انتهازي من قِبل الأكراد وبعض العرب الذين يسايرون الأكراد، لذلك لا بد من تأجيل تشكيل الدستور إلى ما بعد الانتخابات. حين يأتي مجلس مُنتخَب يتولى هذا الأمر. لا بد من الابتعاد عن المساومات في الوقت الحالي.

بعد انتهاء لقائي مع الرئيس رفسنجاني توجهت للقاء المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية في إيران آية الله علي خامنئي.

وبعد تبادل عبارات المجاملة تحدث قائلاً: نحن دائمًا في الظروف الصعبة نُكثف الاتصالات بين دمشق وطهران. تعرفون أن الوضع معقد، ويوجد حالة من الخوف لدى معظم دول المنطقة، وبالتالي على إيران وسورية تحمل مسؤولية أكبر. لدينا قلق تجاه القضية الفلسطينية، لأن الولايات المتحدة تسعى لخلق وضع وحل يخدم مصالح إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني، والحمد لله فشلت هذه المحاولة، وانتهت كما انتهت اتفاقيات أوسلو. إن سقوط خارطة الطريق كان أمرًا جيدًا، ولا شك أن نجاح المقاومة في لبنان وطرد الإسرائيليين منه كان حافزًا قويًّا للفلسطينيين في كفاحهم المسلح ضد إسرائيل، هناك مصاعب يعيشها الشعب الفلسطيني، ولكن في الوقت ذاته توجد مصاعب إسرائيلية، ومؤشرات على أن مستقبل إسرائيل أصبح محفوفًا بالظلام. الوضع العربي المتماسك له انعكاسات، ومساندة الشعب الفلسطيني تغذي روح المقاومة لديه، كانت منظمة التحرير الفلسطينية تسعى للوصول إلى حلول معينة، ولكن لا نعتقد أنه يمكن الوصول إلى حل في هذا الإطار.

جاءت الحرب، وكما تحدثت مع الإخوة، لم يأتِ الأميركان إلى العراق من أجل أسلحة الدمار الشامل؛ لأنهم يعرفون أن العراق لا يمتلك هذه الأسلحة، ولم يأتوا لتغيير نظام صدام حسين؛ لأن صدام هو أكثر رئيس قدّم لأميركا خدمات كبيرة، كانت البداية في حربه ضد إيران، ومن ثم اجتياحه للكويت، هذا الاجتياح الذي أسس لوجود أميركا في الخليج العربي، وتراجع الهامش لدى دول الخليج، ولا نكاد نسمع الآن من إخواننا في الخليج إلا ما يوحيه الأميركان. إذًا الأميركان لم يأتوا لإزالة هذا الشخص، بل يوجد لهم أهداف أخرى، وقد برزت هذه الأهداف بعد أحداث الحادي عشر من أيلول، وهي السيطرة على

العالم والإمساك بـ«خناقه» من خلال الإمساك باقتصاده، وإنهاء القضية الفلسطينية لصالح إسرائيل. لقد أعلن كولن باول بعد الحرب مباشرة أن هدف الحرب هو تغيير الخارطة السياسية في المنطقة، ولكن أي خارطة؟ وبتقديرنا أن

التغيير سيكون في سورية وإيران باعتبار أن هاتين الدولتين متمسكتان بالمبادئ، للحرب أهداف استراتيجية، واستقرار الولايات المتحدة في العراق سيكون له نتائج خطيرة، وهذا لا يمكن أن يتم إلا إن تفجّر الصراع الداخلي، واشتعلت الفتنة بين العراقيين وأقيمت هياكل تخدم المصالح الأميركية، وعندها يأتي الأميركان بقوى تتحالف معهم لحفظ الأمن في العراق وينسحبون إلى قواعد آمنة. إيران وسورية معنيتان في العراق، لأن خطر الوضع في العراق هو خطر مباشر على هاتين الدولتين، لذا كان لا بد من اللقاء والتشاور معكم للوصول إلى رؤية مشتركة.

في الأيام الأولى للحرب كان الوضع معقدًا، الآن نتائج الحرب بدأت تظهر وحتى الولايات المتحدة وإدارة بوش بدأت تتراجع، في بريطانية بلير انتهى، ورئيس وزراء إسبانيا أعلن أنه لن يجدد ترشيحه لرئاسة حزبه، هذا الوضع يعطينا هامشًا لمساعدة الشعب العراقي وتجاوز محنته للصمود، يوجد إجماع على رفض الاحتلال ومقاومته بأشكال مختلفة، بعضهم بالسلاح والآخر بالبيانات والخطابات، لكن المهم أن يترسخ لدى العراقيين أن الاحتلال شر يجب إزالته وهذا يحتاج إلى الوحدة الوطنية. إيران وسورية تستطيعان القيام بدور كبير في هذا المجال، وحض أصدقائنا في العراق على عدم الانجرار إلى الصراعات الداخلية، وتحمل الأذى ريثما يزول الأذى عن الشعب العراقي كله.

ناقشنا مع الإخوة فكرة عقد مؤتمر وطني، سيجتمع بعض المسؤولين من البلدين لدراسة هذه الفكرة، وكيفية عقد المؤتمر، مؤتمر تحضره كل فئات الشعب العراقي، وتصدر عنه عدة قرارات:

١ - الوحدة الوطنية؛ لأنها الطريق لإزالة الاحتلال.

٢ - رفض الاحتلال.

٣- دعوة الأمم المتحدة للإشراف المؤقت على العراق.

٤ - إجراء انتخابات حرة، وبالتالي إنشاء مجلس منتخب تنبثق عنه حكومة شرعية تُسند إليها مهمة إدارة العراق.

لقد بدأنا نستقبل مجموعات من الشعب العراقي، في البداية كانت وجهة النظر المطروحة عدم التعاون مع مجلس الحكم، وزارنا بعض الإخوة من طهران، وناقشنا الأمر مع السيد خرازي، أكثر أعضاء مجلس الحكم أصدقاء لنا، وقسم منهم له مكاتب في دمشق وطهران، واتخذنا توجهًا بالتعاون مع هؤلاء، يوجد في المجلس أشخاص كشلبي وغيره، لا يمكن التعامل معهم، ولكن يجب الضغط على أصدقائنا ليضغطوا على الأميركان لنقل السلطة إلى العراقيين.

نقطة مهمة أريد الإشارة إليها: الأميركان يطرحون فكرة وضع دستور، وطلب المجلس المعين تشكيل لجنة لوضع الدستور، مثل هذا الدستور إنْ وُضِع في ظل الاحتلال ستكون أضراره كبيرة، ومهما قال أصدقاؤنا إنهم أحرار فهذا غير صحيح، وسيركز الدستور على مسألة الفيدرالية في العراق، وهذا يعني أنه ستقام دولة أخرى في شمال العراق. واضح أنه توجد صِلات بين بعض إخواننا والأكراد، ولأسباب انتهازية قد تساير بعض الأطراف العربية التوجهات الكردية. إن صدر الدستور ستُجرى انتخابات، ولكن سينشأ تيار قوي يرفض هذا الدستور، وستعود الانشقاقات، وقد يؤدي هذا الوضع إلى انقلاب عسكري جديد ومجيء صدام آخر. يجب ألا نفكر في اللحظة الراهنة، بل يجب النظر إلى أبعد منها، لذلك نحن نحاول إقناع العراقيين بضرورة تأجيل موضوع الدستور إلى ما بعد إجراء انتخابات شعبية. عندها يتحمل المجلس المنتخب المسؤولية، وتكون الظروف قد تحسنت لأنه وبلا شك استمرار خسائر الولايات المتحدة في العراق سيؤدي إلى تراجع شعبية بوش. إدارة بوش مبنية على صراع الحضارات، وبعض المفكرين الأميركان نظروا وروّجوا لهذا الأمر، ويوجد التيار اليميني المحافظ المسيحي الصهيوني يسوق لهذا الأمر. الإدارة التي ستأتي لن تكون أفضل من الإدارة الحالية ولكنها ستكون أقل سُوءًا.

لقد تحدثت مع السيد عارف والرئيس خاتمي والسيد رفسنجاني، كان هناك تقارب في الآراء، نحن نعيش في منطقة واحدة، ولنا رؤية واحدة، ونأمل مباركة سيادتكم لأنها مهمة لنا جميعًا.

تحدث السيد خامنئي: أرحب مجددًا بالسيد عبد الحليم خدام، النائب الأول لرئيس الجمهورية، والصديق القديم، وأرحب بالإخوة والأصدقاء الموجودين معك.

نحن نُولي أهمية خاصة للتعاون مع سورية، ولهذا التعاون مكانة خاصة في سياستنا الخارجية. لهذا التعاون أساس وقاعدة وُضعت في عهد المرحوم الرئيس حافظ الأسد، وهذه

السياسات الحكيمة ساهمت في دفع هذا التعاون إلى الأمام، والرئيس بشار هو حافظ أسد شاب، لذلك سوف نستمر في الطريق ذاته.

لدينا قضايا رئيسية ومشتركة، أهمها يتمثل بالأمور التي أشرتم إليها. القضية الفلسطينية مهمة جدًّا ولها تأثير مهم في سياساتنا الشرق أوسطية، لقد أشرت إلى نقاط الضعف الأميركية في الساحة العراقية، ولا شك أن وضع الأميركان في العراق وسياسته في المسألة الفلسطينية يؤثران بعضهما على بعض، وكلما ركّزنا على القضية الفلسطينية، كان الأمل أكبر في النجاح في عموم القضايا الخاصة بالشرق الأوسط، ومنها القضية العراقية. وتعاملنا مع القضية الفلسطينية سيؤثر على ما ننشده في القضية العراقية، والعكس صحيح.

ومن الأمور التي تبدو ضرورية في هذا المجال أن تشعر الدول العربية صاحبة النفوذ مثل السعودية ومصر، أن الخطر ليس على إيران وسورية فقط، بل وعليهم أيضًا، هذا يعني أنه يجب على هذه الدول أن تشعر أنه كلما نجحت أميركا في تحقيق سياساتها في فلسطين والعراق تزعزع وضع هذه الدول أكثر. لقد أبرز الأميركان الكثير من الحقد من خلال الكلمات التي تشدقوا بها في الأشهر الماضية، حيث كانوا يشعرون بالغرور نتيجة انتصارهم، ولا بد من إفهام رؤساء وقادة الدول بأن الشعور بالخوف تجاه أميركا لا يحل أي عقدة من عُقدنا. أميركا تستخدم أسلوب الإرهاب والرعب من أجل السيطرة على هذه الدول، من خلال إرهاب السياسيين والنخبة السياسية في هذه الدول لكي تدفعهم لتنفيذ ما يريدون.

لدينا طرق وأساليب تساعدنا على إسقاط السياسات الأميركية في المنطقة، وفي مقدمة هذه الوسائل يأتي التفاهم بين الدول، يجب أن تجتمع وتتبادل الآراء وتركز على وحدة الآراء حول النقاط التي يمكن أن تكون موقع اتفاق ووحدة في الرأي، نحن نرى بأن سورية يمكنها القيام بدور كبير في هذا المجال، نظرًا لما تتمتع به من مواقف.

فيما يتعلق بالقضية العراقية، نحن نوافق على تحليلكم، إن أكبر خطر يهدد العراق هو الصراعات الداخلية بين القوميات؛ كردية وتركمانية وعربية، أو صراعات مذهبية، سنة وشيعة، ولا بد من الحيلولة دون وقوع هذا الخطر. بالنسبة لما يتم في الساحة العراقية لدينا بعض الشكوك في بعض المسائل، ومنها اغتيال الشهيد الحكيم، ولدينا احتمال بأن يكون الجواسيس الإسرائيليون هم من قاموا بهذه العملية وبالتنسيق مع الأميركيين، والهدف هو إثارة الفُرقة والخلاف بين مختلف الجهات والأطراف. وإن شاء الله، سنكون قادرين على الحفاظ على الوحدة النسبية السائدة في العراق، ويمكن تعزيز هذه الوحدة في المستقبل.

التواجد الأميركي والبريطاني في العراق يتثاقل على العراقيين يومًا بعد يوم، الأميركان اعتادوا توجيه الاتهامات وراء الاتهامات ضد إيران بحجة أنها تقف وراء المظاهرات التي تحدث في العراق، ولكننا نقول لا يوجد حاجة لأن تكون إيران وراء مثل هذه الظاهرة، عندما يقوم المحتل الأميركي والبريطاني بالتعامل مع الأطفال والنساء وأبناء العشائر بهذا الشكل العنيف، فمن الطبيعي أن تسود حالة من اللاأمن في العراق، وهذه الحالة ستعزز قيام الشعب العراقي بالرد الفعلي على هذا التعامل. أنا على يقين، إن لم يُخلِّص الأميركان أنفسهم قريبًا فسيكون الوضع بالنسبة لهم أصعب.

وفيما يتعلق بالتعامل مع الجانب السوري في القضية العراقية، أنا موافق تمامًا. بالنسبة لعقد المؤتمر، لا بد من أن تتم دراسته من قِبل الخبراء والفنيين، لنرى كيف يمكن عقده، إذا كان بالإمكان، يتم ملتقى في العراق، في بغداد أو في مكان آخر، يجتمع عدد من النخبة العراقيين ويقولون كلمة الشعب، هذه فكرة جيدة، الشهيد الحكيم كان يقوم بهذا الشيء لوحده، كان الحكيم يركز على هذه التوجهات، كانت صلاة الجمعة رمزًا للوحدة والتلاحم بين العراقيين ورمزًا لرفض العراقيين الاحتلال، كان الحكيم يواصل ويتابع أسلوبًا حكيمًا ودقيقًا للغاية لكن تلك الصورة توقفت ولم تعد موجودة. نحن نأمل بأن ينجح عبد العزيز الحكيم بالاستمرار في الاتجاه نفسه.

موضوع الدستور مهم جدًّا، العراقيون الآن حساسون للغاية بالنسبة لموضوع الدستور، ولا أظن أن الأميركان سينجحون في القريب العاجل في بلورة دستور واقعي ومقبول للرأي العام العراقي، وإذا أصر العراقيون على إصداره وبلورته خلال المرحلة الحالية، لا بد أن يكون بعيدًا تمامًا عن الإرادة الأميركية، يجب تركيز الاهتمام بشكل دقيق على النقاط الأساسية لعراق موحد ومستقل ومتماسك وعزيز ومنيع. وفي هذا المجال يمكن التشاور والتنسيق بين السوريين والإيرانيين.

وفيما يتعلق بتعامل سورية مع مجلس الحكم، هذا التوجه صحيح، لأن جزءًا كبيرًا من أعضاء المجلس لهم علاقات حميمة مع سورية وإيران ولديهم مكاتب في سورية وإيران. ونحن نعلم أن لدى هؤلاء خلفيات معارضة ورافضة للاحتلال، وبالإمكان زيادة هذه الخلفيات، من خلال التشاور وتبادل الآراء معهم. وفي الوقت نفسه يوجد في المجلس من يتعاملون مع الأميركان ويتحالفون معهم بشكل واضح وصريح، هؤلاء انتهازيون وعلى استعداد لتقديم أنفسهم بسهولة لأميركا. على كل حال يجب التعامل مع الساحة العراقية

بشكل دقيق وحكيم، الأميركان عاكفون على البرمجة والتخطيط داخل الساحة العراقية، لأن المسألة العراقية بالنسبة إليهم حيوية ومهمة. أمام هذه المخططات لا يمكن التفكير بشكل ساذج، وإنما يجب التعامل بشكل دقيق وعملي للغاية وهذا بحاجة إلى تفكير معمق وتشاور وتعاون، العراقيون كما عرفناهم من خلال تعايشنا معهم أناس أصحاب رأي وقرار، ويجب ألا يملى عليهم شيء، ولا يمكن إملاء أي شيء عليهم. أصدقاؤنا في المجلس الأعلى الذين عاشوا وأقاموا في إيران أكثر من عقدين من الزمن، عندما أرادوا مغادرة الأراضي الإيرانية قلنا لهم: نحن مستعدون للتعامل معكم في إطار التشاور، ولكن تصرفوا بأنفسكم، لن نقول لكم ماذا تفعلون. وقد عملوا بهذا الشكل، ونحن على قناعة بأنهم هم الذين يجب أن يحددوا هامش العمل. لا يمكن أن نقف متفرجين وغير آبهين بما يجري في الساحة العراقية، ويجب أن نراقب ما يجري بدقة وإمعان. في الآونة الأخيرة حصل اجتماع بين خاتمي والرئيس السوري في دمشق، وقد أبدى السيد خاتمي ضرورة وجود اتصالات مستمرة، وأنا أؤيد وأرحب بهذه الفكرة، يجب الاستمرار في التشاور والتنسيق، يجب أيضًا ألا نهمل الدول المجاورة. يمكن في هذا المجال التعاون مع تركيا والسعودية. على كل حال، نحن نؤيد جهودكم ونتمنى لكم التوفيق ونرجو من الله أن يزيد من فضله على الشعب السوري يومًا بعد يوم، وأن ينقذ الشعب العراقي والفلسطيني. نظرتنا إلى المستقبل دائمًا متفائلة.

أرجو أن تبلغ سلامي للسيد الرئيس، سعدت بلقائكم، وأهلاً وسهلاً بكم.

تحدثت قائلاً: شكرًا جزيلاً، ستكون هذه التوجهات مفيدة لتعاوننا، وسنجري اتصالات على المستوى السياسي والفني. نشكر سماحتكم على هذا اللقاء، ونتمنى لكم دوام الصحة والسعادة.

رغم موافقة المرشد الأعلى آية الله خامنئي على موضوع عقد المؤتمر الوطني العراقي إلا أن هذا المؤتمر لم ينعقد بسبب الرفض المتبادل بين الأطراف المشاركة في مجلس الحكم وبين الأطراف المعارضة للحرب، ولذلك عملنا مع الأطراف المعارضة للحرب على عقد مؤتمر وطني حضرته مجموعات متعددة من العرب السنة والشيعة وبعض الشخصيات الكردية والتركمانية، وقد شكّل المؤتمر أمانة عامة برئاسة الشيخ الخالصي والدكتور حارث الضاري نائبًا له، وحاول هذا المؤتمر وقف التوترات المذهبية من جهة، ومن جهة ثانية التعبئة الوطنية من أجل الانسحاب الأميركي من العراق والحفاظ على وحدة العراق، ولكن نشاط هذا المؤتمر لم يدم طويلاً بسبب ازدياد العمليات العسكرية الأميركية من جهة وعمليات المقاومة

من جهة ثانية، بالإضافة إلى العمليات المتبادلة الإرهابية من أطراف المسلمين السنة والمسلمين الشيعة.

* * *

اشتدت حملة المعارضة اللبنانية في السنة الأخيرة من رئاسة العماد إميل لحود ضد الوجود السوري في لبنان وضد العماد لحود الذي كان على رأس النظام الأمني اللبناني السوري في البلاد، كما امتدت الحملة إلى خارج لبنان في أوربّا وفي الولايات المتحدة الأميركية.

في تلك المرحلة بدأت الأجهزة الأمنية السورية واللبنانية العمل على تمديد رئاسة الرئيس لحود مدة ثلاث سنوات مما زاد من توتر الأوضاع في لبنان، كما اشتدت الحملة الخارجية ضد التمديد.

كانت الأجواء في لبنان تنذر بانفجار كبير بسبب الممارسات التي كانت تمارسها أجهزة الأمن السورية واللبنانية، وهيمنة هذه الأجهزة على الدولة وعلى مؤسساتها وعلى الحياة السياسية واستخدام وسائل لم تكن مسبوقة في لبنان.

كانت الخطيئة الكبرى التي ارتكبها الرئيس السوري بشار الأسد اتخاذه قرارًا بالتمديد للرئيس لحود ثلاث سنوات وممارسته شخصيًّا الضغوط على النواب للموافقة على تعديل الدستور رغم التحذيرات العربية والدولية، وكان قد أبلغ أن التمديد سيؤدي إلى صدور قرار من مجلس الأمن استنادًا إلى الفصل السابع يلزمه الخروج من لبنان.

رغم تلك التحذيرات والنصائح التي قدمتها له فقد أعطى توجيهاته للسيد نبيه بري رئيس مجلس النواب اللبناني للسير في عملية تعديل الدستور، كما قامت أجهزة الأمن السورية واللبنانية بالضغط على النواب لتأمين الأكثرية الدستورية.

في مطلع أيلول اتخذ مجلس النواب اللبناني قرارًا بتعديل الدستور والتمديد للرئيس إميل لحود ثلاث سنوات، ولم يمض يوم واحد حتى اجتمع مجلس الأمن الدولي واتخذ القرار ١٥٥٩ الذي ألزم الحكومة السورية بسحب قواتها من لبنان ووضع سورية تحت رقابة المجلس.

كان لصدور القرار صدى كبير في لبنان وفي المنطقة، غير أن الرئيس السوري ووزير خارجيته لم يدركا مباشرة خطورة هذا القرار إلا بعد اغتيال رئيس وزراء لبنان رفيق الحريري.

بعد صدور القرار تم تكليف الرئيس رفيق الحريري بتشكيل الحكومة الجديدة، وبعد أيام من نشاطه لتشكيل الحكومة وُضعت عراقيل في وجهه من قِبل الجانب السوري والرئيس إميل لحود مما دفعه للاعتذار.

لقد بدأت مرحلة جديدة في لبنان بمحاولة اغتيال السيد مروان حمادة، ثم بشن حملات سياسية وإعلامية ضد الرئيس رفيق الحريري، وتوجيه اتهامات له بالتآمر والتعامل مع الأميركان ومع إسرائيل.

وأسباب تلك الحملات اتهام النظام السوري للرئيس الحريري بالاشتراك في وضع القرار ١٥٥٩ بالإضافة إلى أن الانتخابات كانت على الأبواب وكل المؤشرات كانت تؤكد اكتساحه الانتخابات وخصوصًا بعد انفتاحه على القوة المسيحية وتحالفه مع السيد وليد جنبلاط.

في الرابع عشر من شباط عام ٢٠٠٥ فوجئ اللبنانيون بانفجار هائل في بيروت أدى إلى وفاة الرئيس رفيق الحريري ومجموعة كانت معه بالإضافة إلى عدد من المواطنين اللبنانيين.

كان لعملية الاغتيال صدى واسع لم يتوقعه الذين قرروا الاغتيال ونفذوه في لبنان كما في الساحتين العربية والدولية.

بعد الاغتيال مباشرة توجهت أصابع الاتهام باتجاه النظام السوري، وشكّل مجلس الأمن لجنة استكشاف ثم أصدر قرارًا بتشكيل لجنة التحقيق الدولية لكشف الحقيقة ومعاقبة الذين قرروا الجريمة وخططوا لتنفيذها ونفذوها.

كان من أبرز نتائج الاغتيال بروز ثورة الاستقلال والسيادة في لبنان والتي قادها تحالف بين المعارضة للوجود السوري في لبنان وبين أنصار الرئيس رفيق الحريري ورئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط، والتي أُطلق عليها مجموعة الرابع عشر من آذار؛ وسبب إطلاق هذا الاسم أن احتفالاً كبيرًا أقيم بمناسبة مرور شهر على اغتيال الرئيس رفيق الحريري.

ولا بد من الإشارة إلى أن حزب الله والقوى ذات الصلة بأجهزة الأمن السورية نظمت مهرجانًا في الثامن من آذار للدفاع عن النظام السوري.

أنتجت عملية الاغتيال وضعًا خطيرًا في لبنان إذ تلتها سلسلة من الاغتيالات لقادة الرابع عشر من آذار مما زاد الضغوط الدولية على الحكومة السورية لتسريع سحب قواتها من لبنان.

وجد الرئيس السوري بشار الأسد نفسه في عزلة تامة عربية ودولية، كما شعر بجدية

مجلس الأمن في كشف الحقيقة فاتخذ قرارًا مصيريًا بالارتباط بالجمهورية الإسلامية الإيرانية بعد أن تشكلت لديه القناعة أن نظامه مهدد بالسقوط، وفي الوقت نفسه فقد انتاب القيادة الإيرانية قلق كبير من سقوط النظام الذي شكّل قاعدة لها للامتداد في لبنان وفلسطين وفي العراق.

نستطيع تحديد العوامل الأساسية التي دفعت الرئيس السوري إلى ربط نظامه بإيران وانتقل من مرحلة التحالف التي كانت في عهد والده إلى مرحلة الاندماج السياسي والأمني مع إيران.

أولاً ـ يشكل حزب الله قوة رئيسية في لبنان، فالارتباط بإيران يساعد النظام السوري باستخدام الحزب في تفجير الأوضاع في لبنان إذا سار التحقيق باتجاه الإدانة والاتهام للنظام السوري، وبذلك يضع اللبنانيين والعرب والمجتمع الدولي أمام معادلة «التحقيق الدولي وكشف الحقيقة يعادل تفجير لبنان» بالإضافة إلى ذلك فإن عاملاً آخر مهمًا للضغط على المجتمع الدولي هو استخدام حزب الله في العمل على تفجير الوضع مع إسرائيل.

ثانيًا ـ الارتباط بإيران والتعاون معها في العراق يُشكل قوة ضغط على الأميركان، تَمكّن النظام السوري من المساومة حول ضمان استمرار النظام وحول الحد من أخطار التحقيق الدولي.

ثالثًا ـ الارتباط بإيران يُسهل تعميق العلاقات مع حركة حماس وبالتالي يمسك بالورقة الفلسطينية ويتخذها ورقة للمساومة سواء من أجل حماية نظامه أو من أجل تخفيف الضغوط الدولية عليه.

رابعًا ـ يستفيد من القوى الحليفة لإيران في المنطقة والتي تشكل أدوات ضغط على بعض الدول العربية وعلى الغرب، وفي إطار هذه الرؤية تم ما يلي:

أولاً ـ تقوية حزب الله وإمداده بجميع الوسائل والتجهيزات والأعتدة العسكرية التي تمكنه من تحقيق هدف الإمساك بلبنان في حال الانتقال لمرحلة التفجير وخاصة في مناطق البقاع والجنوب والضاحية وبيروت الغربية وبعض مناطق جبل لبنان، أما الهدف الثاني من تقوية حزب الله أن يكون قاعدة عسكرية لإشغال إسرائيل إذا ما تورطت بأعمال عدوانية ضد سورية أو إيران.

ثانيًا ـ إمداد حركة حماس بالأسلحة ووسائل القوة لتعزيز قدراتها في مقاومتها لإسرائيل

من جهة، ومن جهة ثانية للسيطرة على الساحة الفلسطينية لتصبح حماس الطرف الرئيسي في المعادلة الفلسطينية، وبالتالي إمساك النظام السوري وحليفه بالقضية الفلسطينية.

ثالثًا - إطلاق شعار الممانعة لجذب الرأي العام العربي المحتقن ضد إسرائيل والولايات المتحدة الأميركية وتشكيل تيار شعبي عربي في هذا الإطار.

رابعًا - إقامة نظام للتعاون الأمني بين سورية وإيران لخدمة أمن الدولتين، ويمتد نشاط هذا النظام في المنطقة مع تشكيل مجموعة أمنية تعمل في هذا الإطار.

خامسًا - التعاون العسكري في جميع المجالات العسكرية: التأهيل والتدريب والصناعات العسكرية بالإضافة إلى لقاءات بين قيادتي القوات المسلحة في البلدين لتنسيق التعاون، كما تم وضع برامج تدريبية لضباط القوات المسلحة عبر دورات في إيران تتناول مختلف الاختصاصات بما فيها الاختصاصات الأمنية، وقد أتاح ذلك لإيران الاتصال المباشر مع أعداد كبيرة من الضباط السوريين.

سادسًا - تنمية العلاقات الاقتصادية، وتم تحقيق خطوات متقدمة في هذا المجال وأصبح للمؤسسات الاقتصادية الإيرانية وجود جدي في سورية في مجال الإعمار والبناء والصناعة وغيرها.

سابعًا - في إطار التعاون الثقافي فقد سَمح النظام في سورية لمجموعات من رجال الدين الإيرانيين بالعمل على نشر التشيّع في سورية مستخدمة مقام السيدة زينب ومقامات أخرى منتشرة في بعض المدن السورية قامت ببنائها منظمات إيرانية، كما تم إنشاء أعداد كبيرة من الحوزات الدينية في عدد من المدن السورية بالإضافة إلى كل ذلك فقد نشط التبادل الثقافي عبر الجامعات في البلدين.

ثامنًا - توسعت العلاقات الاقتصادية بين الدولتين وبرزت الشركات والمؤسسات الإيرانية في مجال الإنشاءات بالإضافة إلى بناء عدد من المصانع، كما اتسعت دائرة التجارة بين الدولتين، وإلى جانب ذلك فإن التسهيلات التي تم الاتفاق عليها بين الحكومتين في زيادة عدد الإيرانيين الذين يزورون سورية لزيارة مقام السيدة زينب ومقامات أخرى لعدد من الصحابة التي شيدتها إيران وتجاوز عدد الزائرين الإيرانيين ثلاثة ملايين زائر، مما أدى إلى اتساع دائرة السياحة وبناء عدد من المنشآت السياحية، ونشأت في ظل تلك النشاطات شريحة من رجال الأعمال السوريين تربطهم بإيران الرابطة المذهبية وأصبح لهؤلاء نفوذ عبر بعض كبار المسؤولين في الدولة.

تاسعًا - من الطبيعي أن يؤدي هذا التحالف بين قيادتي الدولتين إلى تنسيق سياستهما في القضايا الإقليمية والدولية وتوحيد مواقفهما تجاه هذه القضايا كالوضع في لبنان وفلسطين والعراق والملف النووي الإيراني.

عاشراً - لا بد من الإشارة إلى أن التعاون العلمي بين الدولتين قدم عونًا كبيرًا للنظام السوري لا سيما في مجال تكنولوجيا السلاح، ويشكل ذلك أحد أبرز الروابط بين طرفي التحالف بالإضافة إلى ما حققه التحالف في هذا المجال من خدمات لكل منهما.

مع ازدياد النفوذ الإيراني في المنطقة وخارجها تصاعدت حملة الضغوط على إيران من الغرب ومن بعض الدول العربية تحت عنوان الملف النووي في محاولة لعزلها ووقف نمو قوتها كجزء من برنامج يهدف إلى إسقاط الجمهورية الإسلامية في إيران.

ومع تصاعد الحملات على إيران فقد توهمت معظم المراجع في الغرب وبعض الحكومات العربية أن عزل إيران يبدأ بتفكيك تحالفاتها في المنطقة وإخراج النظام السوري من دائرة التحالف والارتباط معها، فاتجهت تلك المراجع للانتقال من مرحلة عزل النظام في سورية والضغط عليه إلى مرحلة الانفتاح والحوار معه، وبعضهم بالغوا في هذا المسار دون أن يأخذوا بالاعتبار العوامل التي شكلت المحور السوري الإيراني.

السؤال الكبير: هل يمكن أن يتحول هذا الوهم إلى حقيقة ويخرج النظام السوري من دائرة التحالف والارتباط مع إيران إلى أحضان الغرب؟

ماذا تقدم الدول الساعية لتفكيك التحالف القائم بين النظام السوري وإيران إذا سار رئيس النظام السوري في هذا الطريق؟

هل ستضمن له انسحاب إسرائيل من الجولان انسحاباً كاملاً دون فرض شروط تتعارض مع السيادة والاستقلال؟ هل تضمن استمرار النظام مع استمرار سياسة القمع ومصادرة الحريات وانتهاك حقوق الإنسان؟ هل ستقدم له مساعدات اقتصادية تمكنه من تجاوز الحالة الاقتصادية السيئة في البلاد؟

الرئيس السوري يدرك الحقائق التالية:

١ - ليس في نية إسرائيل الانسحاب من الجولان إلا وفق شروطها والتي رفضها والده عبر المفاوضات مع الجانب الإسرائيلي من خلال الولايات المتحدة وفي مقدمة تلك الشروط قضايا الأمن والمياه والانسحاب الكامل

٢ ـ لن يستطيع بشار الأسد أن يقبل ما لم يقبله والده الذي لم يوقع اتفاقية سلام حتى لا يحمّل الطائفة التي ينتمي إليها وهي أقلية في البلاد، المسؤولية التاريخية لمتطلبات السلام مع إسرائيل.

٣ـ يدرك بشار الأسد بالإضافة إلى ما تقدم أن والده كان يرى أن حالة اللاسلم واللاحرب هي الضمانة لاستمرار النظام، إذ تمكنه هذه الحالة استخدام وسائل القمع ومصادرة الحريات وإلغاء الحياة السياسية و ترهيب المواطنين في ظل قانون الطوارئ تحت ذريعة حالة الحرب.

٤ ـ يدرك رئيس النظام السوري أن التخلي عن إيران يعني تحول حزب الله إلى موقع العداء، وبالتالي تحول لبنان إلى ساحة معادية للنظام بكل ما لذلك من أخطار على أمن النظام واستقراره، بينما وفر له التحالف العودة إلى لبنان ليصبح أحد مراكز القرار في الشأن اللبناني ودون الحاجة إلى جيش أو أجهزة أمن لأن حزب الله هو جيشه وأمنه،كما يدرك رئيس النظام أن التخلي عن حركة حماس وحلفائها يعني خروجه من الساحة الفلسطينية وتحول هذه الساحة إلى حالة العداء مع النظام وهذا أمر بالغ الخطورة.

٥ ـ يدرك رئيس النظام أن تفكيك التحالف مع إيران سيفقده أوراقاً وفرها له التحالف ومكنته من أن يكون له دور هام في المنطقة، ليصبح ضعيفاً لا شأن له وأن صعوبات نظامه ستزداد شدة و لن يكون باستطاعة الذين يعملون على تفكيك التحالف مع إيران أن يقدموا له ما يغنيه عن التحالف، فلن يقدموا له لبنان و لا الساحة الفلسطينية و لا العراق و لا الدعم القوي والمباشر كإيران، ويصبح في زاوية الإهمال من دون أن يكون له شأن أو دور فتزداد صعوباته الداخلية وتزداد سرعة الانهيار.

ويبقى السؤال الكبير هل الولايات المتحدة الأميركية قادرة على إلزام إسرائيل بقبول الانسحاب الكامل من الجولان دون شروط تمس سيادة الدولة سواء في الأرض أو في الأمن أو في المياه، وكذلك الانسحاب من الضفة الغربية والقدس وتفكيك المستوطنات وحل مشكلة اللاجئين على أساس قرار الأمم المتحدة رقم ١٩٤ وبالتالي إقامة دولة فلسطينية ذات سيادة كاملة ؟!.

إذا حدث ذلك، أعتقد أن كل الأبواب يمكن أن تفتح في المنطقة، مما يؤدي إلى تحقيق الأمن والاستقرار في ظل الاعتراف بسيادة واستقلال دول المنطقة وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.

* * *

الفهـرس

مقدمة ٥

الفصل الأول: الجمهورية الإسلامية ٧

الفصل الثاني: إيران وأزمات المنطقة ٣٩

الفصل الثالث: مرتكزات العلاقات السورية الإيرانية ٤٩

الفصل الرابع: نحن والخليج وإيران ٧٣

الفصل الخامس: الموقف من اجتياح الكويت ١٢٩

الفصل السادس: محاولات توحيد المعارضة العراقية ٢٧٣

الفصل السابع: الموقف من النظام العراقي بعد تحرير الكويت ٣٠٣

الفصل الثامن: التطور النوعي في العلاقات السورية الإيرانية ٣٦٧

التحالف السوري الإيراني والمنطقة

عبد الحليم خدام

هذا الكتاب ليس وصفاً تحليلياً أو تنظيراً سياسياً لأحداث جرت وتجري على امتداد الشرق الأوسط، بقدر ما هو سرد تاريخي لوقائع سياسية كبرى شدتها المنطقة، وشهدها الأستاذ عبد الحليم خدام من موقع عمله الدبلوماسي والسياسي على مدى نصف قرن.

وتأتي أهمية كتاب "*التحالف السوري الإيراني والمنطقة*" من ناحية الوقائع التاريخية التي دأب المؤلف على تقديمها للقارئ كما هي، متوخياً الدقة والموضوعية، ومن ناحية فهم أبعاد وخلفيات استمرار التحالف الاستراتيجي الوثيق بين دمشق وطهران.

لقد استطاع الأستاذ خدام، من خلال هذا الكتاب، الذي يعد باكورة مذكراته السياسية، أن يقدم تعريفاً أعمق لسياسة الجمهورية الإسلامية وآليات تفكيرها وعملها، انطلاقاً من كونه مهندس العلاقات السورية الإيرانية في مراحلها الأولى.

وطالما كانت السياسة الإيرانية ولا زالت في عهد الجمهورية الإسلامية، تشغل بال الكثيرين في المنطقة، بالنظر إلى تداخل مساحاتها الجغرافية مع سلسلة الأحداث التي وقعت على مر التاريخ القديم والمعاصر، فإن مجموعة العناوين والوقائع التي تضمنتها فصول الكتاب الثمانية وفقاً لتسلسلها الزمني، سلطت الضوء على تلك السياسة بواقعها الراهن، دون أي لبس أو تحوير.

إن الحديث عن التحالف السوري الإيراني الممتد لأكثر من ثلاثة عقود، رغم التناقض الأيديولوجي بين عقيدتي النظامين، ليس حديثاً عابراً، فهو ومن دون أدنى شك، حديث ذو شجون، له أسبابه العديدة ومحطاته الكثيرة التي يقف عندها هذا الكتاب بالوقائع والوثائق.

ثائر الناشف